

# التفسير والمفسرون الألبان في أوروبا الأراضي الألبانية أنموذجاً

التفسير والمفسرون الألبان في أوروبا.. الأراضي الألبانية أنموذجا

أ. د. خير الدين خوجة الكوسوفي

الطبعة العربية الأولى 2022.

© حقوق الطبع محفوظة بموجب عقد 2022.



الآن ناشرون وموزعون

المدير العام: د. باسم الزعبي

الأردن، عمان، شارع الملكة رانيا، بجانب صحيفة «الرأي»، مجمع المفلح التجاري (87)، ط 1.

هاتف: 797162720، 65620722 (+962)

[alaan.publish@gmail.com](mailto:alaan.publish@gmail.com)

[www.alaanpublish.com](http://www.alaanpublish.com)

تصميم الغلاف: م. سجود العناسوة

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

ISBN: 978-9923-13-505-1

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(2022 /4 /2161)

306

خوجا، خير الدين

التفسير والمفسرون الألبان في أوروبا: الأراضي الألبانية أنموذجا عمان: الآن ناشرون وموزعون، 2022

ص (454)

ر. إ: 2022 /4 /2161

الواصفات: التفسير// المفسرون// الألبان// العلماء// العلوم القرآنية

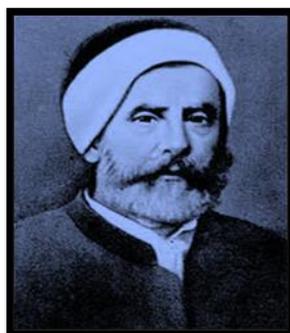
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية

أخرى

أ. د. خيرالدين خوجة الكوسوفي

التفسير والمفسرون الألبان في أوروبا  
الأراضي الألبانية أنموذجاً

دراسة



## فهرس المحتويات

9.....	ملخص الدراسة.....
11.....	الإهداء.....
13.....	شكر وعرقان.....
15.....	التقارظ.....
15.....	الأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومى.....
17.....	الأستاذ الدكتور عماد بن زهفر حافظ.....
18.....	الأستاذ الدكتور على إحسان بالا.....
21.....	الباب الأول: الأراضى الألبانية سياسياً ودينياً فى العصر الحديث.....
23.....	الفصل الأول: سبب اختيار البحث، إشكاليته، أسئلته، أهميته، الدراسات السابقة ومنهج الباحث.....
23.....	مقدمة.....
28.....	إشكالية البحث.....
29.....	أسئلة البحث.....
29.....	أهمية الدراسة.....
31.....	الدراسات السابقة.....
55.....	منهج البحث.....
56.....	الفصل الثانى: الأوضاع السياسية والاجتماعية فى الأراضى الألبانية فى العهد العثمانى.....
56.....	المبحث الأول: طبيعة الحكم العثمانى فى الأراضى الألبانية.....
76.....	المبحث الثانى: أسباب الانهيار والإصلاحات الإدارية.....
85.....	المبحث الثالث: مسألة أوروبا الشرقية ومسألة وحدة الألبان.....
93.....	المبحث الرابع: مسألة تهجير الألبان من أراضهم.....

- 105..... الفصل الثالث: الأوضاع الدينية في الأراضي الألبانية في العصر الحديث
- 105..... المبحث الأول: انتشار الإسلام في الأراضي الألبانية
- 110..... المبحث الثاني: دوافع وأسباب إسلام الألبان
- 118..... المبحث الثالث: عوامل ازدهار إسلام الألبان
- 133..... الباب الثاني: الأوضاع الاجتماعية في الأراضي الألبانية والاتجاه الإصلاحية في الدراسات القرآنية في العصر الحديث
- 133..... الفصل الأول: الأوضاع الاجتماعية في الأراضي الألبانية في العصر الحديث
- 135..... تمهيد
- 136..... المبحث الأول: النزعة التجديدية عند العلماء الألبان
- 149..... المبحث الثاني: الأبجدية الألبانية، نشأتها وتطورها
- 158..... المبحث الثالث: الصراع الفكري والثقافي في المجتمع الألباني خلال القرن العشرين
- 178..... الفصل الثاني: الاتجاه الفكري السني الاجتماعي الإصلاحية في الدراسات القرآنية، المتمثل في فكر الشيخ: الحافظ علي كورتشا
- 178..... كلمة إجمالية عن الفكر الديني الإصلاحية لدى الألبان
- 181..... المبحث الأول: التعريف بالشيخ الحافظ علي كورتشا، مولده، تعليمه، أسرته والعصر الذي عاش فيه
- 190..... المبحث الثاني: مؤلفات الشيخ الحافظ علي كورتشا وجهوده في مجال الإصلاح التعليمي
- 201..... المبحث الثالث: دراسة التفسير الوجيز للشيخ الحافظ علي كورتشا
- 218..... المبحث الرابع: شروط المفسر لدى الشيخ الحافظ وبين أوجه الاتفاق بين آرائه وآراء المدرسة الإصلاحية
- 223..... الباب الثالث: الاتجاه الفلسفي والعلمي التجريبي في الدراسات القرآنية لدى الألبان
- 224..... الفصل الأول: الاتجاه الفلسفي في التعامل مع بعض القضايا القرآنية، المتمثل في آراء الشيخ حسن تحسين أفندي
- 225..... المبحث الأول: تمهيد عن الخلفية التاريخية حول هذين الاتجاهين لدى علماء الألبان
- 230..... المبحث الثاني: التعريف بالشيخ حسن تحسين، حياته، دراسته ومؤلفاته
- 237..... المبحث الثالث: دراسة لاتجاه الشيخ حسن تحسين الفلسفي الذي انتمى إليه
- 248..... المبحث الرابع: الآثار السلبية لتلك الفكرة الفلسفية على فكر الشيخ حسن تحسين

- المبحث الخامس: بيان موقف الشيخ حسن تحسين من الأبجدية العربية.....254.
- المبحث السادس: مناقشة مواقف الشيخ حسن تحسين والرد عليه باختصار.....257.
- الفصل الثاني: الاتجاه العلمي التجريبي المتمثل في دراسات الدكتور الطيب علي فخري إلياسي.....262.
- الخلفية التاريخية لهذا الاتجاه.....262.
- المبحث الأول: التعريف بالدكتور علي فخري إلياسي، حياته، تعلمه، ومؤلفاته.....263.
- المبحث الثاني: أسس التفسير العلمي لدى د. علي فخري ومآذج من تفسيره وتعليقاته على الآيات القرآنية.....266.
- المبحث الثالث: نماذج تطبيقية من تفسير د.علي فخري إلياسي وتعليقه حول بعض الآيات القرآنية.....273.
- المبحث الرابع: منهج المؤلف في تناوله لهذه القضايا المستشفة والمستلهمة من الآيات القرآنية والتعقيب عليه.....280.
- المبحث الخامس: المنهج العلمي لتفسير القرآن على ميزان النقد من خلال مناقشة آراء بعض العلماء.....288.
- المبحث السادس: شروط وضوابط التفسير العلمي والفلسفي والعلمي التجريبي.....300.
- الباب الرابع: الاتجاه الفكري العقدي السني الماتريدي في الدراسات القرآنية المتمثل في فكر الشيخ الحافظ إبراهيم داليو...307**
- الفصل الأول: دراسة فكر الشيخ الحافظ إبراهيم داليو من خلال تفسيره.....307.
- الخلفية التاريخية عن هذا الاتجاه لدى الألبان.....308.
- المبحث الأول: التعريف بمؤلف هذا التفسير.....309.
- المبحث الثاني: تعذيبه وتعرضه للأذى بسبب مواقفه الدينية والوطنية.....311.
- المبحث الثالث: أعماله وجهوده العلمية.....313.
- المبحث الرابع: بيان منهج الشيخ الحافظ إبراهيم داليو في تفسيره.....319.
- المبحث الخامس: نموذج للبعد السياسي في تفسير الشيخ الحافظ إبراهيم داليو.....332.
- المبحث السادس: مصادر فكر الشيخ الحافظ إبراهيم داليو من خلال تفسيره.....333.
- المبحث السابع: بيان طريقة نقل الشيخ الحافظ إبراهيم داليو من كتب التفسير.....335.
- الفصل الثاني: مناقشة بعض القضايا العقدية الكبرى في تفسير الشيخ الحافظ إبراهيم وبيان موقفه منها ومن التأويل.....339.
- المبحث الأول: المفسرون وإشكالية التأويل.....339.
- المبحث الثاني: التأويل الجائز وغير الجائز.....347.

- المبحث الثالث: توظيف النص القرآني وفق المذهب على وجوب الاستدلال العقلي للاهتداء إلى الإيمان بالله تعالى....351
- المبحث الرابع: موقفه من رؤية الله تعالى يوم القيامة ومرتكب الكبيرة وزيادة الإيمان.....359
- المبحث الخامس: موقفه من معرفة المحكم والمتشابه.....363
- المبحث السادس: بعض الملاحظات على تفسير الشيخ الحافظ إبراهيم داليو.....364
- الخاتمة ونتائج البحث.....370
- الباب الخامس الاتجاه الاجتماعي في تفسير القرآن عند علماء الألبان.. الشيخ الحاج شريف أحمدى هوذجا.....377
- القرآن.. ترجمة وتفسير معانيه إلى اللغة الألبانية.....379
- مقدمة:.....379
- تمهيد:.....381
- انتشار الإسلام في الأراضي الألبانية في الجزيرة البلقانية.....381
- النزعة التجديدية عند الألبان.....381
- رواد الاتجاه الإصلاحى التجديدي عند الألبان.....383
- الفصل الأول: التعريف بهذا التفسير المختصر ويشتمل على عدة مباحث.....386
- الفصل الثاني: دراسة وتحليل تفسير الشيخ المفكر شريف أحمدى.....399
- قائمة المصادر المراجع.....425

## ملخص الدراسة<sup>(1)</sup>

تعتبر هذه الدراسة الأولى من نوعها باللغة العربية في العصر الحديث في مجال الدراسات القرآنية والتفسيرية في شبه الجزيرة البلقانية في جنوب شرق أوروبا. وهي تهدف إلى كشف وتحليل أهم الاتجاهات الفكرية والدينية في الدراسات القرآنية التي ظهرت في كتابات علماء الألبان في العصر الحديث في أوروبا - الجزيرة البلقانية نموذجاً - باعتبارها دراسة حالة. المنهج الذي سلكه الباحث هو المنهج الاستقرائي التحليلي التاريخي النقدي. الأراضي الألبانية في منطقة البلقان خضعت للحكم العثماني قرابة خمسة قرون. هذه الدراسة استطاعت أن تكشف النقاب عن الأوضاع السياسية والدينية والاجتماعية في الأراضي الألبانية قبل الحكم العثماني، وأثناء الحكم العثماني فيها، وبعد زوال الحكم العثماني منها. إنَّ اهتمام علماء الألبان بالقرآن الكريم وجهودهم في هذا المجال؛ تعلُّماً وتعليماً وفهماً وتفسيراً، كانت كبيرة. والتحديات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية التي واجهوها لم تمنعهم من السير على درب العلم ونشره والتأليف فيه، وكانوا مضرب المثل في التسامح الديني والتعايش السلمي مع غير المسلمين. ونتيجة لتعلُّم الألبان واحتكاكهم بالحضارات والثقافات المختلفة في الشرق الأوسط وغيره من البلاد، وفي ظل وجود الدولة العثمانية المتعددة الأعراق والثقافات، تلاقحت أفكارهم، واختلف وعيهم الفكري والعلمي، وظهرت في دراساتهم وتفسيرهم للقرآن الكريم وتعاملهم معه اتجاهات عدّة. هذه الدراسة ركزت على أربعة اتجاهات وتيارات رئيسية هي: الاتجاه والتيار الديني الفكري الإصلاحي، والاتجاه العلمي الفلسفي، والاتجاه العلمي التجريبي، والاتجاه الفكري العقدي السني الماتريدي.

---

(1) هذا الكتاب في الأصل بحث تكميلي بعنوان: الاتجاهات الفكرية والدينية في الدراسات القرآنية لدى علماء الألبان في العصر الحديث - القرن التاسع عشر والعشرين، تقدم به الباحث لنيل درجة الدكتوراة في علوم الوحي والتراث، قسم الدراسات القرآنية والحديثية بكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، مايو 2003. فضل المؤلف تحديث العنوان إلى العنوان الحالي مع إضافة الفوائد والوثائق والصور التاريخية في غاية الأهمية بيانا لحقيقة قضية المسلمين الألبان في البلقان وخدمة للمكتبة العربية والإسلامية.

خلصت الدراسة إلى نتائج عظيمة ومخالفة لما هو شائع في مصادر تاريخ المسلمين الألبان في العصر الحديث. بناء على هذه النتائج تمخضت من الدراسة فكرة وجوب كتابة التاريخ الألباني المعاصر والعتيق وصياغة مناهجه من جديد للوقوف على حقيقة الأوضاع الفكرية والدينية والاجتماعية، وبيان الجوانب الإيجابية التي شهدتها الأراضي الألبانية في كافة المجالات بفضل دخولهم الإسلام، ولكونهم تحت رعاية الدولة الإسلامية العثمانية التي حافظت على هويتهم القومية والدينية من الانصهار والانسلاخ أمام الإمبراطورية البيزنطية والرومانية والصربية.

وهنا أود أن أضيف فصلاً واتجاهاً تفسيرياً آخر في هذه الدراسة قمت بإنجازه وكتابته في وقت لاحق إتماماً للفائدة وخدمة للعلم والدراسات الألبانية والعربية، وهذا الاتجاه التفسيري الجديد سميته: الاتجاه الاجتماعي السني في الدراسات القرآنية في الأراضي الألبانية في البلقان، والله أعلم.

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ  
صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ  
فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ  
وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا

الأحزاب: 23

## الإهداء

إلى الأساتذة والمربين الفضلاء الذين لم ييخلوا عليّ بالنصح والتوجيه والإرشاد..  
إلى الوالدين العزيزين العطوفين، اللذين زرعاً في قلبي حبّ الله، وحبّ رسوله، وحبّ القرآن،  
وحبّ العلم والعلماء، وصبراً على مرارة الافتراق والغربة لتعلّم العلم لفلذة كبدهما وقرّة أعينهما،  
حفظ الله تعالى والدتي وأمد في عمرها، وغفر لوالدي العزيز -رحمه الله-.

إلى شريكة حياتي وصاحبة ملامّتي، ورفيقة دربي، والناصحة الأمانة والصابرة المحتسبة في  
الشدائد، زوجتي الحبيبة والمشاركة في تحمل عناء إنجاز هذا البحث، أم محمد، سلّمها المولى -عزّ  
وجلّ-، وبارك في حياتنا الزوجية..

إلى أولادي وفلذات كبدي وقرّة عيني: أبي بكر وريحانة ومحمد وحنان، الذين صبروا على  
انشغال والدهم بالبحث والدراسة، وحرّموا بعضاً من العطف والحنان..  
إلى طلبة العلم الشرعي والأئمة الخطباء في الأراضي الألبانية وغيرها، والباحثين المنصفين  
الأحرار من الألبان والعرب وغيرهم..

إلى أرواح هؤلاء العلماء الألبان الأجلّاء الذين قمت بدراسة ثروتهم الفكرية والعلمية في هذا  
البحث، رحمهم الله تعالى وغفر لنا ولهم وأسكنهم فسيح جناته، عسى أن أكون قد وقّيت  
بعض واجبي نحوهم..

إلى الشيخ الوالد، صاحب المفآخر والأيادي البيضاء، سعادة الشيخ محمد إبراهيم حافظ،  
ونجله البار الأستاذ إبراهيم حافظ، وشقيقه العزيز والغالي سعادة الأستاذ الدكتور عبد الله  
إبراهيم حافظ -حفظهم الله جميعاً- الذين أزالوا عني هم العمل ومؤنة البحث عن الرزق أثناء  
مرحلة الدكتوراة..

إلى المحسنة الكبيرة سعادة الطبيبة الاستشارية، الدكتورة داتو جميلة محمود عبد الله،  
وزوجها البار المخلص الطبيب الاستشاري الدكتور أشهر عبد الله، اللذين قدما خدمات إنسانية  
ودينية جليلة يعجز اللسان عن شكرها. حفظهما الله تعالى وأمد وبارك في عمرهما..

إلى سماحة المحسن الكبير سعادة داتو تنغكو عزيز بن عبيد الله، وسعادة الطبيب الاستشاري  
الدكتور جوهر بخش، اللذين يسرا عليّ وعلى أولادي الحياة في ماليزيا..  
إلى هؤلاء جميعاً أهدي باكورة دراستي وثمره عملي وعملهم؛ وفاء بعهدي تجاههم..

## شكر وعرفان

لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل الخالص والتقدير البالغ بعد الله عز وجل، للمشرفين الفاضلين والأستاذين العزيمين: فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور عبد القهار العاني، وسعادة الأستاذ الدكتور فكرت كارتشش، لمعانتهما وصرهما وجهودهما المضية خلال إشرافهما على هذه الرسالة، والتتبع الدقيق لما كنت أسطر فيها. أسأل الله تبارك وتعالى أن يجزيهما بما هو أهله، إنه تعالى سميع قريب مجيب. كما أودُّ أن أعبر عن شكري وتقديري وامتناني البالغ للأساتذة الفضلاء والقراء الممتحنين للرسالة من داخل ماليزيا وخارجها، الذين كان لهم دور كبير وواضح في تقويم الرسالة من الناحية اللغوية والموضوعية، وأخصّ بالذكر فضيلة الأستاذ الدكتور سعاد يلدرم، وفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور جمال أحمد بشير البادي، وفضيلة الأستاذ الدكتور محمد بهاء الدين حسين. فأنا لهم شاكر ومقدر ما دمت حياً. كما أقدم شكري وثنائي الخالص لبعض الشخصيات الكبيرة الذين تجشّموا مشقة السفر معي على الطرق الجبلية الوعرة من كوسوفا إلى ألبانيا، والذين قدموا لي خدمة أخوية علمية لإثراء هذا البحث والرفع من مستواه العلمي، فقد مهدوا لي السبيل في الحصول على المصادر والمراجع العلمية القيمة والنادرة، وذلك عن طريق فتح أبواب مكتباتهم الشخصية وتسخيرها للمطالعة والاستعارة والتصوير. أسأل الله تعالى أن يجزيهم خير الجزاء وأن يوفقهم لما يحبه ويرضاه. ولعل المقام لا يتسع لذكر أسماء هؤلاء الأفاضل فعذري لهم جميعاً، وإن أنسَ فليست أنسى: خدمة الحاج إسكندر يونس، ود. رامز زكاي مدير المعهد الإسلامي الألباني للفكر والحضارة الإسلامية في تيرانا، وفضيلة الشيخ الداعية الأستاذ مسلم مسلم، وفضيلة الشيخ الداعية ناصر كاستراتي، وفضيلة الشيخ الأستاذ محي الدين أحمد، وسعادة البروفيسور محمد براقو، وسعادة البروفيسور عاكف بيرامي، والبروفيسور المستشرق إسماعيل أحمد، والبروفيسور مهدي بوليسي، وفضيلة الشيخ الداعية حسام الدين عباسي، والمحسن الحاج راغب فانا. شكرا شكرا لكم جميعاً من الأعماق.



## التقاريف

الأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي<sup>(1)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد..

فحين تختلط السبل، وتلتبس الأهواء، وتتعدد المشارب، يحتاج الناس إلى من يجلو لهم الحقيقة ويكشف لهم الستار وينير لهم الطريق. وما زال الأعداء وأهل الأهواء والبدع يلقون بشبهاتهم وآرائهم على الطريق لتلتبس على أهل الحق، إلا أن الله -عزَّ وجلَّ- هياً برحمته وفضله من يتصدى لشبهاتهم، ويزيل عقباتهم، وينير الطرق للسالكين حتى تنجلي الحقيقة ويظهر الصواب.

وفي العصور السابقة، حاول كثير من الزنادقة وضع الحديث على الرسول ﷺ لتلبس الحق على الناس، فتصدى لهم علماء الحديث بالكشف والبيان. وحين أراد هارون الرشيد أن يقتل زنديقاً، قال له الزنديق: أين أنت من أربعة آلاف حديث وضعتها فيكم أُحرم فيها الحلال، وأحلل فيها الحرام ما قال النبي ﷺ فيها حرفاً؟! فقال هارون: أين أنت يا عدو الله من أبي إسحق الفزاري وعبد الله بن المبارك ينخلانها نخلًا فيخرجانها حرفاً حرفاً<sup>(2)؟!</sup>

وهكذا تصدى علماء أفذاذ لتنقية التفسير مما شابه من روايات إسرائيلية باطلة، أو أحاديث موضوعة، أو دسائس خبيثة، أو شبهات مغرضة.

وفي العصور الحديثة تعددت الأهواء، وتنوعت المشارب، وتناوت الأقطار، فصار لكل بلد علماءؤه، ولغته، وتفاسيره لا يكاد أهل البلدان الأخرى يعرفونها، فكان لزاماً على علماء

(1) أستاذ الدراسات القرآنية، جامعة الملك سعود - الرياض.

(2) انظر: تاريخ الخلفاء الراشدين للسيوطي، ص 194، والأسرار المرفوعة للملا علي القاري، ص 62.

أهل كل بلد أن يتصدوا لكل تلك الشبهات، ويكشفوا تلك المناهج ويبينوا ما فيها من محاسن وإضاعات مشرقة، ويكشفوا ما فيها من زيف أو تحريف.

وهذا ما تصدّى له علماء أفاذا، سواء كان في رسائل علمية أو مؤلفات عامة تقوم بدراسة مناهج التفسير في مناطق معينة من بلاد المسلمين كالهند، أو أفغانستان أو باكستان، أو ماليزيا أو إفريقيا أو غيرها من البلدان، وذلك في دراسات علمية متميزة، عادلة منصفة، فاحصة مدققة، تجلو الشبهات وتبين الحقائق، وتُظهر العلوم والمعارف النافعة، والهدايات والدلالات المشرقة.

وقد تصدى أخ فاضل، وعالم ماهر، وأستاذ نابه؛ أخي الدكتور خير الدين خوجة إلى دراسة منطقة غالية من بلاد المسلمين، هي بلاد الألبان. وقدّم دراسته التي حصل بها على درجة الدكتوراة في علوم الوحي والتراث (الدراسات القرآنية والحديثية) من كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية في الجامعة الإسلامية في ماليزيا عام 2003، وعنوانها: «الاتجاهات الفكرية والدينية في الدراسات القرآنية في العصر الحديث - علماء الألبان في جزيرة البلقان نموذجاً».

ولأن الشوق لا يعرفه إلا من يكابده، فقد عرفت مبكراً ما تحتاجه دراسة الاتجاهات من جهد كبير وعناء حين كتبت رسالتي للماجستير (منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير)، ثم ألحقتها بدراستي للدكتوراة (اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر)، لذا فقد أدركت ما بذله الباحث من جهد كبير وعناء ظاهر لدراسة تلك الاتجاهات الفكرية.

كما ظهر لي أن الباحث لم يقتصر على أداء ما يقوم به الواجب والحد الأدنى، ولم يقتصر على الجانب التفسيري، بل عرض للجانب التاريخي، وتعرّض لحال الألبان فترة الحكم العثماني وأثار ذلك من قبل ومن بعد، وكشف كثيراً من الأحداث الظاهرة والباطنة، والمعلنة والمخفية للغرب في ألبانيا التي لا يزال الألبان ومن حولهم من المسلمين يدفعون ثمنها.

إن الجهد الذي بذله الباحث يستحق التقدير، فقد أزال به جزءاً من عناء الأمانة التي أُنيطت بعلماء الأمة لبيانه.

أسأل الله أن يجعل ذلك في موازين أعماله، وأن ينفع بذلك الإسلام والمسلمين في بلاد الألبان خاصة وفي بلاد المسلمين عامة. وإني لأدعو علماء الأمة في كل مكان إلى أن يواصلوا

المسيرة، وأن يقدموا الدراسات النقدية الهادفة للاتجاهات الفكرية في كل منطقة لتنقية الأجواء وليتنفس المسلمون الهواء نقياً من الشوائب، ويتنفسه العالم أجمع، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

2008

### الأستاذ الدكتور عماد بن زهير حافظ<sup>(1)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه... وبعد؛ فهذه الدراسة القرآنية المتميزة التي قام بها أخي الفاضل فضيلة الدكتور خير الدين خوجة، أمارت فيها اللثام عن قضايا مهمة اتصلت بالشعب الألباني المسلم تاريخاً وتطوراً وتأثراً فكرياً، في أهم الجوانب الدينية والتطبيقات العلمية في ما يختص بالدراسات القرآنية بمختلف أشكالها، من حيث الاتجاه الفكري السُّنِّي والاجتماعي والاتجاه الفلسفي والعلمي التجريبي، وكذا الاتجاه الفكري العقدي.

وقد التزم السير خلف منهج السلف الصالح، وأحسبه قد سدَّ بهذا السُّفر ثغرة مهمة، ووقف وقفة جادة منصفة بعيدة عن هوى أو تعصب، مبتغيًا فيها الحق. وأسأل الله تعالى أن يبارك في هذا العمل وينفع به، وأن يجزي أخي الباحث الكريم على ما كتبت يده عظيم الأجر والثواب.

والله من وراء القصد..

المدينة المنورة 2008

---

(1) أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية القرآن الكريم، وعميد شؤون المكتبات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

## الأستاذ الدكتور علي إحسان بالإلا<sup>(1)</sup>

الحمد لله العلي القدير، والصلاة والسلام على رسوله البشير النذير وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد..

فمما لا يخفى أن للقرآن الكريم مكانة عظيمة لدى المسلمين، لأنه نزل على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم رسالة عالمية إلى البشرية جمعاء. ولقد بلغه الرسول ﷺ الذي أرسل إلى الناس نبياً خُتِمت به النبوة وبينه حقَّ البيان. ومن ثم يعتبر النبي ﷺ أول مفسر للقرآن الكريم. فمنذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا بذل المسلمون بصفة عامة، وعلماؤهم بصفة خاصة، جهوداً كبيرة لفهم القرآن الكريم وتفهمه للآخرين. وعندما بدأت العلوم الإسلامية تتفرع وتتنوع في القرن الثاني الهجري ظهر علم التفسير فرعاً مستقلاً من بين تلك العلوم، ونبغ فيه جهابذة من المفسرين أمثال: الإمام الطبري، والإمام الزمخشري، والإمام الرازي وغيرهم كثيرون، وتركوا لنا مكتبة ضخمة تعتبر ثمرة لتلك الجهود المشكورة، رحمهم الله جميعاً ورضي عنهم.

ولا شك أنه لم تنقطع تلك الجهود في فترة من الزمن عبر التاريخ، بل استمرت وتواصلت مع التطور في كل عهد وفي كل بقعة وصل إليها الإسلام حتى أنتجت ثمارها الناضجة. فهذه المنطقة؛ منطقة البلقان، هي الجغرافيا التي تُعتبر باباً مفتوحاً يمتدُّ إلى أوروبا (الغرب)، وقد ساهمت في خدمة القرآن بعلمائه البارزين في هذا المجال، لا سيما ألبانيا وكوسوفا منها، وهي تمثل مظاهر ملموسة لتلك الخدمات الجليلة والجهود المبذولة والإسهامات الواضحة. ولا تزال هذه الجغرافيا تؤتي أكلها في علم التفسير إلى جانب العلوم الإسلامية الأخرى. ومن جملة هذه الجهود للقرآن الكريم ما قام به صديقي الحبيب وزميلي في العمل، الأستاذ الفاضل الدكتور خير الدين خوجة الكوسوفي، الذي هو من أبناء هذه البلاد المباركة. والحق أنه ماهر وباهر في تخصصه بلا مجال، ويدلُّ على نبوغه هذا الكتاب القيم الذي بين أيديكم، فقد تناول المؤلف فيه موضوعاً له أهميته البالغة وهو: «الدراسات التفسيرية للعلماء الألبان في العصر

(1) أستاذ الفقه وأصول الفقه المشارك، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة قطر.

الحديث». وقد تناول المؤلفُ الموضوعَ بأسلوبٍ رائع، وبطريقة علمية مع الاطلاع التام، وملاً به فراغاً هاماً في مجال التفسير.

وبعد ما طالعت هذا الكتاب تبين لي أنه يعتبر مرجعاً علمياً في بابه، ومصدراً يُعوّل عليه في الدراسات التفسيرية في البلقان، ولهذا كله فترجمة الكتاب إلى اللغة التركية ونشره بها لها أهمية كبيرة جداً، وستكون لها آثار إيجابية في المجتمع التركي، فتغني المكتبة التركية وتفيد الأكاديميين في علم التفسير.

وفي ختام هذه الأسطر، أود أن أبارك لصاحب هذا الكتاب القيم أولاً، ثم أبارك لمن ساهم في إخراجه على هذه الصورة باللغة التركية، وأتمنى أن ينفع دارسه ومدرسه. وأتمنى أيضاً أن تترجم مؤلفات المؤلف الأخرى إلى اللغة التركية. والله ولي التوفيق.

الدوحة - قطر 4/4/2013



## الباب الأول

الأراضي الألبانية سياسياً ودينياً في العصر الحديث



## الفصل الأول

### سبب اختيار البحث، إشكاليته، أسئلته، أهميته، الدراسات السابقة ومنهج الباحث

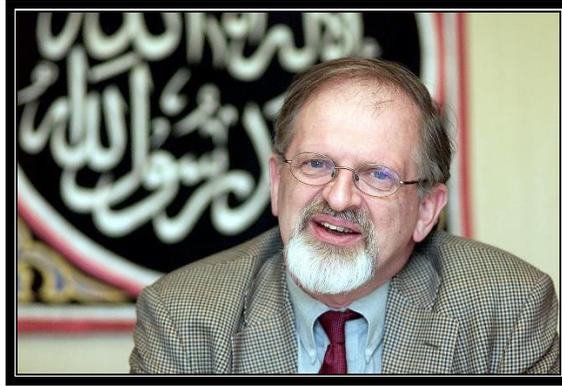
#### مقدمة

إن الحمد لله تعالى، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً ﷺ عبده وحيبيه وصفيه وخليه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن والاهم إلى يوم الدين، الذي بين لأصحابه ما احتاجوا إلى بيانه من القرآن الحكيم، وتركهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، أما بعد:

فإن الاشتغال بعلم تفسير كتاب الله تبارك وتعالى هو من أشرف العلوم على الإطلاق. وقد بذل العلماء قديماً وحديثاً، وما زالوا يبذلون، جهوداً مضنية لإيضاح معاني كتاب الله تعالى وبيان مراده ومرامي ألفاظه وتعابير دلالاته، ذلك لأن القرآن بحرٌ لا ساحل له، ولا تنقضي عجائبه ولا تنتهي غرائبه، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولقد حظي هذا الكتاب العظيم عناية ورعاية واهتماماً بصورة لم يحظ بها كتاب قط في العالم إلى يومنا هذا، وبهذا يتحقق إعجاز هذا الكتاب الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ لأنه تنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلب عبده ورسوله الأمين بلسان عربي مبين. إن كل تلك الجهود المبذولة لحفظ كتاب الله وتفسيره، وشرح ألفاظه وإيضاح مغاليقه تنصب في قالب الحفظ الذي تعهد الله -عزَّ وجلَّ- به كتابه الكريم، حتى يتحقق ويظهر إعجازه في كل زمان ومكان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: 9).

ولقد برز أعلام أجلاء في هذا العلم قديماً وحديثاً<sup>(1)</sup>، ففضوا حياتهم وأفنوا أعمارهم في خدمة هذا القرآن العظيم تعلماً وتعليماً، وشرحاً وتفسيراً، وإقراء ومدارسة في أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي، وذلك بدافع الإيمان بالله -عزَّ وجلَّ- ومحبة الاشتغال بكتابه الذي أرسله رحمة وهداية ونوراً للعالمين، وحفظاً للتراث والحضارة الإسلامية، وأداء للأمانة والرسالة السماوية وتبليغها للناس أجمعين. يقول المستشرق J.J.G. Jansen: «وحتى الخطاطون والمجلدون والطباعون والقارئون أفنوا حياتهم في خدمة هذا القرآن»<sup>(2)</sup>.



المستشرق جي جي جنسن J.J.G. Jansen

ولما كان لعلماء الألبان في الأراضي الألبانية جهود<sup>(3)</sup> وأعمال يشكرون عليها في هذا المجال، كان لزاماً على أمثالي أن يقوموا بالبحث والتنقيب، والدراسة والتحقيق، وإلقاء الضوء على تلك الجهود التي بذلوها والمؤلفات التي ألفوها، والمخطوطات التي سطرَّوها في

(1) وهذا واقع وصحيح، فإنك إذا ما دخلت أي مكتبة من مكتبات العالم ستجد مئات الكتب والمؤلفات والرسائل التي أُلفت، وما زالت تُؤلف، حول استكشاف حقائق القرآن وأسراره وإعجازه، سواء من المسلمين أو غيرهم.

(2) J. J. G. Jansen, *The Quran interpretation in Modern Egypt*, Leiden, E.J. Brill, 1980.

(3) راجع حول هذه القضية دراسة للمستشرق الألباني الأستاذ الدكتور:

Kaleshi, Hasan, *Kontributi i shqiptareve ne diturite Islame*, Nexhat Ibrahimimi & Miftar Ajdini.

International Organization of Student federation, 1st ed. 1992, Riyadh -Saudi Arabia.

مختلف المجالات والميادين الدينية والإسلامية<sup>(1)</sup>، والتي كانت وما تزال تزخر بها مكتبات الدولة العثمانية في تركيا، الأمر الذي يقتضي تسليط الضوء على تلك الجهود العلمية في تلك الظروف التاريخية الاجتماعية والدينية الحرجة. إن ذلك يعرفنا بهم عن كتب؛ كيف أنهم عاشوها مستمسكين بأصول هذا الدين الحنيف وبحبل الله المتين، غير مستسلمين لعاديات الدهر، ولا المذاهب الفكرية والدينية الهدّامة المختلفة التي غزت هذه البلاد من شيوعية وإلحاد، ولا للاستعمار وتكالب القوى الدولية الكبرى غير المسلمة على ممتلكاتهم وثقافتهم الدينية<sup>(2)</sup>.

لقد ثبتوا صامدين غير مهترزين، محافظين على دينهم وقرآنهم حفظاً وترتيلًا وتعليمًا، وبيانًا وتفسيرًا، كل ذلك في حدود طاقتهم البشرية ودائرة الظروف القاسية الحرجة التي كانوا يمرّون بها، والتحديات الصعبة التي كانوا يواجهونها. هذه التحديات لم تكن أخف وأقل من تلك التحديات التي واجهها بعض العلماء الإصلاحيين في العصر الحديث في بعض الدول العربية<sup>(3)</sup>.

---

(1) انظر مثلاً الدراسات التي قدمها الأستاذ المؤرخ الألباني الكبير الدكتور محمد موفق الأرنؤوط في كتبه مثل: الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية، وكتابه الآخر: ملامح عربية إسلامية في الأدب الألباني، وغيرها.  
(2) الأرنؤوط، محمد موفق، المسألة الدينية في ألبانيا، الكويت، مجلة العربي، 1978، ص 78، وانظر: الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية، ص 75.

(3) في دراستنا وتتبعنا لحركة التفسير واتجاهاته في العالم العربي، فإننا قد وجدنا نفس التحديات والظروف التي مرّ بها العالم العربي الإسلامي ومنطقة البلقان، وعلى وجه الخصوص مسلمو ألبانيا. من هذه الظروف والتحديات المتشابهة التي مرّ بها العالم العربي ومسلمو جزيرة البلقان: الصراع ضد الأجنبي، ومسألة نظام الحكم وقضية الوحدة، وموقفهم من الخلافة العثمانية، قضية الهجرة إلى الدول المجاورة الأكثر أمانًا وتدينًا، وغير ذلك مما سنقف عليه في بحثنا إن شاء الله. انظر التفاصيل حول القضية في ما كتبه كل من الأستاذين الفاضلين، الأستاذ الدكتور:

Fikret Karcic, *The Bosniaks and The Challenges of Modernity - Late Ottoman and Hapsburg Time*, El-Kalem, Sarajevo 1999: 15, 97-98.

ودراسة الأستاذ الدكتور الشرقاوي، عفت محمد، الفكر الديني في مواجهة العصر - دراسة تحليلية لاتجاهات التفسير في العصر الحديث، بيروت، دار العودة، ط2، 1979، ص 191.

لقد كان هؤلاء العلماء الألبان خير مثال للصبر والثبات والاستقامة على الصراط والمحافظة على الهوية الدينية وعدم الانسلاخ منها، بالرغم من أنهم كانوا يعانون الولايات من الضغط والاستبداد السياسي والظلم المستمر في تلك المناطق التي كانت تعيشها الأقليات المسلمة في منطقة البلقان<sup>(1)</sup>، والحمد لله أولاً وآخراً.

هذا، ولما كان تاريخ الألبان عن بكرة أبيه مليئاً بالأحداث والتطورات والتغيرات السياسية والدينية<sup>(2)</sup>، ابتداءً بالعهد الروماني، فالبيزنطي ثم العثماني، وانتهاءً بالعهد الشيوعي، كان جديراً بنا الوقوف على تاريخ تفسير القرآن الكريم في تلك الأراضي والاطلاع على حركته وتطوره، والتعرف على مواقف العلماء الألبان أمام تلك التحديات، وفهم تلك الاتجاهات الفكرية التي ظهرت في دراساتهم القرآنية.

إنهم حقاً استطاعوا أن يستفيدوا من النص القرآني: «الخَصْبُ والمتجدد والثري، وإن الاتجاهات المختلفة التي ظهرت لم تكن استجابة متكلفة أو مغتصبة من النص القرآني»<sup>(3)</sup>، وإنما كان ذلك نتيجة تعاملهم مع القرآن الكريم طبق الظروف التي عايشوها، ووفق الثقافات العلمية التي اكتسبوها من التراث العربي والعثماني والفارسي.

لقد برز من بين هؤلاء الألبان علماء كبار مخلصون ومجاهدون في سبيل الله، ضحّوا بكل ما يملكون في سبيل الحفاظ على الهوية الدينية والإسلامية والوطنية، لأن المسألة كانت مسألة

---

(1) قال الأستاذ خالد الأصور: «البلقان هو الاسم الذي يطلق على شبه جزيرة كبيرة توجد جنوب شرقي أوروبا، حدودها البحر الأسود شرقاً، وبحر مرمرة والبسفور والدردنيل وبحر إيجه، والبحر الأدرياتيكي غرباً، ونهر الدانوب شمالاً. وفي هذه المنطقة التي تعرف باسم «البلقان» توجد أراضي ست دول هي: ألبانيا، اليونان، رومانيا، بلغاريا، يوغسلافيا السابقة والجزء التركي في أوروبا». انظر: البوسنة حقائق وأرقام، كتاب شهري يصدر عن رابطة العالم الإسلامي، ع 166، 1416هـ ص 19.

(2) يقول الأستاذ الدكتور والمؤرخ الأديب محمد موفق الأرنؤوط وهو ألباني الأصل وعربي النشأة: «إن الألبان هم الأمة الأوروبية الوحيدة التي اعتنقت الإسلام بغالبيتها»، الثقافة العربية في الأبيدية العربية، الكويت، الكتاب سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط 1، 1983، ص 7.

(3) كما يقول الأستاذ عفت محمد الشقاوي في كتابه: الفكر الديني في مواجهة العصر، ص 13.

وجود للهوية الإسلامية أمام المستعمر الأجنبي أو عدم وجود لها بكل معانيها وأبعادها. هذه الميزة وهذه الخاصية؛ أي ميزة الربط وعدم الفصل بين الحفاظ على الدين والدفاع عن الوطن، هي من أكبر المميزات والخصائص لعلماء الألبان قديماً وحديثاً، ولا يتصور أن تكون هناك دراسة لهؤلاء العلماء الكبار دون أن تكون هناك مناقشة وذكر وربط لمسألة الدين بالوطن. فعلى القارئ العربي ألا يتعجب وألا يستنكر ذلك منهم، فهم قوم ربّوا ونشؤوا وتعلّموا على هذا المنهج، في دائرة تلك الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية الحرجة، وهذه النزعة تولدت عندهم ردة فعل تجاه السياسات العالمية الغربية للدول البلقانية الأرثوذكسية المجاورة لألبانيا والجائرة في حق الألبان. فهم مظلومون بتلك القرارات والمواقف المحايدة والمؤيدة للدول النصرانية كما سنرى ذلك لاحقاً في هذه الدراسة. ثم إن علماء الألبان تأثروا أيضاً بالأوضاع الراهنة، إلى درجة جعلتهم لا يفرّقون بين أهمية الحفاظ على الدين، وأهمية الحفاظ على الوطن.

وبعد هذه الإطلاقة، أسأل الله تبارك وتعالى أن يلهمني الرشد والسداد في القول والعمل، وأن يجنبني القول الغثاء، وأن يوفّقني إلى حسن عرض وتحليل هذه الدراسة المهمّة والشاقة والحساسة في الوقت نفسه، ذلك أن المراجع والمصادر المتعلقة بالبحث هنا في مكتبتنا في الجامعة الإسلامية بماليزيا غير كافية، إذ لا يعقل استيعاب هذا الموضوع ودراسته دون تحمل مشاق السفر إلى ألبانيا وكوسوفا ومقدونيا وتركيا وربما إلى البوسنة والهرسك، للبحث عن المصادر والمراجع، حتى نعطي هذه الدراسة حقها ونقدم لبنة جديدة ومساهمة ضمن سلسلة الخدمات الدينية والاجتماعية والوطنية.

إن هذه الدراسة تأتي في سلسلة دراسات هي الأولى من نوعها من المنظور الديني الإسلامي لتلك الأوضاع والظروف التي سادت في القرن التاسع عشر والعشرين، فلا شك أنها لن تعجب الملحدين والماركسيين الشيوعيين والقوميين من المفكرين الألبان أو غيرهم، لأن هذه الدراسة كشفت عوارهم وعيوبهم وأباطيلهم لأول مرة في التاريخ الحديث من المنظور

الإسلامي. فنسأل الله تعالى أن يعيننا على إنجاز هذه المهمة الدينية والأكاديمية، إنه تعالى نعم المولى ونعم النصير وبالإجابة جدير.

## إشكالية البحث

إن الإشكالية التي تكمن في هذه الدراسة هي أن التطورات الثقافية والفكرية لدى المفكرين من مسلمي ألبانيا كانت وما تزال موضوع الدراسة لدى كثير من علماء العلوم الإنسانية والاجتماعية، سواء من المسلمين أو غيرهم في العصر الحديث، لا سيما في البحث عن الاتجاهات الفكرية والدينية في العلوم الإسلامية. ولقد حظيت بعض تلك الدراسات الفكرية في الفكر الصوفي والشيعي والاستشراقي باهتمام خاص من قبل بعض العلماء المعاصرين. إلا أن البحث في الدراسات القرآنية، لا سيما التفسير، لم يكن متناولاً من قبل هؤلاء، ولم يكن موضوع بحث في تلك الدراسات. فتأتي هذه الدراسة في سلسلة الحلقات الدراسية المكتملة في التراث الألباني، لكنها من نوع آخر وطبيعة أخرى تماماً.

يهدف هذا البحث إلى دراسة أهم التيارات والاتجاهات الفكرية والدينية التي ظهرت في الدراسات القرآنية، والتي لم تكن متناولة من قبل الباحثين السابقين بالدراسة. كما أنه يهدف أيضاً إلى إلقاء الضوء على الحياة الدينية والاجتماعية والثقافة الإسلامية التي وجدت لدى الألبان منذ قرون، وذلك من خلال كتاباتهم ومؤلفاتهم المختلفة، وخطب ومحاضرات علماء الألبان في العصر الحديث.

وفي المنتصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، خاصة عندما استقلت ألبانيا عام 1912، ظهرت تطورات جديدة في ساحة الدراسات القرآنية. هذه التطورات في عقلية العالم والباحث الألباني المسلم جاءت نتيجة الامتزاج الثقافي الحضاري التي اكتسبها الألبان أثناء تعلمهم في مختلف البلاد الإسلامية والعربية. لقد عاشوا أقواماً وشعوباً ذات ثقافات وقيم مختلفة، وكان من الطبيعي أن يتأثروا هم بأنفسهم ويؤثروا على غيرهم في ما بعد. وقد بدأ المجتمع الألباني المسلم يعكس أصداء وآثار تلك الحضارات والثقافات التي كانت في

دول الشرق الأوسط<sup>(1)</sup>، أمام التحديات والعقبات التي واجهها المجتمع الألباني المسلم<sup>(2)</sup> في العصر الحديث.

إضافة إلى ما ذكر، فإن هذه الدراسة ستقوم بإبراز أهم الاتجاهات والتيارات التي سادت فيه، مع اختيار نموذج واحد وشخصية واحدة علمية من كل تيار كمثال تطبيقي على دراستنا. ثم ستقوم بتقويم بعض القضايا ذات الأهمية الكبرى، إذ لا يتسع المقام لتقويم كل القضايا والرد على جميعها، وكل ذلك سيكون في حدود دائرة البحث.

## أسئلة البحث

سيحاول الباحث في هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما أهم التحديات الفكرية والدينية التي واجهها علماء الألبان في العصر الحديث؟
- ما جهود علماء الألبان في مجال خدمة القرآن؟
- ما مدى تأثيرهم بالمدارس الفكرية والدينية التي سادت في الشرق الأوسط؟
- ما أهم الاتجاهات الفكرية والدينية التي ظهرت في الدراسات القرآنية لدى هؤلاء؟
- ما مدى تصور المفسرين والعلماء الألبان لثراء النصوص القرآنية والآفاق التي اتسعت لها بين أيديهم؟

## أهمية الدراسة

أما أهمية هذه الدراسة، فإنها تعتبر بكرةً وجديدة من نوعها بهذا المفهوم الواسع والشامل لاتجاهات التفسير وحركته وتطوره في الأراضي الألبانية. ويكمن الجانب الآخر والأهم في

---

(1) على رأسها مصر وسورية والحجاز والجزائر وشبه القارة الهندية.

(2) أزيد هنا أيضاً أن من جملة التحديات التي واجهوها: قضية الهجرة والتخلي عن الوطن وتركه للمستعمر، وقضية التخلي عن استعمال الأحرف العربية في الأبجدية الألبانية واستبدال الأحرف اللاتينية بها، قضية الحرية والصراع ضد الأجنبي المحتل في تولي الحكم، وقضية الوحدة الألبانية بين المسلمين الألبان وغير المسلمين منهم، ومقاومة العدو المشترك وغيرها كما سنرى ذلك إن شاء الله.

أهمية هذه الدراسة في أن المكتبات العربية وغير العربية خالية منها<sup>(1)</sup>، إلا ما صدر أخيراً من بعض الدراسات والبحوث المختصرة والتقارير السياسية والاجتماعية عن حركة الدين ورجاله على جميع الساحات والمجالات في الأراضي الألبانية، بهدف التعرف والتأكد حول ما إذا كان الشعب الألباني المسلم يشكّل خطراً إسلامياً في المنطقة أم لا؟!؛

وكذلك هنالك حاجة إلى دراسة العوامل الداخلية والخارجية التي أسهمت في ظهورها وتطورها في ألبانيا، باعتبارها دولة متميزة عن بقية دول البلقان لكثير من الأسباب<sup>(2)</sup>، لا سيما عندما نعلم أن الخلافة العثمانية سادت في هذه المنطقة البلقانية مدة من الزمن طويلة، وتركت آثاراً إسلامية بارزة وشاهدة وناطقة إلى وقتنا الحاضر، رغم تعرضها للطمس والدمار على أيدي الشيوعيين العلمانيين في النصف الثاني من القرن العشرين.

وهناك نقطة أخرى مهمة جداً، هي أن كثيراً من الإخوة طلبة العلم الشرعي وغير الشرعي أيضاً، والأساتذة الأفاضل والعلماء والأئمة والخطباء يعانون من عدم وجود دراسات من هذا النوع، ومن عدم وجود مصادر ومراجع تعينهم على البحث والدراسة وفهم اتجاهات التفسير لدى هؤلاء العلماء، إضافة إلى الفوائد الأخرى العلمية التي تغني ثقافة الدارس المسلم وترفع مستواه العلمي والأكاديمي.

---

(1) أي من الدراسات التي تخص اتجاهات التفسير والدراسات القرآنية والفكر الديني لدى الألبان، وإلا فإن الدراسات السياسية والتاريخية من المنظور الغربي الاستشراقي، ومن المنظور الألباني الإلحادي والماركسي الشيوعي كثيرة جداً.

(2) على رأس تلك الأسباب سببان، الأول: أن نسبة المسلمين فيها هي الغالبية العظمى، إذ تشكل أكثر من 70٪، والثاني: أن دولة ألبانيا أعلنت رسمياً الإلحاد والعلمنة بين عامي 1967-1991، وهذه الحال لألبانيا لم تكن تختلف عن حال شقيقتها الصين حيث النشاطات والممارسات الدينية مُنعت بين عامي 1955-1977. للتوسع حول هذا الموضوع انظر المقال:

Nathalie, Clayer: **Islam, State and Society in Post-Communist Albania**

في كتاب:

Hugh Pullton & Suha Taji Farouki: **Muslim identity and the Balkan State**, editors, Hurst & Company, London, 1997, p. 115

## الدراسات السابقة

بحسب معرفتي ومبلغ علمي واطلاعي على فهارس الرسائل الجامعية العالمية والمحلية المختلفة، فإنني لم أعثر على دراسة تخصصية عامة وشاملة لمدارس وألوان التفسير عند العلماء الألبان. فهذه الدراسة تعتبر الأولى من نوعها في هذا المجال التخصصي التفسيري الشامل والدراسات القرآنية عامّة. إنني لا أزال أترقب صدور الكتب والمؤلفات الجديدة في بلادنا وغيرها من البلاد حتى الآن وأنا أسطر هذه الكلمات، وذلك إما عن طريق سفر إخواني الطلبة إلى بلادي، وإما عن طريق الاتصالات الهاتفية والرسائل الإلكترونية بأصحابي الزملاء المشايخ والعلماء والكتّاب.

إنما الذي وجدته من الدراسات السابقة كانت دراسات جزئية وجانبية لبعض الشخصيات الألبانية في علم التفسير. تلك الدراسات الجزئية كانت مهمة بالنسبة لي، ولها علاقة بموضوع دراستي، وقد أفدت كثيراً من هذه الدراسات الموجودة رغم قلتها من حيث التعرف على المصادر والمراجع المشار إليها.

وما قرأت ووقفت عليه من الدراسات السابقة يمكن تصنيفه وفق المعايير الآتية:

### أولاً: الدراسات التاريخية - المعيار التاريخي

لقد تمكنت بحمد الله تعالى وتوفيقه من الحصول على بعض الدراسات المهمة والمساعدة لموضوع دراستي، إذ إنها مهدت لي سبيل البحث والتنقيب عن الدراسات الأخرى. وعلى رأس هذه الدراسات رأيت أن أبدأ بدراسات وبحوث الأستاذ الدكتور محمد موفق الأرنؤوط<sup>(1)</sup>، أحد المرجعيات التاريخية عن المسلمين في البلقان، وله جهود مشكورة لا

---

(1) الأستاذ محمد موفق الأرنؤوط ولد في دمشق في عائلة مهاجرة من يوغسلافيا-كوسوفا. تخرج في جامعة دمشق، قسم اللغة العربية وأدائها. حصل على الماجستير في التاريخ، ودكتوراة في الأدب المقارن من جامعة بريشتنا في كوسوفا-يوغسلافيا السابقة عام 1980. عمل في قسم الاستشراق-جامعة بريشتنا - كوسوفا. له عشرات الدراسات والبحوث عن القضايا العربية واليوغسلافية، منها: «مختارات من الشعر الألباني المعاصر»، د. ط، دمشق، 1981، و«دراسات عن

يستغنى عنها، وما تزال تلك الجهود تترى دون انقطاع، وتبدل في سبيل خدمة الدين الإسلامي والوطن والأدب والتراث الألباني، فجزاه الله خيراً على ما يبذله من خدمات جليلة.



المؤرخ الألباني - العربي البروفيسور محمد موفق الأرنؤوط

وفي مقدمة دراسته التاريخية في كتابه: «الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية»، ذكر مقدمة مهمة عن العلاقة التاريخية الوطيدة بين الألبان والعرب عبر القرون، وذكر أنه كان للألبان نفوذ كبير في عهد الخلافة العثمانية، فقد كانوا مقربين من سلاطين آل عثمان، واحتلوا مناصب قيادية عالية، وذلك بسبب الشجاعة النادرة التي كانوا يتمتعون بها. وقد علمت من دراسة الأستاذ المذكور أن المد الإسلامي الألباني كان قد وصل إلى أغلب الأقطار العربية والإسلامية بما فيها مصر وسورية وفلسطين واليمن والجزائر وتونس وغيرها، وأنهم خلّدوا في تلك الديار ذكريات طيبة ومباركة، وقاموا بأعمال خيرية إنسانية خالدة باقية إلى يومنا هذا<sup>(1)</sup>.

---

الإسلام في البلقان»، د. ط، بيروت، 1983، له ترجمات نثرية وشعرية من اللغة العربية إلى اللغة الألبانية لحوالي مائة شاعر وكاتب عربي، وله عدة ترجمات إلى اللغة الصربوكرواتية، وله «الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية»، د. ط، الكويت، 1983، وله «الإسلام في يوغسلافيا من بلغراد إلى سرايفو»، عمان، دار البشير، ط1، 1993، وله أيضاً «ملامح عربية إسلامية في الأدب الألباني»، د. ط، د. ت، الكويت، وله مقال مهم بعنوان: «المسألة الدينية في ألبانيا»، ج مجلة العربي، د. ع، الكويت، 1978، وغير ذلك من الدراسات الكثيرة والقيمة. عمل أستاذاً للتاريخ في جامعة اليرموك في الأردن وهو متقاعد حالياً. فجزاه الله خير الجزاء على الجهود التي قدمها وما زال يقدمها.

(1) انظر: الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية، ص 11-37.

ثم ذكر المؤلف كفاح الألبان ضد الاستعمار الأجنبي في ألبانيا للحفاظ على الهوية الإسلامية، وخاصة التحدي الكبير الذي واجههم في تغيير الأحرف العربية، والتبني للأحرف اللاتينية<sup>(1)</sup>، لأن: «قضية تغيير الأحرف كانت الخطوة الأولى التي سلكتها دول الاستعمار الكبرى لفك الارتباط الألباني وقطع كل صلة لألبانيا مع الإمبراطورية العثمانية. وفعلاً في 22 تشرين الثاني سنة 1913 أعلنت الحكومة الألبانية (القانون المؤقت للإدارة المدنية لألبانيا) فصل الحقوق المدنية عن الشريعة الإسلامية، وفصل الهيئة الإسلامية في ألبانيا عن ارتباطها بشيخ الإسلام»<sup>(2)</sup>. وهذا مما لا شك فيه شكل تحدياً آخر للعلماء الذين عاشوا هذه القضية وكانت لهم ردود ومواقف سنقف عليها إن شاء الله في دراستنا.

ومن الدراسات التاريخية التي قدمها الأستاذ محمد موفق الأرنؤوط دراسته عن تاريخ بلغراد الإسلامية بعنوان: «الإسلام في يوغسلافيا من بلغراد إلى سرايفو»<sup>(3)</sup>، فقد حاول أن يُبرز الجوانب المشرقة لتاريخ بلغراد الإسلامية، لأنها كانت وما تزال تحتل موقعاً جغرافياً هاماً، باعتبارها بوابة البلقان التي تربط المواصلات الحيوية في البلقان للغرب في اتجاه الشرق، وللشرق في اتجاه الغرب، وكانت موضع نزاع بين القوى الكبيرة في ذلك الوقت، بين الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية البيزنطية. وقد ظهرت أهمية موقعها الاستراتيجي عندما سقطت بلغراد على يد العثمانيين سنة 1521، وتحولت من حصن للمسيحية إلى دار للجهاد، ومنها واصل العثمانيون فتوحاتهم إلى بقية الدول الأوروبية..<sup>(4)</sup>

وكما قلنا مسبقاً؛ فإننا لسنا في هذا المجال بصدد تقييم آراء المؤلف، إلا أنه قد صدق في ما ذهب إليه عندما أشار إلى قضية مهمة جداً، ألا وهي أن الإعلام العربي لم يتعرض في العقود الأخيرة إلى هذا الجانب المشرق الحضاري والإسلامي لبلغراد ويوغسلافيا. وهذا على خلاف ما كانت عليه حال الإعلام العربي في الخمسينيات والستينيات. فلقد كان هناك اهتمام

(1) المصدر السابق، ص 73.

(2) المصدر السابق، ص 73-75.

(3) الأرنؤوط، محمد موفق، الإسلام في يوغسلافيا من بلغراد إلى سرايفو، عمان، دار البشير، ط 1، 1993، ص 11.

(4) المصدر السابق، ص 11.

كبير في ذلك الوقت في الصحف والكتب والمجلات العربية حول ما يجري في يوغسلافيا من تطورات وأحداث. وفي نظر المؤلف يصعب تفسير أسباب تجاهل الإعلام العربي لهذا الجانب الحضاري<sup>(1)</sup>.

وذكر أنه أيام الدولة العثمانية، كان في بلغراد 270 مسجداً وجامعاً أو محراباً كما عبر بذلك الرحالة أوليا شليبي<sup>(2)</sup>.

وقد نعى المؤلف على بعض الكتاب العرب الذين أرخوا الستار عن يوغسلافيا وأغفلوا هذا الجانب الإسلامي لبلغراد، واكتفوا بذكر المسجد الوحيد الذي بقي على قوائمه، دون أن يتعرضوا إلى تراثها الشرقي ولو بسطر واحد...<sup>(3)</sup>.

ومن الدراسات التاريخية القيمة حول البلقان والمسلمين في يوغسلافيا السابقة عموماً وفي كوسوفا والبوسنة على وجه الخصوص دراسة الأستاذ عبد الله اسمائتش (Abdulla Smajic)، بعنوان: «الصراع في يوغسلافيا ومستقبل المسلمين»<sup>(4)</sup>. وقد أَلَّفَ المؤلف هذا الكتاب إبان الأزمة الحربية البوسنية، كما أنه تابع عن قرب ما يجري في المنطقة من تطورات، ومؤامرات غربية حول إبادة المسلمين في تلك البقعة الأوروبية، مما دفعه إلى القول:

«إن الأزمة السياسية والدينية في البوسنة وحدها أدت إلى ظهور رؤيتين متباينتين لهذه القضية: الرؤية الغربية والرؤية الإسلامية، وأنه بالنسبة للغربيين فإن المأساة البوسنية تعتبر مأساة إنسانية مجردة لا غير! بينما منظار المسلم يختلف اختلافاً كلياً عن المنظار الأوروبي، إذ إن هذا المنظار يزيد هذه الصورة مأساة وحزناً، ويرى أنها تمثل صراعاً دينياً محضاً يهدف إلى القضاء على الإسلام والمسلمين في أوروبا»<sup>(5)</sup>.

---

(1) المصدر السابق، ص 12.

(2) المصدر السابق، ص 34.

(3) المصدر السابق، ص 12.

(4) اسمائتش، عبد الله، الصراع في يوغسلافيا ومستقبل المسلمين، باكستان، معهد الدراسات السياسية، ترجمة: صائب علاوي، ط 1، 1992.

(5) المرجع السابق، ص 14، بتصرف.

وقد استطاع الكاتب في دراسته التاريخية القيمة ليوغسلافيا أن يكشف عن بعض المخططات الصربية والوثائق السرية، مما أثبتت مؤامرة الصرب للقضاء على المسلمين الألبان في كوسوفا والبوسنة، والأقليات الإسلامية الأخرى منذ عهد الرئيس الراحل تيتو: (Tito)<sup>(1)</sup>، وهي الفترة ما بين 1945-1980، وكذلك الفترة ما بعد وفاة الرئيس 1980-1992<sup>(2)</sup>. وعندما نعرف هذه الخلفية التاريخية لحال المسلمين الألبان والبوسنيين في يوغسلافيا، نستطيع أن ندرك مقدار التحدي الكبير الذي واجههم من قبل أعدائهم، ومقدار الوبلات التي ذاقوها في سبيل الحفاظ على هويتهم الإسلامية.



الرئيس اليوغسلافي الراحل Josip Broz Tito جوزيف بروز تيتو

مع الرئيس الكوبي الشيوعي فيديل كاسترو و Fidel Castro

(1) الذي سأله الرئيس جمال عبد الناصر يوماً: هل صحيح أنك تسوم المسلمين سوء العذاب؟ فرد عليه تيتو بيقين: ليس في يوغسلافيا مسلمون! إنهم لا يمثلون قومية، وأنت تتفق معي في أن الدين لا يمكن أن يكون قومية قائمة بذاتها، فالمسلمون الموجودون لدينا كانوا صرباً ارتدوا عن المسيحية إلى الإسلام في ظل الحكم العثماني...؟! انظر: البوسنة والهرسك حقائق وأرقام، ص 32. أقول وأعقب على كلام الرئيس تيتو إن الذي ذكره ليس صحيحاً على الإطلاق. والتاريخ الألباني والبوسني يكذبه، ولأن المسلمين الألبان في يوغسلافيا ليسوا من أصول صربية وإنما هم ينحدرون من أصول إيرانية؛ أقدم الشعوب الأوروبية، بينما المسلمون البوسنيون أصولهم صربية خلاف الألبان. ولا مجال هنا للرد عليه أكثر من هذا القدر، وهدفنا كان فقط تنبيه القارئ حتى نزيل هذا الإشكال.

(2) المرجع السابق، ص 14.

ونزيد هذه المسألة وضوحاً، لنجلى حقيقة تاريخية أخرى ونميط اللثام عن مؤامرة من المؤامرات الصربية<sup>(1)</sup>، وهم الذين كانوا يتربصون بالمسلمين الدوائر منذ قرون سحيقة إلى يومنا هذا.

هذه الحقيقة التاريخية المذكورة في المصادر الألبانية ووسائل الإعلام الصربية أيضاً، كما أن بعض المجالات العربية والإسلامية تناولتها بالدراسة. فقد ذكرت مجلة (البيان) الإسلامية كلمة وخطاباً للرئيس الصربي المنعزل، والمسجون، والمحاكم حالياً من قبل المحكمة الدولية لجرائم الحرب ضد الإنسانية والإبادة الجماعية لمسلمي البوسنة والهرسك ومسلمي كوسوفا، الرئيس: اسلوبودان ميلوسوتش (Milosevic Slobodan)، أخزاه الله تعالى، أنه قال للصرّب في ذكرى معركة كوسوفا المشهورة التي انهزم فيها الصرب على يد جيش السلطان العثماني مراد الأول، فقد قال في خطابه المليء بالحق والتعصب البغيض: «إن معركة كوسوفا بدأت قبل ستة قرون وانتهت اليوم، ونحن مستعدون لأن نضحي بثلاثمائة ألف مقاتل صربي لاستئصال الإسلام من سرايفو إلى مكة»<sup>(2)</sup>.

---

(1) حول دور المستشرقين الصرب في تبرير المجازر والمذابح في حق مسلمي البلقان. انظر:

Cigar, Norman, **The role of Serbian orientalis in justification of genocide against Muslims of the Balkans**, Logos-A, 2003, Prishtine, 61-100.

(2) وصفي، صفوت، مأساة مسلمي كوسوفا وواجبنا نحوهم، مجلة البيان، إسلامية شهرية، ع138، يونيو 1999، ص72.



الرئيس الصربي اسلوبودان ميلوسوتش Slobodan Milosevic أثناء الخطاب أمام الجمهور من الأقلية الصربية الموجودة في كوسوفا، في قرية غازِ مَسْتَانْ (الموقع الذي وقعت فيه معركة كوسوفا)

وقد تنبه المؤلف السابق عبد الله اسمايتش إلى نقطة أخرى مهمة في دراسته، وهي أنه حاول أن: «يتوصل إلى جذور مشكلة الصراع الحقيقي بين المسلمين -الألبان والبوسنيين- والصرب، وأن هذه الدراسة جاءت محاولة لإيجاد رؤية شاملة لمختلف أبعاد هذه الحرب وهذا الصراع، بدءاً من جذوره التاريخية إلى تطوراته الحالية، وأنه كانت هناك عزلة حقيقية خضع لها الألبان والبوسنيون عن بقية العالم الإسلامي نظراً لموقعهم الجغرافي وسط أوروبا العلمانية، وهذا بطبيعة الحال يشكل عائقاً خطيراً أمام عملية الأسلمة الحالية ومستقبلها»<sup>(1)</sup>، في تلك الأراضي.

---

(1) الصراع في يوغسلافيا ومستقبل المسلمين، ص 15 و79 بتصرف.



الرئيس الصربي اسلوبودان ميلوسوتش

يتوسط الشرطة في محكمة الجنايات الدولية في لاهاي-هولندا

ومن الدراسات الأخرى الدينية والتاريخية عن تطور الثقافة الإسلامية لدى الألبان خلال

القرن العشرين دراسة الأخ الدكتور رامز زكاي<sup>(1)</sup>، (Ramiz Zekaj)، بعنوان:

(Zhvillimi i Kultures Islame te Shqiptaret Gjate Shekullit XX)

---

(1) هذه الدراسة قدمها الباحث لنيل درجة الدكتوراة العالمية في الجامعة الوطنية في تيرانا- ألبانيا عام 1997. والأخ الكاتب رامز زكاي ألباني من سكان كوسوفا الحالية، خريج الثانوية الشرعية «علاء الدين» في بريشتنا. واصل دراسته الجامعية في المدينة المنورة في الجامعة الإسلامية، وتخرج في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، وحالياً يشغل منصب مدير المعهد الألباني للفكر والحضارة الإسلامية في تيرانا، الذي أسسه هو منذ بضع سنوات. والكاتب معروف بنشاطاته الدينية والوطنية على حد سواء، وله مساهمات جلييلة يشكر عليها في إحياء الفكر والحضارة الإسلامية لدى الألبان في ألبانيا ومقدونيا وكوسوفا والجبل الأسود. أعرفه معرفة شخصية جيدة ولا نزكي على الله أحداً والله حسيبه.



المفكر الإسلامي الكوسوفي البروفيسور رامز زكاي

فقد عرض لنا في رسالته عرضاً تاريخياً ملخصاً وشاملاً لتطور الحركة والثقافة الإسلامية لدى الألبان في القرن العشرين، وبذلك يكون قد سدَّ فراغاً كبيراً في مكتبتنا الإسلامية، وقدم خدمة جليلة للقارئ والمثقف الألباني والعربي على وجه الخصوص. ونستطيع القول إن دراسة الأستاذ رامز تعتبر قاموساً مختصراً لكثير من الأعلام من علماء الألبان، كما تُعتبر دليلاً إسلامياً للبحث السريع عن المعالم التاريخية والإسلامية في الأراضي الألبانية. وتحدّث المؤلف في رسالته عن الثقافة الإسلامية الألبانية بشكل عام وتطورها، والمراحل التي مرت بها في تلك الأراضي دون أن يتطرق إلى حركة التفسير واتجاهاته. والرسالة يغلب عليها الطابع التاريخي التحليلي المختصر. وكما سبق أن قلت عن الدراسة الأولى، فإن ما يمكن الاستفادة منه في هذه الدراسة الميدانية هو: المصادر والمراجع والسجلات والوثائق الكثيرة المختلفة المذكورة في الرسالة، التي استعان بها صاحبها أثناء البحث والكتابة. ونحن في دراستنا عن حركة التفسير واتجاهاته سنستعين ببعض تلك المصادر والمراجع. وهذا لا شك سيسهّل ويمهّد الطريق في البحث، وأتوقع أن تكون تلك المصادر خير معين للبحث.

ومن الدراسات التاريخية أيضاً دراسة المستشرق الألباني البروفيسور حسن كاليشي (Hasen Kaleshi)<sup>(1)</sup>، عن جهود علماء الألبان في العلوم الإسلامية بعنوان:

(Kontributi i Shqiptareve ne Diturite Islame)

في هذه الدراسة التاريخية، صنف الأستاذ حسن كاليشي العلماء الألبان الذين عاشوا أيام الدولة العثمانية، سواء في ألبانيا أو كوسوفا أو مقدونيا وفق العلوم التي برزوا ونبغوا فيها. فبدأ بذكر الشعراء والأدباء وذكر أشعارهم في اللغة الألبانية بالأبجدية العربية والفارسية والتركية والعربية، وخاصة عندما نعلم أنهم كانوا يجيدون هذه اللغات الشرقية. ثم ذكر العلماء الذين كتبوا عن التاريخ الإسلامي والعربي والعلوم الإسلامية الأخرى، مثل التفسير والحديث والشريعة والفلسفة وعلم الفلك وعلم النفس والصرف والنحو وغيرها.



### المستشرق الألباني البروفيسور حسن كاليشي

(1) الأستاذ الدكتور حسن كاليشي من مواليد سنة 1922 في قرية كرتشوا - مقدونيا الحالية. تلقى تعليمه الابتدائي في القرية. واصل الثانوية الشرعية العالية في إسكوبيا، وبسبب الحرب العالمية الثانية انقطع عن الدراسة، ثم واصل تعليمه المتوسط في بريشتنا عاصمة كوسوفا. وتخرج في الثانوية العامة سنة 1944. بعد تخرجه واصل دراسته الجامعية في بلغراد في كلية الفلسفة - قسم الاستشراق، وفي السنة 1951 نال الإجازة العالية (الليسانس) وكان متفوقاً في دراسته. وفي سنة 1960 نال شهادة الدكتوراة العالمية، وكان عنوان رسالته: أقدم الوثائق الوقفية باللغة العربية في يوغسلافيا. تخصص في اللغات الاستشرافية في هامبورغ في ألمانيا، ثم عمل أستاذاً في جامعة بريشتنا في قسم اللغويات، ثم عُين أستاذاً في كلية الفلسفة في بريشتنا. كان أحد المؤسسين لقسم الاستشراق في جامعة بريشتنا في كوسوفا. توفي سنة 1976 - رحمه الله رحمة واسعة - خلف عديداً من الكتب وأكثر من 300 مقالاً وبحوثاً علمية محكمة وعديداً من الفهارس للمخطوطات. من بين أعماله الرئيسة: جهود علماء الألبان في علوم الإسلام، والقاموس والمعجم الصربو كرواتي - العربي الذي نُشر بعد وفاة المؤلف بعشر سنوات، وإلى جانب المؤلفات رسالته في الدكتوراة التي طُبعت سنة 1972. فهو حقاً مرجع مهم في هذه الدراسة. انظر: جهود علماء الألبان في علوم الإسلام، المعدّة من قبل الكاتبتين: نجاة إبراهيمي ومختار أيديني، ص 3-7.

ومن الدراسات التاريخية الممهدة لموضوع دراستي عن الإسلام في الأراضي الألبانية عبر القرون باللغة الألبانية أيضاً دراسة الكاتب نجات إبراهيمي (Nexhat Ibrahim) (1) بعنوان:

(Islami ne Tokat Iliro - Shqiptare Gjate Shekujve)

والكتاب عبارة عن جملة من المقالات كُتبت في المناسبات المختلفة ثم جُمعت في كتاب واحد. كان جل اعتماده في إعداد هذه المقالات على المراجع والمصادر البوسنية، وهذه نقطة ضعف عنده، إذ كان ينبغي أن يكون اعتماده على المصادر الألبانية بالدرجة الأولى ثم له أن يستعين بالمصادر الأخرى! وهي دراسة لا شك مفيدة تبحث عن تاريخ الإسلام في الأراضي الألبانية عبر القرون، وهي قضية مهمة جداً، ستعرض لها إن شاء الله في بحثنا، ولا سيما المصادر والمراجع المشار إليها في الدراسة من قبل الكاتب.

ومن الدراسات التاريخية المعاصرة التي لها علاقة مباشرة بموضوع دراستي حول الصحوة الإسلامية في منطقة البلقان، دراسة أستاذي ومشرفي الفاضل - في مرحلة الدكتوراة - سعادة الأستاذ الدكتور فكرت كارتشش (2) (Islam in the Balkans)

وقد ذكر الخبير الأستاذ الدكتور فكرت كارتشش جملة من الموضوعات الأساسية في دراسته عن الصحوة الإسلامية في منطقة البلقان، مثل: أسباب ومولدات الصحوة الإسلامية، ومظاهر الصحوة الإسلامية، طبيعة الصحوة الإسلامية وغيرها من القضايا المهمة. والبحث له أهمية كبيرة في إلقاء الضوء على الأوضاع الدينية في تلك المنطقة التي هي محور دراستنا.

---

(1) بريشتنا، ط 1، منظمة الدعوة الإسلامية، الخرطوم، 2000

(2) Karcic, Fikret, *Islamic Studies - Islam in The Balkans*, Islamic research Institute, Pakistan: International Islamic University, 1997.



Prof. Islam Dizdari

بروفيسور إسلام دزداري



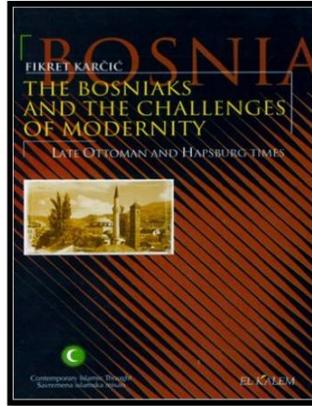
Prof. Nexhmi Bushati

بروفيسور نجمي بشاتي



Dr. Faik Luli

د. فائق لولي



صورة مع مشرفي البوسني البروفيسور فكرت كارتشش في في منزله بماليزيا عام 2001<sup>(1)</sup>.

ومن الدراسات التاريخية المتعلقة جزئياً بدراستي دراسة الأساتذة الثلاثة:  
(Faik Luli، Islam Dizdari، Nexhmi Bushati)، بعنوان: في ذكرى الأجيال

(<sup>(1)</sup> (Në kujtim të brezave)

(1) لي دراسة نقدية - بطلب من المشرف - للكتاب المذكور الذي ألفه مشرفي الفاضل «البوسنيون وتحديات الحداثة في المرحلة الأخيرة للدولة العثمانية والمملكة الأسترو-هنغارية» باللغة الإنكليزية، وقد ترجمتها إلى اللغة العربية وطبعت بالمملكة العربية السعودية بالمدينة المنورة عام 2009، ويمكن تنزيل الكتاب من موقعي الشخصي [www.drhafezi.net](http://www.drhafezi.net)

وهي موسوعة تاريخية، فقد أرخوا عن حياة وجهود لأربعين شخصية ألبانية إسلامية مشهورة من مدينة إشقودرا (Shkodra)، وذلك منذ بدايات القرن العشرين إلى يومنا هذا. حقيقة هذه الدراسة تعتبر موسوعة عن شخصيات إسلامية ألبانية مهمة لا يستغني عنها دارس التاريخ الألباني. والحق يقال إنني أثناء زيارتي لألبانيا للبحث عن المصادر والمراجع لم أتمكن



من الحصول على نسخة من هذا الكتاب للأسف الشديد، لكن كما يبدو لي فإن الطبقات قد نفذت في الوقت الذي صادف وجودي هناك. وقد قام أحد الأساتذة الأجلاء الألبان في كوسوفا، المهتمين بالأدب والتراث الألباني الديني بمراجعة ذلك الكتاب وعرض موضوعاته للقراء<sup>(2)</sup>.

وقد ناقش الأساتذة المؤلفون بعض القضايا المهمة الواردة في تلك الموسوعة، مثل: جهود هؤلاء الأعلام الأربعين في نشر الدعوة الإسلامية وتمكنهم من اللغات المختلفة، ودفاعهم وجهادهم عن الوطن والدين، ووقوفهم يداً واحدة أمام المستعمر الإيطالي الفاشي والنظام الشيوعي الألباني في ما بعد، وتعرضهم للتعذيب والتنكيل والإجراءات القمعية، وغير ذلك من القضايا الجسام.

### ثانياً: الدراسات ذات المعايير الفكرية والدينية والموضوعية

ومن الدراسات الأساسية الفكرية الدينية المتعلقة بموضوع دراستي، دراسة الأستاذ الدكتور عفت محمد الشرقاوي بعنوان: «الفكر الديني في مواجهة العصر الحديث»<sup>(3)</sup>، التي

(1) Shkoder, 1997.

(2) Hysa, Mahmud, *Alamiada shqiptare*, vol. 2, 161-207. Logos-A, Shkup, 2000.

(3) هذا الكتاب في الأصل رسالة علمية تقدم بها صاحبها لنيل شهادة الماجستير. في طبعته الأولى كان عنوان الكتاب «اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث»، وفي الطبعة الثانية سنة 1979 تم تغيير عنوان الكتاب إلى ما هو عليه الآن.

أفدت منها كثيراً في معرفة التفاصيل اللازم تناولها في دراستي، وخطوات معالجتها ونقدها. رغم أن هذه الدراسة كانت حول منطقة خاصة وحول أشخاص معينين، وهم أصحاب ورواد المدرسة العقلية الإصلاحية في العصر الحديث، إلا أنها تتفق كثيراً مع دراستي في المضمون والمنهج، وهناك قاسم مشترك بين هذه الدراسة ودراستي. لقد ذكر المؤلف في دراسته إلى تاريخ التفسير وتطوره، وذكر أن التفسير مرَّ بعدة مراحل منذ عصر رسول الله ﷺ والصحابة إلى يومنا هذا. وأثناء هذه المرحلة الزمنية ظهرت عدة اتجاهات في كيفية التعامل مع كتاب الله تبارك وتعالى شرحاً وتفسيراً. ومن جملة تلك الاتجاهات ذكر الاتجاه الاعتزالي المتمثل في تفسير «الكشاف» للزمخشري، والاتجاه الكلامي السني المتمثل في تفسير مفاتيح الغيب للفخر الرازي، وأخيراً الاتجاه الاجتماعي الإصلاحي المتمثل لدى رواد المدرسة الإصلاحية العقلية في مصر.

وكما هو معروف وطبيعي أن يستفيد كل باحث من الذين سبقوه في ميدان دراسته، فكذلك حال هذا المؤلف، فإنه أعلن إنصافه واعترافه بأنه استفاد كثيراً من دراسات وجهود بعض المستشرقين الغربيين مثل: كتاب: «مذاهب التفسير الإسلامي» لإجناس جولد زيهر، وكتاب (تفسير المنار) من المؤلف والمستشرق الفرنسي جوميه:

(Le Commentaire Coranique Du Manar, J. Jomier)

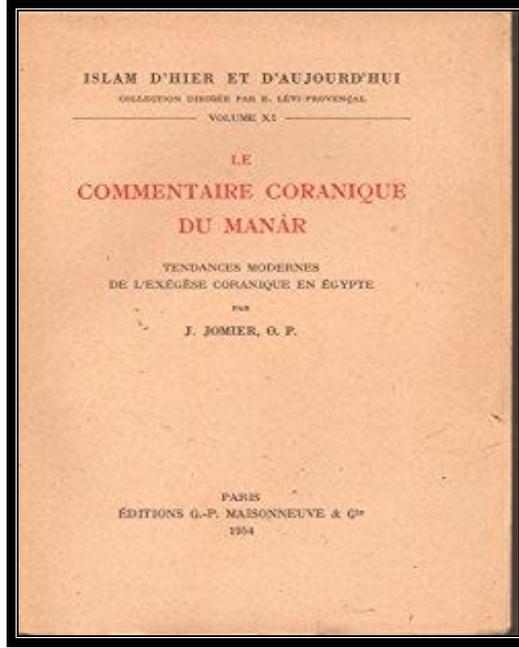
وكتاب الشيخ طنطاوي جوهرى وتفسيره الجواهر من نفس الكاتب،

(Le Cheigh Tantawi et Son Commentaire Du Coran, J. Jomier).

وكتاب: «تفسير القرآن في العصر الحديث» للمستشرق باليون،

(Modern Muslim Koran Interpretation, J. Baljon).

وكتاب «التفسير والمفسرون» للشيخ محمد حسين الذهبي.



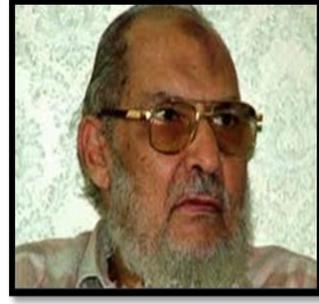
وعموماً فإن هذه الدراسة تعد مهمة بالنسبة لدراستي، وإن كان لي عليها بعض الملاحظات، وهذا ليس مكانها والله أعلم.

ومن الدراسات الفكرية المعاصرة المتعلقة بموضوع دراستي، دراسة المستشار الدكتور علي محمد جريشة، بعنوان «الاتجاهات الفكرية المعاصرة»<sup>(1)</sup>. ولقد ذكر المؤلف في مقدمته كلاماً نفيساً رأيت من الفائدة عرضه هنا.

«ولقد نعلم من ذلك أننا نعرض لتيارات فكرية سارت أو سارعت في الغرب أو الشرق، ثم قدمت إلينا فصارعت في عالمنا الإسلامي عقيدة الإسلام وشريعته. وتستبين من ذلك أهمية الموضوع وخطورته. إنه ليس ترفاً فكرياً أو كماليات عقلية. إنه قد يرتفع إلى مرتبة الحاجة والضرورة؛ فلا يعرف الإسلام من لا يعرف الجاهلية، ولا يستبين الحق أو الرشد من لم يتبين الباطل أو الغي.

(1) جريشة، علي، الاتجاهات الفكرية المعاصرة، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 1990.

كذلك لا ينافح عن الإسلام من لم يعرف أعداءه ومحاربيه ومن لم يدرس خططهم  
و(تكتيكهم)، ولا يقدر على الحرب من لم يتعرف أرض المعركة»<sup>(1)</sup>.



المستشار الدكتور علي محمد جريشة مع المستشار الشيخ عبد الله العقيل في الكويت

ثم ذكر المؤلف أنه قام بدراسة مستفيضة للتيارات الوافدة من الغرب مثل الماسونية  
وأساليب الغزو الفكري، حاملة معها فكراً أو أيديولوجيا، والديموقراطية شعاراً سياسياً،  
والرأسمالية شعاراً اقتصادياً، والوجودية أو الإباحية شعاراً اجتماعياً<sup>(2)</sup>.

أقول إنه ما من شك، أنَّ جل هذه التيارات وُجدت في الساحة الفكرية الألبانية، وأنها  
شكَّلت تحدياً كبيراً للعلماء والمسلمين في منطقة البلقان. ففي هذه النقطة على وجه  
الخصوص ظهرت لي أهمية هذه الدراسة، وعندما ندرك حقائق وخطورة تلك التيارات  
نستطيع أن نتوصل إلى نتيجة مرجوة وصحيحة إن شاء الله تعالى. والأستاذ علي جريشة هو  
خير محدث عن ماهية وخطورة الاتجاهات والتيارات. والخلاصة فإن هذه الدراسة جديرة  
بالاطلاع والوقوف عليها، بخاصة على أمثالي، لكي يكونوا على بصيرة من الأمر ويقفوا على  
دقائق وأطراف الموضوع.

ومن الدراسات القيمة والمحكمة في هذا الموضوع دراسة الأستاذ الدكتور فهد بن عبد  
الرحمن بن سليمان الرومي بعنوان «اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر»<sup>(1)</sup>. والحق يقال إن

(1) المرجع السابق، ص 6.

(2) المرجع السابق والصفحة نفسها.

هذا السّفر العظيم والموسوعة للشخصيات التفسيرية الضخمة سدّ فراغاً كبيراً في مكتبتنا الإسلامية والعربية، وإن مؤلفه قدّم خدمة جليّة لا يقدر قدرها إلا طلاب علوم القرآن والمشتغلون بتفسيره على وجه الخصوص. وقد تحدّث المؤلف في دراسته عن نشأة التفسير وتطوّره، وأهم مناهجه واتجاهات المفسرين السابقين والمعاصرين بالتفصيل الشافي والكافي. ولهذه الدراسة علاقة قوية ومباشرة بموضوع دراستي، والمصادر والمراجع الكثيرة التي استعان بها ورجع إليها المؤلف خير معين لي وأقرب دليل لمعرفة والرجوع إليها. كما أن هذه الدراسة المباركة فتحت بصيرتي وعيون قلبي، ووسّعت مدارك عقلي في كيفية التعامل مع أصحاب الاتجاهات المختلفة في الدراسات القرآنية، كما أنها حددت لي المنهج والمعالم التي ينبغي السير عليها في تناولنا لهذه القضايا المتعلقة بالتفسير واتجاهاته.



لقاء أكاديمي لمؤلف الكتاب مع البروفيسور

فهد بن عبد الرحمن الرومي، في عمان - الأردن 2008

(1) الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ط1، 1986، من مطبوعات إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية. ومن الدراسات السابقة التي أشار إليها المؤلف المذكور بشكل عاجل: 1- اتجاهات التجديد في تفسير القرآن في مصر للدكتور محمد إبراهيم شريف؛ 2- اتجاهات التفسير في العصر الحديث منذ الإمام محمد عبده إلى مشروع التفسير الوسيط للشيخ مصطفى محمد الحديدي الطير؛ 3- اتجاهات التفسير في العصر الراهن، للدكتور عبد المجيد عبد السلام المحتسب.

وبالرغم ممّا ذكرته آنفاً، فإن جاز لنا - مع الإجلال والتقدير والمعزة لأستاذنا وشيخنا - توجيه بعض الملاحظات، أقول إنه لم يذكر من ضمن الدراسات السابقة بحثاً أو كتاباً أو دراسة للمستشرقين عامة في تناولهم للدراسات القرآنية والمناهج التفسيرية، سواء المسلمون منهم أو غير المسلمين! ويبدو لي - والله أعلم - أنه كان ينبغي له على الأقل أن يشير إليها، حتى لو كان هؤلاء لا يؤتمنون في كتاباتهم ودراساتهم عن الإسلام والمسلمين، ونحن نعلم ذلك جيداً، إلا أنه من الممكن المطالعة على أعمالهم لمعرفة طريقة تناولهم لهذه الموضوعات وطريقة خلطهم للحق بالباطل ومنهجهم في ذلك، حتى نردّ عليهم في ما بعد. أقول: ربما منع المؤلف من إدراج دراسات هؤلاء في سفره العظيم خشية وحذره من التعرض إلى شبهاتهم للقرآن الكريم ونشرها، وما أكثر شبهات ومطاعن هؤلاء! وأنه فضّل ألا يتعرض إلى بحوثهم! أقول، إن كان هذا هو السبب فربما لا يبرر له موقفه، لأنه تطرق في دراسته إلى بعض المفسرين ذوي الاتجاهات الخطيرة من الذين كتبوا باللغة العربية عن التفسير ما هو أخطر، وما هو أدهى وأمر من كلام وكتابات المستشرقين، وذلك عندما تناول المؤلف دراسة بعض المناهج المنحرفة والملحدة في التفسير.

وأيضاً هناك ملاحظة أخرى على المؤلف أن عنوان كتابه جاء عاماً وشاملاً لكل الدول ولكل المفسرين، بينما هو لم يتناول في كتابه إلا المفسرين المشهورين من العرب والمفسرين المعروفين في تراثنا الإسلامي. والحق يقال، إن هناك اليوم مفسرين من غير العرب وفي غير الدول العربية أيضاً. وهذه حقيقة لا مجال للطعن فيها، فكان من الأفضل منهجياً أن يحدد إطار بحثه أفضى وعمودياً، وألا يكون العنوان مطلقاً والله أعلم.

ومن الدراسات الفكرية والدينية المتعلقة بشديد التعلق بإحدى الشخصيات التفسيرية التي سنتناولها بالدراسة في بحثنا، دراسة الأستاذ الدكتور إسماعيل باردي<sup>(1)</sup> (Dr. Ismail Bardhi)، عن الشيخ الحافظ إبراهيم داليو ومنهجه في التفسير بعنوان:

(1) الأخ الكاتب إسماعيل باردي ألباني الأصل من سكان مقدونيا الحالية، خريج الثانوية الشرعية «علاء الدين» في بريشتنا - كوسوفا. حصل على بكالوريوس من الكلية الإسلامية غازي خسرو بك من سرايفو - البوسنة والهرسك،

(Hafiz Ibrahim Dalli u dhe ekzegjeza e tij Kur'anore) باللغة التركية، والمترجمة إلى اللغة الألبانية من قبل المؤلف نفسه، ولديّ نسخة من رسالته المترجمة. وكما هو واضح فإن المؤلف قدم بحثه عن شخصية واحدة فقط وعن منهجها في التفسير. وقد تطرق في هذه الدراسة إلى بعض الظروف التاريخية لألبانيا التي مرت بها من جوانب وزوايا خاصة. هذه الدراسة لها قيمتها، إذ تعتبر الأولى من هذا النوع التخصصي الجزئي وليس الشامل في علم التفسير، ولا تناقض بين هذا الكلام الذي أقوله هنا والذي قلته في المقدمة من أن دراستي تعتبر بكرة في نوعها بالمفهوم الشامل لمدارس ومنهج واتجاهات التفسير، بخلاف الأخ الكاتب المذكور قبل قليل. ودراسة الأخ الدكتور إسماعيل غلب عليها الطابع الفلسفي الجدلي في مناقشة المسائل الدينية ومسائل التفسير، بخلاف ما هو متعارف عليه لدى أهل التفسير وعلماء علوم القرآن، كما أن فيها بعض التعقيد والغموض، وشيئا من الصعوبة في استيعاب وإدراك الموضوعات والقضايا التفسيرية، وطلاب العلم في مرحلة البكالوريوس يجدون صعوبة بالغة في الفهم والاستيعاب، والله أعلم.



المفكر الإسلامي البروفيسور إسماعيل بارذي

وحصل على الماجستير والدكتوراة من كلية الإلهيات في أنقرة-تركيا. ورسالته هذه نوقشت في كلية الإلهيات بأنقرة في تركيا بتاريخ 4/11/1997. والأخ الكاتب له باع كبير في القضايا الفلسفية الجدلية، ومتمكن من ناصية اللغة الألبانية والتركية والبوسنية، وله حضور في الوسائل الإعلامية، مقيم في الولايات المتحدة الأمريكية. أعرفه معرفة شخصية، أحسبه من الغيورين على الإسلام وأهله، ولا أزكي على الله أحداً، والله حسبه.

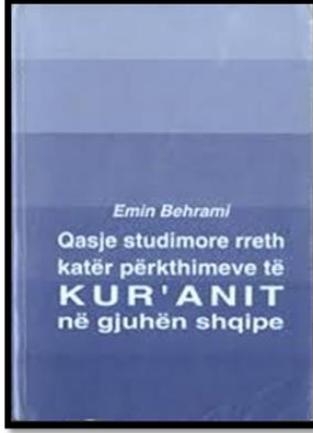
وأيضاً، فإن المؤلف لم يتعرض إلى بيان وعرض الاتجاهات التفسيرية الأخرى التي سادت في المجتمع الألباني ولدى المفسرين الألبان في العصر الحديث. لقد اقتصر حديثه على شخصية واحدة فقط في التفسير، وهذا بالتأكيد لا يعطينا صورة واضحة كاملة عن حركة التفسير واتجاهه في الأراضي الألبانية، وعالج الموضوع من منظوره الشخصي هو، وطريقة تناوله وبسطه للموضوع تختلف عن طريقة تناولي لدراسة شخصيات التفسير ومناهجهم. إلا أن الذي يمكن الإفادة منه بشكل كبير كما قلت مراراً هو المصادر والمراجع التي تناولها المؤلف ورجع إليها أثناء البحث، فجزاه الله خيراً على ما قدم.

ومن الدراسات التي لها علاقة جزئية بموضوع دراستي، الدراسة النقدية التي أعدها الأستاذ أمين بهرامي (Emin Behrami)<sup>(1)</sup> عن الترجمات الأربع للقرآن الكريم باللغة الألبانية بعنوان:

(Qasje studimore rreth katër përkthimeve të Kur'anit).

---

(1) والأستاذ أمين بهرامي ألباني من سكان كوسوفا الحالية، خريج الثانوية الشرعية «علاء الدين» في بريشتنا. واصل دراسته الجامعية في جامعة بغداد. درّس مادة تلاوة القرآن قرابة ثلاثة عقود من الزمن، وما زال مدرّساً لها في الثانوية المذكورة، متمكن من ناصية اللغة العربية ويشار إليه بالبنان في تدريس مادة تلاوة القرآن الكريم. له اهتمام بالدراسات القرآنية ويجيد اللغة العربية والألبانية والبوسنية، أحسبه من الغيورين على الإسلام وأهله، أعرفه معرفة شخصية ولا أزكّي على الله أحداً والله حسبي.



فضيلة الشيخ الأستاذ أمين بهرامي

وكتابه «دراسات نقدية للترجمات الأربعة للقرآن باللغة الألبانية»

فهذه الدراسة النقدية الضخمة لا شك أنها مفيدة وقيمة. والهدف من وراء تأليف هذا الكتاب كما ذكر المؤلف في المقدمة هو التنبيه والكشف عن مواضع الخطأ والخلل في الترجمات الألبانية للقرآن الكريم الموجودة بين أيدينا، والتي ظهرت في غضون العقدين الأخيرين، حتى يحذر القراء المسلمون وطلبة العلم الشرعي منها. وتعتبر هذه الدراسة النقدية الأولى من نوعها في بيان الأخطاء اللغوية والموضوعية التي وقع فيها أصحاب تلك الترجمات للقرآن الكريم إلى اللغة الألبانية.



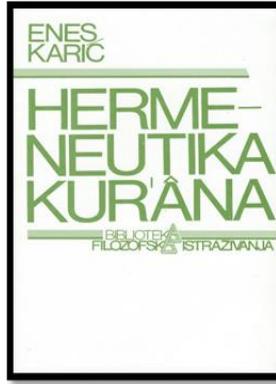
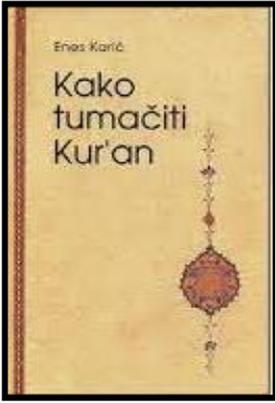
البروفيسور أنس كاريش (Enes Karić) وكتابه بعنوان: (Semantika Kur'ana)

ومن الدراسات والبحوث المتعلقة بموضوع دراستي نسيباً دراسة والبروفيسور أنس كاريش (Enes Karić) بعنوان (Semantika Kur'ana)<sup>(1)</sup> معاني القرآن الكريم.

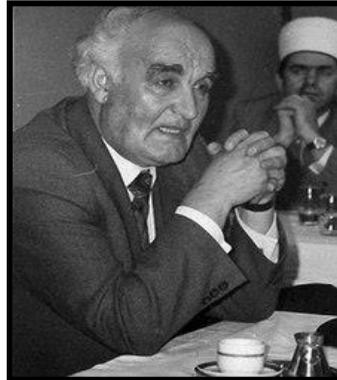
وفي هذه الدراسة العلمية المستوفية، جمع الأستاذ الدكتور والبروفيسور الفاضل أهم البحوث العلمية التي كتبها بعض المستشرقين الغربيين وغيرهم من المفكرين الكبار أمثال المفكر الماليزي سعيد محمد نقيب العطاس (Said Naquib Al - Attas)، والمستشرق الياباني طوشييهيكو إيزوتسو (Toshihiko Izutsu)، وغيرهم كثيرون. والكتاب عبارة عن بحوث ودراسات علمية مختلفة نقلها المؤلف وترجمها من اللغة الإنكليزية إلى اللغة البوسنية والعربية. والكتاب يقع في حجم كبير، تناول في مقدمته تقريباً أهم الموضوعات البلاغية التي كتبها علماء البلاغة، والتي تخص علم (المعاني والبيان والبديع)، وتحدث عن إعجاز القرآن الكريم. ثم ذكر المؤلف بعضاً من آراء واجتهادات العالم البوسني الكبير والعلامة المجدد الشيخ الأستاذ حسين جوزو (Prof. Husejn Jozo)، حول كيفية تفسير القرآن الكريم في العصر الحديث، ومنهج المدرسة الإصلاحية في التفسير. فمحور موضوع دراستي يلتقي في هذه

(1) Karić, Enes, **Semantika Kur'ana**, Bemust, Sarajevo, 1998.

النقطة. ولا شك أن هذه الدراسة تعتبر مهمة بالنسبة لموضوع دراستي لأن فيها بعض الاتجاهات الجديدة التي ظهرت في التفسير في العصر الحديث عند البوسنيين أيضاً، وهي محاولة جادة لعلماء ومفكري البوسنة والهرسك حول كيفية التعامل مع القرآن الكريم فهماً وتفسيراً. والأستاذ أنس معروف بدراساته واهتماماته بالقرآن الكريم، وقد بلغني أخيراً أنه صدرت له ترجمة كاملة للقرآن الكريم مع تفسير مختصر للقرآن الكريم باللغة البوسنية. نسأل الله تعالى أن يبارك في عمره وعمري، وأن يوفقني وإياه لخدمة كتابه العزيز.



من مؤلفات البروفيسور أنس كارتيش في الدراسات القرآنية



البروفيسور حسين جوزو شيخ شيوخ علماء البوسنة، وبجانبه البروفيسور أحمد اسماعيلويتش

ومن الدراسات الأخرى ذات العلاقة القوية بموضوع دراستي دراسة الأستاذ المستشرق الإنكليزي (H.T. Norris)، بعنوان:

(Islam in the Balkans – Religion and Society between Europe and the Arab World)<sup>(1)</sup>.

والقضايا التي تربط بين دراستي وهذه الدراسة كثيرة؛ تاريخياً ودينياً. لقد تحدث المؤلف عن علاقة العرب مع المجتمعات البلقانية المختلفة من الألبان والسلاف والمجر والبلغار. ثم تحدث عن التأثير والنفوذ الاستشراقي في الحياة والدراسات والتراث البوسني والألباني والمقدوني. ثم تحدث عن المظاهر الإسلامية في تلك المجتمعات، مثل وجود المساجد والتكايا والمكتبات الإسلامية والشعراء الإسلاميين المتقدمين من أهالي تلك المناطق وغيرها. كما أنه ذكر تاريخ الحركات الصوفية في البلقان وعلاقاتهم الدينية بالطرق الصوفية في آسيا الوسطى (Central Asia)، وذكر الطريقة الصوفية البكتاشية وبعض طرق الصوفية الأخرى، كالقادرية والمولوية والخلوتية والنقشبندية والملامية وغيرها. ثم تحدث عن العلاقات التاريخية للعرب والألبان في المغرب والجزائر وتونس وسورية ومصر، خاصة في عهد محمد علي باشا الألباني الذي كان والياً على مصر. ثم تطرق المؤلف إلى ذكر العلاقات بين المسلمين وغيرهم في البلقان، وعن العقبات والمعوقات التي تحول بينهم لتعزيزها وتقويتها ومستقبل هؤلاء جميعاً. هذه هي خلاصة دراسته وتناوله للقضايا التاريخية والدينية في البلقان.

فخلاصة تناولي للدراسات السابقة كما رأيت، هي أنها لم تتناول الجهود التفسيرية واتجاهات التفسير بشكل مباشر وحركته وتاريخه وتطوره مفصلاً، وهذا هو الفارق الأساسي بين دراستي والدراسات السابقة. فعلاقة دراستي بالدراسات السابقة تكمن إما في الجانب التاريخي وإما الموضوعي الجزئي. وعليه، فدراستي تعتبر حلقة أخرى وجديدة وفي غاية الأهمية في سلسلة الدراسات القرآنية والتفسيرية عن منطقة البلقان والأراضي الألبانية على وجه الخصوص.

---

(1)H. T. Norris, *Islam in The Balkans - Religion and Society Between Europe and the Arab World*, Hurst & Company, London, 1993.

## منهج البحث

أما المنهج الذي سأسير عليه في البحث إن شاء الله، فهو المنهج الاستقرائي التحليلي التاريخي النقدي. والذي نعنيه بهذه المناهج هو القيام بالبحث والقراءة والتتبع الدقيق، والتحليل والنقد لأكبر قدر ممكن من المصادر والمراجع في هذا الشأن، ثم القيام بترجمتها ونقلها إلى اللغة العربية نقلاً أميناً وصحيحاً، مع عزو ونسبة كل قول ورأي إلى قائله، ومن ثم عرض تلك الأفكار والاتجاهات والمناهج على ميزان أهل السنة والجماعة وميزان القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة -أو شهادة أو معيار المركز- والاستئناس والاستفادة من كلام أهل العلم المعتمدين في هذا الشأن. فالله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

## الفصل الثاني

# الأوضاع السياسية والاجتماعية في الأراضي الألبانية في العهد العثماني

## المبحث الأول: طبيعة الحكم العثماني في الأراضي الألبانية

### مداخلة نقدية حول المصادر التاريخية الألبانية

إن دراسة وتحليل تاريخ الألبان في الأراضي الألبانية الحالية، والأراضي التي اغتُصبت منها في بدايات القرن العشرين، تعتبر من القضايا الشائكة والصعبة للغاية والحساسة في الوقت ذاته. ولكي تُعطَى هذه الدراسة التاريخية المهمة حَقَّها، ولكي تكون مستوفاة، يحتاج الباحث إلى مدة زمنية كافية، وإلى التزود ببعض العلوم والأدوات الأخرى المتعلقة بتاريخ الألبان وألبانيا، مثل معرفة اللغة الألبانية، ومعايشة الألبان مدة من الزمن للتعرف على طبيعتهم والتعرف عليهم عن كثب، ومقارنة مصادر التاريخ الألباني القديمة منها والحديثة لملاحظة التطور التاريخي، وغيرها من الأمور الضرورية. كل ذلك يساعدنا لفهم أفضل وأسلم وأشمل عن وضع الألبان الحقيقي، وإلا فالكتابة عنها عن بُعد ستؤدي إلى استخلاص نتائج مقلوبة ومشوهة وغير موضوعية.

والقضية الأخرى التي لا تقل أهمية عن سابقتها، والتي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار هي أننا حينما ندرس تاريخ الألبان ينبغي أن نستحضر حقيقة كبيرة في أذهاننا ألا وهي: إن هذا التاريخ تمت كتابته وصياغة نصوصه ووضع مناهجه من قبل العلماء والمؤرخين الشيوعيين والملحدون الذين تتقفوا وتلقوا تعليمهم في الأحضان الماركسية-اللينينية الشيوعية، وبالتالي جاءت هذه المصادر والمراجع التاريخية مصوغة طبق المنهج الماركسي-اللينيني الإلحادي،

كما عبر أحدهم مقرأً بهذه الحقيقة قائلاً: «بميلاد علم المادية الجدلية الديالكتيكية أصبح التاريخ علمًا للفهم الحقيقي بمعنى الكلمة»<sup>(1)</sup>.

إن التعرف على الظروف التاريخية والسياسية والاجتماعية والدينية التي سادت في تلك المناطق من جهة، ومقاومة علماء الألبان لتلك التحديات الاجتماعية والسياسية والدينية من جهة أخرى، أقول: إن تلك المعرفة تنير لنا الطريق وتوضح لنا السبيل لفهم أفضل وأسلم، واستيعاب أشمل وإدراك أدق لتلك الاتجاهات والمذاهب الفكرية والدينية التي تمخضت من تلك الظروف وسادت عندهم في الدراسات القرآنية والتفسيرية التي ستتطرق إليها في دراستنا في ما بعد إن شاء الله تعالى. إن: «العمل في إصلاح التراث التاريخي بقراءة جديدة له يعتبر من عمل ومهمة المؤرخ»<sup>(2)</sup>، ونزيد ونقول: ومن عمل الباحث والمفكر والمثقف المسلم المخلص الغيور على دينه وسنة نبيه ﷺ.

إن الألبان الذين عاشوا قبلنا ومارسوا وظائف وأعمالاً ومهنًا مختلفة: «فإن هؤلاء جميعًا قد تسممت قلوبهم وفسدت عقولهم من جراء الأكاذيب والنظريات الخادعة الماركسية واللينينية..»<sup>(3)</sup>، الموجودة في هذا التاريخ، و«إن تاريخنا ما زال يُكتَب مجدداً بغرض خدمة الأغراض والأهداف الشيوعية»<sup>(4)</sup> السوفيتية، والخرافات الأرثوذكسية السلافية الروسية»<sup>(5)</sup>، والبلغارية واليونانية أيضاً كما سنرى.

---

(1) **Historia e popullit Shqiptar:** Universiteti shtetëror i Tiranës, Instituti i gjuhësise dhe i historisë, bot. III, 1967, vëll.1, fq: 10.

(2) Justin, McCarthy, **Death and Exile-The Ethnic Cleansing of Ottoman Muslims 1821-1922**, 3rd ed. USA, 1999, 3.

(3) Tajar Zavalani, **Histori e Shqipërisë**, Londer, 1957, 9-11.

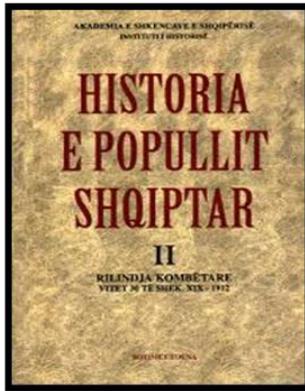
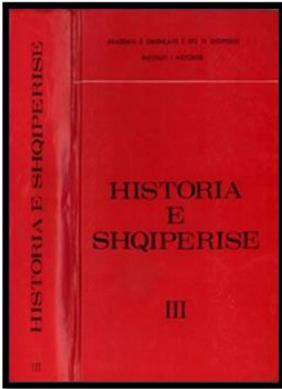
(4) يقول أحد المؤرخين الألبان: «لقد انهارت الحكومات الشيوعية في سنة 1989 بشكل سريع لم يسبق له مثيل في بولندا، وهنغاريا، وألمانيا الشرقية، وتشكوسلوفاكيا، وبلغاريا ورومانيا. هذا الحدث أحدث ضجة كبيرة أيضاً في آخر دولة شيوعية أوروبية متبقية» (ألبانيا، خير الدين خوجة).. انظر للتوسع:

Biberaj, Elez, **Albania a Socialist Maverick**, 2.

(5) Zavalani, Tajar, **Histori e Shqipërisë**, 9.

وهذا واضح وثابت ومؤكد في المصادر التاريخية الألبانية. فقد ورد في مقدمات تلك المصادر ما يثبت ذلك، مثل أن: «الهيئة التحريرية العاملة تود أن تعبر عن شكرها البالغ تجاه علماء السوفيت والبلغار الذين كان لهم دور بالغ وبارز في إعداد صياغة النصوص والمناهج التاريخية»<sup>(1)</sup>.

وفي ما يلي بعض مقولات وحقائق تاريخية لكي نرى هذه الحقيقة، أي حقيقة اليد السوداء التي تدخلت في كتابة وصياغة المصادر التاريخية الألبانية، فعلى سبيل المثال نذكر: فكتاب تاريخ ألبانيا (Historia e Shqiperise)، جاء في مقدمته أن الهيئة التحريرية ذكرت: «انطلاقاً من النظرية الماركسية اللينينية فإن التطورات السياسية والثقافية لا يمكن فهمها وتحليلها على وجه سليم، إلا في ظل التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي سادت في حينها. علم التاريخ الجديد الألباني أعطى له اهتماماً كبيراً وركز عليه كثيراً»<sup>(2)</sup>. وفي كتاب تاريخ الشعب الألباني (Historia e Popullit Shqiptar)، ذكر في مدخله أن: «التاريخ أصبح علماً صحيحاً بمعنى الكلمة، عندما تولد منهج المادية الجدلية الديالكتيكية»<sup>(3)</sup>.



من المصادر التاريخية الألبانية المسمومة والمشوهة التي كتبت بأيدٍ روسية وبلغارية ويونانية

(1) **Historia e Shqiperise**: Universiteti shtetëror i Tiranës, 1959, vëll.1.

(2) **Historia e Shqiperise**, Akademia e R.P.S. të Shqiperise, Instituti i gjuhësise, Tiranë, 1984, 19. **Historia e Popullit Shqiptar**, vëll.1,10.

(3) **Historia e popullit Shqiptar**, vëll.1,10.

فكما رأيت آنفًا، من المنظور الماركسي الألباني وبمجرد مولد المنهج المادي الجدلي الديالكتيكي في دراسة وفهم التاريخ، أصبح التاريخ علمًا بمعنى الكلمة! وإلا لم يكن التاريخ يفهم على الوجه الصحيح بدون هذا المنهج، وهذا شيء غريب حقًا!

أما عن المراد من المادية والجدلية الديالكتيكية، فيقول المستشار الدكتور محمد علي جريشة محاولاً أن يبسط لنا حقيقة قولهم وما يرمون إليه وماذا يعنون: «الجدلية (الديالكتيك) قائمة مع التبسيط الشديد على فكرة وحدة الأضداد وصرعها أو بعبارة أخرى قائمة: على فكرة التناقض بين أجزاء المادة الواحد، وبالتالي بين أجزاء الكون ومن ثم بين الطبقات»<sup>(1)</sup>.

وتلك الفكرة الماركسية الفاسدة لا تصح من أساسها، وقد أثبت التاريخ والعلم هذه الحقيقة. وذكر الأستاذ محمد علي معقبًا: «والمادية الجدلية لم تعد تثبت أمام التحليل العلمي المنصف لأنه... أصبح من المستقر عليه علمياً أنه ما اكتشف من المواد يمثل 7٪، وما بقي بغير اكتشاف يمثل 93٪، وإذا كان ماركس لا يعترف إلا بما هو محسوس من المادة، فمعنى ذلك أنه بنى نظريته على 7٪ وهو بناء منهار تماماً من الناحية العلمية»<sup>(2)</sup>.

وأما المنظور القرآني للفكرة الماركسية، فإن القرآن الكريم يرفضها من أساسها. فالله تعالى خلق في الأصل مبدأ الزوجين الاثنين، كما قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الذاريات: 49)، وقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يس: 36).

فواضح من الآيتين الكريميتين أن خلق شيء ما مع نقيضه، سواء في عالم الإنسان أو الحيوان أو النبات أو الجماد أو مما لا نعلم، يعتبر من دلائل قدرة الله -عز وجل-، ومن سنن هذه الحياة التي لا تستقيم بدونها. وهكذا فإن كل شيء بني على أساس المادية الجدلية ينهار

(1) جريشة، علي، الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ص 182.

(2) المرجع السابق، 162.

ولا يثبت. فالتالي فإن تفسير التاريخ بهذا المنهج لا يُقبل البتة. وكارل ماركس<sup>(1)</sup> نفسه رجع عن هذه النظرية وتنبه إلى تفاهتها كما أخبر بذلك زميله أنجلس<sup>(2)</sup>.

وقال الأستاذ الشهيد سيد قطب في تفسير هذه الآية:

«حقيقة وحدة الخلق.. وحدة القاعدة والتكوين.. فقد خلق الله الأحياء أزواجاً. النبات فيها كالإنسان. ومثل ذلك غيرهما.. ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾، وإن هذه الوحدة لتشي بوحدة اليد المبدعة التي توجد قاعدة التكوين مع اختلاف الأشكال والأحجام والأنواع والأجناس، والخصائص والسمات، في هذه الأحياء التي لا يعلم علمها إلا الله.. ومن يدري، فربما كانت هذه قاعدة الكون كله حتى الجماد! وقد أصبح معلوماً أن الذرة؛ أصغر ما عرف من قبل من أجزاء المادة، مؤلفة من زوجين مختلفين من الإشعاع الكهربائي، سالب وموجب يتزاوجان ويتحدان! كذلك شوهدت ألوف من الثنائيات النجمية تتألف من نجمين مرتبطين يشد بعضهما بعضاً، ويدوران في مدار واحد كأنما يوقعان على نغمة رتيبة»<sup>(3)</sup>.

ومن المؤكد أيضاً أنه لم يعد مقبولاً علمياً فكرة ونظرية ماركس القائمة على إنكار الجانب الروحي من الإنسان، بحجة أنه لا يرى ولا يمكن لمسه<sup>(4)</sup>.

وعلاوة على ما ذكر فنحن لا نشك في ذلك أنه قد كان هناك تأثير اشتراقي أوروبي كبير في صياغة وكتابة النصوص التاريخية الألبانية<sup>(5)</sup>.

---

(1) للمزيد عن حياة وأعمال وأفكار كارل ماركس انظر:

William Simpson & Martin Jones, **Europe, 1783-1914**, Routledge – Taylor and Francis Group, London & New York, 1st pub. 2000, 253-255.

(2) انظر: البوطي، محمد سعيد رمضان، نقض أوهام المادية الجدلية، دار الفكر، دمشق، ط2، 1986.

(3) قطب، سيد، في ظلال القرآن، <http://mosshaf.com/ar/main>

(4) المرجع السابق، ص21.

(5) انظر: الجندي، أنور، تصحيح أكبر خطأ في التاريخ الإسلامي، السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، القاهرة، دار الكتب السلفية، ط1، 1407، ص7.

فإذا عرفنا وتيقنا من فساد المنهج الماركسي الإلحادي في فهم التاريخ الألباني المعاصر والعتيق، فأبى المناهج إذن يجب اتباعها لفهم التاريخ بشكل عام والتاريخ العثماني الألباني على وجه خاص؟

يرى بعض الباحثين، ولأجل ما تقدم من بيان فساد صلاحية المنهج الماركسي لفهم التاريخ، أن كل المناهج المبتكرة لفهم وتفسير التاريخ، سواء المنهج الجغرافي، أو البيولوجي، أو الاقتصادي، أو الاجتماعي، أو النفسي، أو المنهج السياسي، تفشل فشلاً ذريعاً وتعجز كل العجز عن تفسير صحيح للتاريخ، وأنها لا تستطيع أن تعطي مفهوماً شاملاً ومطلقاً. فإذا ما أدركنا هذه الحقيقة فلا يبقى أمامنا منهج سليم لفهم التاريخ إلا المنهج الإسلامي الموضوعي النزيه. هذا المنهج علاوة على ما ذكرت من المناهج والطرائق لفهم التاريخ، فإنه ينطلق من مبدأ الإرادة المطلقة لله سبحانه وتعالى والفهم الصحيح لها، ومن مبدأ الربط بين هذه الحياة الدنيا والحياة الآخرة، ومبدأ الإرادة الإنسانية. العوامل المذكورة آنفاً تأتي متممة ومكملة لهذه المبادئ الثلاثة الأخيرة. هذا الذي نعني بالمنهج الإسلامي<sup>(1)</sup>.

ومما سبق نخلص إلى القول إن تاريخنا الألباني المكتوب من قبل الكتاب والمؤرخين التابعين لذلك النظام الشيوعي ومنهجه الماركسي، يُعتبر تاريخاً منحرفاً ومسموماً وفساداً، لأنه بني على منهج فاسد وباطل، فما بُني على فاسد أو باطل فهو فاسد وباطل، وبالتالي لا يُعوّل عليه في استخلاص صورة الإسلام والمسلمين صورة نقية صحيحة، ولا يسلم له بجميع النتائج التي توصلوا إليها على الإطلاق<sup>(2)</sup>.

(1) المرجع السابق، 38-39، وانظر: خليل، عماد الدين، مدخل إلى إسلامية المعرفة، مع مقترح لإسلامية التاريخ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط 1، 1990، 50-90.

(2) قارن أي كتاب من المصادر التاريخية للألبان التي طبعت قديماً في الأعوام 1954، 1965، 1984، مع الكتب التي طبعت مؤخراً، ابتداء من عام 1989-2000، ستلاحظ نفس المنهج الماركسي اللينيني الإلحادي المتبع في كتابة وصياغة التاريخ الألباني. ومن خصائص هذا المنهج الماركسي اللينيني الإلحادي مهاجمة الإسلام والعثمانيين بشكل رهيب وعشوائي، باعتبار أنهم محتلون للأراضي الألبانية ولم يكونوا فاتحين ومحربين، وأنهم جاؤوا بالدين الإسلامي الذي هو دين العرب.. وهذا يدل على أن التاريخ ما زال يكتب على نفس المنوال ويدرس في الوقت الحاضر لحد الآن طبق ذلك المنهج الماركسي!!

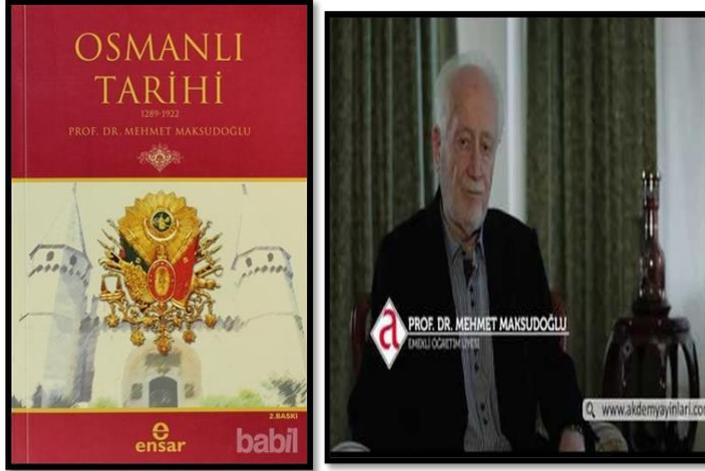
## إذا عرفنا هذه الحقيقة، فما الحل؟

أقول إن الحل والمخرج هو أن هذا التاريخ الإلحادي المعارض والمنكر للأديان عموماً والإسلام خاصة والدولة العثمانية برمتها على وجه أخص، والمكتوب على أساس تلك المناهج الإلحادية الماركسية واللينينية، من أول صفحته إلى آخره، يجب رفضه جملة وتفصيلاً، ولا يجوز الاعتماد عليه. وبناء عليه فنحن ندعو إلى إعادة كتابته وصياغته وإعداد مناهجه ونصوصه مرة أخرى من جديد، على أيدي العلماء والمؤرخين الألبان المسلمين، والمنصفين من غير المسلمين، سواء الألبان أو غيرهم، والله أعلم.

وإذا استقرت هذه الحقيقة العلمية والتاريخية في عقولنا، فإننا هنا نزيد المسألة إيضاحاً ونقول إن تاريخ العصور الوسطى للألبان وتاريخهم الحديث مرتبط أشد الارتباط بالتاريخ العثماني. إن حالة الألبان السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية لا يمكن فهمها على وجه صحيح وسليم، إلا إذا قورنت هذه الدراسة وارتبطت بتاريخ الدولة العثمانية في تلك المجالات المذكورة. لكن ما يثير الاستغراب للأسف الشديد، ظاهرة سلبية لوحظت لدى المؤرخين الألبان في ما يخص تناولهم للتاريخ العثماني ودراسته. تلك الظاهرة اصطبت بصبغة منكرة ومشمزة بهدف تنفير الناس عامة والألبان خاصة من الإسلام والمسلمين، وبهذه الصبغة المشمزة تلوثت أفكار وأقلام الباحثين الغربيين أيضاً في دراساتهم للتاريخ العثماني القديم والمعاصر.

لقد لاحظ هذه الظاهرة السلبية لدى الباحثين عامة الأستاذ المؤرخ التركي محمد مقصود أوغلو (Dr. Mehmet Maksutoglu) عندما قال إن: «المصادر والمراجع التاريخية الأصلية استعملت قليلاً جداً من قبل الباحثين الغربيين (وكذلك من قبل الباحثين الألبان - خ. حوجة)»، «فإذا كانت قد استعملت فإنها كانت قليلة ونادرة جداً»، و«الحقيقة العثمانية كانت في وادٍ، والذي كتب عنها أو نشر عنها كان في وادٍ آخر»، و«لا يمكن في حال من الأحوال أن يفهم

تاريخ بلد أو قوم أو شعب ما، إذا كان ذلك التاريخ قد كُتب من وجهة نظر الأجانب الذين مارسوا مهناً وأعمالاً مختلفة وكانوا غير موضوعيين»<sup>(1)</sup>.



البروفيسور التركي محمد مقصود أغلو

هذا المنهج المحايد كان حاضراً وموجوداً لدى جمهور الباحثين والمؤرخين الألبان أثناء كتابة التاريخ العثماني ودراسته، إلا ما رحم ربي من بعض المؤرخين المنصفين الذين لم يُلْتَمَتْ إلى كتاباتهم وآرائهم في هذه المسألة. لقد أخطأ المؤرخون العلمانيون الملحدون من الألبان خطأ كبيراً عندما أطلقوا قديماً وحديثاً كلمات لاذعة وحاقدة غير علمية وغير نزيهة على الدولة العثمانية في كافة مجالاتها! ولم يروا لهذه الدولة الإسلامية والإمبراطورية الكبرى أيّ ميزة وفضل على الألبان قط! ولا شك أن هذا العمل المشين منهم غير مقبول منهجياً وعلمياً وتاريخياً. هذه الافتراءات والأكاذيب المفتعلة إنما قُصد منها تشويه صورة الإسلام والمسلمين وتغيير الناس من الإسلام، وجعل الأجيال القادمة الجديدة من الألبان تحمل روح الحقد والكراهية والبغض

(1) انظر:

Maksudoglu, Mehmet, *Ottoman history based mainly on Ottoman sources*, International Islamic University, Malaysia, 1993, 4 – 9.

إزاء الإسلام والمسلمين عامة والدولة العثمانية على وجه خاص. ونذكر من جملة هذه المصطلحات الجارحة والاتهامات الباطلة التي أطلقوها على العثمانيين على سبيل المثال لا الحصر:

المحتل أو الاحتلال التركي!

الأترك البربريون!

السييل التركي المدمر!

الضغط والقمع العنصري التركي!

النير التركي<sup>(1)</sup>!

مريض البوسفور!

كيف ندفن هذا المريض!

لاقي هذا المريض ضربة قاضية من الدول الأوروبية!

المجلس الوزاري التركي العفن... إلخ<sup>(2)</sup>!!

وبالطبع فإن تلك الأقاويل التي أطلقوها تعتبر قاذحة ومخزية، وتحمل في طياتها كل معاني

الحقد والبغض والعداوة للإسلام والمسلمين، وجميعها كاذبة بحسب الحقائق التاريخية التي

سأذكرها بعد قليل.

لقد ذكر بعض المؤرخين المنصفين شيئاً من تلك الحقائق التاريخية والحجج الساطعة

التي تكفي لدحض تلك الشبهات والافتراءات، إذ إننا نستطيع من خلالها أن نستشف ونفهم

طبيعة الحكم العثماني في الأراضي الألبانية، وتستبين لنا حقيقة المقولات والمطاعن السابقة:

---

(1) وهي: «الخشبية المعترضة فوق عنق الثور أو عنقي الثورين المقرونين، لجر المحراث أو غيره»، انظر: المعجم الوسيط، إسطنبول، دار الدعوة.. مؤسسة ثقافية للتأليف والنشر والتوزيع، ط4، 1989، ج2، ص966.

(2) انظر:

Shehu, Bedrush, **Qeshtje Shqiptare ne vitet 30 te shek. XIX**, Instituti albanologjik i Prishtines, Prishtine, 1990, 35.

أولاً: «إن مجيء الدولة العثمانية صادف أن معظم الألبان كانوا تحت سيطرة الإمارات الصربية والبلغارية واليونانية والبيزنطية»<sup>(1)</sup>، وتلك الإمارات الصربية كانت تشكل خطراً وتهديداً بالغين على الهوية القومية الألبانية أكبر بكثير من الدولة العثمانية.

ثانياً: إن وجود الدولة العثمانية أوقف عملية الانصهار والذوبان القومي والعرقى للألبان الذين كانوا يتعرضون لها أمام حملات السلافيين واليونانيين والبلغاريين والبيزنطيين؛ فالدولة العثمانية أنقذت الألبان من خلال إزالتها للمملكات الصربية والبلغارية واليونانية<sup>(2)</sup>، وبالتالي حمت الألبان من الانسلاخ والتجرد من الهوية القومية الألبانية، وأنقذتهم من التحول التدريجي والإجباري إلى اعتناق الهوية القومية الصربية والبلغارية واليونانية.

ثالثاً: الدولة العثمانية كانت تتسم بالتسامح الديني، وهي لم تكن مؤسسة تركية فحسب، وإنما كانت مؤسسة لكل الطبقة الحاكمة من الأتراك والعرب والألبان واليونانيين والبوسنيين والأكراد والصرب والكروات واليهود، وإدارة اقتصاد البلاد كانت بأيدي هذه الجنسيات والعرقيات المتعددة<sup>(3)</sup>.

رابعاً: إن الدولة العثمانية لم تمارس إجبار الناس للدخول في الإسلام، بخلاف الصرب الأرثوذكس الذين مارسوا شتى الأساليب الإكراهية والممارسات القمعية والعنيفة لإجبار الألبان الكاثوليك على اعتناق النصرانية. إن ظاهرة دخول الألبان في الإسلام ظاهرة ملفتة للنظر وجديرة بالوقوف عندها. إنهم كانوا يدخلون في الإسلام طواعية وعن طيب نفس منهم دون أن يكرههم أحد. كان يتم ذلك بحضور الشاهدين المسلمين العادلين أمام القاضي، والسجلات

---

(1) المرجع السابق ص 51.

(2) للتوسع انظر المرجع السابق والصفحة نفسها. وانظر أيضاً:

P. Alpan Kaci, Nesim, *Shqiptaret ne Perandorine Osmane*, Albin, Tirane, 1997, 35,41,125; Frasherri Sami, *Shqiperia c'ka qene, c'eshte, e c'do behete*, 36.

(3) Rizaj, Skender, *Kosova gjate shekujve XV-XVI-XVII, administarta, ekonomia, shoqeria dhe levizja popullore ...* 283-284.

والوثائق التاريخية في المحاكم الشرعية محفوظة لهؤلاء المسلمين الجدد الذين أسلموا طواعية، وتشهد بأنه لم يكن هناك إكراه أو ضغط<sup>(1)</sup>.



البروفيسور الألباني إسكندر رزاي - المرجع المعتمد في التاريخ الكوسوفي العثماني.

بينما تجد في الجهة المقابلة أن جمهور المثقفين الألبان ومفكريهم مجمعون قولاً واحداً، ويعتقدون ويُدرّسون الطلاب في الجامعات، على أن الإسلام انتشر عنوة بالسيف! فيحسب هؤلاء، فإن خوف الألبان من السيف والقتل دفعهم إلى الإسلام، وإلا لم يكن الألبان ليسلموا بطيب نفس منهم!!

ولا شك أن هذه فكرة صليبية كاثوليكية ألبانية مكذوبة لا أصل لها، وأن هناك من يحاول أن يحيي هذه الفكرة وهذه النزعة الصليبية من جديد بين أوساط الألبان الكاثوليك والمسلمين الألبان، متعاونين مع بعض الجهات والجمعيات الأوروبية التي تحمل لواء التنصير والتبشير، بهدف رد الألبان عن الإسلام والعودة إلى الديانة الكاثوليكية القديمة مجدداً!!

خامساً: عجباً لأمر هؤلاء المؤرخين الدجالين من الألبان وغيرهم، والمزورين لحقائق التاريخ، كيف ينسون أو يتناسون هذه الحقيقة التاريخية. إن الألبان عندما كانوا يسلمون فإن هذا لا يعني ولم يكن يعني قط أنهم أصبحوا أتراكاً أو عرباً!! كلاً ثم ألف كلاً. لقد كان العكس

(1) المصدر السابق، ص 471-472.

هو الصحيح تماماً مع الألبان الذين عاشوا تحت حكم الصرب والبيزنطة، فإن عملية التنصير الإجماعي كانت تصحبها عملية تغيير الهوية القومية والعرقية والدينية، ابتداءً من الشعائر الدينية والطقوس الكنسية واللغة الصربية المستعملة من قبل السلاف الصربيين واليونانيين. واللغة السلافية الصربية واليونانية كانت اللغة الرسمية للكنيسة أيضاً. فمن يعارض هذه اللغة الجديدة كان يُعاقب ويُكوى بالحديد من النار. بينما الحال مع الإسلام لم تكن كذلك، فإن لغة الإسلام كانت اللغة العربية، ولغة الدولة العثمانية كانت لغة أخرى، عثمانية/ تركية، وهذا لم يكن مهدداً للهوية القومية ولا منذراً لهم بذهاب لغتهم وهويتهم واستئصالها<sup>(1)</sup>. لقد أسلموا وحافظوا على لغتهم وأديبهم وثقافتهم. فهذا حقيقة تاريخية لا مرية فيها، ولا يجادل بها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان أو ثقافة تاريخية ألبانية أو عثمانية.

سادساً: إن كثيرا من الشؤون الإدارية العثمانية كانت بأيدي الألبان وتدار من قبلهم، بينما أيام الحكم الصربي قديماً والبيزنطي، وقبل عقدين من الزمن فقط (أي بين الأعوام 1983 - 1995) في كوسوفا عندنا (يوغسلافيا السابقة)، كانت الإدارة كلها بيد الصرب، إلا ما ندر جداً من الألبان المنافقين الموالين للصرب والذين تلوثوا بالنظام الشيوعي، فكان هؤلاء يديرون بعض الدوائر والمناصب الحكومية، ولم يكن للألبان أدنى نصيب من ذلك!! فستان بين النظامين: النظام الإسلامي العثماني والنظام الصربي الشيوعي الحاقداً.

سابعاً: أقول، إن الطبقة المثقفة من الباحثين والأكاديميين الألبان يجب أن يستحيوا من تلك الأكاذيب والافتراءات الموجودة في كتب التاريخ في حق الدولة العثمانية. العثمانيون لم يقوموا أبداً بعمليات تهجير وطرده الألبان والمسلمين من أراضيهم جماعات وأفراداً، كما فعل الإغريق قديماً، والصرب قديماً وحديثاً في كوسوفا والبوسنة والهرسك ومقدونيا<sup>(2)</sup>.

---

(1) Feraj, Hysamedin, *Skice e mendimit politik Shqiptar*, 53; Dibrani, Shefqet, *Feja ne Sherbim te Kombit*, ne: [www.yahooogroups.com/feja\\_ne\\_sherbim\\_te\\_kombit](http://www.yahooogroups.com/feja_ne_sherbim_te_kombit); Basha.Ali, *Islami ne Shqiperi gjate shekujve*, 19.

(2) المرجع السابق، ص56، وراجع هذه المقالات المهمة للغاية في:



البروفيسور حسام الدين فراي، أستاذ العلوم السياسية في ألبانيا، يعتبر من المؤرخين الألبان المنصفين

ثامناً: لقد ثبت تاريخياً بما لا يدع مجالاً للشك، على لسان ألد أعداء الإسلام والمسلمين وبشهادات بعض الباحثين الرهبان الكاثوليك، أن العثمانيين لم يأتوا إلى الديار الألبانية محتلين غاصبين، وإنما جاؤوا بدعوة من الأمراء الألبان المسمّين (Arberoret)، للفض والفصل بين النزاعات والحروب الأهلية التي كانت بينهم للتغلب على الحكم<sup>(1)</sup>.

---

**The Truth on Kosova**, The Academy of Sciences of the Republic of Albania, Institute of History, Encyclopedia publishing house, Tirana, 1993; Suflay, M, **The Illyrians, The Albanians, and the Slavs, problems of continuity and symbiosis**, 71; Pillana, E, **The deportation of Albanians from the Territory of Sandjak of Nish of Kosova**, 73; Shtylla, Z, **The deportation of Albanians in Yugoslavia after the second World War 1950-1966**, 222; Cubrilovic, Vaso, **The problem of minorities in the new Yugoslavia**, 301. Poullton, Hough & Farouki, Suha Taji, **Muslim identity and the Balkan state**, 168-169.

(1) انظر:

Gashi, Gjergj, **Arberia dhe Vatikani**, 9; Costa, Nicollas, **Albania a European enigma**, 8; Skendi, Stavro, **Zgjimi Kombetar Shqiptar**, Phoenix, Tirane, 1967, 17.

هذه هي بعض أهم الحقائق التاريخية التي لا تخضع للتشكيك، والتي تغافل عنها الباحثون والمؤرخون الألبان قديماً وحديثاً! إنني أقول إن التاريخ الألباني عندما يُكتب ويُقرأ قراءة جديدة متفحصة، فإن هذه الافتراءات والأكاذيب ستُزال، وإن الأجيال القادمة سيكون بوسعها أن تقرأ تاريخاً أكثر صحة وأقرب إلى الحق منه إلى الباطل. سيفهم القادمون تاريخهم وتاريخ العثمانيين الذين جاؤوا فاتحين إلى تلك البلاد ومنقذين لها من القبضة الصربية واليونانية السلافية، وسيفقهون الإسلام على حقيقته دون أي تحريف أو تزوير، وسيدركون عظمة دور الدولة العثمانية الإيجابية المباركة التي كان للألبان منها نصيب وافر في كافة مستوياتها ومجالاتها السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية<sup>(1)</sup>.

إن العامل الديني المهيمن والرئيس في تاريخ الألبان<sup>(2)</sup> وشعوب البلقان قاطبة، كان منسياً ومهجوراً من قِبَل الكُتَّاب والباحثين الألبان الماركسيين، وما من شك في أنهم تعمدوا إلغاء هذا البعد الديني وتجريد تاريخنا منه.

إن العامل الديني كان سبباً رئيساً في إثارة الحروب البلقانية، وكان كذلك في بعض المناطق الآسيوية في العصر الحديث، وإن الباحثين الغربيين تعمدوا هم أيضاً فصل هذا العامل عن

---

(1) لكتابة التاريخ وقراءته قراءة جديدة كان قد دعا إليه أيضاً الأستاذ المؤرخ الكبير الألباني الكوسوفي المشهور: (Muhamed Piraku) في كتابه (رسالة دكتوراة) منذ سنة 1989:

### **Kultura kombetare shqiptare deri ne Lidhjen e Prizrenit..32**

(2) هذه المقدمة التاريخية التي كتبها اعتمدت فيها على المصادر والمراجع التاريخية المعترفة والمشهورة باللغة الألبانية أولاً، وعلى غيرها من المصادر باللغات الأخرى كالإنكليزية والعربية والبوسنية والتركية. هذه الدراسة التاريخية تعتبر مدخلاً مهماً لفهم تلك القضايا الدينية التي ستقوم بتناولها ودراستها. وهذه الدراسة قصدت إلى عرض الحقائق التاريخية من مظاهرها ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، من وجهة النظر الإسلامية. ويعلم الله -عزَّ وجلَّ- كم عانيت من المشاق عندما توجهت إلى قراءة تاريخنا من أول صفحته ويومه إلى يومنا هذا، للوقوف على حقيقة الأمر. والحمد لله رب العالمين، لقد خرجت بنتائج عظيمة وفي غاية الأهمية، إذ تعرفت على الأيدي السود التي سطرت تاريخنا مجردة من مناقشة العامل الديني في مسيرتها التاريخية منذ العصور الوسطى إلى يومنا هذا. أقول إن العامل الديني الإسلامي مفصول ومغيب تماماً، أما العامل الديني النصراني فإنه كان حاضراً ولم يكن مهجوراً من قبل هؤلاء المتعصبين المؤرخين الكاثوليك والنصارى من الألبان. إن تاريخ الألبان لو دُرِسَ من هذا المنظور الجديد لأوصلنا إلى نتائج أخرى مشرقة وقيمة، والله أعلم.

حياة الشعوب. ففي هذا الصدد يجدر بنا أن نذكر كلام الباحث (Justin Mc. Carthy) في دراسته لهذه القضية حين قال:

«في عام 1880، كانت هنالك أرض كبيرة يقطنها المسلمون في البلقان والأناضول وروسيا الجنوبية. ومسلمو البلقان أبيدوا على طريقة الإبادة الجماعية، إما بالموت وإما أنهم اضطروا إلى الهجرة على شكل مجموعات صغيرة إلى اليونان وبلغاريا ويوغسلافيا. وباختصار شديد فإن هؤلاء المسلمين ضاعوا وفُقدوا. وملايين من المسلمين الآخرين معظمهم من الأتراك قد ماتوا، وملايين آخرون قد هاجروا من الأراضي التركية. وخلال الأعوام 1821-1922، أُخرج أكثر من خمس ملايين مسلم من ديارهم إلى المناطق المختلفة والمجهولة. بعضهم مات في الحروب والبعض الآخر مات جوعاً، وبعضهم أصيب بأمراض خطيرة بسبب التنقل كلاجئين باحثين عن مأوى. إن تاريخ الأناضول والبلقان والقوقاز لا يمكن دراسته وفهمه على وجهه الصحيح إذا لم نأخذ بعين الاعتبار المسلمين اللاجئين، والمسلمين الذين ماتوا. إن التعرف على عملية الإبادة الجماعية للمسلمين قضية مهمة جداً في تاريخ الدولة العثمانية<sup>(1)</sup>. لقد وقع هؤلاء المسلمون ضحايا القومية والإمبريالية.. ومع ذلك ففي التاريخ الغربي (والتاريخ الألباني كذلك - خ. خوجة) لم يكتب قط عن حال مسلمي البلقان والأناضول والقوقاز. إن تاريخ هذه المناطق كتب دون أن يكون هناك ذكر لأكبر وأهم عنصر ديني، ألا وهم المسلمون»<sup>(2)</sup>.

---

(1) هذه العبارة بين القوسين هي من تعليقي الشخصي، والمراد منها التأكيد على وجود تلك الحقيقة عند الألبان أيضاً.

(2) McCarthy, Justin, *Death and Exile - the ethnic cleansing of Ottoman Muslims 1821-1922*, USA, 3rd Printing, 1999, 1-10.



المؤرخ الأميركي البروفيسور جستن مكارثي (Justin McCarthy) في ألبانيا

ولا أدري كيف وعلى أي أساس أنكر الباحثون والمؤرخون الألبان هذه الظاهرة الدينية الرئيسية الدافعة للحروب، خاصة عندما نعلم أن الكنيسة الصربية عبر التاريخ لعبت دوراً سلبياً كبيراً، وما زالت تلعب الآن ذلك الدور المشبوه في القضايا السياسية والجغرافية والثقافية والدينية، للحفاظ على تراثها ونصرانيتها المتطرفة الخبيثة والكارهة للإسلام والمسلمين، وذلك بشكل منهجي مدروس. يظهر هذا واضحاً وجلياً في بنائهم للكنائس والمعابد في عام 1314، ومنذ ذلك الحين بدأت الكنيسة الصربية بمطاردة الألبان الذين كانوا على الديانة الكاثوليكية ومنعتهم من تطبيق وممارسة شعائرها الكاثوليكية، وأجبرتهم على اعتناق الأرثوذكسية<sup>(1)</sup>.

كل هذا الذي ذكرت آنفاً، تأتي عبارة الأستاذ الدكتور المنصف حسام الدين فراي، (Hysamedin Feraj)، مؤكدة له في حديثه عن استمرار هذه الظاهرة أثناء وجود الدولة العثمانية في الأراضي الألبانية أيضاً، إذ قال:

«لقد أثبتت الاكتشافات التاريخية إلى يومنا هذا أن الثورات الألبانية، والعصيان المدني الألباني، والتمرد الألباني ضد الدولة العثمانية كانت من ورائها الدوافع الدينية، أو أنها كانت

(1) المرجع السابق، ص 43.

مهيجة ومحرضة من قبل الدول فالأوروبية ضد الدولة العثمانية... أما البوادر الانفصالية من الدولة العثمانية فبدأت تظهر ملامحها الأولى أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر»<sup>(1)</sup>.

ولا يصح القول بأنه لم تكن هناك حروب دينية ضد الدولة العثمانية من قبل الألبان. بل العكس هو الصحيح<sup>(2)</sup>، وثبت تاريخياً أن «الأشراف والأمراء من الألبان الكاثوليك كانوا ينتقلون إلى مذهب وديانة الصرب الأرثوذكسية، وأن معظم الأشراف والأمراء من الألبان الكاثوليك كانت لهم علاقات تزواج ومصاهرة مع الصرب والإغريق والرومانيين والبلغاريين»<sup>(3)</sup>. كل ذلك بهدف الوحدة العرقية والتضامن القومي ضد الدولة العثمانية وضد المسلمين الألبان.

وهناك من المؤرخين والباحثين من يحاول أن يغطي هذه الحقيقة التاريخية بحجة التسامح والتعايش الديني السلمي بين الألبان وأتباع الديانات الأخرى! أقول: إن هذا التسامح الديني المزعوم بين مسلمي الألبان وغيرهم كان نفاقاً ولم يكن حقيقة، بالرغم من إعلاء الشعار الألباني الإلحادي في العصر الحديث إلى يومنا هذا من أن: «دين الألباني هو القومية والوطنية الألبانية»، (Feja e shqiptarit eshte Shqiptaria)<sup>(4)</sup>، ويعنون بذلك أن قضية الدين لا تهم الألبان كثيراً بقدر ما تهمهم القضية القومية والوطنية. كما أن العداوة الكامنة في قلوب الألبان

---

(1) Feraj, Hysamedin, *Skice e mendimit politik Shqiptar*, 46.

(2) Shehu, Bedrush, *Ceshtje kombetare shqiptare ne vitet 30 te shek. XIX*, 5.

(3) Pirraku, Muhamed, *Kultura kombetare shqiptare*, 49.

(4) هذه كلمة باطلة أُريد بها باطل، قالها أحد الرهبان والمتفقين الألبان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، واسمه واصو باشا من مدينة إشقودرا الألبانية (Vaso Pashe Shkodrani)، وكان والياً على لبنان أيام السلطان عبد الحميد الثاني، ونالت هذه الكلمة الخبيثة حظاً ورواجاً كبيراً في أوساط الألبان العلمانيين والملحدين وغيرهم. ويقصدون بذلك أن الرباط القومي مقدم على الرباط الديني! ولا فرق بين ألباني مسلم وألباني كاثوليكي غير مسلم! القضية القومية هي أم القضايا التي يجب أن تتمسك بها ونسعى إليها ونجاهد ونكافح من أجلها!! وبالطبع هذه المقولة الباطلة والمشينة لا تقبلها إطلاقاً وليس لها أساس منطقي ولا ديني.

الكاثوليك ضد الألبان المسلمين كانت موجودة منذ قديم الزمان<sup>(1)</sup> إلى يومنا، ولم تكن مهجورة ولا منسية<sup>(2)</sup>.

ولا شك في أن هذه الخرافة التاريخية زُرعت وُغرست في قلوب وعقول الألبان خلال المرحلة الشيوعية والنظام الشيوعي للدولة الألبانية، لخدمة أهداف الحزب الشيوعي الماركسي منذ بدايات انتشارها أواخر القرن التاسع عشر، وظلت موجودة إلى منتصف القرن العشرين. ومع مجيء النظام الشيوعي إلى السلطة، فإنه كان يعتبر العثمانيين عدواً لدوداً، معتقداً أن حالة الألبان أثناء حكمهم ساءت للغاية في كافة المجالات!! وأنهم تضرروا كثيراً بسبب مجيء العثمانيين إلى تلك الديار البلقانية، وإلى ما هنالك من الأباطيل والأكاذيب. وما من شك في أن هذه كذبة أخرى وفرية شيوعية كبرى لا تحمل في محتواها ذرة من الصحة على الإطلاق، للأسباب التي سنينها بعد قليل.

والذي يبدو لنا من خلال نظرتنا وقراءتنا وتحليلنا للتاريخ الألباني، أن الحقد والتعصب الديني الكاثوليكي الألباني كانت ظاهرة أصيلة موجودة في قلوبهم ضد إخوانهم المسلمين من الألبان، منذ القديم إلى يومنا هذا، وإن أنكر ذلك السياسيون والملحدون الألبان في قديم الزمان

---

(1) حدثت مذابح كبيرة للمسلمين على يد القائد القومي الألباني، إسكندر بيو (Skender Beu) وجيشه، وذلك حين تمكن من السيطرة على المناطق التي يسكنها المسلمون في القرن الخامس عشر الميلادي. راجع الموقع:

<https://www.youtube.com/watch?v=Jy8omt1fy2M>

كذلك جرت حروب وخصومات بين ألبان أرثوذكس في منطقة أسكودرا (Shkodra)؛ بالتحديد في مدينة مرديتا (Mirdita). لمزيد من المعلومات راجع:

Enes Bajrakli, Farid hafez (Eds), European Islamophobia Report, 67.

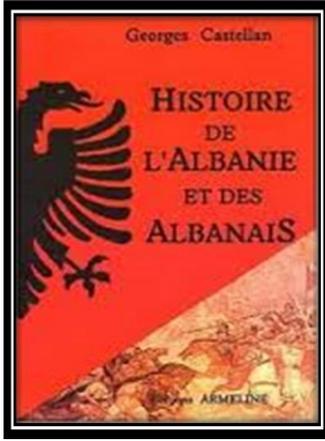
والكتاب متوفر بنسخة PDF على الرابط:

<http://www.islamophobiaeurope.com/wp-content/uploads/2019/09/albania.pdf>

(2) Swire, John, *Albania - the rise of a Kingdom*, 38-40; Polisi, Mehdi, Sami Frasheri, *Vepra 9, Personalitete Shqiptare ne Kamus al-A'lam*, Logos-A, Shkup, 1994, 33.

وحديثه. يؤكد لنا هذه الحقيقة التاريخية أيضاً كلام الباحث المؤرخ (Georges Castellan)، إذ يقول:

«ما يجدر ذكره هنا أن الدين الإسلامي السني كان تتحدها الفرقة الصوفية البكتاشية<sup>(1)</sup>، وهؤلاء الذين أسلموا نفاقاً وليس حقيقة (من الكاثوليك والأرثوذكس)، والذين كانوا يحملون اسمين في آن واحد، اسماً نصرانياً واسماً إسلامياً أمام الموظفين الإداريين في الدولة العثمانية. هذا النوع من التسامح الديني لم يكن كافياً لإزالة الحقد والتعصب الديني والتنافس الذي كان يشتعل من رجال الدين المشجعين والمحرضين من الدول الحامية لهم، مثل اليونان للأرثوذكس، والنمسا وإيطاليا للكاثوليك»<sup>(2)</sup>.



البروفيسور الفرنسي جورجس كاستلان (Georges Castellan)

(1) البكتاشية فرقة صوفية منحرفة، ضالة ومضلّة، فيها النزعة الكاثوليكية والأرثوذكسية، وهي ضد تعاليم الإسلام جملة وتفصيلاً. مركزهم ومقرهم الروحي بعد الأناضول في آسيا الوسطى هو ألبانيا. للباحث بحث متواضع حول هذه الفرقة ومبادئها وتعاليمها بعنوان: The Bektashi order of dervishes, history and doctrines. فارجع إليه إن شئت.

(2) Castellan, Georges, **Historia e Ballkanit, shek XIV-XX**; Cabej, Libra per nje shoqeri te hapur, Tirane, 1991, 128.

ولا أدل على هذا الذي أقول، من الحرب الأخيرة التي ابتلي بها بلدي كوسوفا (Kosova)، إذ إن الألبان الكاثوليك، لا يشكلون من مجموع السكان أكثر من 1٪، بينما 98٪ مسلمون، و1٪ أرثوذكس، رغم ذلك راح ضحية الحرب الأخيرة أكثر من 20.000 قتيل ألباني مسلم، معظمهم من الأطفال والنساء والشيوخ، كما أن مئات الألوف تم تشريدهم في مختلف البلاد في العالم. لقد دلت الإحصائيات أن المقتولين من الألبان الكاثوليك لا يتجاوز عددهم بضعة أشخاص! وأن القوات الصربية لم تقصف كنيسة كاثوليكية واحدة! بينما في المقابل لم يسلم مسجد من مساجد كوسوفا، البالغ عددها 800 مسجد تقريبا، سواء في المدن أو القرى، من الحرق والتدمير وقصف القوات الصربية، ما عدا مساجد مدينتي (Prizren)، البالغ عددها 28 مسجداً، فإنها لم تصب بسوء والله الحمد<sup>(1)</sup>.



مسجد قُصف في إحدى القرى الكوسوفية في الحرب الصربية الأخيرة عام 1999 في كوسوفا

---

(1) للوقوف على مزيد من المعلومات عن حالة المساجد المدمرة والمحروقة من العدوان الوحشي الصربي، يمكنك زيارة الموقع الإسلامي التابع للمشيخة الإسلامية في كوسوفا في الإنترنت بعنوان: [www.bashkesiaislame.net](http://www.bashkesiaislame.net)

## المبحث الثاني: أسباب الانهيار والإصلاحات الإدارية

### المطلب الأول: أسباب انهيار الدولة العثمانية

إن تاريخ وقضية الألبان مرتبطان ارتباطاً وثيقاً بتاريخ الدولة العثمانية. فقد ثبت تاريخياً أن عدداً كبيراً من الشخصيات الألبانية قد مارسوا وظائف إدارية وسياسية ودينية مرموقة في الدولة العثمانية. تشير المصادر التاريخية إلى أن كثيراً منهم كانوا وزراء ورؤساء وزراء عُبر عنهم قديماً في الدولة العثمانية بـ(الصدر الأعظم)<sup>(1)</sup>، و(شيخ الإسلام). وبحسب دراسات وإحصائيات بعض الباحثين الكبار فإن نحو أربعين شخصية ألبانية قد شغلت هذه المناصب والوظائف العالية في الدولة العثمانية. لأجل هذه الحقيقة فإن أي تطور أو تغيير حدث في الدولة العثمانية سواء سلباً أو إيجاباً، كانت تنعكس نتائجه على الألبان، سواء في المجال السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو الديني.



من الأوسمة الرسمية في الدولة العثمانية

(1) «الصدر الأعظم هو الشخص الذي حاز على منصب رئيس وزراء في الدولة العثمانية وكان وكيلاً مطلقاً للسلطان، وللتفريق بينه وبين غيره من الوزراء أطلق عليه الوزير الأعظم، كما لقب بالصدر العالي وصاحب الدولة». انظر: صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط 1، 2000، ص 143-144.

ثم إن الجانب الآخر والأهم الذي يكمن في هذا المبحث، هو أن حركة التمرد والعصيان التي ثارت ضد الدولة العثمانية بقيادة بعض الشخصيات الدينية الإسلامية، قد بلغت ذروتها في هذه المرحلة؛ أي مرحلة ظهور ملامح الضعف والانهيار للدولة العثمانية، التي كانت تزداد يوماً بعد يوم. ومع هذا الوهن كان وضع الألبان وألبانيا ينهار ويضعف تبعاً لانهيار الدولة العثمانية، إذ كانت الدول المجاورة الكاثوليكية والأرثوذكسية السلافية مثل اليونان و صربيا والجبل الأسود، تسعى للحصول على استقلالها بمساعدة الدول النصرانية المجاورة، وكانت هذه الدول تقوم بتوسيع نطاق أراضيها على حساب الأراضي الألبانية من الشمال والجنوب والشرق.

هذه المرحلة؛ مرحلة الانهيار والضعف للدولة العثمانية، كانت تتميز كذلك بأنها كانت مرحلة العصيان والتمرد للحركات القومية الأوروبية المناهضة للدولة العثمانية. ومن بين هذه الحركات، كانت الحركات القومية الألبانية في المهجر، أي في بلغاريا ورومانيا واليونان، بل حتى في داخل الأراضي الألبانية. وبسبب ضعفها، كانت تظهر موافقتها واستعدادها لكل معاهدة أو اتفاقية أوروبية أو روسية، وكانت توافق على إجراء كافة الإصلاحات الإدارية والسياسية التي كانت تُطلب منها. ومع هذا الضعف شعر الألبان بأن هناك خطراً على هويتهم القومية وتهديداً جغرافياً وسياسياً، وأن خطر الاحتلال السلافي قد أحدق بهم من كل جانب. بعد أن عرفنا هذه الحقيقة يحسن بنا أن نتعمق قليلاً لنصل إلى جذور هذه المشكلة، نبحث عن العوامل التي أدت بهذا البناء العملاق الشامخ (الدولة العثمانية) إلى أن ينهار وينسف نسفاً، بعد أن عاش مدة من العمر غير قصيرة (ستمائة سنة إلا ستين عاماً). ونرى من الفائدة أن نبدأ بكلام الأستاذ المؤرخ الكبير الدكتور عماد الدين خليل في هذا الصدد إذ يقول:

«إن التدهور لا يعني - بالضرورة - السقوط النهائي، والانسحاب من الميدان.. وإن التدهور لا يحدث فجأة أو عبر فترات زمنية قصيرة، وإنما تتجمع روافده من هنا وهناك خلال أزمان متطاولة قد تستغرق في أغلب الأحيان القرون الطوال. هذا إلى أن التدهور لا ينفرد به عامل واحد، وإنما هو وليد جملة من العوامل التي يتداخل بعضها مع البعض الآخر بحيث

يصعب -أحياناً- فك الارتباط بينها من أجل تبين الحجم الحقيقي لكل منها. إن ظاهرة التدهور الحضاري تشكل ببطء وعلى مكث، وتسهم في صنعها عوامل ومؤثرات شتى: عقدية وسياسية وإدارية واقتصادية واجتماعية وجغرافية وأخلاقية<sup>(1)</sup>.



المؤرخ البروفيسور العراقي عماد الدين خليل

ومن خلال دراستنا وقراءتنا حول هذا الموضوع في مختلف المصادر والمراجع نستطيع أن نجمل هذه الأسباب في النقاط الآتية:  
يرى البعض أن التخلف العلمي والصناعي والعسكري للدولة العثمانية كان من أهم العوامل<sup>(2)</sup>.

بينما يرى الآخرون أن الاعتزاز والافتخار الوطني القومي الذي بدأ في أوساط الشعوب المسيحية في الدولة العثمانية كان من أهم الأسباب، إذ إنهم كانوا يرون لأنفسهم فضلاً على غيرهم من المسلمين، وهذه النزعة القومية بدأت مع الثورة اليونانية عام 1821<sup>(3)</sup>.

وذهب البعض الآخر إلى إن التوسع العسكري والسياسي والديني الروسي، أو الحركة الروسية الدينية الأرثوذكسية (Russian Orthodox Panslavism)، قد لعبت دوراً كبيراً في إسقاط

---

(1) انظر: خليل، عماد الدين، حول عوامل تدهور الحضارة الإسلامية، في: التجديد، مجلة فكرية نصف سنوية محكمة تصدرها الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ع 8، ص 2000، ص 9-49.

(2) McCarthy, Justin, **Death and exile** 5-6; Poullton, Hough, **Muslim identity and the Balkan state**, 1.

(3) المرجعان السابقان والصفحة نفسها.

الدولة العثمانية، وذلك بهدف إنقاذ وتحرير نصارى البلقان، وبالأخص النصارى الذين كانوا تحت حكم وقبضة الدولة العثمانية<sup>(1)</sup>.

إن انتشار الفساد الديني والأخلاقي وتعاطي الرشوة من بعض الولاة المحليين<sup>(2)</sup>، كان أيضاً من أهم العوامل الداخلية التي أدت إلى سقوط الخلافة الإسلامية، كما أن الانسلاخ من الأخلاق الإسلامية والجهاد الإسلامي وعدم تطبيق الحدود الشرعية من قبل بعض السلاطين المتأخرين كان من أكبر العوامل التي أدت بهذا الكيان الإسلامي الكبير إلى السقوط، خاصة عندما نعلم أن عشرة من السلاطين الأولين فقط كانوا سلاطين مخلصين حقاً بمعنى الكلمة، وكانوا يلتزمون بالجهاد وتطبيق الحدود الإسلامية<sup>(3)</sup>.

إن انشغال الخلافة العثمانية بالحروب المتتالية، والطمع في التوسع السياسي والعسكري للدولة العثمانية في القارات العالمية الثلاث: آسيا وأوروبا وإفريقيا، سببا خسائر كثيرة في الأرواح والعدة والعتاد، وأديا بهم إلى فقدان السيطرة والمراقبة التامة على الشعوب. وتاريخ الدولة العثمانية كله حروب وفتوحات، ما عدا ثمانية وعشرين عاماً فقط من مجموع القرون الخمسة كانت بلا حروب<sup>(4)</sup>.

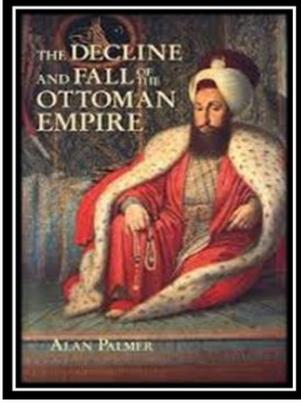
---

(1) المرجعان السابقان أيضاً، ص 13-18.

(2) Swire, John, *Albania the rise of a Kingdom*, 17; Biberaj, Elez, *Albania a socialist Maverick*, 13.

(3) Maksudoglu, Mehmet, *Ottoman history based mainly on Ottoman sources*, 340-346.

(4) Feraj, Hysamedin, *Skice e mendimit politik shqiptar*, 68-77.



### مؤلفات إنكليزية عن بداية سقوط الدولة العثمانية

إن تقليد بعض السلاطين لمنط الحياة الغربية في حياتهم الخاصة والعامة، مثل بناء القصور على أنماط غربية، والترف والإسراف الزائد وغيرها من الأخلاقيات الذميمة، كان كذلك من أكبر العوامل، مما أغرق الدولة العثمانية في الديون الثقيلة، وأدى إلى إفلاسها في عهد السلطان عبد المجيد<sup>(1)</sup>.

إن التطفل الإداري، والانشغال عن الواجبات الدينية والإدارية، والإهمال لفروض وأحكام الدين الإسلامي والتقاعد عن النصح والإرشاد لهؤلاء السلاطين المسرفين من قبل العلماء والمشايخ<sup>(2)</sup>، كان ذلك أيضاً من جملة الأسباب والعوامل الخفية التي أدت بالدولة العثمانية إلى الهاوية.

وموت السلطان سليمان القانوني المعظم سنة 1566 اعتبر من قبل بعض الباحثين بداية مرحلة التدهور وانحطاط الدولة العثمانية<sup>(3)</sup>.

ويرى بعض العلماء أن الدولة العثمانية في مرحلتها الأخيرة تبنت الفكرة القومية الطورانية وسياسة التتريك التي كان من ورائها يهود البلقان الموجودون في داخل الدولة العثمانية، والذين

(1) المرجع السابق.

(2) Castellan, Georges, *Histori e Ballkanit, shek XIV-XX*, 217-218; Alpan, P. Nexhip-Kaci, Nesim, *Shqiptaret ne perandorine Osmane*, 22-23.

(3) المرجع السابق، ص 176.

تسموا بأسماء إسلامية. هذه الفكرة كانت بمثابة قبلة فُجرت في جسم الدولة العثمانية، فأدت إلى تفكيكها وتقطيعها إلى أوصال وأشلاء، ولا يزال المسلمون في عصرنا الحاضر يعانون من آثارها<sup>(1)</sup>.

### المطلب الثاني: الإصلاحات الإدارية وأثر ذلك على الألبان

وأخيراً يبدو لنا أن الإعلان الرسمي عن إدخال الإصلاحات الإدارية والتنظيمات الدستورية، يعتبر من أهم العوامل التي أدت إلى ضعف وانهيار الدولة العثمانية، ومن هنا كانت بداية سقوطها، والله أعلم.

إن أثقل وأصعب قانون إداري، ذاك الذي لقي مقاومة شرسة من الألبان، كان قضية الخدمة العسكرية الإجبارية، متزامنة مع دفع الرسومات والضرائب للحفاظ على البنية العسكرية الجديدة<sup>(2)</sup>.

أما أصل نشوء فكرة الإصلاحات الإدارية فكانت من بعض العثمانيين المثقفين والمتعلمين في الدول الغربية<sup>(3)</sup>، والمعروفين بـ: Young Turks

---

(1) كان هذا رأي أستاذه ومشرفي الفاضل الأستاذ الدكتور محمد بهاء الدين حسين -رحمه الله- الأستاذ المشارك في قسم الدراسات القرآنية والحديثية في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا. فالله -عزَّ وجلَّ- شرفني بأن يكون هو أحد القراء الممتحنين للرسالة، وقد أفدت منه كثيراً بما يعجز اللسان عن شكره، وكانت مساهماته وتوجيهاته وإرشاداته العلمية واللغوية القيمة محل تقدير وتبجيل عندنا، فجزاه الله خيراً وجعلنا من أمثاله.

(2) Zavalani, Tajar, **Histori e Shqipnis**, 170.

(3) Rizaj, Skender, **Lidhja Shqiptare e Prizrenit**, 51; Castellan, Georges, **Histori e Ballkanit**, 219; Maksudoglu, Mehmet, **Ottoman history based mainly on Ottoman sources**, 328-329.



وفد من العثمانيين المنقلين على الدولة العثمانية وصلوا إلى باريس  
لتلقي الأوامر والتعليمات لإجراء الإصلاحات في الخلافة

ونضيف هنا ونقول إن مفهوم الإصلاحات في الدولة العثمانية «من الناحية السياسية كان يرمي ويهدف إلى تشكيل وإنشاء مركزية إدارية عليا للدولة، ومن الناحية الاقتصادية كان يهدف إلى إدخال الصناعة إلى الدولة العثمانية»<sup>(1)</sup>. ويمكن اعتبار هذه الإصلاحات من الناحية السياسية والاجتماعية أيضاً، أنها تهدف إلى غرس الفكرة الأوروبية الغربية في الدولة العثمانية عموماً وفي نفوس المسلمين خصوصاً، وأن المخططات الصهيونية اليهودية والنصرانية الصليبية كانت على قمة تلك الأسباب والعوامل التي أدت إلى سقوط الدولة العثمانية.

---

(1) Feraj, Hysamedin, *Skice e mendimit politik shqiptar*, 68;

وانظر:

Rizaj, Skender, *Lidhja shqiptare e Prizrenit*, 95; Poullton, Hough, *Muslim identity and the Balkan state*, 15.



أما عن الأضرار الناجمة من جراء الإصلاحات الإدارية وأثر تلك الإصلاحات على الألبان، فيذكر الباحثون والمؤرخون أنها أنجبت أضراراً بالغة، منها أن «الإدارة المدنية والعسكرية إلى ما قبل إعلان الإصلاحات الإدارية كانت تقريباً كلها ألبانية، ومع حلول الإصلاحات بدأ يتوافد الموظفون من مركز الدولة العثمانية - من الباب العالي - ومن جنسيات وشخصيات أجنبية غير ألبانية»<sup>(1)</sup>، مما سبب ردّة فعل سلبية، وانحداراً للمنازعات والخصومات مع هؤلاء الولاة الأجانب المعيّنين من مركز السلطة العثمانية في الديار الألبانية. ومن الآثار السلبية الأخرى التي لحقت بالألبان أن:

«فكرة ومنهج الإصلاحات الإدارية أضرا ضرراً بالغاً بالطبقة العاملة والفقيرة من الألبان. فإن الأجرة المالية - بحسب القانون الجديد - أُلغيت من الخدمة العسكرية، بينما قبل صدور هذا القانون كانت الخدمة العسكرية بالأجرة. وأيضاً قبل إصدار القوانين الجديدة كانت الخدمة العسكرية مؤقتة بحسب ما تقتضيه المدة الحربية، بينما في عصر الإصلاحات كانت الخدمة تطول من سبع إلى اثني عشرة سنة»<sup>(2)</sup>.

ولقد أعجبتني استنتاجات وتعليقات المؤرخ الألباني الدكتور حسام الدين فراي (Hysamedin Feraj) إذ يقول في هذا الصدد:

(1) انظر للتوسع: Feraj, Hysamedin, *Skice e mendimit politik shqiptar*, 68-77.

(2) المرجع السابق والصفحات نفسها.

«طبيعة الإصلاحات فُهمت وفسّرت تفسيراً هجوماً ضد المجتمع والهوية الألبانية، مما أدى إلى تقوية وتعزيز فكرة الوحدة على هذا الأساس (أي الوحدة على أساس الهوية والقومية والوطنية، خ. خوجة).. والإصلاحات استخفت بالأعراف والعادات الألبانية ذات القيمة العالية في قضية فض الخلافات والنزاعات في المنطقة. لقد عايش الألبان الإصلاحات واعتبروها هجوماً عثمانياً ضدهم. كل هذه العوامل أكدت فيهم ضرورة وأهمية الفكرة القومية والاجتماع حول محورها والتمسك بها ضد العدو المشترك (العثمانيون وغيرهم). إن فكرة الوحدة القومية اعتبرت أفضل وأقوى وسيلة لتحقيق الأمن القومي والسياسي الألباني. لأنه على أساس هذه الفكرة كانت تتلاشى جميع الفروق الشعبية والاجتماعية المتبقية. فالمصالح السياسية لكل الطبقات يمكن أن تتحقق على هذا الأساس وعلى هذا المستوى وعلى هذا العنصر اللغوي التاريخي الجذري والمركزي في الثقافة الألبانية. على هذه الكيفية تحققت القُربى والوحدة السياسية الثقافية، كما أن هذه الأسس ولدت فكرة القومية الألبانية: (Nacionalizmi Shqiptar)»<sup>(1)</sup>.

فكما رأينا من تحليل الأستاذ حسام الدين؛ هذا هو التفسير والموقف الألباني لمفهوم الإصلاحات الإدارية لدى الدولة العثمانية. ومما لا شك فيه أن أضرار الإصلاحات الإدارية توسعت رقعتها أكثر في المجال الإقليمي والوطني والدولي، فقد خسر المسلمون أجمعون والأمة الإسلامية عامة من سقوط الدولة العثمانية - وإلى الله الشكوى! - لكن المقام هنا لا يسمح لنا بالتوسع أكثر من هذا القدر. هذه هي بعض العوامل الداخلية والخارجية التي وقفت عليها في بحثي ودراستي للتاريخ الألباني، وهذه هي بعض الأضرار الطفيفة التي لحقت بالألبان بسبب انهيار الدولة العثمانية، ولا شك أن هناك عوامل أخرى قد يقف عليها باحث آخر والله أعلم.

---

(1) Hysamedin Feraj, *Skice e mendimit politik Shqiptar*, 68-77; Skendi, Stavro, *Zgjimi kombetar Shqiptar*, 17-83.

## المبحث الثالث: مسألة أوروبا الشرقية ومسألة وحدة الألبان

الذي يعنيه المؤرخون الألبان بالمسألة أو الأزمة الشرقية: (Kriza Lindore) هو ما قاله الباحث والمؤرخ الألباني الكوسوفي بدروش شيخو (Bedrush Shehu):

إن: «الأحداث البلقانية وأطماع الاحتلال من قبل الدول الكبرى الأوروبية، ومحاولاتهم وخططهم لتقسيم الأراضي البلقانية المحتلة، والمفاوضات الدبلوماسية العالمية عن الأتراك ومع الأتراك (وضد الأتراك، خ. خوجة)، وقضية الشعوب المستعبدة وغيرها من الأحداث والقضايا، اصطلاح عليها المؤرخون ما يسمى ب: المسألة الشرقية»<sup>(1)</sup>.

ومن خلال دراستنا وتبعنا للأحداث والتطورات التاريخية في منطقة البلقان، استطعنا أن نقف على جملة من العوامل والأسباب الرئيسة التي كان لها دورها الفعال والمباشر في مسألة الوحدة الألبانية، نذكر من هذه العوامل:

النزاع الأسترو-هنغاري والروسي (Konflikt Ruso - Austro-Hungarez) في قضية تقاسم الأولوية على من يتسلم السلطة والقيادة البلقانية، وضرورة إحياء النزعة القومية الطورانية التركية، ثم الحركة الأرثوذكسية السلافية الروسية وتوسعتها السياسية.

القرارات والتوصيات الناتجة من مؤتمر برلين ولندن (Konferenca e Londres dhe e Berlinit)، ومعاهدة الأتراك مع الروس في منطقة القديس استيفان (Shen Stefani) بشأن مصير الألبان.

وأيضاً: «تشكيل الدويلات الأخرى النصرانية الأرثوذكسية المجاورة لألبانيا مثل: دولة صربيا، واليونان، والجبل الأسود، وبلغاريا، فقد كانت تشكل تهديداً أمنياً حول المصير الألباني»<sup>(2)</sup>.

---

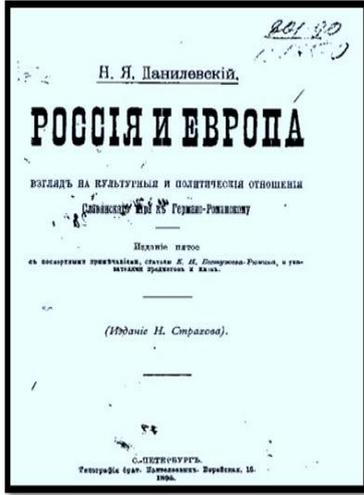
(1) Shehu, Bedrush, *Ceshtje shqiptare ne vitet e 30 te shek. XIX*, 15.

(2) انظر للتوسع:

Feraj, Hysamedin, *Skice e mendimit politik shqiptar*, 38.

هذا، وإضافة إلى ما تقدم، فإن التطورات السياسية الأوروبية، ومؤامراتهم حول كيفية القضاء على الدولة العثمانية<sup>(1)</sup> والمسلمين عامة والمسلمين الألبان خصوصاً، كان لها تأثير بالغ في تطورات الأزمة الشرقية التي شهدتها الأراضي الألبانية<sup>(2)</sup>.

أما بالنسبة للحركة الروسية السلافية الدينية الأرثوذكسية (Panslavizmi Orthodox Rus) فإن هذه الحركة الدينية السياسية كانت تهدف لتحرير النصارى الأرثوذكس من الحكم العثماني



والمساوي، معتقدة أن سكان روسيا وبولندا وتشيكوسلوفاكيا وصربيا وكرواتيا وبلغاريا وسلوفينيا، يعتبرون قومية واحدة وينحدرون من نسل مشترك<sup>(3)</sup>.

واعتقد هؤلاء جميعاً أن أوروبا قد أصيبت بمرض عضال، وأنه قد حان وقت هلاكها وزوالها، وبعدها ستلد إمبراطورية كبرى يكون مركزها في إسطنبول.

وعندما اندلعت الحرب الروسية - العثمانية سنة 1853-1856، ظن هؤلاء أنه قد حان موعد تشكيل وتأسيس تلك الإمبراطورية الكبرى المنتظرة<sup>(4)</sup>.

(1) للمزيد عن تاريخ المرحلة النمساوية الهنغارية في البوسنة والهرسك يراجع:

Karcic, Fikret, **The Bosniaks and the challenges of modernity, late Ottoman and Hapsburg times**, 20-125; **Journal of Islamic Studies**, Vol. 5, No.2, July 1994, Oxford University Press; **Islam in the Balkans**, Lopasic, Alexander, **Islamization of the Balkans with special reference to Bosnia**, 163-186.

(2) انظر للتوسع في هذا الموضوع المصدرين الآتين لنفس المؤلف الألباني الكوسوفي الكبير:

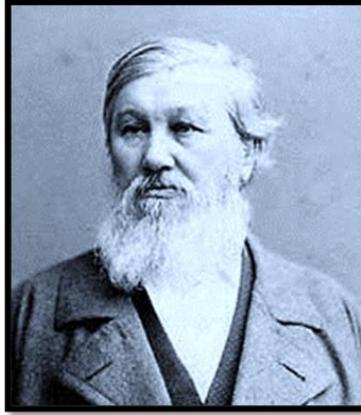
Rizaj, Skender, **Lidhja shqiptare e Prizrenit**, 39; Rizaj, Skender, **Historia e pergjithshme, Koha ere 1453-1789**, Prishtine, Universiteti I Kosoves ne Prishtine, bot.II, 1983, 317-321, 355-356.

(3) انظر:

Rizaj, Skender, **Lidhja shqiptare e Prizrenit**, 40; Frasheri, Mehdi, **Historia e lashte e Shqiperise dhe shqiptareve**, 34-35.

(4) المصدر السابق، ص 40.

إن التاريخ يحدثنا قائلًا إن حدث اتحاد ألمانيا الشرقية والغربية سنة 1871، قد حرك مشاعر الروس الدينية نحو تحقيق مطامعهم وأحلامهم الدينية والقومية. يبدو هذا الأمر واضحًا وجليًا في كلام أحد أبرز المستشرقين الروس، وهو نيكولاي ياكوفلوفيتش دانيلسكي (Danilevskij Nikolaj Jakovlevic)، فقد قال في كتابه الموضح بالصورة أدناه: «روسيا وأوروبا» (Rusia dhe Europa): «إن المسألة والقضية الشرقية في القرن التاسع عشر ما هي إلا وصلة وحلقة حرب طويلة بين روما واليونان، باعتبار اليونان نصارى أرثوذكس، وباعتبار روما نصارى كاثوليك، وإن الألمان الآن يُعتبرون أهل روما، أي كاثوليك، وإن الروس يُعتبرون أهل بيزنطة، أي أرثوذكس»<sup>(1)</sup>.



المستشرق الروسي البروفسور نيكولاي ياكوفلوفيتش دانيلسكي (Nikolaj Jakovlevic Danilevskij)

بناء على هذا التقرير، فإن الحروب الدينية ستستمر ولن تقف. وكما يظهر واضحًا من كلامه، فإن التعصب الديني والحقد الروسي تجاه غيرهم ظاهرة أصيلة في قلوبهم إلى أن تقوم الساعة<sup>(2)</sup>.

(1) Rizaj, Skender, *Lidhja shqiptare e Prizrenit..* 43.

(2) ويظهر هذا الأمر واضحًا بما لا يدع مجالًا للشك في الحرب الجارية في سورية، حيث القوات وقواعد الطائرات والدبابات الروسية في الأراضي السورية، ومشاركتها في القصف والتدمير والتفجير مع الطائرات التابعة للنظام السوري.

فبعد أن ظلت أوروبا تحت تأثير الإمبراطوريات الثلاث، إمبراطورية روسيا وألمانيا والنمسا، فإن تلك الإمبراطوريات الحاكمة كانت تجتمع تارة في برلين، وتارة في فيينا وأخرى في بتروغراد (Petrograd)، للبحث في الخطط المستقبلية<sup>(1)</sup> في المنطقة. فكانوا يبحثون القضايا المتعلقة بأوروبا الشرقية، وبخاصة أوضاع الشعوب النصرانية الأرثوذكسية السلافية، التي كانوا يمدونها بمساعدات مادية ومعنوية إلى أن تمكنوا في النهاية من تحريض تلك الشعوب النصرانية الأرثوذكسية في البوسنة والهرسك والجبل الأسود وصربيا للقيام بأعمال الشغب ضد الدولة العثمانية، وقد حدث هذا فعلاً كما خططوا له<sup>(2)</sup>.

وفي هذه الظروف السياسية، وبتحريض من الحركة السلافية الأرثوذكسية الروسية، أعلنت صربيا والجبل الأسود حرباً على الدولة العثمانية يوم 1876 / 7 / 1. هذه الحركة -الجامعة- الروسية الدينية السلافية يوماً بعد يوم بدأت تظهر ملامحها وضخامة شأنها وخطورة أمرها، فتحوّلت القضية إلى أمر جدي حاسم: الإسلام أم النصرانية؟ أو المسلمون أم النصارى؟ أوروبا أم آسيا؟ وفي الوقت ذاته إنكلترا هي الأخرى أعلنت الحرب على الدولة العثمانية، فتفاقت الأمور للغاية<sup>(3)</sup>، ذلك أن القوى العالمية الصليبية تجمعت ضد الدولة العثمانية؛ أي ضد الإسلام والمسلمين.

وقد ظهرت إلى الوجود حقيقة هذه القضية التعصبية الدينية والقومية، وهذا الكره للإسلام والمسلمين، في مؤتمر برلين من قبل الدول الأوروبية العظمى بدءاً من الفترة 1876 / 12 / 23 حتى 1877 / 01 / 20، فقد أعدوا مذكرة مشتملة على مطالب قاسية وصعبة

---

وقد دخلت الحرب عامها السادس، والمجتمع الدولي والمسلمون قاطبة غير قادرين على إنقاذ شعب أعزل يموت في البر والبحر!! عار علينا جميعاً بسبب خذلاننا لهؤلاء المنكوبين، ولن يسامحنا الله يوم القيامة، ولن يسامحنا التاريخ ولن يغسل هذا العار من وجوهنا، حتى لو صُبَّت علينا مياه أبحر ومحيطات العالم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(1) Rizaj, Skender, *Lidhja Shqiptare e Prizrenit*, 44; Castellán, Georges, *Histori e Ballkanit..* 342.

(2) Maksudoglu, Mehmet, *Ottoman history based mainly on Ottoman Sources*, 293; McCarthy, Justin, *Death and exile*, 6,10,12.

(3) المرجع السابق، ص 48.

المنال من الدولة العثمانية، كما أنهم تعمدوا إخراج القضية الألبانية من جدول أعمال المؤتمر كلياً. ومن بين بنود هذه المذكرة الجائرة ما يلي:

- تجريد مسلمي بلغاريا والبوسنة والهرسك من السلاح.
- إبعاد وتهجير الموظفين المسلمين من هذه المناطق.
- تشكيل الشرطة المحلية من العناصر النصرانية فقط.
- الجنود العثمانيون يسمح لهم بالبقاء في القلاع المرتفعة فقط.
- إلغاء ضريبة (جزية) العُشْرِ المفروض على غير المسلمين، وأن تكون الجباية من أهل البلد.
- استعمال اللغة السلافية الأرثوذكسية في المحاكم والمعاملات الإدارية.
- تعيين الولاية من النصارى كما كانت الحال مع والي لبنان.
- تعذيب المسلمين الذين اشتركوا في الجرائم ضد النصارى، وإجبارهم على دفع تعويض مالي<sup>(1)</sup>.

كما رأينا، فإن هذه الوثيقة الجائرة لا تنص شيئاً على مشاكل الألبان ولا هموم الألبان، بل كان أمر الألبان نسيماً منسياً، ولم يرد ذكرهم قط على لسان الدبلوماسيين الغربيين<sup>(2)</sup>. وبعد أن خرجوا من هذا المؤتمر خائبين خاسرين، وغير متفقين على بنود تلك المذكرة، لأن الدولة العثمانية رفضت بشدة قبول تلك الشروط، ما كان من روسيا إلا أن أعلنت حرباً على الدولة العثمانية يوم 1878/6/26. وفي هذه اللحظات الراهنة الصعبة، أعلنت صربيا والجبل الأسود الحرب على الدولة العثمانية أيضاً، فقد استغلوا انشغال الدولة العثمانية بروسيا، وظنوا أنها لن تتمكن من السيطرة عليهم<sup>(3)</sup>.

---

(1) Rizaj, Skender, *Lidhja shqiptare e Prizrenit*, 48-49; Alpan P. Nexhip-Kaci Nesim, *Shqiptaret ne perandorine Osmane*, 34; *Historia e Popullit Shqiptar*, vol.2, 106-173.

(2) والغريب أيضاً من الأستاذ الدكتور التركي Mehmet Maksudoglu، كيف أنه لم يذكر في كتابه سطرأ ولا فقرة ولا مبحثاً واحداً عن الألبان في الدولة العثمانية ودورهم الإيجابي، وهو يتحدث عن تاريخ الدولة العثمانية!

(3) المرجع السابق، 67، وانظر للتوسع: أوغلي، عثمان، مذكرات الأميرة عائشة، والدي السلطان عبد الحميد الثاني، 56-11.

ونظراً لضعف الدولة العثمانية في العتاد والعُدّة، لم تر من الجدوى خوض حرب خاسرة مع روسيا. وبتاريخ 3/3/1878، صالح العثمانيون الروس موقعين على الاتفاقية ذات البنود التسعة والعشرين، وكانت جلها ضد مصالح الألبان ومستقبلهم السياسي والجغرافي والعربي والثقافي<sup>(1)</sup>.

فكان رد فعل من الألبان على تلك التطورات السياسية التي شهدتها الساحة العالمية والأراضي الألبانية، أن شكلوا منظمة ورابطة وهيئة ألبانية عامة سُمّيت (Lidhja Shqiptare e Prizrenit)، خلال السنوات 1878-1885، وذلك لمواجهة الخطر الذي داهمهم. وكانت هذه الرابطة بمثابة ثورة عامّة ضد تصرفات الدولة العثمانية في حقّ الألبان، و ضد القرارات الجائرة للدول الإمبريالية المستعمرة. ولتلك الرابطة القومية أهمية تاريخية كبرى في تاريخ الألبان، إذ لا يُفهم تاريخ الألبان في العصر الحديث إلا بالاطلاع على العوامل التي أدت إلى تشكيلها، ومعرفة دورها وهدفها وعناصر تركيبها.



مقر الرابطة الألبانية في مدينة بريزرن؛ مدينة كاتب هذه السطور. وقد تأسست عام 1878، وتعرض مبنى الرابطة إلى قصف وتدمير متكرر من النظام الصربي مرات عديدة منذ تأسيسها بغية محو وطمس الآثار التاريخية والإسلامية للمسلمين الألبان في كوسوفا (يوغسلافيا).

(1) Rizaj, Skender, *Lidhja shqiptare e Prizrenit*, 69-70.



مقر الرابطة الألبانية في مدينة بريزن (رسم - مشهد من مشاهد الاجتماع)

يرى المؤرخ الكوسوفي الكبير إسكندر رزاي (Skender Rizaj) أن أربعة من العوامل الخارجية والداخلية كان لها دور كبير في تأسيس الرابطة القومية الألبانية:

1. خلافات ونزاعات الدول الإمبريالية الأوروبية على حساب ومصالح الألبان.
2. الإصلاحات السياسية والاجتماعية والإدارية في الدولة العثمانية ضد مصالح الألبان.
3. تهجير عدد كبير من الألبان من ديارهم.
4. الحاجة الماسة والملحة للحصول على استقلال ذاتي<sup>(1)</sup>.

هذه الرابطة في بداية أمرها وعملها لم تكن تريد التمرد ولا الانفصال عن الدولة العثمانية، وإنما طلبت بمنح الاستقلال الذاتي للألبان في ظل الدولة العثمانية، وبالطبع فإن الدولة العثمانية لم ترض بهذا الأمر ولم توافق عليه. وأما سبب خروج هذه الرابطة وطلّاعها إلى الساحة، فيتضح من خلال كلام الباحث التركي الذي ذكره الأستاذ الكبير (Rizaj Skender): «.. من نتائج الحرب التركية الروسية سنة 1877 أن دول البلقان المجاورة أرادت أن توسع من دائرة حدودها على حساب الأراضي الألبانية. هذا الوضع دفع بالألبان إلى التفكير في مستقبلهم، وإلى ما ستؤول إليه أمرهم في حال انهيار الدولة العثمانية متسائلين: أيُعقل قبول حكم الإغريق

(1) انظر بتصرف: Rizaj, Skender, *Lidhja shqiptare e Prizrenit*, 8.

أو الصرب والعودة إلى الأسر والعبودية من جديد؟! فلأجل ما تقدّم من الأسباب والدوافع يظهر لنا بوضوح سبب تشكيل وتأسيس الرابطة الألبانية، وهو أن يكون لهم مجلس وطني في ألبانيا أولاً، ثم البحث عن خطوات الانفصال من الدولة العثمانية<sup>(1)</sup>. فكما هو واضح من التقرير أن وضع الألبان كان مهدداً من جميع الجوانب.

يضيف الأستاذ الكبير إسكندر رزاي أن من الشخصيات الدينية الإسلامية في ذلك الوقت التي شاركت في تأسيس هذه الرابطة، الشيخ والمدرس المفتي الحاج عمر بريزني (Haxhi Ymer Prizreni)، والشيخ الحاج زكا (Haxhi Zeka)، والقاضي الشرعي أحمد كورنيسا (Ahmed Korenica). بالإضافة إلى بعض الشخصيات والأبطال من المدن الأخرى ممن لا يتسع المقام لسرد أسمائهم.



من الشخصيات الألبانية والمؤسسين لرابطة الألبان القومية في مدينة بريزن: الحاج زكا، والحاج عمر بريزني

وفي الحرب البلقانية الأخيرة قبل سقوط الدولة العثمانية 1912-1913، عندما دق ناقوس الخطر من القوات الإمبريالية والاستعمارية أمام أبوابهم حيث التهديد والتقسيم، أعلنت مجموعة

(1) Rizaj, Skender, **Lidhja shqiptare e Prizrenit**, 115, marre nga, Mehmet Ali Ayni: **Milliyetçilik**, 279-280.

من الناشطين السياسيين استقلال ألبانيا بتاريخ 28 / 11 / 1912، في مدينة ولورا (Vlora) في ألبانيا، برئاسة الناشط والمتقف الألباني المشهور إسماعيل كمال (Ismail Qemali)<sup>(1)</sup>. وهكذا، رأينا كيف أدى تطور الأحداث قبيل سقوط الدولة العثمانية إلى وصول الألبان إلى بغيتهم والاستقلال في حكمهم ودولتهم، متخذين المحور القومي والوطني سبيلا لتحقيق أهدافهم. ويبدو لنا أن الدولة العثمانية لو أحسنت في تصرفاتها مع الألبان، وحافظت على كيانهم، ولبّت بعض مطالبهم القومية كما لبّت مطالب بعض الشعوب الأخرى الأرثوذكسية، لوجدوهم خير معين وأفضل نصير لهم في هذه اللحظات الحرجة من تاريخها، لأنهم تاريخياً قد أثبتوا ذلك بتعاونهم مع الدولة العثمانية ودورهم في الدفاع عنها وولائهم تجاهها، إذ لم تكن هنالك بعثة عسكرية إلا على رأسها قائد ألباني شجاعٌ محنكٌ قد حقق النصر للجيش العثماني، وما ذلك إلا للمؤهلات القيادية والحريرية التي كانوا يتمتعون بها. ولو أن الدولة العثمانية في هذه المرحلة أعادت النظر والتفكير وأحسنت استثمار هذه القدرات عندهم مرة أخرى لم تكن لتتدهور وتسقط، والله أعلم.

## المبحث الرابع: مسألة تهجير الألبان من أراضيهم

رأينا في المبحث السابق أن الأحداث توالى بعضها إثر بعض، وأن الأراضي الألبانية شهدت أنواعاً مختلفة من التطورات والتغيرات على مختلف الصعد والمجالات. فالمسألة الشرقية اتخذت أبعاداً سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية. ومن القضايا الاجتماعية الكبرى أيضاً قضية الهجرة والمهاجرين المسلمين الألبان، فقد اضطرروا إلى الهجرة إلى دول مختلفة، فأرّين بدينهم وأرواحهم وأموالهم. فالقوات الروسية والصربية والبغارية تحالفت في ما بينها في كيفية تحقيق هذا الغرض. وفعلاً، تحقق هذا الهدف الذي خططوا له وسعوا لأجله؛ فقد تم تهجير عدد كبير من المسلمين وتخلّوا عن أوطانهم وأموالهم، ليحلّ محلهم النزلاء الصرب

(1) Necip P Alpasllan-Nesim Kaci, *Shqiptaret ne perandorine Osmane*, 15; Historia e Shqiperise, vell.2, 243.

والروس والبلغار وأهل الجبل الأسود. ففي فقرات هذا المبحث سنتقف على أهم الأحداث التي صاحبت هذه الظاهرة.

يذكر المؤرخون أن الوضع السياسي في ولاية كوسوفا الحالية التي كانت إحدى الولايات الخمس لألبانيا، كان سيئاً للغاية، وهذا يظهر من كلام العضو البرلماني الألباني لدى الدولة العثمانية عثمان مصطفى أفندي (Osman Mustafa Efendiu)، فقد وصف الحالة الراهنة قائلاً: «إن مدن (Prokuple، Leskovc، Piro) الكوسوفية والتابعة لولاية كوسوفا قد احتلتها صربيا، وكل مدينة في ولاية كوسوفا تعتبر كألبانيا، بل هي روح وقلب ألبانيا»<sup>(1)</sup>.

كانت هناك جملة من الأسباب التي من أجلها اضطر الألبان إلى مغادرة أوطانهم، بعض هذه الأسباب كان دينياً، وبعضها كان اقتصادياً وسياسياً. على رأس تلك الأسباب الخدمة العسكرية الإجبارية لصالح الصرب النصارى الأرثوذكس، ولأنهم كانوا يكرهون اللباس العسكري الصربي كرهاً شديداً<sup>(2)</sup>.

ومن الأسباب التي دفعت الألبان والمسلمين عامة إلى الهجرة، الظلم الشديد والضغط القاسية التي كانت تُمارَس في حقهم من قبل الروس والصرب وأهل الجبل الأسود<sup>(3)</sup>، وذلك بحجة الدفاع عن الديانة النصرانية السلافية.

---

(1) Rizaj, Skender, *Lidhja shqiptare e Prizrenit*, 77-78

(2) المرجع السابق، ص 79.

(3) للوقوف على المذابح والمجازر المرتكبة من الصرب وإمارة الجبل الأسود في حق الألبان المسلمين، انظر هذه المراجع والمصادر والسجلات التاريخية المهمة: المجزرة في يوغسلافيا، الكويت، دار الوثائق، د. ط. د. ت. د. م. وانظر أيضاً هذه المصادر الألبانية المهمة:

Cana, Zekeria, *Gjenocidi i Malit te Zi mbi popullaten Shqiptare 1912-1913, Dokumente*, Instituti albanologjik i Prishtines, Prishtine, 1996, 11; Ajdini, Azem, *Masakra e Tivarit Serbo-Malazeze*, Edlor, Tirane, 1998; Kansu, Huseyin, *Kosova ikinci Bosna olmasin*, Yildizlar matbaasi, Istanbul, 1998, 11-33; Bajrami, Hakif, *Kosova - njezet shekuj te identitetit te saj-argumente historike*, Era, Prishtine, 2001, 77-81; A.I.I.T.C *Gjenocidi Serb ne Kosove*, Instituti Shqiptar i mendimit dhe qyteterimit Islam, sesion shkencor, qershor 1999, 35, 44, 65; Kola, Harrila, *Gjenocidi Serb ndaj Shqiptareve ne viset e tyre etnike ne Jugosllavi 1941-1967*, Elton, Tirane, 2000, 116-222; Tahiri, Bedri, *Adem Jashari legjende e legendave*, Rilindja, bot -

تذكر لنا مصادر التاريخ جرائم هؤلاء. فقد قاموا بعمليات إكراه النساء المسلمات على الزنا، وسرقة واغتصاب أموال المسلمين وممتلكاتهم وثرواتهم. أصاب المسلمين جوع شديد وأمراض فتاكة. كما أنهم قاموا بحرقهم أحياء في المساجد والمحلات التجارية والأماكن العامة، ومارسوا غير ذلك من أنواع التعذيب والإبادة مما يعجز اللسان عن وصفه<sup>(1)</sup>.

إن حذر الألبان من تغيير الهوية القومية والعرقية والدينية لهم، جعلهم يحسبون لذلك حساباً إن هم وقعوا أسرى في أيدي الصرب وأهل الجبل الأسود واليونان الحاقدين المتعصبين، فكان ذلك من الأسباب الرئيسة التي دفعتهم إلى الهجرة<sup>(2)</sup>.

وأيضاً خوف مسلمي البلقان عامة من الردة إلى النصرانية الأرثوذكسية السلافية، دفعهم إلى أن يفكروا بالهجرة، كما كانت الحال مع مسلمي بلغاريا؛ إذ إن كثيراً منهم ارتدّوا إلى النصرانية، لأن الذين كانوا يتنصرون كانوا يسلمون من المذابح والمجازر الصربية والبلغارية<sup>(3)</sup>.

هناك من الباحثين من يرى أن هجرة الألبان كانت لأسباب اقتصادية أيضاً. هذا العامل وإن كان صحيحاً نسبياً إلا أنه ليس عاملاً لجميع الألبان، وإنما كان ذلك لنسبة ضئيلة وفئة قليلة جداً، ولمجموعة صغيرة نصرانية أرثوذكسية فقط، لا غير، وبالطبع هذه الفكرة هي فكرة غربية نصرانية بحتة. لننظر ماذا قال صاحب هذا الرأي.

يقول أحدهم: «التطورات الاقتصادية والاجتماعية في القرن التاسع عشر جلبت معها موجة الهجرة الجماعية إلى إسطنبول، فقد أصبحت مأوى لأكثر من 60.000 من المهاجرين. كانوا يتجهون نحو اليونان ومصر ورومانيا وروسيا الجنوبية وإيطاليا، وأخيراً إلى أمريكا وأستراليا.

---

III, Prishtine, 2001; Tahiri, Bedri, *Agu i lirise-kronike luftje*, 22.02.1999 - 22.06.1999, Zeri i Kosoves, Prishtine, 2001.

(1) المرجع السابق، وانظر بشيء من التفصيل هذا المرجع الرائع:

McCarthy, Justin, *Death and exile*, 138-141.

(2) المرجع السابق، ص 1، 19، 59، 94.

(3) المرجع السابق، ص 152-153.

وباحتكاك هؤلاء المهاجرين مع الجاليات الأخرى المهاجرة استطاعوا أن يلعبوا دوراً كبيراً للحفاظ على الهوية القومية الألبانية»<sup>(1)</sup>.

فكما قلنا، إن الألبان من جنوب ألبانيا وهم نصارى أرثوذكس، هم الذين غادروا بلادهم للأسباب الاقتصادية والمعيشية، وهذا كما هو واضح لا يُعمَّم على جميع الألبان المسلمين الذين كانوا في الشمال أو في الولايات الألبانية الأخرى<sup>(2)</sup>.

إن تهجير الألبان وإخراجهم من أراضيهم كانت خطة صربية وحلماً صربياً قديماً. جاء ذلك على لسان أحد الباحثين الصرب، فقد كان صاحب فكرة تهجير الألبان وغيرهم من العرقيات الأخرى الموجودة في يوغسلافيا حتى تخلو الأرض لهم. وزعم إنه إذا ما أرادت صربيا أن تكون آمنة ومطمئنة، فعليها أن تطهر أرضها من كل العناصر الغريبة ما عدا العنصر الصربي. فقد كان يدعي أن هجرة الألبان والمسلمين عموماً تمت برضا وطواعية من عند أنفسهم، ولم يكن هناك إكراه أو إجبار روسي أو صربي أو بلغاري على الهجرة<sup>(3)</sup>!

إن ظاهرة التهجير الجماعي للمسلمين الألبان كانت تتم باتفاقات سرية بين تركيا ويوغسلافيا خلال السنوات 1939-1944<sup>(4)</sup>، فقد كان لهما دور كبير في إعداد الأراضي الألبانية وإخلائها للمستوطنين الجدد من الصرب. واستطاعت السلطات اليوغسلافية أن

---

(1) Castellan, Georges, *Histori e Ballkanit*, 379-380.

(2) لمعرفة المزيد عن هذه النقطة انظر:

Thengjilli, Petrika, *Historia Shqiperise*, 27; Mufaku, Muhamed, *Shqiptaret ne boten Arabe*, 97-130; Silajxhic, Haris, *Shqiperia dhe SHBA-te ne arkivat e Washingtonit*, Albanija i S.A.D. Kroz Arhive Vasingtona, 1991, perkthyer nga: Xhelal Fejza, Dituria, Tirane, 1999, 25-42.

(3) Rizaj, Skender, *Lidhja shqiptare e Prizreni*; Zamir, Shtylla, *The Deportation of Albanians in Yugoslavia after the second world war 1950-1966*, 233-239; Cubrilovic, Vaso, *The Problem of Minorities in the new Yugoslavia*, The truth on Kosova, 301-306.

(4) وهذه الفترة كانت فترة حكم أتاتورك، وأن بعد سقوط الخلافة العثمانية رسمياً سنة 1924م تسلط الماسونية اليهودية على تركيا في إدارة شؤونها الإدارية والاقتصادية والسياسية.

(4)Plana, Emin, *On the deportation of Albanians from the territory of Sandjak of Nish of Kosova 1877-1878*. The truth on Kosova, 73-78.

تهجر أكثر من ثمانية آلاف أسرة ألبانية مسلمة بالقوة، وهو الأمر الذي فعلته في المدن الكوسوفية: Prokuplje، Leskovc، Vranje، Kurshumli، Pirot<sup>(4)</sup> وغيرها من المدن؛ وذلك بحرق البيوت ومصادرة الممتلكات وقصف القرى وتدميرها، وغير ذلك من الأساليب الوحشية التي شهدتها النصف الأول من القرن العشرين، وكانت نتيجتها حرق 182 قرية ألبانية مسلمة، تدميرها بالكامل<sup>(1)</sup>.

أما رجال الدين أو المشايخ من علماء المسلمين فإنهم لم يقفوا مكتوفي الأيدي. هم أيضاً كان يهتمهم أمر وطنهم، والاطلاع والمشاركة في متابعة وتوجيه عجلة وسير الأوضاع السياسية. رغم إن الباحث حتى الآن، لم يعثر في دراسته على موقف جماعي للمشايخ الألبان تجاه هذه الأوضاع، كما رأينا ذلك من علماء البوسنة والهرسك، ومن بعض العلماء الآخرين في بعض البلاد المختلفة في العصور الوسطى سنة 1563، مثل بلدة موريسكوس (Moriscos)، عندما أصدر مفتي محافظة أوران (Oran)، فتوى تسمح وتجزئ لهم الرجوع إلى قاعدة «التقية» إذا ما تعرضوا لعمليات التنصير الجماعية بالقوة، ذلك بأن يسمح للأشخاص المعرضين لهذا البلاء أن يتلفظوا بكلمات الكفر والشرك، ما دامت قلوبهم مطمئنة بالإيمان<sup>(2)</sup>.

لكن مع ذلك، لم تخلُ المنطقة والأراضي الألبانية منهم، بل وُجد هناك من صدع وجهه بالحق أمام الطغيان والعدوان الصربي النصراني المتعصب. فقد كان زين العابدين أفندي (ZenelAbidin Efendiu)، مفتي مدينة بريشتنا، عاصمة كوسوفا الحالية، عضواً برلمانياً لدى الدولة العثمانية. وقد أدرك هذا المفتي الشجاع الفطن الوضع المأساوي للأراضي الألبانية وحالة الألبان، وعلم أنه إذا استمرت الحال على تلك الصورة فإن المنطقة ستُهيأ للصرب الجدد القادمين من صربيا لغرض الاستيطان، ومن ثم سيخسر المسلمون تلك الأراضي.

---

(1) Bajrami, Hakif, *Kosova njezet shekuj te identitetit te saj*, 84.

(2) *Journal of the International Institute of Islamic Thought and Civilization*, (ISTAC), Vol. 6:1, Abdal Rahijm, Muddathir, *Muslim Minorities in Western Societies-The Medieval Scene*, 10.



الشيخ المقاوم زين العابدين أفندي ZenelAbidin Efendi

فقد تسلّم هذا المفتي تقريراً حول الأوضاع في ولاية كوسوفا، فقدمه إلى البرلمان العثماني. وبعد أن قرئ ذلك التقرير على مسامع الأعضاء، قام المفتي معقّباً: «سادتي، فقد قرئت الرسالة المرسلّة من ولاية كوسوفا على مسامعنا. إنها مفهومة وواضحة. وباختصار شديد لنذهب هناك ولنجاهد، فإما أن نستشهد، وإما أن نجد لذلك حلاً ومخرجاً آخر لضمان وحفظ بلادنا»<sup>(1)</sup>.

فيا له من موقف، ويا له من تعبير جامع ومانع. لكنه كما يبدو لم تكن هناك آذان صاغية لهذا النداء الرباني الخالد من أعضاء البرلمان والحاضرين! وأما عن طريقة تهجير وإخراج المسلمين من قراهم وبيوتهم فحدّث ولا حرج. فقد شرع الروس والبلغار في إحراق بيوت المسلمين، وذلك عن طريق القصف المتواصل على بيوتهم وقراهم، بالتالي اضطر هؤلاء للخروج والفرار بأنفسهم. وهذا ما حدث في شهر أبريل 1877. فقد قامت الجيوش الروسية بتسليح البلغار وتحريضهم على خوض حرب مقدسة دينية أرثوذكسية، وحرّضوهم على ارتكاب المجازر والمذابح ضد المسلمين الموجودين. على صعيد آخر قامت السلطات النصرانية في الجبل الأسود بتهديد المسلمين المحليين، وذلك إما أن يقبلوا التسلح والنفير العام والخروج معهم

---

(1) Rizaj,Skender, *Lidhja shqiptare e Prizrenit*, 78, mare nga: *Bashbakanlik arsivi, Istanbul, Meclisi Meb'usan*, II - ci-cild, 13 Aralik 1877- 16 Subat - 1878 in'ikadlar, Istanbul, 1954, 77-78.

لقتال المسلمين، وإما أن يهاجروا ويغادروا قراهم<sup>(1)</sup>. هذه الحالة فعلاً شكلت تحدياً كبيراً للمسلمين، فإما المشاركة والتسلح وقتل إخوانهم المسلمين<sup>(2)</sup>، وإما الهجرة والتخلي عن الممتلكات والثروات وتركها للصرب، وكلا الأمرين مر. وبحسب علمنا فإننا لا نعلم أن أحداً من الألبان المسلمين قبل تلك الخدمة العسكرية لصالح صربيا والجبل الأسود، والراجح أنهم فضلوا الهجرة.

وهكذا فالألبان من محافظة نيش (Nish) التابعة لولاية كوسوفا، انتقلوا إلى وسط ولاية كوسوفا بعد أن كانوا في شمال-شرقي البلاد، وبعضهم توجه إلى إسطنبول تحت ظروف قاسية بلا مال تاركاً وراءه بيته وماشيته وأراضيه. وتشير الإحصائيات إلى أنه بين السنوات 1877-1879، تم تهجير أكثر من 1.000.000 (مليون شخص من المسلمين) من منطقة البلقان إلى الدول الأخرى<sup>(3)</sup>.

أما عن كيفية النقل ووسائل التسفير لهؤلاء المهاجرين، فهذا شيء يثير العجب والغرابة من تصرفات الدولة العثمانية في لحظاتها الأخيرة، ذلك أنها كانت قد استأجرت السفن من إنكلترا وفرنسا والنمسا ومصر وروسيا، وتولت هي مهمة دفع أجور النقل لهؤلاء، وكانت قد خصصت لجاناً خاصة تتولى شؤون الهجرة.

---

(1) Rizaj, Skender, *Lidhja shqiptare e Prizrenit*, 79.

وإن شئت أن تقف على الإحصائيات الدقيقة لعدد المهاجرين الذين تم توزيعهم وتفريقهم في العالم انظر:

McCarthy, Justin, *Death and Exile*, 88-91, 159-164.

(2) يرى الأستاذ الكبير Skender Rizaj أن:

«حقيقة الأمر كما أخبرنا السفير البريطاني في إسطنبول السيد لايارد Layard، أن الجيوش الروسية والبلغارية كانت تهدف إلى طرد جميع المسلمين من البلقان، وأن تستولي وتغتصب ثرواتهم وممتلكاتهم». انظر:

Rizaj, Skender, *Lidhja Shqiptare e Prizrenit*, 81.

وانظر أيضاً:

Poullton, Hough, *Muslim identity and the Balkan state*, 19-20.

(3) Rizaj, Skender, *Lidhja shqiptare e Prizrenit*, 80.

ومن أهم محطات المهاجرين في تركيا كانت هذه المدن: Qanakalaya، Istanbul، Edirne،<sup>(1)</sup> Izmir، Samsun.

أعداد المهاجرين واللاجئين كان في ازدياد مستمر، وكانوا يستوطنون في المدن المختلفة بحسب ما كانوا يتجهون إليها أثناء الهروب. وقد اشتدت أوضاعهم القاسية للغاية، حتى وصل بهم الأمر إلى أن يشحذوا ويتسولوا في شوارع بعض المدن، مثل مدينة بريزن (Prizren)، حيث كان عددهم في ذلك الوقت حوالي 10 آلاف شخص. فقد شكلت لجان خاصة أخرى أيضاً لجمع المساعدات والمواد الغذائية وتوزيعها لهم قدر ما يكفيهم ويسد رمقهم<sup>(2)</sup>.

إن المهاجرين المسلمين رغم معاناتهم لهذه الولايات في الغربية، فإنهم لم يظلوا مكتوفي الأيدي دون التحرك والبحث عن مصيرهم لأنهم لم يكونوا يدرون ماذا يفعل بهم، فكتبوا 145 عريضة وشكوى، وكانوا ينظمون مظاهرات لكسب الرأي العام، ويعارضون بشدة تقسيم أراضيهم وممتلكاتهم وإعطاءها للصرب، وكانوا يطالبون الدول الغربية بالتدخل والسماح لهم بالعودة إلى ديارهم، لكن كل ذلك لم يجدهم ولم ينفعهم شيئاً. فقد ذهبت أراضيهم وممتلكاتهم دون العودة، وذهبوا هم بأنفسهم أيضاً إلى أماكن نائية ومجهولة ولا نعلم ماذا فعل بهم، والله أعلم<sup>(3)</sup>.

تذكر لنا بعض المصادر التاريخية أن بعضاً من المهاجرين المسلمين من البلقان اتجه إلى الأناضول، وبعضاً آخر إلى سورية، وبعضاً آخر إلى قبرص، وبعضاً منهم إلى الجزيرة العربية وحلب ودمشق وأضنا وديار بكر ومدينة سالانيك، وغيرها من المدن<sup>(4)</sup>.

---

(1) المرجع السابق، ص 80-81، وانظر:

Poullton, Hough, *Muslim Identity and the Balkan State*, 146-148.

(2) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(3) المرجع السابق، ص 83.

(4) انظر:

McCarthy, Justin, *Death and Exile*, 36-37, 65, 89; *Muslim Identity and the Balkan States*, Yulian, Konstantinov, *Strategies for sustainability a vulnerable identity - case of Bulgarian Pomaks*, 33-53.

هكذا، بلغ عدد المهاجرين في ولاية كوسوفا - فقط - حوالي 200 ألف مهاجر، وقرب مدينة كومانوفا (Kumanova) في مقدونيا الحالية كان عددهم حوالي 5 آلاف، والأمر كذلك في الولايات الأخرى التي لا يتسع المقام لذكر تفاصيلها في هذا البحث<sup>(1)</sup>.

وهنا لا بد من الإشارة إلى نقطة مهمة للغاية؛ ذلك أن المهاجرين الألبان والمسلمين عموماً كانوا يرغبون في الرجوع إلى أوطانهم وثرواتهم، لكن الدولة العثمانية منعتهم من ذلك، حتى إن هناك موظفين عثمانيين لقوا مصرعهم على أيدي هؤلاء المهاجرين، حين حاولوا منعهم من العودة إلى أوطانهم<sup>(2)</sup>!

ويبدو لنا أن هذا التصرف من الدولة العثمانية لم يكن مبرراً، وأنه تصرف خاطئ وقبيح، إذ كان ينبغي على الدولة العثمانية أن تسمح لهم بالعودة، فرادى وجماعات، فإن قوتلوا من قبل الصرب أو أهل الجبل الأسود، قاتلوهم حتى الموت أو الاستشهاد؛ لأنهم إنما يقاتلون دفاعاً عن أموالهم وأعراضهم، فإما الشهادة وإما النصر وإما إجلاؤهم عن ديارهم المغتصبة. لكنَّ ضعف الدولة العثمانية في أيامها الأخيرة، جعل صربيا وإمارة الجبل الأسود لا تقيمان لها وزناً<sup>(3)</sup>.

والمهاجرون الذين كانوا قد استوطنوا الأراضي اليونانية، أيضاً كانوا لا يكفون عن الطلب للعودة إلى أوطانهم، كما تشير إلى ذلك بعض المصادر التاريخية الفرنسية، والعثمانية والإنكليزية<sup>(4)</sup>.

---

(1) هذا العدد المذكور يقترب من عدد المهاجرين البوسنيين الذي بلغ 150 ألف مهاجر أثناء الحكم النمساوي الهنغاري سنة 1878-1918. للتوسع انظر:

Karcic, Fikret, *The Bosniaks and the challenges of modernity*, 53; *Journal of Islamic Studies*, 5:2, July 1994, Mufaku, Muhamed, *Two Hijras and Two Fatwas*, 242.

(2) Rizaj, Skender, *Lidhja shqiptare e Prizrenit*, 87- 88.

(3) قارن ظاهرة وعملية هجرة الألبان مع هجرة مسلمي البوسنة في:

*Journal of Islamic Studies*, 5,2, July 1994, Islam and Muslims in Bosnia, Mufaku, Muhamed, *Two Hijras and Two Fatwas*, 242-253.

(4) Rizaj, Skender, *Lidhja shqiptare e Prizrenit*, 89; Hoxha, Ibrahim Daut, *Viset Kombetare Shqiptare ne Shtetin Grek*, 85, 99, 139, 170, 224, 233.

ونرى من الفائدة أن نسجل تقرير الصربي المتعصب، وحامل لواء التهجير والطرْد، وهو: واصوا تشوبرلوفيتش (Vaso Cubriloviq) إذ يقول:

«عملية طرد وإخراج الأتراك (الألبان والبوسنيين والأتراك والشراكسة) من قراهم ومدنهم، وتوطين تلك الأراضي بالسكان الجدد المستقدمين من صربيا والجبل الأسود، تمت في أسرع وقت مما كنا قد قدرنا وخططنا له. الصربيون المضطهدون من الألبان، والذين هربوا إلى المناطق الجبلية الوعرة، نزلوا إلى تلك القرى الخاوية. وبالتدرج وصل سكان الجبل الأسود إلى هذه القرى وهذه المدن التي تطهرت وخلت من الألبان والمسلمين، وهكذا فإن القرى الصربية الجديدة بدأت تنبت من الأرض بعد ما كان لا وجود لها»<sup>(1)</sup>.



الصربي صاحب فكرة التطهير العرقي للمسلمين الألبان

واصوا تشوبرلوفيتش (Vaso Cubriloviq)

(1) يقول الأستاذ والمؤرخ الكبير إسكندر رزاي، معلقاً على كلام ذلك المذكور: «لا يثبت تاريخياً أن الألبان في ولاية كوسوفا الكبيرة قد أضرروا بالصرب، وهذا كذب وافتراء. وإنما الأمر كان على عكس ذلك تماماً، فإن الرابطة الألبانية أخذت في مسؤوليتها حماية الصرب أيضاً. وأيضاً أن في هذه المناطق لم يوجد صربي من عرق صربي خالص. صرب كوسوفا كانوا ألباناً أرثوذكس يمارسون الشعائر الدينية على لغة الكنيسة السلافية». للتوسع انظر:

Rizaj, Skender, *Lidhja shqiptare e Prizrenit*, 97-98; Dibrani, Shefqet, *Feja ne Sherbim te Kombit*,  
www.albmuslim-yahoogroups.com

هذا من جانب، ومن جانب آخر يرى بعض المؤرخين من الصرب والألبان أن الآثار الناجمة عن هجرة الألبان والأتراك والبوسنيين وغيرهم انصبّت على الصرب أيضاً، وأصاب الضرر كثيراً من الصرب بسبب هذه الهجرة الجماعية. ويرى الأستاذ إسكندر رزاي أن الصرب كانوا يحصلون من المسلمين على المحاصيل الزراعية والمعدنية والتجارية وغيرها، والآن هم حرموا من تلك الخيرات. وقد أذّر الباحث الصربي: (Milan V. Smilamic) الصرب من سوء العاقبة الاقتصادية الناجمة من تهجير الألبان<sup>(1)</sup>.

ومن الآثار السياسية والاجتماعية الناجمة عن إجبار الألبان والمسلمين عموماً على الهجرة، أن هذه الظاهرة أحدثت فجوة كبيرة بين المسلمين والصرب من حيث الحقد والكراهية بينهم إلى قيام الساعة<sup>(2)</sup>. بالأمس كانوا يعيشون مجتمعين ومتجاورين مع بعضهم في قرية واحدة، حيث الجوار والتبادل والتعاون إلى حد ما، أما الآن فلم يبق من تلك العلاقات القديمة شيء، فقد ذهبت كلها أدراج الرياح، وتبين للمسلمين حقيقة الصرب وما كانوا يكتنون في صدورهم من الأحقاد والضغائن تجاههم، وأنهم كانوا يتربصون بالألبان والمسلمين من كافة العرقيات الأخرى الدوائر والفرص المتاحة، للانتقام والقتل والاعتصاب. وهذا ما حدث فعلاً في حرب البوسنة قبل بضع سنين وكوسوفاً أخيراً، تماماً كما فعل اليهود والمشركون مع النبي ﷺ وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم أجمعين.

فقد ذكر الأستاذ الكبير إسكندر رزاي أن عدد القرى والمدن التي فرّغت وأخلت من المسلمين من ولاية كوسوفا الكبيرة كثيرة جداً، والآن هذه المدن والقرى أصبحت مدناً وقرى صربية.

ففي محافظة ليسكوفتس (Leskovc)، كان مجموع القرى 87 قرية، مع 2445 بيتاً مسلماً، و16.327 ساكناً أو

(1) المرجع السابق، ص 93.

(2) المرجع السابق، ص 93.

ومن محافظة بروكوبلا (Prokupa)، كان مجموع القرى 72 قرية، و1.785 بيتا، و13.239 نسمة.

فالمجموع 227 قرية، و5793 بيت، و42.300 نسمة. وهذه الإحصائية فقط للاستئناس، أما التفاصيل الأخرى المتعلقة بالبحث فلا أستطيع إثباتها هنا.

وهكذا ينتهي هذا الفصل المليء بالأحداث والتطورات الدامية، وإن المسلمين الألبان كانوا ضحية تلك التطورات في العصر الحديث في كل المستويات وكافة المجالات، فلا نستغرب إذن، إذا رأينا جهود علماء الألبان قد انصبّت أثناء هذه الفترة التاريخية الحرجة إلى قضيتين هامتين هما: الحفاظ على هوية الفكر الإسلامي الديني، والحفاظ على هوية الفكر الوطني الألباني. وأرجو من الله أننا قد وفقنا إلى توضيح وعرض بعض معالم تاريخ الألبان، والله أعلم.



خريطة من الخرائط الأصلية للأراضي الألبانية

قبل احتلال قوات التحالف الشرقي والغربي وتقسيمها في ما بينهم عام 1877

## الفصل الثالث

# الأوضاع الدينية في الأراضي الألبانية في العصر الحديث

## المبحث الأول: انتشار الإسلام في الأراضي الألبانية

### الخلفية التاريخية لظاهرة انتشار الإسلام

ترجع العلاقات الأولى للألبان مع العرب إلى عهد بعيد، وذهب بعض المؤرخين إلى أنها ترجع إلى ما قبل الميلاد<sup>(1)</sup>. والأراضي الألبانية نظراً لمواقعها الاستراتيجية الجغرافية، فإنها كثيراً ما شهدت تجاراً من مختلف البلاد العربية والتركية، وذلك إما لغرض التجارة وإما لنشر الإسلام<sup>(2)</sup>. وإذا عرفنا هذا يمكننا أن نقول إن دخول الإسلام وانتشاره في هذه البلاد كانت بذوره الأولى قد زُرعت من قبل هؤلاء التجار والزوار، وإن أرضها مُهدت من قبل هؤلاء. ولما جاء العثمانيون فاتحين، قاموا بتوسيع نطاق نشر الإسلام في نفوس وأهالي البلاد بشكل أكبر وفعال<sup>(3)</sup>.

---

(1) Mufaku, Muhamed, *Shqiptaret ne boten arabe*, 7.

(2) Ibrahim, Nexhat, *Islami ne Ballkan para shek. XV*, Zeri Islam, Prizren, 2000, 6; Ibrahim, Nexhat; *Islami ne trojet Iliro-Shqiptare gjate shekujve*, 179-193, 197-214, 220; Malcolm, Noel, *Kosova nje histori e shkurter*, 96-119; 120-143.

(3) انظر:

Duka, Ferit, *Momente te kalimit ne Islam te popullsise shqiptare ne shek. XV-XVII*, ne: *Feja, Kultura, dhe Tradita Islame nder Shqiptaret*, Kryesia e Bashkesise Islame te Kosoves, Simpozium nderkombetar, Prishtine, 1995, 119-126; Pulaha, Selami, *The Albanians in Kosova in the 12th -18th centuries in: Truth on Kosova*, 33-44.

إن المسلمين الألبان كانوا أغلبية ساحقة في البلقان مقارنة بالعرقيات الأخرى، وإن المسلمين سكنوا في الولايات الألبانية الأربع: كوسوفا، وإشقودرا، ومناستير، ويانينا<sup>(1)</sup>. أما طريقة كيفية انتشار الإسلام في هذه الأراضي، فإن الأقوال تشعبت والآراء تضاربت بين الكتّاب والباحثين الألبان. فمن قائل إن الإسلام انتشر عنوة وبالقوة وعن طريق السيف<sup>(2)</sup>. وبالطبع هذا كذب وافتراء، ومن قائل إن الإسلام انتشر في هذه الديار عن طريق السلم والصلح<sup>(3)</sup>، وطواعية عن طيب نفوس الألبان<sup>(4)</sup>، ولم يكن هناك إكراه وضغط على إسلامهم<sup>(5)</sup>. وهذا هو الصواب في ما يبدو لنا في هذه القضية المهمة. وهناك اتجاه ثالث يرى أن الإسلام سلك المسلكين معاً للانتشار، فتارة بالعنف والقوة، وتارة أخرى سلمياً<sup>(6)</sup>.

(1) انظر المراجع السابقة، وانظر مقالاً للكاتب كريستاش بريفتي Kristaq Prifti بعنوان:

*Popullsia Myslimane Shqiptare ne Ballkan ne fund te shek.XIX dhe ne fillim te shek. XX, ne: Truth on Kosova 153-166.*

(2) Zefi, Don Shan, *Islamizimi i Shqiptareve gjate shekujve*, Drita, Prizren, 2000, 57-86, 96, 102, 122, 123, 147, 148.

(3) Skendi, Stavro, *Zgjimi kombetar shqiptar*, 21-22.

(4) Pirraku, Muhamet, *Roli i Islamit ne integrimin e shqiperise etnike dhe te kombit shqiptar*, ne: *Feja, Kultura, dhe Tradita Islame nder Shqiptaret*, 41-58, 54.

(5) Hadri, Ali, *Historia e popullit shqiptar per shkollat e mesme*, Enti i teksteve dhe i mjeteve mesimore, Prishtine, 1967, 76.

(6) *Historia e popullit shqiptar, grup autoresh per vitine katert te shkolles se mesme*, vell.4-104; Thengjilli, Petrika, *Historia e popullit shqiptar*, 306-312; *Historia e popullit shqiptar*, vell.1, 342-344; Krasniqi, Mark, *Aspekte mitologjike-besime e bestytne*, Rilindja, Prishtine, 1997, 70-81.



مسجد تابانوتس في مقدونيا (Xhamia e Tabanocit) بُني في القرن السابع / التاسع الميلادي

قبل فتوحات العثمانيين في الأراضي الألبانية

يقول بعض المؤرخين الكبار في هذا الصدد:

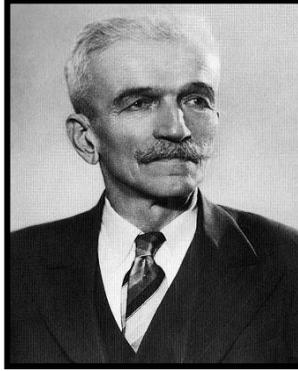
«لقد انتشر الإسلام بشكل كبير في المناطق البلقانية في الوقت الذي استقرت فيها الدولة العثمانية. الشعوب البلقانية دخلت الإسلام بطرق مختلفة. جل البوسنيين دخلوا الإسلام دفعة واحدة. ففي بدايات القرن السادس عشر في البوسنة والهرسك كان الإسلام هو المسيطر والمهيمن، فقبلت الحكم العثماني بلا أدنى مقاومة»<sup>(1)</sup>. والسبب في هذه الظاهرة يرجع إلى أن أهالي البوسنة كانوا ينتمون إلى الفرقة الدينية النصرانية الهرطقية المنشقة المسمى بوغوميلت (Bogumilet)، وتعاليم هذه الفرقة الخارجية والمنشقة كانت ضد تعاليم الديانة النصرانية الأرثوذكسية، وكانت قريبة من تعاليم الإسلام. ومع ذلك فإن البوسنيين لم ينصهروا في العرقية التركية، بل حافظوا على لغتهم وأعرافهم رغم دخولهم الدين الإسلامي. أما بالنسبة للصرب وأهل الجبل الأسود والبلغاريين والمقدونيين واليونانيين، فبسبب تأثير الكنيسة الأرثوذكسية فيهم، ولأجل تعصبهم الكبير، فإن جل هؤلاء لم يسلموا، والذين أسلموا منهم هم بضعة أفراد. وهؤلاء القلائل الذين أسلموا منهم انصهروا في القومية والعرق التركي مع الزمن، لأنهم كانوا قلة، لأن الكنيسة لم تكن تعترف بهم ولم تكن تقبلهم ولم تحسبهم من الصربيين، بسبب

(1) المرجع السابق، ص 70، 92.

ارتدادهم عن النصرانية ودخولهم في الإسلام. أما بالنسبة للألبان فإن عملية أسلمة هؤلاء كانت تتم بسرعة، وبشكل تدريجي ومستمر. للعوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية وغيرها، كما سنرى بعد قليل<sup>(1)</sup>.

وهكذا فمع حلول المنتصف الثاني من القرن السادس عشر، كان قد أسلم نصف الشعب الألباني في المدن. وفي القرن السابع عشر، كان الإسلام منتشرًا ومسيطرًا في القرى الألبانية أيضًا. والإسلام عمومًا لم يؤثر على لغة وأعراف وعادات الألبان، بحيث يجعلهم ينصهرون كليًا فيه. بل العكس هو الصحيح، فإن المشاعر الألبانية القومية تقوت ونضجت بسبب الإسلام<sup>(2)</sup>.

وحول حقيقة انتشار الإسلام سلمًا، ورد ما يثبت ذلك حتى من أعداء الإسلام. ذكر الأستاذ كلامًا عن مؤرخ صربي مشهور اسمه (Vladislav Skaric) (1869 – 1943) قوله:



فلاديسلاف سكارتش (Vladislav Skaric)

---

(1) ولأسباب قانونية أو قضائية أيضًا، ولم تكن هناك أسباب دينية رغبوا فيها كما زعم ذلك بعض الباحثين الرهبان من الألبان. انظر: Zefi, Don Shan, *Islamizimi i shqipetareve gjate shekujve*, 88, 101.

(2) Rizaj, Skender, *Kosova gjate shekujve XV, XVI, XVII, administrimi, ekonomia, shoqeria dhe levizja popullore*, 460-461.

«المحتل العثماني كان يتسم بالسماحة الدينية (Tolerance Fetare) ونادراً ما كان يكره الناس على الإسلام. النصارى كانوا يغيرون دينهم طواعية وعن طيب نفوسهم. أما الذين أسلموا بالقوة فهم كانوا أولاد النصارى الذين كانوا يخدمون الخدمة العسكرية لدى الدولة العثمانية ويؤخذون وهم صغار»<sup>(1)</sup>.

وهكذا، انتشر الإسلام سلماً، ودخل الناس في دين الله أفواجاً وهم فرحون، وانقادوا إليه وهم راضون. وذاقوا حلاوة الإيمان بعد أن عانوا الويلات الكنسية والتعذيب الوحشي. وبعد أن عانوا من الضغط والاضطراب النفسي والروحي والذل الاجتماعي الكثير قبل إسلامهم. فلما رأوا الحق في دين الإسلام، وأنهم أصبحوا أعزة بعد أن كانوا أذلة، وأنهم أصبحوا أقوياء بعد أن كانوا ضعفاء، وأنهم أصبحوا حكاماً وقادة بعد أن كانوا عبيداً ومحكومين، وأنهم أصبحوا أغنياء بعد أن كانوا فقراء، وأنهم رأوا النور الإلهي والهدى الرباني، بعد أن كانوا في ظلمات عقيدة التثليث والشرك، وظلمات الكفر والطاغوت، وظلمات الفقر والبؤس، وظلمات بعضها فوق بعض.. أقول، ازداد حب الألبان للإسلام، وانقلبوا إليه وهم آمنون ومطمئنون، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

والذين يدعون إن الإسلام انتشر بالقوة بين الألبان هم إما من الطبقة الماركسية اللينينية الملحدة، وإما من الرهبان الكاثوليك الذين تربوا في أحضان الفاتيكان في روما. كل هذه الحملات ضد المسلمين الألبان هي من ضمن المخططات الصليبية التنصيرية الأوروبية من خلال بث الشكوك والشبهات في قلوب المسلمين، والله أعلم.

---

(1) المصدر السابق، ص 461-462.

## المبحث الثاني: دوافع وأسباب إسلام الألبان

وأما موضوع الدوافع والأسباب<sup>(1)</sup>، التي دفعت بالألبان إلى الإسلام، ومعرفة تلك الأسرار والنوايا، فأمرها صعب للغاية، ونكّل ذلك إلى الله -عزَّ وجلَّ- الذي يعلم السر وأخفى، وهو الوحيد المطلع والعليم بما في صدور العالمين. وبما أن طبيعة هذا الموضوع محاطة بالظروف الاجتماعية والعرقية والسياسية والجغرافية والقومية، ولأن المصادر قليلة ومحيدة، فإننا لا نجزم ولا نقطع في بيان سبب إسلام الألبان في هذه القضية، والله أعلم<sup>(2)</sup>.

ورغم صعوبة هذا الموضوع، إلا أن العلماء والمؤرخين الألبان المختصين بتاريخ الدولة العثمانية وتاريخ الألبان، حاولوا أن يستتجوا من خلال دراستهم لتواريخ البشر والحضارات الأخرى سبب انتقال الألبان إلى الإسلام، وقدموا لنا بعض الآراء المفيدة حول هذه القضية.

ذهب بعض علماء التاريخ إلى إنه كان هناك دافع كبير ومهم للغاية دفع بالألبان إلى اعتناق الإسلام. هذا الدافع هو دافع نفسي روحي قوي، ويكمن سره في تاريخ الحروب الدينية الهرطقية الصليبية مع الإسلام منذ القرن العاشر الميلادي في المناطق البلقانية. ثم في تاريخ الحروب والنزاعات والخلافات الكنسية اليونانية والكاثوليكية اللاتينية التي وقعت بين القرن الثاني عشر والرابع عشر على أساس النزاع والاستيلاء على الشعوب البلقانية. هذه الأحداث والحروب ولدت لدى الشعوب الألبانية نوعاً من الاشمئزاز والابتعاد عن الكنيسة وأتباعها، فبحثوا عن مخرج ودين جديد<sup>(3)</sup>، ولم يجدوا غير الإسلام ديناً يفي بحاجاتهم الروحية والبدنية، وحاجاتهم الدنيوية والأخروية، فبالتالي اختاروا الإسلام ديناً لهم.

---

(1) حول دوافع وأسباب إسلام الألبان انظر أيضاً:

Ahmeti, Abib, *Theranda-Prizreni nder shekuj*, 84-90; Krasniqi, Mark, *Aspekte mitologjike-besime e bestytni*, 70-81.

(2) Pirraku, Muhamed, *Shkaqet e kalimit ne Islam te shqiptareve ne: Perparimi*, reviste shkencore, Prishtine, 1991, viti XLV. 2, 185-186.

(3) انظر:

إن تأثير الإسلام في الألبان كان كبيراً للغاية، إذ إن هذا الدين لعب دوراً كبيراً وفعالاً في حياتهم، ولا سيما في تكامل الوحدة العرقية والثقافية والسياسية والقومية الألبانية. والإسلام بخصائصه ومبادئه السمحة الإنسانية والاجتماعية، لم يكن عقيدة فحسب، وإنما كان منهجاً قيماً للحياة الفردية والجماعية، وكان أسوة حسنة يُقتدى به، وثقافة حية ذات خصائص ربانية، موصوفة بالشمولية، والخلقية، والدينية، والتعليمية، والنقدية، والاجتماعية، والقضائية، والتقنية، والعلمية والفلسفية.. ولم يكن الإسلام دين الأتراك فحسب، وإنما هو دين عالمي ورسالة عالمية للناس كافة. وما كان حق الألبان في الإسلام أقل من حق الأتراك حتى يحرم الألبان منه. وإن الإيمان بالله سبحانه وتعالى، التقدير على كل شيء، هو الذي دفعهم إلى نبذ عبادة الأصنام والأشخاص. كل هذه الخصائص والأسباب، كما دفعت بالعرب قبلهم إلى الإيمان بالله تعالى، فإنها كذلك دفعت الألبان إلى اعتناق الإسلام، وإن هذه التعاليم الإسلامية كانت أقرب إلى إدراك الألبان من بقية الفلسفات والعقائد والأديان الوضعية البشرية الأخرى المعقدة<sup>(1)</sup>.

وأما الذين أسلموا أولاً من الألبان، فيرى البعض أن: «طبقة الأشراف من الألبان كانت هي الأولى في قبول الإسلام، لأجل الحفاظ على مناصبها العليا، ولأجل انضمامها إلى الطبقة العسكرية الحاكمة لدى الدولة العثمانية. هذا صادف رغبة بعض الألبان وأطماعهم للحصول على الأموال والاستيلاء على المناصب العليا لدى الدولة العثمانية التي كانت أكبر قوة عالمية في ذلك الوقت»<sup>(2)</sup>. ويبدو لي أن هؤلاء الذين أسلموا لهذا الغرض قلة قليلة، ولا يعمم ذلك على جميع الذين أسلموا.

---

Piraku, Muhamet, *Roli i Islamit ne integrimin e shqiperise etnike dhe te kombit shqiptar*, ne: *Feja, Kultura, dhe Tradita Islame nder Shqiptaret*, 42, 44.

(1) انظر مقالاً للأستاذ الكبير محمد بيراقو (Muhamet Piraku) عن أسباب إسلام الألبان في:

Ahmedi, Muhidin, *Rreth perhapjes se Islamit nder shqiptaret*, Penda, Prizren, bot. II, 25- 34.

(2) Rizaj, Skender, *Kosova gjate shekujve XV, XVI, XVII, administrimi, ekonomia, shoqeria dhe levizja popullore*, 463; Zefi, Don Shan, *Islamizimi i Shqiptareve gjate shekujve*, 62-63.



المؤرخ الكوسوفي البروفيسور محمد بيراقو

ويرى بعض الباحثين النصارى من الألبان، أن النقص الكبير في رجال الدين الأرثوذكس والكاثوليك، أدى بهؤلاء الذين لم تكن عندهم حصانة فكرية وعقدية كافية إلى أن يرتدوا عن دينهم ويدخلوا الإسلام<sup>(1)</sup>.

هذه أكذوبة تاريخية أخرى، بدليل أن البابا في الفاتيكان كان على اتصال دائم بهم ويدعمهم مادياً ومعنوياً، ولم يتخل عنهم في أي حال من الأحوال إلى يومنا هذا.

ومن جملة أسباب إسلام الألبان أيضاً، أن هذا الدين كان أكثر تحملاً وانفتاحاً من الديانة الأرثوذكسية، وكان بسيطاً وسهلاً للتطبيق والممارسة اليومية، وأن أولاد الطبقة السفلى من الألبان كانوا يتلقون التعليم المجاني، وكان يمكن لهم أن ينتقلوا من طبقة إلى طبقة أعلى أفضل وأحسن، وذلك بفضل الإسلام، وليس كما كانت الحال في أوروبا وفي النظام الصربي الإقطاعي<sup>(2)</sup>. إذن فالإسلام كان يرفع من شأنهم ويضمن لهم حياة اجتماعية أفضل من جميع النواحي، ويجمع لهم بين خيري الدنيا والآخرة.

(1) انظر: Skendi, Stavro, *Zgjimi kombetar shqiptar*, 22-23.

(2) للتوسع في هذا الموضوع انظر:

Rizaj, Skender, *Kosova gjate shekujve XV, XVI, XVII, administrimi, ekonomia, shoqeria dhe levizja popullore*, 473-474.

وأما كيفية دخول الألبان في الإسلام، والمراسم التي كانت تقام أثناء إسلام المرء وغيرها، فينقل لنا المؤرخون أن: «الانتقال من الديانة النصرانية إلى الإسلام كان يتم عن طريق مراسم وطقوس معينة. أحياناً كان يسلم رب البيت أو الأسرة كلها، أو أحد أفراد الأسرة، بحسب رغبة الشخص. والشخص الذي عزم على الإسلام كان مطالباً بأن يحضر بعض الشهود، عدولاً ومسلمين. ثم إن هؤلاء جميعاً كانوا يذهبون إلى القاضي الشرعي في المدينة، وأمام القاضي كان يتم الإدلاء والإقرار والنطق بالشهادتين من الشخص الذي كان يريد أن يسلم. كان يعلن أنه لم يكن مكرهاً من أحد على اعتناق الإسلام وعلى قبول هذا الدين الصحيح، وأنه نفسه أبدى رغبته للانتقال من الديانة النصرانية المنحرفة إلى الإسلام. وبعد هذا الإقرار، كان القاضي يلقنه الشهادتين، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وبعد ذلك يقوم القاضي بتسجيل الاسم في السجلات، وكان يتم اختيار اسم جديد له من أسماء المسلمين. وكذلك كان يتم تسجيل أسماء الشهود في السجل المذكور من قبل القاضي»<sup>(1)</sup>.

فكما رأينا لم يكن هناك إكراه ولا ضغط ولا سيف، لإجبار الألبان على اعتناق الإسلام، وكانوا يعلنون انتقالهم من الديانة النصرانية إلى ديانة الإسلام مختارين دون أدنى إكراه. والإسلام، كما يقول الباحثون وجمهور المؤرخين المنصفين، كان له فضل كبير على الألبان، إذ إنه أنقذهم من الضياع، ومن الانصهار الثقافي والديني في الثقافة والديانة النصرانية الصربية واليونانية، وذلك من خلال تنصير الألبان بالتدريج وبالقوة والإكراه.

---

(1) Rizaj, Skender, *Kosova gjate shekujve XV, XVI, XVII, administrimi, ekonomia, shoqeria dhe levizja popullore*, 470-472;

ويراجع حول هذا الموضوع أيضاً دراسة الأستاذ محي الدين أحمددي، التي جمع فيها بعض المقالات المهمة المتعلقة بانتشار الإسلام في الأراضي الألبانية، للكتاب والباحثين الألبان وغيرهم، بعنوان:

Ahmedi, Muhidin, *Rreth perhapjes se Islamit nder shqiptaret*, Arnold, Thomas.W: *Perhapja e Islamit ne Shqiperi*, 5-24.

إن الإسلام أفرَّ كثيراً من عادات وتقاليد وأعراف الألبان الموروثة. والألبان بدخولهم الإسلام كانوا يحتفظون بلقب من أيام الدولة العثمانية إلى يومنا هذا؛ «الأرناؤوط»، للتمييز عن المسلمين الآخرين ذوي العرقيات الأخرى<sup>(1)</sup>.

وأما عن الأضرار الناجمة من عدم إسلام بعض الألبان، والخسارة التي لحقت بهم في مختلف الأصعدة فحدّث ولا حرج. فقد ذكر المؤرخون أن دور الكنيسة ورجال الدين النصراني كان لهم موقف معادٍ وسلبى تجاه مصالح الألبان القومية والوطنية. فالذين لم يسلموا من الألبان الكاثوليك في شمال البلاد، المنتمين إلى القبيلة المشهورة حتى اليوم المسماة غيغت (Gegët)، هؤلاء انصهروا في الديانة والقومية الصربية وأهل الجبل الأسود كلياً (Asimilim të) ولم يبق لهم ذكر! وقد أصبحوا صرباً فعلاً. وأيضاً الذين لم يسلموا من الألبان الأرثوذكس في جنوب البلاد المنتمين إلى القبيلة المشهورة المسماة توسكت (Toskët)، هؤلاء أيضاً انصهروا في القومية والديانة اليونانية الأرثوذكسية المتعصبة وأصبحوا يونانيين. أما المشايخ ورجال الدين الإسلامي من الألبان، فهؤلاء أيضاً لم يألوا جهداً في أسلمة الشعوب الألبانية الكاثوليكية والأرثوذكسية ونشر الإسلام فيهم، لإنقاذهم من ضياع الهوية الألبانية والذوبان التام في العرقيات والقوميات الأخرى<sup>(2)</sup>.

إذن، لولا فضل الله بامتنان الإسلام على الألبان لانصهروا جميعاً في الديانة والقومية الصربية واليونانية وغير ذلك.

ويجدر أن نذكر هنا أن الألبان قوم فيهم عزة وكرم، وقد لاحظوا أن الإسلام ليس ضد هذه الخصال وهذه الطبيعة الإنسانية العالية، ففي الإسلام لا يُدُلُّ أحد، وبإمكان الشخص أن يحتفظ بهويته الأصلية، ونسله وعاداته الحسنة. فالألبان عموماً قديماً وحديثاً كرهوا الخضوع والعبودية ورفضوا أن يكونوا عملاء، فلما رأوا أن الإسلام يتناسب مع طبيعتهم اعتنقوا هذا

(1) انظر: المصدر السابق، ص 474.

(2) المصدر السابق، ص 475.

الدين الحنيف أفواجاً، وشغلوا مناصب إدارية عليا لدى الدولة العثمانية، وأصبحوا سادة أعزاء كرماء، ولعل هذا العامل من أهم العوامل التي دفعت بالألبان إلى الإسلام. والله أعلم.

هذه هي بعض العوامل والأسباب المستتجة من التاريخ من قبل العلماء والباحثين. ولا شك أنه قد تكون هناك أسباب أخرى شخصية لا يعلمها أحد إلا الله تبارك وتعالى. فكما قلنا؛ إن العقيدة والإيمان قضية سرية خافية، لا يطلع عليها أحد إلا الله -عزَّ وجلَّ-. فكل الذي قيل آنفاً يدخل في باب الاحتمالات والاستنتاجات الظاهرة. ويبدو لي أن الله سبحانه أراد بحكمته وفضله ورحمته أن يهديهم وينقذهم من ظلمات الضلال والكفر والشرك إلى نور الإسلام وهداية القرآن، وهو الذي قال في القرآن الكريم: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ (الأنعام: 125).

حقاً لقد شرح الله -عزَّ وجلَّ- صدور هؤلاء للإسلام، واهتدوا إليه بسبب ما وجدوا فيه من خصائص ومقومات عظيمة، مثل شموليته لجميع جوانب الحياة، عرضاً وطولاً وعمقاً، ويسره وسهولة التطبيق، وتوازنه ووسطيته. إن من أجل مظاهر الوسطية في هذا الدين أنه يجمع بين الثبات والمرونة، والرخصة والعزيمة، وبين احتياجات الروح والجسد، والدنيا والآخرة، وأنه دين رباني، رباني الأصل والغاية والوجهة<sup>(1)</sup>.

إن الألبان الذين اختاروا الإسلام كانوا أهل فكر وعقل، فلما رأوا أن الإسلام يهدف إلى بناء الإنسان الصالح، وبناء الأسرة الصالحة، وبناء المجتمع الصالح، وبناء الأمة الصالحة، وبناء الدولة الصالحة.. سارعوا إلى اعتناق هذا الدين ولم يرتابوا<sup>(2)</sup>، وشعروا بالحاجة النفسية والروحية إلى الشرع الإلهي الذي هو «كهف الأمان للناس، يلوذون به إذا اضطرت بهم المسالك، وتفرقت بهم السبل، والتبست عليهم الغايات، واختلفت عليهم الأدلة، هناك يجدون

(1) انظر للتوسع هذا المصدر للشهيد الإمام حسن البنا -رحمه الله-، مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1992، ص 113، 155، 223-243، وهذه المراجع للشيخ العلامة يوسف القرضاوي: المدخل لدراسة السنة النبوية، د. م، ط 3، 1992؛ مدخل لمعرفة فهم الإسلام، القاهرة، مكتبة وهبة، ط 3، 133-190؛ المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة.. ضوابط ومحاذير في الفهم والتفسير، القاهرة، مكتبة وهبة، د. ط، ص 240.

(2) المرجع السابق، ص 190-269.

الهدى من حيرتهم والأمن من خوفهم، والسكينة من قلقهم، ويستتنبون الرشد من الغي، ويخرجون من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد<sup>(1)</sup>.

وأما ما ذكره بعض الباحثين الرهبان من الألبان، من أن إسلام الألبان كان نفاقاً وظاهراً ولم يكن حقيقة، وأنهم قد ارتدوا في حالات كثيرة بعد فترة زمنية قصيرة بسبب ضعف إيمانهم، كما أنهم يتبعون دين ملوكهم للحصول على المصالح الدنيوية، وأنهم قوم سرعان ما يغيرون آراءهم ودينهم<sup>(2)</sup>، وما إلى ذلك من الترهات والأكاذيب.

أقول إنه قد يكون لهذه الافتراءات والأكاذيب شيء من الصحة نسيغاً، وربما وجدت حالات فردية، هنا أو هناك، لكن لا عبرة بها ولا يستلزم أن يكون هذا النفاق عاماً وشاملاً لجميع المسلمين منهم. وأستدرك وأقول: إنه ليس فقط المجتمع الألباني فيه هذه الظاهرة، وإنما يمكن أن يحدث ذلك لكل أحد منا إذا أسلم حديثاً ولم يجد من يعلمه ويرشده ويقوّي إيمانه. إن أصحاب رسول الله ﷺ عندما أسلموا كانوا يجدون أنصاراً في أغلب الأحوال من المسلمين الآخرين. كانوا يتناصحون في ما بينهم، وكان بعضهم أولياء بعض، وكانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويطيعون الله ورسوله. ومع ذلك وجدت في أوساط هؤلاء الصحابة الأكارم طبقة من المنافقين المعروفين في تاريخنا الإسلامي. وأما الألبان المسلمون الجدد فلم يكونوا يجدون أنصاراً لهم في بداية الأمر. لا يمكن لهذا الابن الذي أسلم حديثاً أن يجد نصيراً أو معيناً، فهو يعيش مع أفراد أسرته في وسط بيئة كافرة من النصارى. أتى يمكن أن يزيد إيمان هذا المسلم الحديث، وأنى له أن يسلم من الشبهات، ونحن نعلم أن الإيمان يزيد بالطاعات والعبادات وينقص بالذنوب والمعاصي؟ فلا عجب إذن أن ترى بعض حالات

---

(1) القرضاوي، يوسف، المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة، 340، وانظر: تليمة، عصام، القرضاوي فقيهاً، بور سعيد، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1، 2000، ص57-87.

(2) انظر:

Piraku, Muhamed, *Kultura kombetare shqipatre deri ne lidhjen e Prizrenit*, 279, 283, 289; Nathalie, Clayer, *Islam, State and society in post-communist Albania*, at: *Muslim Identity and the Balkan state*, 115-138.

الارتداد عن الإسلام في تاريخ الألبان. والهدف من إحياء هذه الفكرة؛ أي ذكرى فكرة الارتداد، هو تذكير الألبان المسلمين بماضيهم المسيحي حتى يرتدوا عن الإسلام من جديد، ويروج لها بعض الرهبان الكاثوليك من الألبان في بلادنا في الآونة الأخيرة، والله متم نوره ولو كره الكافرون والمشركون في كل زمان ومكان، والله أعلم.

## المبحث الثالث: عوامل ازدهار إسلام الألبان

وهكذا، فما إن استقر الإسلام في نفوس الألبان<sup>(1)</sup>، حتى بدأت الحياة بمظاهرها المختلفة تدب في أوساط الشعب الألباني في مختلف المجالات، التعليمية والمعمارية والدينية وغيرها. بدأ الألبان المسلمون ببناء دور العبادة مثل المساجد والجوامع لإقامة الشعائر الدينية اليومية والأسبوعية والسنوية. ويعود تاريخ بناء المساجد والجوامع إلى بدايات تاريخ مجيء الدولة العثمانية إلى هذه الديار. والدليل على ذلك هو المساجد الموجودة والمبنية منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا. فمثلاً تجد تواريخ البناء لبعض المساجد في ولاية كوسوفا-مدينة بريزن (Prizren)، باسم غازي محمد باشا، ويُطلق على هذا المسجد أيضاً اسم (Bajrakli Xhami) وبني في سنة (1573-1574)، ومسجد آخر اسمه سنان باشا (Sinan Pasha) بني بسنة 1615، وغيرها من المساجد الكثيرة التي لا يسع المقام لذكرها، التي تعود تواريخ بنائها إلى بضعة قرون<sup>(2)</sup>.

في مدينة بريزن في كوسوفا، مدينة كاتب هذه السطور:



Xhamia e Sinan Pashës-Prizren & Xhamia e Mehmet Pashes Bajrakli Prizren

مسجد محمد باشا بيراقلي & مسجد سينان باشا في بريزن مدينة كاتب هذه السطور

(2) انظر الدراسة عن المعمار الإسلامي العثماني لمساجد مدينة بريزن بعنوان:

Virmica, Raif, *Prizren camileri*, Turk Demokratik Yayinlari, Prizren, 1996, 13-14, 16, 23, 24, 37; Zekaj, Ramiz, *Zhivillimi i kultures Islame nder shqiptaret gjate shek. XX*, 153-163. Miftari, Faik, *Pakes drite per Kosoven*, NGL-BAF, Prizren, 2001, 31-38.

بجانب ذلك فإن التصوف بمختلف طرقة وفرقه كان قد أرسى جذوره في هذه الأراضي. فكنت ترى بجانب تعمير المساجد تعمير الزوايا والتكايا لممارسة الشعائر والطقوس الدينية الصوفية بفرقها المختلفة. ومع حلول المنتصف الثاني من القرن العشرين، أصبحت هذه المساجد والتكايا ملكاً للدولة، ودخلت تحت حماية الدولة قانونياً<sup>(1)</sup>.



تكية الطريقة الصوفية الخلوتية في مدينة بريزن (Teqja: Halveti në Prizren)

إحدى هذه الفرق الصوفية وهي البكتاشية أو العلوية النصيرية، في الأراضي الألبانية، كانت قد وجدت بعض الأنصار والمؤيدين من الشعب الألباني، ودعمًا ماليًا ومعنويًا من الدول غير الإسلامية الكاثوليكية والأرثوذكسية المجاورة لألبانيا، مثل إيطاليا واليونان، وذلك لأجل العقائد والأفكار التي كانت متشابهة لتعاليم الديانة النصرانية إلى حد كبير<sup>(2)</sup>.

(1) حول تاريخ الطرق الصوفية وتاريخ التكايا والزوايا انظر دراسة المؤرخ بعنوان:

Rexhepagiq, Jashar, *Dervishet, rendet dhe teqet ne Kosove ne Sanxhak dhe ne rajonet per rreth*, Dugagjini, Peje, 1999, 155-217, 219-264.

(2) حول تعاليم هذه الفرقة الصوفية الضالة، انظر:

Kingsley, John Birge, *The Bektashi Sufi order of dervishes*, Hartford Seminary Press, Hartford, Conn, USA, 1937. Salihu, Hajdar, *Poezia e bejtexhinjeve*, Rilindja, Prishtine, 1987, 85-120; Baba Selim Rexhep Kalicani, *Testamenti Bektashian*, Marin Barleti, Tirane, 2000, 43-108; Baba Selim Rexhep Kalicani, *Dede Ahmedi i gjalle mes nesh*, Fushe Kruje, 2000; Hoxha, Hajredin, *The Bektashi Sufi order, it's history and*

أما التعليم، فإنه كان يمارس في المدارس والمكتبات الدينية باللغة التركية والعربية، وعلى هذا النظام كان حال الأراضي الألبانية منذ القرن السادس عشر، إلى الربع الأول من القرن التاسع عشر. المشايخ ورجال الدين الإسلامي كانوا يُعلّمون ويُدرّسون التلاميذ قراءة القرآن والكتابة بالأبجدية العربية. في المدن الكبيرة فتحت بعض المدارس الكبيرة الثانوية، ومعظم المواد الموجودة فيها كانت مواد دينية. حول هذه القضية المهمة وحول هذا العامل الفعال، نرى من الفائدة نقل كلام الأستاذ الدكتور رامز زكاي في رسالته للدكتوراة عن تطور الثقافة الإسلامية لدى الألبان، حيث قال: «بعد أن دخل الإسلام وانتشر في هذه الأراضي، شرع المسلمون في تنظيم مناهج ومراحل الدراسة الإسلامية. فُنيت المدارس والمكاتب بهدف تثقيف وتعليم الشعب مبادئ الدين الإسلامي الأولية. وهذه المدارس فُتحت في كوسوفا ومقدونيا وفي بعض المدن الأخرى في اليونان. هذه المدارس والمكاتب كانت تعمل وتؤدي رسالتها بجانب المسجد بشكل منتظم، فقد كان يعمل فيها الأئمة والخطباء. نظام التعليم فيها كان مختلطاً، وأعمار التلاميذ كانت تتراوح بين 6-7 سنوات إلى 14 أربعة عشر عاماً. المواد المقررة كانت بالعربية، لكن الشرح والتلقين كان باللغة الألبانية. تعليم القرآن الكريم وتفسيره كان يُعطى لهما أولوية خاصة. هذا النوع من الدراسة الابتدائية كان يستمر ثلاث سنوات، وتُسمى «مدارس المرحلة الرشدية». بعد استقلال ألبانيا، وبعد احتلال يوغسلافيا لجزء كبير من أراضيها، منع في تلك المدارس التعليم باللغة الألبانية. المكاتب الإسلامية بجوار المساجد أغلقت أيضاً في اليونان بعد الحرب البلقانية 1912-1913 إلى يومنا هذا. المسلمون في الأراضي الألبانية المحتلة في كوسوفا ومقدونيا والجبل الأسود في ما بعد، نظّموا تعليم وممارسة الدين عن طريق المشيخة الإسلامية التي اهتمت بالغ الاهتمام بتعليم الأجيال الجديدة وتثقيفها. مع بدايات القرن العشرين اشتهرت في ألبانيا بعض مكاتب التعليم الإسلامية، مثل تلك التي كانت في مدينة إشقودرا وتيرانا وغيرها من المدن. وتشير بعض

---

*doctrines*, 2000, I.I.U., Kuala Lumpur, Malaysia; Vishko, Ali, *Harabati teqe e Tetoves dhe veprimtaria ne te ne periudhen kalimtare*, Design, Tetove, 1997; Dela Roka, Roberto Moroco, *Kombesia dhe feja ne Shqiperi 1920-1944*, Perktheu nga Italishtja, Luan Omari, Elena Gjika, Tirane, 1994, 37-44; Norris, H.T, *Islam in the Balkans-religion and society between Europe and Arab World*, 89, 123, 169, 174, 190, 211.

السجلات والوثائق العثمانية إلى أن انتشار المدارس تم بشكل كبير في المناطق الشمالية والجنوبية في ألبانيا. وأن بعض المشايخ والمدرسين مثل الشيخ الحافظ عمر شمس الدين (Hafiz Ymer Shemsedini)، استعمل أبجديتين أثناء التدريس. الأولى كانت الأبجدية العربية للمواد الدينية، والثانية كانت الأبجدية اللاتينية للمواد العلمية أو الطبيعية باللغة الألبانية. وبعد الحرب البلقانية توقفت عملية التعليم لفترة ما، وتحولت المدارس إلى مستودعات وإلى إصطبلات للحيوانات ومأوى للمهاجرين، كما كان ذلك في مدينة بيا - الكوسوفية (Peja) وغيرها من المدن. وتشير إحدى الوثائق الصربية التي أرسلها وزير الشؤون الدينية الصربية إلى وزارة التربية في بلغراد سنة 1923، إلى أن التعليم الديني لدى الألبان المسلمين قضية معقدة ومهمة للغاية. في هذه المناطق يوجد قرابة خمسين مفتياً دينياً، ويوجد قرابة 600 إمام وخطيب، ولا أحد منهم يجيد اللغة الصربية، الكل تربوا ضد الدولة الصربية. ولا تخلو مدينة أو قرية من تلك المدارس الدينية، إلا وهي مدعمة من أهل تلك المدينة أو القرية. وفي هذه المدارس لا يتعلمون إلا البغض والعداوة للصرب»<sup>(1)</sup>.

ثم يتابع الأستاذ المذكور قائلاً إنه: «رغم الضغوط والقيود الدولية في منع التعليم الديني، إلا أن هذه الحركة استمرت ولم تتوقف بحمد الله تعالى. فمثلاً في كوسوفا سنة 1936، كانت تعمل هذه المدارس الابتدائية والإعدادية، وسميت «مكتب الصبيان» (Sibjan Mejtepi). وفي عاصمة كوسوفا؛ بريشتنا، وضواحيها كان هناك 33 مكتب تعليمي للصبيان. وفي سنة 1936 في مدينة مترو-ويسا (Mitrovica) في كوسوفا، كانت هناك مدرسة أيضاً بهذا الاسم، فقد كان عدد الصبيان-البنين والبنات 216 تلميذاً. وخلال سنة (1932-1938) في مدينة جاكوفا (Gjakova) الكوسوفية وضواحيها، فتحت مدارس أخرى أيضاً، وكان يتوقع أن تفتتح المدارس الأخرى لكي يصل عددها إلى 80 مدرسة. وبعد الحرب العالمية الثانية، اشتدت في

---

(1) انظر للتوسع:

Zekaj, Ramiz, *Zhvillimi i kultures islame nder shqiptaret gjate shek.XX*, 74-79,

أخذاً عن:

Arkivi i Jugosllavise, *Ministarstvo Pravde Kraljevine Jugoslavije -Versko Odelenje*, 129, 4814/19.

ألبانيا الأوضاع وأصبح شبه مستحيل فتح المدارس بسبب قرارات الدولة العلمانية ضد الدين. وقد أغلقت جميع تلك المدارس، ولم تعمل واحدة منهن لعدة عقود. أما الألبان في الأراضي الكوسوفية والمقدونية فلم يتوقفوا عن التعليم، بل واصلوا التعليم والتعلم، رغم أن المعلمين والمشايخ في هذه الظروف لم يكونوا يتقاضون أجره مالية على ذلك. المدارس الدينية الثانوية وجدت أيضاً في المدن الأخرى في الأراضي الألبانية مثل: Shkupi ، Prizreni ، Shkodra، Tetova، Janina، Ulqini، Vlora، Berati، Elbasani. وفي مدينة إسكوبيا-مقدونيا التي فيها مدرسة ثانوية عريقة أُسست منذ أربعة قرون في أيام الدولة العثمانية، وتحمل اسم المدرسة الدينية عيسى بك (Medresja e Isa Beut). وفي مدينة بريشتنا-كوسوفا، توجد مدرسة دينية أيضاً باسم علاء الدين (Medresja Alauddin)، وبفروعها وشعبها المختلفة في المدن الأخرى. وقد تخرجت فيها الأجيال الكثيرة من طلبة العلم الشرعي والأبطال والعلماء والله الحمد والمنة<sup>(1)</sup>.



لثانوية الشرعية (عيسى بك (بيو)) في عاصمة دولة مقدونيا الشمالية

**Medresja e Isa Beut-Shkup**

الثانوية الشرعية (علاء الدين) في بريشتنا

**Medresja Alauddin - Prishtinë**

فبجانب هذا الازدهار الديني الإسلامي التعليمي الكبير، كان هناك جانب آخر من ازدهار الدين النصراني، فقد كانت تفتتح المعابد والكنائس الأرثوذكسية والمدارس التابعة لها باللغة

(1) المرجع السابق، ص 81-85.

اليونانية والمدعمة من قبل الدول الأرثوذكسية. فقد كانت هناك حركة قوية وحملة شرسة دينية كاثوليكية ضد الإسلام. فقد قام بعض الرهبان الألبان بفتح المدارس باللغة الإيطالية أيضاً، ومن هؤلاء الرهبان الكاثوليك بدأ تعليم اللغة الألبانية في تلك المدارس رغم قلة عدد التلاميذ فيها، فقد كان لا يتجاوز العشرة في كل مدرسة، واشتهر من هؤلاء الرهبان: ( Pjeter Budi:1566-1622) و(Frang Bardhi:1606-1643) (Andrea Bogdani:1600-1683)<sup>(1)</sup> الذين ما زالوا يُقدَّسون إلى يومنا هذا من قبل الألبان الكاثوليك والماركسيين العلمانيين من المسلمين. وفي غضون هذه الظروف فتحت مطبعة نصرانية لطباعة الكتب والرسائل. وهؤلاء الرهبان بنوا ومارسوا مناهج غربية بحتة في التعليم، وقد تخرجت في تلك المدارس طبقة مثقفة علمانية من الألبان على النمط الغربي. هذا الازدهار الديني النصراني، وهذه الحملة الأثمة ضد الإسلام كانت قد بدأت منذ بدايات القرن التاسع عشر<sup>(2)</sup>.



Frang Bardhi فرانغ باردي



Pjeter Budi بيتر بودي

والذي يجدر ذكره هنا، أن الحركة القومية الألبانية في عصر النهضة، أي ابتداء من القرن السابع عشر إلى نهاية التاسع عشر، كانت قد وصلت إلى ذروتها في الجانب الأدبي القومي والوطني الديني. تمثلت مظاهر هذه الحركة في كتابات المؤلفين الإسلاميين بالأبجدية

(1) [https://en.wikipedia.org/wiki/Andrea\\_Bogdani](https://en.wikipedia.org/wiki/Andrea_Bogdani)

(2) انظر:

*Historia e popullit shqiptar*, vëll.4,100; Pirraku, Muhamed, *Kultura kombetare shqiptare deri ne lidhjen e Prizrenit*, 274, 278, 280, 456.

العربية<sup>(1)</sup>، مثل دواوين الشعر والنثر لبعض علماء التصوف وغيرها. بعض تلك الدواوين تُرجمت من اللغة العربية والتركية، وأكثرها من اللغة الفارسية<sup>(2)</sup>. وهذا أيضاً ازدهار إسلامي آخر، كان يصحبه التصوف بمختلف طرقه وفرقه<sup>(3)</sup>.

ومن الشعراء والكتّاب الألبان المعروفين الذين أسهموا بكتابتهم في مجال التصوف:

(من أقطاب الفرقة الصوفية البكتاشية، Naim Frasheri، Sami Frasheri، Abdyl Frasheri، Hasan Zuko Kamberi، Sulejman Naibi، Shejh Kadria، Nezim Frakulla، Dervish Hasani، Baba Abidin Leskoviku)<sup>(4)</sup>.

---

(1) انظر: موفكو، محمد، الأجدية العربية في الثقافة الألبانية، ص 5-40، وانظر: ملاح عربية إسلامية في الأدب الألباني، ص 60-67، لنفس المؤلف المذكور، وانظر:

Pirraku، Muhamed، *Gjurmime albanologjike-seria e shkencave filologjike* 16-1986، Instituti albanologjik i Prishtines، Prishtine، 1987، 197-212؛ Pirraku، Muhamed، *Gjurmime albanologjike-Seria e shkencave filologjike IX-1979-1980*، 203-236؛ Frasheri Naim، *Vepra Letrare 5*، Tirane، 1996، Qerbelaja، 13-316.

(2) انظر:

Pirraku، Muhamed، *Kultura kombetare shqiptare deri ne Lidhjen e Prizrenit*، 456.

(3) عن التصوف وحركته وتعاليمه وموقف بعض العلماء الكبار منه، انظر: درنيقة، محمد أحمد، والمصري، سوهام توفيق، ابن تيمية والصوفية، طرابلس، مكتبة الإيمان، ط 1، 1992، ص 53-167. وانظر: بدوي، عبد الرحمن، شطحات الصوفية، الكويت، وكالة المطبوعات، ط 2، 1976، ص 7-48؛ فتاح، عرفان عبد الحميد، نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، بيروت، دار الجيل، ط 1، 1993، ص 27-249؛ ابن الجوزي، علي حسن علي عبد الحميد، المنتقى النفيس من تلبس إبليس، دار ابن الجوزي، د. م. د. ط. د. ت، 513-208؛ الكلابادي، أبو بكر محمد: ت 358 هـ التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق: محمود أمين النواوي، القاهرة، 1969، د. ط؛ القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن، ت: 465 هـ الرسالة القشيرية، القاهرة، مكتبة محمد علي صبيح، 1957، ص 126؛ ابن عربي، الشيخ الأكبر محي الدين محمد بن علي، ت 638 هـ الفتوحات المكية، بيروت، دار صادر، د. ت، الباب 373.

(4) انظر:

Salihu، Hajdari، *Poezia e bejtxhinjeve*، 133، 144، 147، 165، 265، 268، 289؛ Noris، H.T. *Islam in the Balkans*، 161-190؛ Pirraku، Muhamed، *Kultura kombetare shqiptare deri ne Lidhjen e Prizrenit*، 273، 274-278، 309، 324.



**Naim Frashëri Hasan    Abdyl Frashëri    Sami Frashëri    Zuko Kamberi**

نعيم الفراشيري    سامي الفراشيري    عبد الفراشيري    حسن زوكو قمبري

أقول فلا تستغرب وجود تلك الظاهرة الصوفية لدى الألبان<sup>(1)</sup>، لأن الدولة العثمانية نفسها لم تكن تعارض هذه الطرق الصوفية<sup>(2)</sup>، وكانت هي الأخرى ترحب بالفكر الصوفي لكثير من فرقها، ما عدا الفرقة البكتاشية.

فلأجل هذه التطورات الجذرية التي شهدتها الأراضي الألبانية في مختلف الساحات: الفكرية والأدبية والقومية والدينية، استغل هؤلاء الرهبان الألبان أيضاً فرصة إنجاز ترجمات النصوص الدينية المقدسة<sup>(3)</sup>، من اللغات اللاتينية والإيطالية واليونانية إلى اللغة الألبانية، وقاموا بطبعها ونشرها بين الأوساط الألبانية، قاصدين بالدرجة الأولى صدّ الناس عن الدخول

(1) لمعرفة تاريخ الصوفيين وطرق الصوفية وكيفية انتشارها في المناطق البلقانية والأراضي الألبانية وجهودهم الدينية والفكرية انظر:

Rexhepagiq, Jashar, *Dervishet, rendet dhe teqet, ne Kosove ne Sanxhak e ne rajonet tjera perreth ne te kaluaren dhe sot*, 25-87,103.

(2) Oztuna, T, Yilmaz, *Turkiye tarihi XIX-XX Asirlar*, Hayat Yayinlari, Dogan Kardes Matbaacilik, 1967, 3-82.

(3) حول تاريخ ترجمات الأنجيل إلى اللغة الألبانية واللغات الأخرى، انظر دراسة الراهب الألباني المتعصب بعنوان: Sedaj, Engjell, *Bibla dhe perkthimet e saj ne gjuhen shqipe*, Shtufi, Prishtine, 1999, 94-121, 125-172.

في الإسلام وتغييرهم منه. هذا الصدد كان يتم بحجة الدفاع والتعلم والحفاظ على اللغة (الأم)  
الألبانية<sup>(1)</sup>!

وإذا ما حللنا تلك الكتابات الثرية والأدبية وتلك الدواوين الشعرية، فسوف نرى أنهم تناولوا وعالجوا مشاكلهم الاجتماعية والدينية والسياسية والاقتصادية من خلال الكتابات. إنهم عاشوا الشعب الألباني في كافة مجالات حياته، وشعروا مثل ما كانت تشعر الأمة الألبانية أو الشعب الألباني بأسره. فتجد أنهم تناولوا موضوع الحرية والرق تحت الحكم العثماني - كما عبروا هم عن ذلك - لأنهم كما بينا سابقاً كانوا يكرهون العثمانيين لعدم اهتمامهم بحال الألبان.

ولتحقيق هذا الغرض؛ أي غرض البغض والكره، عبروا بأسوأ العبارات وأبشع الكلمات انتقاماً منهم، وبغضاً وكرهاً لهم. بجانب هذا كنت تجد أحدهم يعالج قضية البطالة والفقر المدقع الذي كان يعيشه الشعب الألباني، والآخر يتناول قضية الهجرة والابتعاد عن الوطن والشوق والحنين إليه، لا سيما الذي خلف وراءه زوجته وأطفاله الصغار في حالة يرثى لها. كما تجد في كتابات هؤلاء من عالج قضايا مادية، مثل موضوع المال وحب الناس له بلا استثناء، سواء أكانوا من رجال الدين الإسلامي مثل الولاة والقضاة، أم من عموم الناس.

هؤلاء تناولوا أيضاً قضية تفشي الرشوة والفساد المالي، وقضية الثأر والانتقام لدم القتل الذي كان موجوداً عند الألبان منذ قرون<sup>(2)</sup>، وقضية الحسد والحقد بين رجال الدين الإسلامي، وهو كان أمراً واقعياً بسبب موالاته بعض منهم للسلطان<sup>(1)</sup>.

(1) انظر:

Piraku, Muhamed, *Kultura kombetare shqiptare deri ne Lidhjen e Prizrenit*, 368-456; *Historia e popullit shqiptar*: vell.4, 100-101.

(2) الثأر أو الانتقام من القاتل لدم المقتول كانت ظاهرة قديمة في كافة الأراضي الألبانية، وقد وُجدت حالات قتل كثيرة في كافة أنحاء ألبانيا وكوسوفا وخارجها في الآونة الأخيرة. إلا أنه في السنة 1990 حدث تغيير جذري في تاريخ الألبان. فقد قامت مجموعة من المثقفين الألبان (الكاثوليك والمسلمين) بحركة الصلح بين الألبان والأسر المتخاصمة، وفعلاً حققوا نتائج كبيرة في إصلاح علاقات الألبان بعضهم ببعض لمئات الأسر بعد أن كانوا أعداء، وذلك بأن يعفو ولي المقتول عن القاتل. للمزيد والتفاصيل ومعرفة حوادث القتل والصلح الذي تم بينهم في السنوات 1990-1992، انظر:

فالتعرف على الأدب الألباني الإسلامي (الصوفي أو السني) مهم من هذا الجانب، لأنه ثروة علمية ضخمة، يزودنا بمعرفة اتجاهات الفكر الديني الإسلامي عندهم، ولأنه مرآة المجتمع أيضاً.

ومن القضايا والموضوعات الاجتماعية في هذه المرحلة أنك تجد ظاهرة وحملة مسعورة لدى هؤلاء الكتاب الإسلاميين وغيرهم، تظهر في التركيز الشديد على التسامح الديني والتعايش السلمي بين الألبان المسلمين والألبان الأرثوذكس والكاثوليك، إذ إن اختلاف الدين بحسب ما فهموا هم، لا يجب أن يجر إلى التنازع والبغضاء، لأن أمامهم العدو المشترك، وإن كلا الطرفين مهدد منه، يقصدون بذلك الدولة العثمانية!! ولا شك أن هذه الحملة كانت على حساب الإسلام والمسلمين، وأن الدول المجاورة غير المسلمة كانت تركز وتشجع بعض هؤلاء الألبان. وقد وجدت تلك الدول المستعمرة جسراً دينياً، وفكرياً صوفياً بكتاشياً، كي تصل إلى تحقيق مطالبها وغاياتها التنصيرية والصليبية<sup>(2)</sup>.

هذا ما يخص عامل التعليم والثقافة والأدب ومعالجة قضاياهم من خلال تلك الكتابات<sup>(3)</sup>.

---

Anton Ceta & Zymer Neziri & Myrvete Dreshaj & Sadri Fetiu & Mehmet Halimi, *Pajtimi i gjaqevë*, 1990-1991, Era, Prishtine, 2001; Pirraku, Muhamed, *Levizja gjithpopullore shqiptare per faljen e gjaqevë* 1990-1992, Kronike, Instituti albanologjik i Prishtines, Prishtine, 1998.

1 Pirraku, Muhamed, *Kultura kombetare shqiptare deri ne Lidhjen e Prizre*. 294, 362, 356.

(2) انظر:

Pirraku, Muhamed, *Kultura kombetare shqiptare deri ne Lidhjen e Prizrenit*, 309-324, 393-394, 364-366, 380-388, 409-415, 440-453; Salihu, Hajdar, *Poezia e bejtexhijneve*, 133-141, 148-160, 212-213, 243-251, *Historia e popullit shqiptar*, vell.4, 105-106; Krasniqi, Mark, *Toleranca fetare ne levizjet clirimtare te popullit shqiptar ne shek.XVII-XVIII*, ne: Feja, kultura dhe tradita islame nder shqiptaret, 205-210; Mahmud Hysa, *Tema sociale ne letersine islame shqiptare te shek. XVIII-XIX*, 2449-258, Ibid.

(3) انظر هذه الرسالة الأدبية التي جمعت الأعمال الأدبية الثلاثة للشيخ المفسر الحافظ إبراهيم داليو، فيها بيان ومعالجة القضايا السياسية والاجتماعية بين السنوات 1920-1942، بعنوان:

Kusi, Petrit, Hafiz Ibrahim Dalliu, *Vepra Letrare -Dokrra Hini, Grenxat e kuqe te Tiranës, Nje ander e ime*, botime enciklopedike, Tirane, 2000.

ومن عوامل ازدهار إسلام الألبان ما قاموا به من رحلات لطلب العلم، إذ إنهم رحلوا إلى الدول العالمية المختلفة للتعلم. فمنهم من رحل إلى الأزهر الشريف في مصر، ومنهم من رحل إلى الهند، وأكثرهم كان يرحل إلى تركيا ليتلقى تعليمه في إسطنبول، ومنهم من رحل إلى إيران، ومنهم من رحل إلى باريس، ومنهم من رحل إلى ليبيا، ومنهم من رحل إلى إيطاليا أيضاً، وغيرها من البلاد<sup>(1)</sup>.

ومن المهاجرين الألبان الذين هاجروا إلى الدول العربية وأصبحوا فيها علماء كباراً يشار إليهم بالبنان كثيرون؛ ففي سورية، وفي دمشق تحديداً، برز عالم كبير من علماء الحديث في القرن العشرين، ومحقق كبير لكتب السلف الصالح وهو الشيخ العلامة عبد القادر الأرناؤوط. وفي الأردن نبغ في عمّان عالم جليل في الحديث النبوي بلا نزاع، هو الشيخ ناصر الدين الألباني، كذلك يوجد عالم كبير ومحقق فاضل لا يقل منزلة عن سابقه، هو الشيخ شعيب الأرناؤوط، كما يعيش في الأردن عالم ومؤرخ ألباني كبير، هو الأستاذ محمد موفق الأرناؤوط. وفي دولة الإمارات العربية المتحدة الشيخ العلامة والفقهاء الحنفي الجليل وهي سليمان غاوجي<sup>(2)</sup>.

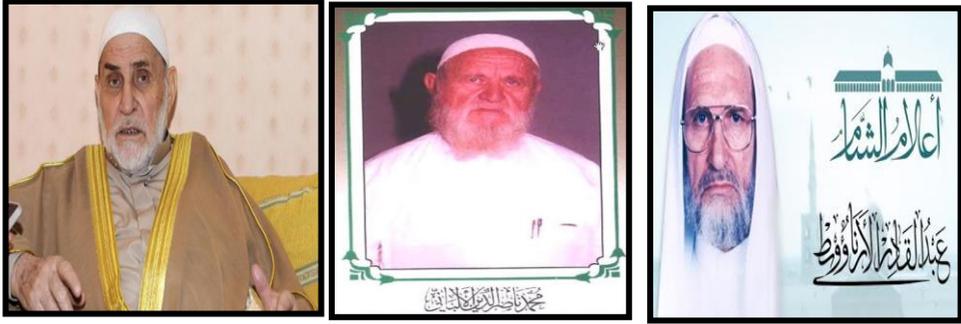


الشيخ الحنفي الألباني وهي سليمان غاوجي

(1) Hysa, Mahmud, *Alamiada shqiptare*, vol.2, 170.

(2) هؤلاء الأعلام المذكورون آنفاً لم ندرجهم في دراستنا في هذا البحث باعتبارهم لم يعيشوا في الأراضي والديار الألبانية، رغم كونهم من نسل الألبان. لأننا مقيدون بإطار عنوان بحثنا. هؤلاء الأجلء من العلماء نبغوا في دول عربية ذات أجواء وظروف دينية وسياسية مختلفة. لكنهم مع ذلك جديرون بالدراسة والتحليل لجهودهم وإنتاجهم العلمي في الرسائل الجامعية، في الماجستير أو الدكتوراة، والله أعلم.

ومنهم (غير المسلمين) من سافر إلى إيطاليا ورومانيا وبلغاريا واليونان، للتخصص في قضايا الديانة النصرانية (الكاثوليكية والأرثوذكسية)، ومنهم من سافر إلى الولايات المتحدة الأميركية للعمل وللتعلم<sup>(1)</sup>، وإلى غيرها من البلدان. أما مقدار تأثير علماء الألبان بتلك المدارس التركية ومدارس الشرق الأوسط فكان كبيراً للغاية، كما سنرى مواقفهم من بعض القضايا الاجتماعية والدينية. نستطيع القول



المحدث شعيب الأرنؤوط

المحدث ناصر الدين الألباني

المحدث عبد القادر الأرنؤوط

(1) للمزيد انظر:

Piraku, Muhamed, *Kultura kombetare shqiptare*. 393, 410, 433, 418; Skendi, Eqber, *Hoxhe Kadriu (Kadri Prishtina)*, 14; Moroco dela Roka, Roberto, *Kombesite dhe fete ne Shqiperi 1920-1944*, 209; Xhelili, Qazim, *Vehbi Dibra*, 12; Ahmedi, Ismail, *Hafiz Ali Korca -jeta dhe vepra*, 13-18; Osmani, Shefik, *Panteoni iranian dhe iranologet shqiptare*, (Saadi Shirazi, Tirane, 1997); Zekaj, Ramiz, *Zhvillimi i Kultures islame..* 258-381.

والجزم بأن هناك قاسماً مشتركاً في فكر جمهور علماء الألبان الذين تلقوا تعليمهم في الأزهر وإسطنبول. هؤلاء جميعاً نادوا بفكرة الإصلاح في المناهج الدراسية الدينية وفي بعض القضايا الاجتماعية والدينية. وموقف علماء الألبان من فكرة المدرسة الإصلاحية عموماً<sup>(1)</sup> لم يكن معارضاً لها، كما سنرى ذلك إن شاء الله تعالى.

ولا يسمح لنا المقام هنا أن نتوسع بذكر الأمثلة، لنرى مقدار تأثير علماء الألبان بتلك المدارس وحضارات الشعوب الأخرى. فمثلاً تأثير الحضارة الفارسية في آراء واتجاهات الألبان كان واسعاً إلى حد كبير، إذ إن كثيراً من علماء الألبان ترجموا كتب الأدب الفارسي وترآته إلى اللغة الألبانية، وما زالت هذه الترجمات والكتابات باقية إلى يومنا هذا. ومع هذا الاحتكاك الكبير مع الشخصيات والحضارات الأخرى فإنهم لم يسلموا من الأضرار والآثار الجانبية السيئة<sup>(2)</sup>.

ومن جملة عوامل ازدهار الإسلام لدى الألبان ظاهرة حفظ القرآن الكريم لديهم. هذه الظاهرة العجيبة وجدت لدى الألبان منذ عهد بعيد، فهي ظاهرة عريقة منذ انتشار الإسلام في هذه المناطق. كان يتم حفظ القرآن الكريم في المكاتب والبيوت، ثم في ما بعد أُسست مؤسسات علمية مثل المدارس الدينية لتعلم العلوم الشرعية. فمثلاً كانت هناك مدرسة دينية عريقة مشهورة في مدينة كاتب هذا البحث، اسمها: مدرسة الغازي محمد باشا (Medresja e Gazi Mehemet Pashes)، أُسست منذ أربعة قرون، منذ أيام الدولة العثمانية، وقد تخرجت في هذه المدرسة أجيال كثيرة من المشايخ والحفاظ لكتاب الله تعالى. ويندر من تخرج من هذه المدرسة من الطلبة وعلماء الدين ولم يحفظ القرآن الكريم مجوداً مرتلاً. أشارت بعض الإحصائيات الأخيرة إلى أنه بين السنوات (1950 – 1994) تخرج في هذه المدرسة سبعون

(1) انظر:

Ahmedi, Ismail, *Hafiz Ali Korca – jeta dhe veptra*, Logos-A, Shkup, 1997, 44-45.

(2) Osmani, Shefik, *Panteoni Iranian dhe iranologet Shqiptar*, Saadi Shirazi, Tirane, 1998, 92-108, 109-121, 132-133.

حافظاً لكتاب الله تعالى، جلهم من الرجال. ووجدت أيضاً من النساء من حفظة القرآن الكريم<sup>(1)</sup>.



الثانوية الشرعية المخصصة لتحفيظ القرآن القديمة (محمد غازي باشا) في مدينة بريزرن

### Medresja e Gazi Mehemet Pashës-Prizren

وأما في المدن الألبانية الأخرى في مقدونيا فظاهرة الحفظ أوسع انتشاراً وأكثر اهتماماً من قبل المشايخ والناس في الآونة الأخيرة من هذا القرن. برز قراء كبار ذوو أصوات ندية وجميلة، وذوو حفظ قوي وذاكرة وقّادة، تشبه الحاسب الآلي في الدقة والحفظ وعدم الالتباس في الآيات. والسبب في هذه القضية يعود إلى بركة الحفظ في السن المبكر (10-12) سنة. وقد كانت هناك كرامات ربانية لبعض العوائل من المسلمين، وذلك عندما تخرج ابنهم يحفظ كتاب

---

(1) انظر:

Zekaj, Ramiz, *Zhvillimi i kulturës Islame ndër shqiptaret në shekullin XX*, 207.

Miftari, Faik, *Pakez drite për Kosovën*, 45-49; Okic, Tayyib, *Tefsir ve Hadis usulunun bazı meseleleri*, Nun Yayincılık, İstanbul, Türkiye, 1995, 141.

الله تعالى وهو في السادسة من عمره<sup>(1)</sup>، وذلك قبل عشر سنوات في مدينة تيتوفا (Tetova) في مقدونيا. وتاريخ علماء الألبان كما مرَّ معنا يشير إلى أن أغلبهم كانوا من الحفاظ لكتاب الله تعالى.

وهناك اهتمام كبير حتى الآن لمواصلة هذه الظاهرة الربانية العجيبة لدى المسلمين الألبان. ترى الطفل لا يفقه من العربية شيئاً ولا يستطيع التحدث بها، لكنك تجده عند قراءته وتلاوته للقرآن الكريم قارئاً ماهراً ومرتلاً ومجوداً، مما يجعلك تبكي، شئت أم أبيت، وذلك لما وهبه الله تعالى إياه من حسن الصوت والنغم الجميل. وقد تأسست في الآونة الأخيرة مدرسة دينية لتحفيظ القرآن الكريم في ألبانيا في مدينة كوايا (Kavaja)<sup>(2)</sup>، حيث يتعلم التلاميذ المواد الدينية واللغة الإنكليزية ودروسا في الحاسب الآلي (الكومبيوتر)، مع التركيز على حفظ كامل للقرآن الكريم. حقاً هذه خطوة ومبادرة جليلة وهي الأولى من نوعها بحسب علم الباحث. نسأل الله تعالى أن يبارك في جهودهم وأعمالهم، وأن يوفقنا إلى فتح مزيد من تلك المدارس في المدن الأخرى في ألبانيا وكوسوفا ومقدونيا والجبل الأسود، والله المستعان وعليه التكلان، وهو الهادي والموفق إلى سواء السبيل.

---

(1) واسم الشيخ الذي حفظ القرآن على يديه هذا الطفل الصغير الشيخ ملا محمود أسلاني Mulla Mamut Asllani. وقد أكرمني الله -عزَّ وجلَّ- بزيارة هذا الشيخ الجليل قبل ثلاثة أعوام للتعرف على طريقة تحفيظه للقرآن الكريم للأولاد في مسجده، وقد استفدت منه كثيراً والله الحمد. في رأيي هذا الشيخ هو مصنع لتخريج الحفاظ لكتاب الله تعالى في القرن العشرين. فقد نذر حياته لهذا الهدف النبيل. يغادر منزله لصلاة الفجر ولا يعود إليه إلا بعد صلاة العشاء. بلغ عدد الحفاظ الذين تخرجوا على يديه واحداً ومائة حافظ لكتاب الله تعالى، ولا أعلم أحداً في العالم الإسلامي والعربي قد فاقه في هذا المجال، جعلنا الله من أمثاله.

(2) انظر المجلة الإسلامية التي يصدرها المعهد العالمي للألباني للفكر والحضارة الإسلامية:

*The Islamic civilization news periodic Bulletin*, (Albanian Institute of Islamic thought and civilization), 17. 1. 2001, 13.

## الباب الثاني

الأوضاع الاجتماعية في الأراضي الألبانية والاتجاه  
الإصلاحي في الدراسات القرآنية في العصر الحديث



# الفصل الأول

## الأوضاع الاجتماعية في الأراضي الألبانية

### في العصر الحديث

#### تمهيد

كانت الأوضاع الاجتماعية في الأراضي الألبانية حافلة بالأحداث والقضايا الجسام في مختلف المجالات، وتأتي دراسة هذا الفصل تمهيداً لبناء النتائج العلمية التي ستظهر في ما بعد في هذه الدراسة، مثل ظهور الاتجاه الإصلاحية في الدراسات القرآنية، الذي اخترناه أنموذجاً للدراسة، ويقول المؤرخون إن مرحلة الثلاثينيات من القرن العشرين توصف بالحيوية والنقاش العلمي الذي دار بين العلماء ورجال الدين الإسلامي وغيرهم، وكبار الملحدين والعلمانيين. كما أن المفكرين العلمانيين كانوا قد سخرُوا كل جهودهم وقواهم الفكرية في الدفاع عن نظرية الإلحاد وضرورة اتباعها، وصرف الشباب عن الدين أيّاً كان نوع هذا الدين، وذلك انطلاقاً من مبدأ الحرية في التعبير عن الرأي - كما يقولون - حتى وصلت الحال ببعض العلمانيين الحاقدين على الأديان إلى أن يكتب رسالة يتهم فيها المسلمين والنصارى على حد سواء، مستخدماً ألفاظاً وشعارات جارحة وبذيئة تمس عرض الإنسان وكرامته، مثل: لا يملك ذرة من العقل من يعتقد أن الرب (الله جل جلاله) خلق العالم، ومثل قوله: قضية الرب هي مختلقة من عقل الإنسان، ليست لها حقيقة.. ومثل قوله: التثليث عيب وفضيحة زماننا.. ومثل قوله: السيد المسيح بوجه قبيح لا يعتقد عن نفسه أنه ابن الإله، وإنما هو ابن يوسف، ومثل: المسيح لم يكن مؤسس النصرانية، ومثل: الإنجيل عبارة عن القصص<sup>(1)</sup>، وغيرها من القضايا العصرية الراهنة، مما يدلنا على مدى خطورة الموقف والصراع والغليان الفكري.

(1) انظر بتصرف: Basha. M. Ali, *Islami ne Shqiperi gjate shekujve*, 156-157.

وبما أننا لا نستطيع أن نلم بكل تلك الأحداث والقضايا بتفاصيلها، إلا أننا سنقف عند بعض القضايا الكبرى بالدراسة والتحليل. وستفتح لنا باباً كبيراً لرؤية أصالة الفكر الألباني الديني ومدى تصديه لتلك التحديات الاجتماعية والدينية. ويأتي هذا الباب الثاني من هذا البحث المتواضع حلقة مكملة ومنتمة للباب الأول، وإن فهم هذا الباب يتوقف على فهم وقراءة الباب الأول، لأن طبيعة الدراسة تقتضي ذلك. وإن نتائج الدراسة لن تخرج عن هذا الذي نقول. وها نحن أولاء سنورد جملة من تلك القضايا الدينية والاجتماعية، يتبين لنا من خلالها التيار الاجتماعي الإصلاحي وسنرى كيف كانت معالجة علماء الألبان لتلك القضايا. وإن القضية الأولى التي شغلت فكر الألبان كانت قضية تحرر المرأة الألبانية المسلمة.

## المبحث الأول: النزعة التجديدية عند العلماء الألبان (Modernizimi dhe Shqiptaret)

رياح الفكر الديني الإصلاحي التي كانت تهب من المشرق العربي وخصوصاً من مصر كانت تتجه إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي، كالهند وتركيا وبعض البلاد في روسيا مثل بلاد القوقاز. ولم يكن نصيب الأراضي الألبانية والبوسنية<sup>(1)</sup> منها بالقليل. وبما أن جامعة الأزهر كانت منارة للتعليم والثقافة<sup>(2)</sup> في كافة الاختصاصات في ذلك الوقت، كان الشبان الألبان يتجهون إليها لتعلم العلوم الدينية المختلفة. وأدى هذا الاهتمام الفكري الألباني إلى تشكيل علاقات أخوية دينية بين علماء الأزهر وعلماء الألبان، وبرز من طلبة الألبان علماء كبار أجلاء، ذاع صيتهم وسارت بذكرهم الركبان، وأصبحوا أعلاماً يشار إليهم بالبنان في العصر الحديث. هذه الفترة كانت المرحلة التي نادى فيها بعض العلماء والمفكرين الإسلاميين الذين تأثروا

(1) للمزيد حول الخلفية التاريخية العالمية للإصلاحات الدينية وتأثيرها في الفكر الديني البوسني في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، والدول التي تأثرت بها بشكل مباشر أو غير مباشر في الأزهر.. انظر:

Karcic, Fikret, *Drustveno-pravni aspekt Islamskog reformizma - Pokret za reformu serijatskog prava i njegov odjek u Jugoslaviji u prvoj polovini XX vijeka*, Sarajevo, 1990, 29-67.

(2) المرجع السابق، ص 69 (في الهامش).

بالمناهج والأفكار الغربية مثل المفكر جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده، وتلاميذه مثل العلامة رشيد رضا، وشيخ الأزهر أحمد المراغي وغيرهم كثير<sup>(1)</sup>، نادوا بإجراء الإصلاحات في المناهج الدراسية الأزهرية. ولا شك أن هذا النداء كان له صدى في العالم الإسلامي، مثل الهند وتركيا وسورية والبوسنة وألبانيا وغيرها<sup>(2)</sup>.



AL-AZHAR UNIVERSITY



جامعة الأزهر الشريف



الشيخ أحمد المراغي

الشيخ السيد رشيد رضا

الشيخ محمد عبده

جمال الدين الأفغاني

(1) حول جهود وأعمال هؤلاء المفكرين والمشايخ مؤسسي المدرسة الإصلاحية، كُتب الكثير، ونال هؤلاء اهتمام كثير من الباحثين الغربيين وغيرهم. انظر مثلاً: الرومي، فهد بن عبد الرحمن، منهج المدرسة الإصلاحية العقلية في التفسير، الرياض، ط1، 1994، وانظر أيضاً:

Crecelius, Daniel Neil, *The Ulema and the state in modern Egypt*, Princeton, N. J, Princeton University Press, 1967, Ph.D. thesis; Jansen, J. J. G, *The interpretation of the Koran in modern Egypt*.

(2) حول تاريخ التجديد الفكر الديني وإصلاحه وبعض المجلدين الكبار من السلف والخلف، انظر:

Maududi, Abul A'La, *A short history of the Revivalist Movement in Islam*, transl. by Al-Ash'ari, The Other Press, Petaling Jaya, K.Lumpur, Malaysia, 1999, 24–77.

ومن القضايا الأساسية التي ركز عليها المنادون بالإصلاح، قضية المرأة المسلمة وحالتها الاجتماعية<sup>(1)</sup>، وأنها مقارنة بالمرأة الغربية كانت متخلفة ورجعية وغير متحررة من القيود التقليدية، وأنها تعيش في حالة من الانحباس الفكري والحركي، وكان لا يسمح لها بممارسة النشاط السياسي ولا الاجتماعي وغير ذلك من التهم والشبهات. هذه الآراء الإصلاحية أثرت في أفكار ومفاهيم هؤلاء الألبان الذين كانوا يتلقون العلم في الأزهر، والهند، وإسطنبول، باعتبارها مراكز عالمية للعلم والثقافة<sup>(2)</sup>، ولما عادوا إلى بلادهم، عادوا وهم يحملون هذه الأفكار الإصلاحية والتجديدية.

وإن نظرة عابرة إلى حركة فلسفة الفكر الإسلامي في الأراضي الألبانية، ونظرة فاحصة إلى طبيعة ذلك الجدل والنقاش الحاد الذي كان يدور بين علماء الألبان والمفكرين المعارضين لهم، تجعلنا نعلم علم اليقين أنهم أيضاً كانوا مهتمين بهذه القضايا الدينية، وليس لنا سبيل إلى معرفة تلك القضايا الفكرية الفلسفية والدينية إلا بالرجوع إلى المجلات والدوريات والرسائل، التي كانت يتولى نشرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في ألبانيا في المدن والعواصم الكبيرة، لأنه ليس هناك مؤلفٌ جُمعت فيه كل تلك القضايا المطروحة للنقاش، وإنما كانت هناك بحوث ومقالات وردود علمية تنشر في تلك الدوريات والمجلات بأمانة.

وقبل أن أتقل إلى موضوع تحرير المرأة الألبانية، أود أن أشير إلى قضية أخرى مهمة، هي أن قضية الاجتهاد ومجالاته وضوابطه وغيرها<sup>(3)</sup>، كانت حديث الساعة لعلماء الألبان في ذلك الوقت أيضاً، وأنهم فعلاً كانوا يتمتعون بثقافة إسلامية عالية متعددة المصادر. والدليل على

---

(1) انظر: Shpuza, Gazmend, *Kuvendime per historine kombetare*, 231-236, 237-242.

(2) انظر:

Dela Roka, Roberto Moroco, *Kombesia dhe feja ne Shqiperi*, 209; Piraku, Muhamed, *Kultura kombetare shqiptare*, 393.

(3) أفضل ما رأيت من كتب وفصل القول عن الاجتهاد وضوابطه وأنواعه وشروطه ومجالاته، هو ما قدّمه الإمام العلامة أبو إسحق الشاطبي (ت: 790هـ) في موسوعته الأصولية: *الموافقات في أصول الشريعة الإسلامية*، تحقيق: الشيخ إبراهيم رمضان، مقابلة عن الطبعة التي شرحها الشيخ عبد الله دراز، بيروت، دار المعرفة، ط4، 1999، ج4، ص463-638.

ذلك كلامهم ومباحثاتهم لهذه المسائل التي سنذكرها بعد حين. إذن نحن سنقف أمام مجموعة من العلماء الكبار، ذوي الاتجاهات المتباينة، كانت تهمهم معالجة تلك القضايا الفكرية والدينية في عصرهم كما تهمنا نحن بعض القضايا الدينية والفكرية التي نواجهها.

تشير بعض المصادر التاريخية إلى وجود نقاش حاد وجدال عريض بين المفكر والباحث الألباني مهدي فراشيري<sup>(1)</sup> (Mehdi Frasheri)، والمفكر الشيخ الحافظ عصمت دبرا<sup>(2)</sup> (Hafiz Dibra Ismet). لقد نشر المفكر مهدي فراشيري عدة مقالات في بعض الصحف الألبانية، مبينا مجالات الإصلاح والتجديد التي يمكن أن تحدث في الدين الإسلامي. ويبدو من كلامه أن آراءه قد جانبت الصواب والحقيقة، مما أدى بالشيخ الحافظ عصمت دبرا إلى رد آرائه في دورية إسلامية شهرية اسمها (Zani i Naltë) أي (الصوت العالي). وهذه المجلة كانت تتولى نشر تلك المقالات والآراء، وكانت لها سمعة طيبة ومكانة مرموقة في نفوس المسلمين وعامة الناس.

وملخص كلام الشيخ المفكر الحافظ عصمت دبرا عن التجديد والإصلاح هو أنه يرى أن الإسلام لا يعارض الاستفادة من تقدم العلم في مواجهة تحديات العصر، ويقبل التجديد في بعض القضايا كما تدل على ذلك بعض الأحاديث النبوية، إلا أنه لكل شيء خصائصه وطبيعته الخاصة بها ومجالاته التي تسمح له بالتجديد. أما التجديد في المبادئ الدينية والأصول العقدية والمبادئ الأخلاقية فهذا لا يكون أبداً<sup>(3)</sup>.

---

(1) كاتب ومؤرخ وسياسي ألباني مشهور قديم. من قرية ألبانية مشهورة اسمها فراشر، له مؤلفات في التاريخ الألباني العتيق. عاش في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. لم أعثر له على تاريخ ولادة أو وفاة. انظر:

*Historia e popullit shqiptar*, vell.2, 449, 452, 603.

(2) ولد في مدينة دبرا سنة 1886. واصل تعليمه العالي في إسطنبول. كان عالماً في الفقه والتفسير والمنطق والفلسفة والحديث. قدم خدمات جليلة في المدرسة الثانوية الدينية في تيرانا. كان يتقن العربية والتركية والفارسية. عرض له منصب التدريس والرياسة لأحد أقسام الجامعة في إسطنبول لكنه رفض ذلك وفضل بلده. كان شجاعاً ومجاهراً بالحق. سُجن من قبل السلطات الشيوعية دون أي تهمة إلا لكونه متديناً، وقضى في السجن اثني عشر عاماً. انظر:

Zekaj, Ramiz, *Zhvillimi i kultures islame te shqiptaret gjate shekullit XX*, 312-314.

(3) انظر للتوسع حول النقاش الذي جرى بينهما:

Basha, Ali.M, *Islami ne Shqiperi gjate shekujve*, 140-141.



الدورية الإسلامية (Zani i Naltë)

الشيخ عصمت دبرا

المؤرخ مهدي فراشري

والقضية الأخرى التي نوقشت بينهما هي أن المفكر المذكور مهدي فراشري ادعى أن باب الاجتهاد قد أغلق، وأنه لا يجوز لأحد أن يجتهد في هذا العصر. واستند في ادعائه إلى ما روي عن أن الإمام أبا حامد الغزالي قد رأى رؤيا أن باب الاجتهاد قد أغلق!! وكان رد الشيخ الحافظ عصمت دبرا رداً حاسماً وقاطعاً، ورفضاً لتلك الرواية المناقضة لمبادئ الدين وأصوله حينما قال: إن باب الاجتهاد مفتوح ولن يغلق أبداً إلى قيام الساعة. وهل فكر قائل هذا الكلام ماذا يعني إغلاق باب الاجتهاد؟ والدليل الثاني على عدم صحة تلك المقولة التي أثارها المفكر مهدي فراشري هو أن الرؤيا أو الإلهام ليست من مصادر التشريع الإسلامي حتى يُحتجَّ بها ويُعوَّل عليها<sup>(1)</sup>.

وتبدو هنا واضحة أصالة الفكر الديني الإسلامي في فهم الشيخ الحافظ عصمت دبرا لقواعد أصول الفقه، عندما رد على المفكر مهدي فراشري وأبطل زعمه. ونحن نوافق في هذا الرد المختصر والمقنع. وقد بحث العلماء قديماً وحديثاً في هذا الموضوع وكتبوا الكثير عنه، لكننا لا نستطيع أن نتوسع أكثر من هذا القدر نظراً لحدود وطبيعة هذه الدراسة.

ثم إن المفكر مهدي فراشري ناقش قضية دينية أخرى مهمة، فقد زعم أنه يمكن إدخال إصلاحات في بعض الأمور الدينية التعبدية أيضاً، من التي ليس فيها مجال للاجتهاد على الإطلاق وإنما هي أمور وقضايا توقيفية. فكان مما ادعى وزعم، أنه إذا جازت الصلاة على

(1) المرجع السابق، ص 141.

الدابة بالإيماء والإشارة وبلا ركوع ولا سجود، فقد تجوز الصلاة في المسجد جلوساً على الكرسي بلا ركوع ولا سجود قياساً على الصلاة على الدابة!

ولا شك أن هذا يعتبر قياساً فاسداً مع الفارق الكبير. فكان جواب الشيخ الحافظ عصمت دبرا، أن هذا الكلام ليس علمياً وأن الصلاة على الدابة إنما هي الصلاة النافلة وليست الصلاة الفريضة، وأنها تكون عند الضرورة فقط<sup>(1)</sup>، فكيف تقاس تلك القضية المشروعة للضرورة بموضوع الصلاة جلوساً على الكرسي في المساجد ودون أن تكون هناك ضرورة؟!

وفي الفترة (1920 - 1930)، برز من أوساط الألبان مفكر آخر، وشيخ وعالم إسلامي مجدد، اسمه الحاج وهبي دبرا<sup>(2)</sup> (Haxhi Vehbi Dibra). اشتهر هذا الشيخ الجليل بأرائه وخطبه ووعظه واهتمامه بقضية المرأة الألبانية وتعليمها وثقافتها، وحقوق الزوجين. وكان قد أعد مذكرة على شكل الدستور، تحتوي على أربعين بنداً، بين فيها مفصلاً هذه الأحكام والقيود. ومن جملة ما ذكر في هذا الدستور، قضية الزواج أو النكاح في الإسلام وشروطه وفسخه وأحكام الطلاق. كما أنه عالج بعضاً من العادات والتقاليد والأعراف الألبانية الباطلة

(1) المرجع السابق، ص 141-142.

(2) ولد الشيخ العلامة الحاج وهبي دبرا آغولي (نسبة إلى مدينة دبرا العليا الألبانية الواقعة في دولة مقدونيا الحالية) سنة 1867، وتوفي سنة 1937. كان عالماً ومفتياً وسياسياً ومجاهداً مشهوراً. ينحدر من أسرة متدينة ومتمسكة بتعاليم الدين الإسلامي، وكان أبوه مفتياً أيضاً. اشتهر منذ صغره بالذكاء الحاد وباهتمامه بشخصيات كبيرة في التاريخ الألباني، وكذلك اشتهر بحسن الخلق. تلقى تعليمه الأول في مدينته ثم واصل تعليمه العالي في إسطنبول، وكان من خيرة طلاب جامعة إسطنبول. أتقن العربية والتركية والفارسية، وتخصص بعد ذلك في علم الفلسفة الإسلامية والمنطق والفقه. له جهود مشكورة ومشهودة في المجال السياسي والإصلاح الديني، وله مقالات وخطب منشورة في المجلة الإسلامية (Zani i Nalte) التي كانت تصدر في تيرانا. بعض هذه المقالات والخطب جمعت على شكل كتاب باسم: ماذا يأمر القرآن الكريم. له تفسير كامل لسورة الفاتحة، استطعت اقتناء نسخة منه أثناء وجودي في ألبانيا عندما زرت المشيخة الإسلامية في تيرانا. وأثناء حديثي مع الأستاذ والكاتب محمد علي باشا عن طبيعة وموضوع رسالتي، إذا به يقول إن لديه نسخة من هذا التفسير وصلت إليه من الولايات المتحدة الأميركية من المشيخة الإسلامية للجاليات الألبانية. فتفضل بأن أعارني إياه لكي أصور نسخة لنفسي، فجزاه الله خير الجزاء. للمزيد انظر:

Xhelili, Qazim, Vehbi Dibra - personalitet dhe veprimtar i shqar ilevizjes kombetare, Albin, Tirane, 1998, 4-20; Zekaj, Ramiz, Zhvillimi i kultures Islame te shqiptaret gjate shekullit XX, 288-291.

في ما يخص تزويج بناتهم مقابل الأموال التي كانوا يتقاضونها وقت تزويجهن، زيادة على المهر المسمى. وهذه المذكرة كذلك ساعدت كثيراً في تحسين المفهوم الديني لدى الشعب الألباني عموماً ولدى الشيوعيين منهم خاصة، الذين كانوا ينظرون إلى الدين نظرة اشمئزاز وأنه دين التخلف والرجعية<sup>(1)</sup>. كما أنه في هذه الفترة الزمنية الحرجة لم يكن هناك قرآن مُفسَّر أو مُترجم من العربية إلى الألبانية حتى يرجعوا إليه لمعرفة الأحكام الشرعية<sup>(2)</sup>.



الشيخ الحاج وهبي دبرا Haxhi Vehbi Dibra

وقضية المرأة في ذلك الوقت كانت حديث الساعة، وموضوع النزاع والنقاش بين العلماء والمفكرين في الدول العربية أيضاً. فالعلماء في ألبانيا أيضاً ناقشوها كثيراً واختلفوا حول حريتها في ما يخص نزع الخمار والكشف عن وجهها ويديها. والسبب الرئيس في هذا الموضوع يرجع إلى أن بعض الكتاب العلمانيين من الألبان كتب مقالاً تاريخياً جاء فيه أن قضية الخمار (Perceja) في تاريخ الألبان ترجع إلى عادات

(1) المرجع السابق، ص 142.

(2) انظر الدراسة المفصلة عن جهود وفكر هذا العالم المجدد:

Xhelili, Qazim, Vehbi Dibra Personalitet dhe veprimtar i shquar i levizjes kombetare, 252-259.

الديانة النصرانية، وإلى عهد الراهبات العذارى اللواتي لم يتزوجن في عهد الملكة النصرانية (Katerina de Medici)، وأن النساء الأرامل من النصرانيات أيضاً، كن يغطين وجوههن حداداً على أزواجهن. ثم تابع صاحب المقال قائلاً بأن الخمار أو ستر الوجه لم يكن في المرحلة الأولى من الإسلام مفروضاً على نساء المسلمين. وفي بغداد وقرطبة كانت هنالك مدرسات وعالمات من النساء يمارسن التعليم وهن كاشفات الوجوه<sup>(1)</sup>.



### الخمار (Perçeja) عند النساء الألبانيات في بدايات القرن العشرين

وبناء على هذه المناقشات بين المصلحين من العلماء، فإن التيار الإسلامي الإصلاحى أخذ يتقوى ويؤثر في الرأي العام للمسلمين والعلماء المحافظين على التراث الإسلامي (Konservatoret). فما كان من المشيخة الإسلامية العليا، وهي أكبر المؤسسات الدينية والعلمية، في ألبانيا إلا أن تعلن وتصرح بقرارها رقم 2، تاريخ 1/3/1937 بإلغاء فرضية الخمار، والسماح بكشف الوجه واليدين، وجواز ممارسة نشاطها في الحياة الطبيعية الإنسانية. واستناداً على بعض الأدلة الشرعية في هذه القضية، قرر أعضاء المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (اللجنة الدائمة للإفتاء)، أن ينشر هذا الخبر في أوساط المسلمين عن طريق الخطب والدروس والنشرات الدورية، وأن يُخبرَ بذلك المسؤولون لدى الحكومة في مملكة الملك

(1) انظر: Basha, Ali.M, *Islami ne Shqiperi gjate shekujve*, 142-143

(Ahmed Zogu)، أحمد زوغو<sup>(1)</sup>. وفي ما يلي توقيعات أعضاء المشيخة الإسلامية العليا على القرار<sup>(2)</sup>.

فكما رأينا هذه كانت بعض الآثار الناجمة عن قضية إجراء وإدخال تلك الإصلاحات في الأمور الدينية في ما يخص المرأة المسلمة وتحررها.

هذه الحيوية وهذا النشاط العلمي بين العلماء، استغلا من حكومة الملك أحمد زوغو استغلا سلبياً لإجراء مزيد من التعديلات الجذرية الأخرى المعادية للإسلام تماماً. واتخذت وسيلة لتحقيق أغراض معادية للإسلام عبر نشر ودعم الطريقة الصوفية الضالة، طريقة البكتاشية، مادياً ومعنوياً، بالتعاون مع السلطات الإيطالية لهدم الإسلام وتحريفه<sup>(3)</sup>. الفترة التاريخية ما بين (1920-1940)، عُرفت بفترة تغيير وتبديل للأحكام والقوانين الشرعية الإسلامية في ألبانيا<sup>(4)</sup>، فقد أُجري تعديل جذري في قانون الأحوال الشخصية<sup>(5)</sup>.

---

(1) ولد الملك أحمد زوغو بن جمال باشا في 5/10/1895. اختلف في أصل وفصل قبيلة أحمد زوغو، ولا يعرف بالضبط أصل هذا الملك. كان في بادئ الأمر رئيساً لألبانيا ثم أصبح ملكاً لها. حكم ألبانيا بين (1925-1939). شهدت ألبانيا أثناء فترة حكمه بؤساً وتراجعاً وفساداً وتدهوراً سياسياً ودينياً واقتصادياً واجتماعياً سيئاً للغاية. كان فاشلاً وعديم الخبرة في معرفة إدارة البلاد وتقويم الأشخاص، ولم يكن يتمتع بالثقافة الكافية التي تؤهله لمنصب الرئاسة. كان موالياً وعميلاً للسلطات الإيطالية واليوغسلافية. هلك سنة 1961 في باريس بسبب سرطان البطن والجلطات القلبية الكثيرة. للمزيد عن حياة وأعمال هذا الملك الظالم انظر:

Fischer, Bernard J, *Mbreti Zog dhe perpjekja per stabilitet ne Shqiperi* - Perktheu nga origjinali: Krenar Hajderi, Cabej, Tirane, bot. i II, 1984, 11-27, 305-322; *Historia e popullit shqiptar*, vell.2, 546-613.

(2) المرجع السابق، ص 143.

(3) انظر:

Dela Roka, Roberto Moroco, *Kombesia dhe feja ne Shqiperi 1920-1944*, 117-142; Bardhi, Ismail, *Hafiz Ibrahim Dalliu dhe ekzegjeza e tij Kur'anore*, 84-86; Trix, Frances, *Spiritual discourse-learning with an Islamic master*, University of Pennsylvania Press, Philadelphia, 1993.

(4) انظر:

Dela Roka, Roberto Moroco, *Kombesia dhe feja ne Shqiperi 1920-1944*, 27-28.

(5) حول المحاكم الشرعية وطبيعة عملها وتطبيق القوانين المتعلقة بالأحوال الشخصية في المجتمعات الإسلامية في يوغسلافيا السابقة، انظر:

الحكومة تبنت القوانين الغربية الوضعية من سويسرا وفرنسا ومصر، كما أنها عازمت على إجراء تعديلات حول بعض الشعائر الدينية وكيفية ممارستها. وتم عزل الحكام والقضاة الإسلاميين من وظائفهم. وفي سنة 1921 كان هناك تحالف قومي إسلامي ألباني ضد الدولة العثمانية. هذا التحالف قرر إعلان استقلاله عن شيخ الإسلام في الدولة العثمانية. وفي سنة 1923 في شهر مارس، في الوقت الذي كانت الدولة العثمانية في حالة الاحتضار، عُقد مؤتمر في تيرانا بخصوص هذا الشأن، وتم فيه تعيين المفتي الشرعي العام لدولة ألبانيا، وتم الإعلان الرسمي عن قطع العلاقات مع الخلافة العثمانية. بينما بعض المدن الأخرى في ألبانيا مثل مدينة إشقودرا (Shkodra)، كانت ما زالت متمسكة بولائها للخلافة العثمانية وانقيادها للأوامر التي كانت تأتي من إسطنبول<sup>(1)</sup>.

وفي عام 1923، بدأت تصدر مجلة إسلامية بعنوان (Zani I Naltë)؛ أي (الصوت السامي)، فبدأ العلماء والمفكرون الألبان بمناقشة الموضوعات الراهنة في العصر الحديث، مثل قضية التجديد في الدين، ومطالبتهم بشدة لنزع الخمار والكشف عن الوجه، رغم أن صدور القرار الرسمي لم يمنع الخمار، بل مُنع في ما بعد، سنة 1937.

وفي عام 1924، أصدر الملك أحمد زوغو قانوناً مفاده إلغاء عنصر التمييز الديني في ألبانيا، وجاء فيه: «إن التفرق الديني يجب ألا يؤثر في سير حياة الألبان، وينبغي ألا يكون له وجود، وإن على المسلمين والنصارى أن يجدوا حلاً لهذه القضية، أي إلغاء الفوارق الدينية». ومن تعليمات هذا القانون الجديد: «إن رجال الدين يجب عليهم أن يتخلوا عن النشاط السياسي تماماً، وإن الدولة ستقوم بتغيير المسؤولين من رجال الدين الكبار، وإنه يمنع عليهم أن يكون لهم أي تورط في العلاقات المالية من الخارج. الدين لا يمكن أن يشكل أي خطر وأي عرقلة سياسية، وإنه يمنع منعاً باتاً استغلال الدين للأغراض السياسية»<sup>(2)</sup>.

---

Karcic, Fikret, *Serijatski sudovi u Jugoslaviji 1918-1941*, Islamski teoloski fakultet, biblioteka posebnih izdanja, Sarajevo, 1986, 49-73.

(1) Dela Roka, Roberto Moroco, *Kombesia dhe feja ne Shqiperi 1920-1944*, 28.

(2) انظر المرجع السابق: ص 26-36.

في غضون هذه الظروف الاجتماعية الدينية المتوترة، حدث تخريب ديني آخر في ما يخص المجتمع الألباني المسلم. صدر قرار بتحريم تعدد الزوجات، وبدأت تظهر ترجمات<sup>(1)</sup> لنصوص القرآن الكريم مجزأة<sup>(2)</sup>، وظهرت في الساحة الفكرية الدينية آراء مختلفة حول كيفية تطبيق الإسلام وممارسته.

القضية الأخرى المهمة التي نجمت عن تغيير قضايا دينية، هي أنه وجدت هناك محاولة ألبانية من أعضاء البرلمان لمحاربة استعمال الأبجدية العربية في كتابات الألبان، وأرادوا استبدال الأبجدية اللاتينية بها. وفي دستور الدولة الألبانية سنة 1928، نص القرار صريحاً بأنه ليس لألبانيا دين رسمي. كل الأديان والمعتقدات تحترم وتضمن حرياتهما، وأن الأديان والمعتقدات لا يمكن استغلالها للأغراض السياسية.

فكما يظهر أن مبادئ الدولة الألبانية كانت: العلمانية<sup>(3)</sup>، حرية التدين للأفراد، مساواة الأديان، وتوظيف هذه الأديان لخدمة الدولة العلمانية<sup>(4)</sup>.

وهكذا كما ترى فقد تدهورت أوضاع المسلمين وازدادت سوءاً، وأصبح تطبيق أحكام الإسلام أمراً صعباً للغاية في عهد هذا الملك الجائر، أحمد زوغو<sup>(5)</sup>.

وفي سنة 1929 عُقد مؤتمر كبير في ألبانيا وشارك في هذا المؤتمر علماء سنّيون كبار، فخرجوا ببعض النتائج القاسية التي أرضت مملكة الملك أحمد زوغو. ومن جملة هذه

---

(1) حول جواز ومنع ومشاكل وضوابط ترجمة القرآن الكريم، انظر أبحاث الأساتذة الكرام: د. سعاد بلديريم، ود. عبد القهار العاني، ود. حبيب الرحمن إبرمسا في:

*7th International Conference on Translation -The Translation of Religious Texts*, 6-8 December, 1999, Kuala Lumpur, Malaysia, 101-106, 293-315, 319-355.

(2) حول الخلفية التاريخية لترجمات القرآن الكريم إلى اللغة الألبانية، كاملة ومجزأة، انظر دراسة الأستاذ الدكتور فتحي مهديو بعنوان:

Mehdiu, Feti, *Perkthimet e Kur'anit ne gjuhen shqipe*, Logos-A, Shkup, 1996.

(3) حول حقيقة وخطورة العلمانية انظر: القرضاوي، يوسف، الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه، القاهرة، مكتبة وهبة، ط7، 1997، ص74-106.

(4) المرجع السابق، ص31-32، بتصرف.

(5) حول الحياة والثقافة والجهود السياسية لهذا الملك الألباني انظر:

Fischer, Bernd. J, *Mbreti Zog dhe perpjekja per stabilitet ne Shqiperi*, 11-29, 94, 114, 248.

التائج: وجوب التركيز على استعمال اللغة العربية في الخطب والمحاضرات والأدعية العامة فقط، وتوحيد جميع المدارس الدينية والمراكز التعليمية في هيئة موحدة تحت مراقبة المملكة الألبانية، وإغلاق أغلب المساجد الكبيرة إلا مسجدين أو ثلاثة في كل مدينة. وتشير بعض الإحصائيات إلى أن عدد المساجد انخفض بشكل رهيب وملموس بسبب قرارات هذا المؤتمر. ففي سنة 1929 كان عدد المساجد في مدن ألبانيا 990 مسجداً. وانخفض هذا العدد في السنة 1934 إلى 560 مسجداً. ومن جملة النتائج القاسية إجبار رجال الدين كافة على حمل هويات شخصية خاصة من قبل الحكومة المركزية في تيرانا، حتى يكونوا تحت رقابة الدولة ويسهل العثور عليهم<sup>(1)</sup>.

ومن الشخصيات التي نادى بالإصلاح وتحرير المرأة الألبانية ضمن هذا التيار الفكري الديني الإصلاحية، الأستاذ الشيخ قدرى<sup>(2)</sup> (Hoxhe Kadriu) الذي تخرج في معهد الفاتح الثانوي الديني في إسطنبول، ثم في جامعة إسطنبول، كلية الحقوق. وقد كان متفوقاً في دراسته. ثم إنه عمل أستاذاً في الجامعة نفسها، فذاع صيته فيها. انصبت جهوده العلمية والدينية في الحركة

(1) انظر:

Basha, Ali M, *Islami ne Shqiperi gjate shekujve*, 140-146; Bardhi, Ismail, *Hafiz Ibrahim Dalliu dhe egzegjeza e tij Kur'anore*, 75-87; Dela Roka, Roberto Moroco, *Kombesia dhe fete ne Shqiperi*, 32-33.

(2) ولد الشيخ الأستاذ قدرى سنة 1878 في مدينة بريشتنا (Prishtina)، عاصمة كوسوفا الحالية. تلقى تعليمه الأول في مدينته باللغة التركية، وعرف منذ صغره باهتمامه الشديد بالشخصيات التاريخية الكبيرة. واصل دراسته الثانوية في مدينة إسكوبيا المقدونية (Shkup) واشتهر هناك من بين أقرانه بالجد والدراسة، ولشدة حبه للدراسة فكّر والده في تسهيل مواصلة دراسته الجامعية في كلية دار التدريس في إسطنبول رغم ظروفه الاقتصادية القاسية. وقد تمكن من مواصلة تعليمه الديني في مدرسة الفاتح في إسطنبول حيث أجاد اللغة العربية والفارسية، كما أنه درس ثقافات الشعوب الأخرى. له جهود مشكورة ومشهودة إصلاحية دينية ووطنية. انضم إلى كلية الحقوق سنة 1904، وحصل على إجازة عالية وعين أستاذاً فيها. عمل في المحكمة القضائية لدى الدولة العثمانية في إسطنبول. مارس وظيفة المحامي بعد أن نجح في كافة اختباراتهما. عُين وزيراً للعدل في ألبانيا سنة 1920، ثم أصدر مجلته الدينية بعنوان: طريق الحق (Udha e se Vertetes). توفي -رحمه الله- سنة 1925 في تيرانا، عاصمة ألبانيا. للتفاصيل انظر:

Skendi, Eqber, *Hoxhe Kadriu-Kadri Prishtina*, Rilindja, Prishtine, 1992, 8-20, 217-219; Morina, Qemajl, *Hoxhe Kadri Prishtina-Mendimtar Islam*, Kryesia e Bashkesise Islame, Prishtine, 2000, 7-97.

السياسية الوطنية وخدمة الإسلام. قيل إنه كان من المنصفين والموضوعيين في آرائه، شهد له بذلك أقرانه ومعاصروه.



الشيخ قديري Hoxhe Kadriu

ولما تم تعيينه وزيراً للعدل في ألبانيا، عزم على إجراء بعض التغييرات في قانون الأحوال الشخصية في ما يخص مسألة النكاح والزواج. نادى بتغيير القانون الذي ورثوه من الدولة العثمانية. كان من كبار دعاة التحرير والحداثة، لكن ضمن شروط وضوابط معينة<sup>(1)</sup>. كان منصفاً للغاية في كتاباته ومناقشاته مع خصومه أو المخالفين له، إذ إنه لم يخرج من دائرة الأدب الإسلامي إذا اختلف مع الآخر<sup>(2)</sup>، ولم ينتقم لنفسه من الخصم قط<sup>(3)</sup>.

ومن جملة الأفكار التي نادى بها في مناقشاته مع العلمانيين في الصحف والجرائد، أنه كان يعتقد بأن المرأة تعادل نصف المجتمع، فكيف يجوز تركها والتخلي عنها وعدم الاهتمام بها وتركها مشلولة؟! لكن هذا لا يتم كما يعتقد العلمانيون إلا بأن تخرج عارية ومكشوفة!! ولا يشترط للمرأة أن تكون كاشفة إذا ما أردنا تربيتها والرفع من مستواها التعليمي والثقافي. رأى

(1) انظر: Skendi, Eqber, *Hoxhe Kadriu - Kadri Prishtina*, 35-102.

(2) حول آداب الاختلاف مع الآخرين أثناء الحديث والنقاش، انظر: العلواني، طه جابر، أدب الاختلاف في الإسلام، من مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط2، 1992، كواللمبور، ماليزيا، ص87-98.

(3) المرجع السابق، ص152-154، وانظر:

هذا المجدد أن المرأة يجب أن تتوظف وتمارس أعمالاً شريفة تساهم في رفع مستوى البلاد الاقتصادي. ومن جملة الحرف والمهن التي كان يكرهاها الشيخ قدرى ولا يجيزها للمرأة أن تمارسها، مهنة قيادة السيارة أو القطار أو الطائرة<sup>(1)</sup>.

وأما في قضية نكاح المرأة الألبانية المسلمة فكان يرى أنها يجب أن تُستأذن في نكاحها ولا يجوز تزويجها من الشخص الذي تكرهه، كما كانت الحال في بعض أعراق وعادات الألبان. وكان يدعو إلى محاربة النفاق والمنافقين<sup>(2)</sup>.

أقول ولعل هذا من بركة الأدب الإسلامي الذي تلقاه في إسطنبول في معهد الفاتح، لفكره ذي الأبعاد الحضارية والإسلامية والوطنية، والله أعلم<sup>(3)</sup>.

## المبحث الثاني: الأبجدية الألبانية، نشأتها وتطورها

رياح التيار الإصلاحى الدينى كانت تهب على كافة مجالات الحياة الألبانية: الدينية والثقافية والعلمية. ومن القضايا ذات الأبعاد الثلاثة (العلمية والثقافية والدينية)، مسألة الاستمرار بالأبجدية العربية أم تغييرها بالأبجدية اللاتينية بديلاً عنها؟

إن تدهور الدولة العثمانية بلغ ذروته في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. ورؤوس المعارضة للدولة العثمانية بدأت تظهر هنا وهناك، من أبناء الأتراك أنفسهم ومن غير الأتراك أيضاً من العرقيات والقوميات الأخرى. وكما هو ثابت تاريخياً، فإن تعلم وممارسة كتابة اللغة الألبانية كانت ممنوعة لقرون طويلة من قبل الدولة العثمانية على الألبان، بينما كان

---

(1) المرجع السابق، 150-152.

(2) *Historia e popullit shqiptar*, vëll.4, 308-310.

(3) هذه الشخصية الإسلامية والمهمة تناولها كثير من الكتاب بالدراسة والتحليل، لجهوده وحرركاته الوطنية والسياسية، لكنهم للأسف أغفلوا الجانب الإسلامى. ومن أفضل ما رأيت من تناول الجانب الإسلامى في فكر هذا الشيخ، دراسة الأستاذ كمال مورينا بعنوان:

ذلك مسموحاً<sup>(1)</sup> للأقليات الأخرى من اليهود والصرب اليونانيين والأكراد وغيرهم من الأمم<sup>(2)</sup>. وربما يعود سبب هذا النظام، والله أعلم، إلى أن الدولة العثمانية كانت تعتبر المسلمين أمة واحدة<sup>(3)</sup>، رغم اختلاف عرقياتهم ولغاتهم، وأن لغتها يجب أن تكون لغة الدولة العثمانية، لغة واحدة. وعلى هذا الأساس عومل الألبان وغيرهم من المسلمين. لقد سُمح بتعلم اللغة الألبانية بعد ثورة الشباب الأتراك الأحرار (Xhonturqit). وحتى سنة 1908 كانت المدارس في ألبانيا منقسمة بحسب الأديان، فللمسلمين مدارس خاصة وللكتوليك مدارس خاصة، كما أن للأرثوذكس مدارسهم الخاصة التابعة لهم<sup>(4)</sup>. ومشكلة التعليم بدأت تخف في ألبانيا عندما صدر مرسوم من وزارة التعليم من الدولة العثمانية، يسمح للألبان بتعلم لغتهم في المدارس الإعدادية والرشدية<sup>(5)</sup>.

(1) أقول حقاً إن هذا لشيء عجيب وغريب! يُسمح لليهود والصرب والإغريق والأكراد بتعلم لغاتهم وفتح مدارسهم، ويُحرّم الألبان منه! أعتقد أنه ما كان ينبغي للدولة العثمانية أن تتصرف مثل هذا التصرف، ولديها كبار المسؤولين والوزراء العظام والضباط وقادة الجيوش من الألبان، قد بلغ عددهم طوال الحكم العثماني ستة وثلاثين ضابطاً ووزيراً، واثنان منهم كانا شيخي الإسلام لدى الدولة العثمانية. إنهم أبلوا بلاء حسناً لأجل الحفاظ على هيمنة الدولة وهيبتها، ومع ذلك يُحرمون من تعلم لغتهم الأم، فهذا في رأيي خطأ كبير وذنب عظيم اقترفته الدولة العثمانية في حق الألبان، مما سيضطرها إلى أن تدفع ثمنه في ما بعد، وذلك عندما بدأت المقاومة الألبانية بكل وسائلها باستعادة حقها المسلوب. ومقاومة الألبان للدولة العثمانية منذ عهد الإصلاحات، كانت أكبر وأقوى عامل داخلي دمر وأزال الدولة العثمانية من الوجود، والله أعلم.

(2) انظر:

Rizaj, Skender, *Kosova gjate shekujve, XV-XVI-XVII*, 467; Skendi, Stavro, *Zgijimi kombetar*, 334.

(3) هذا الذي ذهب إليه أستاذي ومشرفي الفاضل الدكتور فكرت كارتشش، إذ أطلعني على هذه السياسة التي كانت تتبناها الدولة العثمانية. لكن ذكر أستاذي ومشرفي الآخر، أ.د. بهاء الدين محمد حسين في تعليقه على هذه المسألة، أنه لو كان العثمانيون فعلاً يعتبرون المسلمين أمة واحدة لوجب عليهم أن يُحلّوا اللغة العربية محل اللغة التركية باعتبار أنها لغة القرآن والسنة النبوية، ولغة الخلافة العباسية ومن قبلها الخلافة الراشدة. لكن النزعة العنصرية لدى العثمانيين والأتراك دفعتهم إلى أن يحرموا أبناء القوميات الأخرى من استخدام لغاتهم، مع إجبارهم على تعلم اللغة التركية. وهذا يدخل في دائرة سلب الحرية بأبشع صورته، والله أعلم.

(4) انظر: Skendi, Stavro, *Zgijimi kombetar shqiptar*, 58, 334.

(5) المرجع السابق، ص 335؛ وانظر:

إن قضية تحديد الأبجدية النهائية للألبان نالت اهتمامات كثير من الدارسين قديماً وحديثاً. ويرى بعض الباحثين أن طريق الأحرف والأبجدية الألبانية كانت مليئة بالمشقات والمشاكل والتضحيات، إلى أن وصلت حال الأبجدية إلى ما هي عليه اليوم. وقد بُذل جهد عظيم وأريق دم كثير لحماية هذه الأبجدية. ولا شك أن هذه التضحية تُعتبر صفحة بيضاء ومشقة في تاريخ الألبان، فقلماً تجد في تواريخ الشعوب الأخرى من دافع من أجلها أهلها كما دافع الألبان عنها. وكانت هناك محاولات وجهود شخصية تارة، وجماعية تارة أخرى، لإيجاد حل لهذه الأزمة الاجتماعية والتعليمية في حياة وتاريخ الألبان<sup>(1)</sup>. إن البحث عن أبجدية واحدة عامة ومشتركة بين المسلمين الألبان وغيرهم اتخذ أبعاداً كبرى في القرن التاسع عشر، فهذه الفكرة تولدت من الطبقة المثقفة الألبانية التي كانت في المنفى، بسبب تدهور الأوضاع السياسية والاجتماعية في هذه المرحلة الزمنية في داخل الدولة العثمانية، إذ كان كل شعب يبحث عن مصيره ويطمح لاستقلاله بكل المعاني والوسائل<sup>(2)</sup>.

قبل مجيء العثمانيين إلى الديار الألبانية كتبت اللغة الألبانية بالأبجدية اللاتينية، لأنها كانت أكثر انسجاماً وتوافقاً مع اللغة الأم<sup>(3)</sup>، ولأن الأراضي الألبانية اعتبرت في داخل القارة الأوروبية ومن حقها أن تتبنى الأبجدية اللاتينية نظراً لموقعها الجغرافي. هذا ما رآه وذهب إليه بعض الباحثين.

مع انصرام القرن الثامن عشر وبدايات التاسع عشر، ارتفع الشعور القومي الديني الألباني. كان هذا ملاحظاً في مسألة ترجمات النصوص المقدسة النصرانية، سواء من اللغة اليونانية أو اللاتينية إلى اللغة الألبانية. وفي هذه المرحلة كانت هناك عدة أبجديات متداولة ومستعملة، الأبجدية اليونانية واللاتينية والعربية أو العثمانية<sup>(4)</sup>.

---

Osmani, Tomor, *Udha e shkronjave shqipe - Histori e alfabetit*, Idromeno, Shkoder, 1999, 3-4.

(2) Stavro, Skendi, *Zgjimi kombetar shqiptar*, 336.

(3) Osmani, Tomor, *Udha e shkronjave shqipe*, 5-6.

(4) المرجع السابق، ص 93.

ففي السنوات (1831- 1881)، وجدت هنالك بعض محاولات وجهود فردية في ما يخص الأبجدية الألبانية. هذه المرحلة التاريخية اشتهرت ببعض التغييرات والتطورات، وسمّيت من قبل الباحثين والكتاب مرحلة أو عصر النهضة القومية الوطنية الألبانية. وهدف هذه النهضة كان تحرير ووحدة جميع الأراضي الألبانية، ومقاومة الدولة العثمانية بكل الوسائل المتاحة. ونتيجة لهذه النهضة الألبانية، كانت العلاقات الألبانية والعثمانية قد ساءت للغاية بسبب المقاومة والتمرد المستمرين من المثقفين الألبان. وفي سنة 1876، اجتمع عدد من المفكرين الألبان حول فكرة تشكيل منظمة وجمعية ثقافية ألبانية في إسطنبول. هذه الجمعية كان من مهمتها أن تجمع تبرعات مالية لطباعة الكتب الألبانية<sup>(1)</sup>.

هذه المقاومة بلغت ذروة سنامها مع تشكيل الرابطة أو المنظمة الألبانية في مدينة بريزرن في كوسوفا سنة 1878 كما ذكرنا في الباب الأول. وهدف هذه الرابطة كان هو الهدف نفسه الذي كانت تسعى لتحقيقه النهضة القومية الألبانية العامة. وحدث في هذه الأجواء المتوترة تحوُّل كبير في تاريخ الألبان. انطلق المفكرون الألبان، المسلمون وغيرهم، تحت شعار موحد بينهم، من أن الألبان هم أمة قائمة بذاتها، فلذا يجب أن تكون لهم أبجدية قائمة بذاتها، فاجتمعوا في إسطنبول مرة أخرى وابتكروا أبجدية خاصة لهم، وذلك سنة 1879. هذه المحاولات والاختلافات لم تهدأ لمدة ثلاثين سنة، إلى أن عُقد مؤتمر آخر في مناستير، إحدى الولايات الأربعة الألبانية في مقدونيا الحالية، وسمي (Kongresi i Manastiri) سنة 1908<sup>(2)</sup>.

ثم إن حركة الأدب الألباني المسلم ذات الأبجدية العربية، بدأت هي الأخرى تهتم بالقضايا القومية الألبانية، وذلك من خلال الموضوعات التي كانوا يعالجونها في أشعارهم ونثرهم وخطبهم. بجانب هذا، فإن حركة ترجمة الأناجيل والكتب المقدسة النصرانية إلى اللغة الألبانية كانت في استمرار وتقدم مستمرين من قبل الرهبان بحجة المساهمة والدفاع عن اللغة الألبانية التي هي اللغة الأم!! تم فتح بعض المدارس في بعض المدن والقرى، وبدأ الناس

(1) المرجع السابق، ص296.

(2) Skendi, Stavro, *Zgjimi kombetar shqiptar*, 5-6, 334-350.

يتعلمون اللغة الألبانية بالأبجدية اليونانية، وكُتبت وطُبعت بعض الكتب والرسائل العلمية المتعلقة بالنحو والصرف وغيرها من قبل بعض الرهبان الأرثوذكس المجاورين لليونان<sup>(1)</sup>. في مقابل هذه الحركة الدينية النصرانية في ترجمات النصوص المقدسة، ازدهرت أيضاً جهود علماء المسلمين في كتابتهم للشعر والنثر والدواوين الصوفية الألبانية الإسلامية بالأبجدية العربية، وظهرت الترجمات المختلفة من اللغة العربية والفارسية والتركية. هذا الازدهار الديني والأدبي في هذه المرحلة نال اهتمام الباحثين وعلماء الألبان في العصر الحديث. ولقد كان هناك فضل كبير لجهود بعض العلماء والمؤرخين الألبان من مقدونيا وكوسوفا وألبانيا في دراسة وتأصيل ونقد تلك الكتابات الأدبية العربية المختلفة، سواء السجلات والوثائق، أو دواوين الشعر والنثر، وعرضها أمام القراء، مثل العالم والمستشرق الكبير، حسن كليشي (Hasan Kaleshi)<sup>(2)</sup>، وعثمان مدرسي (Osman Myderrizi)، والمؤرخ الكبير محمد بيراقو (Muhamed Piraku)، والأستاذ الأديب محمود حوسي (Mahmud Hysa)<sup>(3)</sup>، والباحثين الأديبين المستشرقين الألبان: الأستاذ إسماعيل أحمددي (Ismail

(1) انظر:

Osmani, Tomor, *Udha e shkronjave shqipe*, 87-92.

(2) عن هذا الأستاذ الألباني والمستشرق الكبير وجهوده العلمية وأعماله الكاملة غيرها، صدرت دراستان مهمتان في الآونة الأخيرة، هما دراسة الباحث:

Sadiku, Riza, *Hasan Kaleshi - jeta dhe vepra*, Grafoprint, Prishtine, 1996; Mehdiu, Feti & Purreku, Q.Safet, *Hasan Kaleshi-Vepra-1 Studime Publicistike*, Logos-A, Shkup, 1996.

ورسالته في الدكتوراة التي كانت بعنوان:

*Najstariji vakufski dokumenti - iz Makedonije - u Jugoslaviji na arapskom jeziku*, 1960, Beograd.

(3) المرجع السابق، ص 137، ولهذا المؤلف جهود مشكورة في تناوله بالدراسة بعض كبار الشخصيات الإسلامية الألبانية، ومراجعة لبعض المؤلفات الكبيرة التي ألفت في هذا العصر حول الفكر الألباني الإسلامي في دراسات متسلسلة في ثلاثة أجزاء بعنوان: *lamiada shqiptare*, 2000, Shkup, Logos-A.

(Ahmedi)، والأستاذ مهدي بوليسي (Mehdi Polisi)، وغيرهم كثيرون. فهؤلاء يشار إليهم بالبنان في عصرنا في دراساتهم للتراث الأدبي الألباني<sup>(1)</sup>.

فالكُتّاب والباحثون في عصر النهضة انقسموا إلى قسمين: قسم لم يتوقف عن إنتاجه الأدبي باللغة الألبانية لكن بالأبجدية اللاتينية اليونانية، وهم النصاري من الألبان، وقسم آخر لم يتوقف عن إنتاجه الأدبي باللغة الألبانية بالأبجدية العربية وهم المسلمون من الألبان. وقد نبغ مجموعة من الكتاب والشعراء الإسلاميين في الأدب الألباني باللغة الألبانية، مستعملين الأبجدية العربية<sup>(2)</sup>. والمناطق التي اشتهرت بالصحوة في هذا المجال كانت ولاية كوسوفا ومناستير وبعض المدن الألبانية الأخرى، واستمرت هذه الصحوة في الإنتاج الأدبي الإسلامي إلى سنة 1947 من القرن العشرين<sup>(3)</sup>، بل ذهب بعض المؤرخين إلى أبعد من ذلك، ورأوا أن آخر وثيقة أو رسالة باللغة الألبانية مع الأبجدية العربية عُثر عليها في كوسوفا سنة 1970 من القرن العشرين<sup>(4)</sup>.

ومن الذين نبغوا في هذا نذكر: الكاتب الصوفي نظيم فراكولا (Nezim Frakula)، الشيخ العلامة محمد كوشوكي<sup>(5)</sup> (Muhamed Qami Kyqyky)، والشيخ الداعية طاهر أفندي

---

(1) لقد كان للباحث شرف اللقاء والاستفادة والبحث والنقاش مع الأساتذة الأفاضل المذكورين آنفاً، مثل الأستاذ الكبير د. محمد بيراقو، والأستاذ الفاضل د. إسماعيل أحمددي، والأستاذ د. مهدي بوليسي، أثناء قيامي بالبحث عن المصادر والمراجع المتعلقة بموضوع الرسالة في بلدي كوسوفا، وقد أفدت منهم كثيراً في مختلف المجالات، فقد زدوني بالكتب والمصادر والمراجع النادرة. وانطلاقاً من مبدأ معرفة الفضل والعرفان لأهل العلم، أحببت أن أسطر في هذه الرسالة شكري وتقديري الخالص والخالد لهم، فجزاهم الله خير الجزاء.

(2) انظر: Ahmed, Ismai, Hafez Ali Korca - Jeta dhe veptra, Logos-A, Shkup, 1999, 61-96.

(3) انظر: Osmani, Tomor, Udha e shkronjave shqipe, 138.

(4) انظر: موفاكو، محمد، الثقافة الألبانية بالأبجدية العربية، 2-20.

(5) وقد نال رسالة الدكتوراة الأستاذ الفاضل والباحث الألباني من كوسوفا، كاظم كاظمي (QazimQazimi) في دراسته للاتجاه الأدبي القصصي في الدراسات القرآنية المتمثل في فكر الشيخ العلامة محمد تشامي في قصيدته المشهورة: يوسف عليه السلام وزليخا (Jusufti dhe Zulejhaja). وقد نشرت فقرات من هذه الدراسة في المجلة الإسلامية المشهورة الصادرة من المشيخة الإسلامية في كوسوفا: (Dituria Islam) في الأعداد التالية:

بوشنياقو (Tahir efendi Boshnjaku)، الشيخ فيصل جلاء الدين غوطة ( Vesel Xheladin Guta) وغيرهم كثيرون<sup>(1)</sup>.

نتيجة لهذه المحاولات الفردية والجماعية ظهرت أربعة اتجاهات رئيسة ومختلفة في ما يخص تبني الأبجدية الألبانية:

الأول: اتجاه أراد تبني الأبجدية اللاتينية، الثاني: كان يرى تبني الأبجدية اليونانية، الثالث: كان يفضل أن يبدع أبجدية جديدة غير مسبوقة وغير مشابهة للأبجديات السابقة، والرابع: دافع وناضل لاستعمال الأبجدية العربية-التركية الموروثة من قبل الدولة العثمانية.

وحجة الاتجاه الرابع في هذه القضية كانت أن نبذ الأبجدية العربية التي كُتب القرآن الكريم بها وتبني الأبجدية اللاتينية، والكتابة من الشمال إلى اليمين وتقليد الغربيين في ذلك، كل هذه الأمور تؤدي بالناس إلى الخروج من الإسلام، وأن ذلك يعتبر إثمًا وفسقًا ومعصية.

مقابل هذا الموقف الديني المتمسك والمحافظ، وُجد موقف آخر من بعض العلماء المصلحين والمتنورين الذين كانوا يقولون بأنه من الخطأ اعتقاد أن القرآن الكريم يأمرنا ويلزمننا بالأبجدية العربية فقط<sup>(2)</sup>، وأن هذه القضية فيها سعة ومرونة، وعلينا ألا نُضيق على الناس بإلزامهم بهذه الأبجدية. ومن بين هؤلاء المفكرين الألبان المتنورين الذين ناقشوا هذه القضية:

(1)<sup>(4)</sup> (Naum Veqilharxhi, Hoxha Hasan Tahsini<sup>(3)</sup>, Sami Frasheri, etj)

---

*Vepra Letrare e Muhamed Qamit dhe poetet e Lindjes*, Nr. 133, 2001, Nr: 134-135, 2001, *Jusuifi e Zulejhaja – histori e poetizuar*, Nr: 142, 2002, Nr: 143, 2002, Nr: 144-145, 2002.

(1) انظر:

Guta, Mulla Vesel Xheladin, *Perendia me frymezoi*, Focus, Shkup; Hajdari, Salih: *Poezia e bejtexhinjeve*, 344-380, 429-476; Pirraku, Muhamed, *Kultura kombetare shqiptare deri ne Lidhjen e Prizrenit*, 226-227, 229, 244-249; Tomori, Osman, *Udha e shkronjave shqipe*, 139-142; Zekaj, Ramiz, *Zhvillimi i kultures Islame te shqiptaret gjate shekullit XX*, 252-381.

(2) Skendi, Stavro, *Zgjimi kombetar shqiptar*, 340.

(3) هذا الشيخ والعالم الفلكي والنفسي والرياضي، الذي كان أول مدير ألباني لجامعة إسطنبول في عهده، وكان ذا ثقافة عربية وفرنسية وألبانية وتركية وفارسية، كان يرى أن اللغة الألبانية لا تصلح لها الأبجدية العربية أو اليونانية أو اللاتينية، نظراً

إلا أن القوميين الألبان الذين كانوا في المهجر مثل، الإسكندرية في مصر، وإسطنبول في تركيا، وبقورشت في رومانيا، وصوفيا في بلغاريا، لاحظوا الفجوة الكبيرة الناجمة عن عدم وجود أبجدية موحدة للألبان، وظنوا أن هذا هو السبب لتخلفهم وعدم تقدمهم. قال المفكر والأديب الموسوعي الألباني، سامي فراشيري: «إن الأقسام والشعوب تحيا بلغاتها، وإن قوماً ما، إذا لا يكتبون بلغتهم، فإنهم سرعان ما يُنسَوْنَ ويُضَيَّعُونَ»<sup>(2)</sup>.

وبعد نقاش طويل وجدال عريض، توصلوا إلى تشكيل أبجدية ألبانية موحدة ومشكلة، مع اختلاف يسير في بعض الأحرف، وذلك سنة 1879، إلا أن الأمر لم يقف عند هذا الحد، وقضية الأبجدية لم تكن قد حُسمت بعد. وعندما أصيب العالم الإسلامي والعربي بنكبة إسقاط السلطان عبد الحميد الثاني من عرش الخلافة، وتم تدمير الخلافة الإسلامية وإزالتها من أساسها من قِبل اليهود ومجموعة الشبان الأتراك الأحرار، استغل هؤلاء المفكرون الألبان في المهجر فرصة هذه المرحلة الفوضوية، فأقاموا جمعيات قومية كثيرة في ألبانيا وخارجها بهدف تطوير ودفع عجلة التعليم والاستقلال الألباني إلى الأمام<sup>(3)</sup>.

وفي مرحلتها الأخيرة من نشأة هذه الأبجدية عقد مؤتمر كبير بتاريخ 14-22 / 11 / 1908، وعُرضت في هذا المؤتمر على طاولة النقاش كثير من الأبجديات المختلفة

---

لخصائص اللغة الألبانية مع بقية اللغات الأوروبية. فاقترح أن تكون للغة الألبانية أبجدية خاصة بها، لها ميزاتها وسماتها الخاصة. وكان قد أعد أبجديته الخاصة كنموذج يقتدى به في الكتابات العامة الألبانية، ولكن الآخرين لم يوافقوه عليها.. انظر:

Hoxha, Ibrahim Daut, *Hoxhe Hasan-Tahsin efendiu - te tjeret per te*, (AIITC, Tirane, 1998, 8-11, 30-33, 40, 58, 78-145; Tomari, Osman, *Udha e shkronjave shqipe*, 218-235, 298; *Historia e popullit shqiptar*: vell.4, 135-139.

(1) للتوسع انظر:

Tomori, Osman, *Udha e shkronjave shqipe*, 173-175; Skendi Stavro, *Zgjimi kombetar shqiptar*, 340.

(2) انظر: Osmani, Tomor, *Udha e shkronjave shqipe*, 296

(3) انظر للتوسع في هذا الموضوع:

Skendi, Stavro, *Zgjimi kombetar shqiptar*, 342; Xhelili, Qazim, *Vehbi Dibra personalitet dhe veprimtar i shquar i levizjes kombetare*, 30-78.

من قبل المفكرين للحسم النهائي لها. كما أنه نوقش في هذا المؤتمر، لكن بشكل هامشي، موقف الشرع الإسلامي من قضية الكتابة من الشمال إلى اليمين، وصعوبة تعلم القرآن الكريم. فالقضية - كما ترى - كانت لها أبعاد دينية أيضاً.

ومن النتائج القاسية والمرة التي أعقبت هذا المؤتمر القومي عزل ثمانية من رجال الدين الإسلامي والأئمة في المساجد، ومنعهم عن ممارسة العمل والإمامة في بعض المحافظات الألبانية، بحجة أنهم لا يقرؤون بالأبجدية الجديدة. وفُرض عليهم إحضار تزيكات وشهادات من الجمعيات التعليمية بأنهم فعلاً حضروا الدروس والمحاضرات بالأبجدية الجديدة، وأنهم نجحوا في اختباراتهما، وأنهم الآن قادرين على القراءة والكتابة بها<sup>(1)</sup>! إن هذا شيء عجيب! أقول يا للعار والعبث بالدين الإسلامي وأهله! وهكذا تكون العواقب وخيمة عندما تغيب السلطة الإسلامية من الساحة، والله المستعان.

وقد حدثت ردود فعل وأعمال شغب من المسلمين في كافة أنحاء الأراضي الألبانية، لا سيما في ولاية كوسوفا وولاية إشقودرا، حيث عارضوا بشدة وقوة هذا النوع الجديد من الأبجدية، واعتبروه خطوة لتتصير المسلمين<sup>(2)</sup>.

نتيجة لهذه التطورات والاضطرابات القومية والاجتماعية والدينية، عقد مؤتمر آخر في العام الذي يليه، في مدينة دبرا (Dibra)، بتاريخ 22/07/1909 للبحث عن قضايا التعليم. نتائج هذا المؤتمر كانت أخف حدة من سابقه، إذ تم اتفاق بين أعضائه على فتح المدارس الإعدادية والثانوية في كافة أنحاء ألبانيا، وأن يمارس التعليم باللغة الألبانية، وعلى ضرورة استعمال اللغة الألبانية في المدارس والإدارات، إلا أن من مميزات هذا المؤتمر، أن طريقة تعلم الألبانية سواء أكانت بالأبجدية اللاتينية أو العربية، لم تكن ذات أهمية كبيرة؛ المهم أن يتعلم الشخص الألبانية كتابة وقراءة بأي أبجدية شاء<sup>(3)</sup>.

إن سبب عدم موافقة الدولة العثمانية على مطالب الألبان في قضية الأبجدية، هو أنها خشيت

(1) انظر بتصرف: Skendi, Stavro, *Zgjimi kombetar shqiptar*, 341.

(2) المرجع السابق، ص 342.

(3) المرجع السابق، ص 343.

على نفسها من التمرد الألباني العام، وأن هدفهم من وراء هذه المطالب كان الاستقلال والانقطاع التام والنهائي عن الدولة العثمانية. هذا الخوف وهذا الحذر دفع بشيخ الإسلام إلى أن يصدر فتوى صارمة وحاسمة في هذا الشأن بتاريخ 22 / 03 / 1910، جاء في مضمونها التحريم القاطع لاستعمال وتبني الأبجدية اللاتينية. وقد نُشرت نسخ من هذه الفتوى في كافة رئاسات الإفتاء الفرعية في المدن الألبانية.

وإضافة إلى ما ذُكر فإن الدولة العثمانية لجأت إلى استخدام القوة والعنف لإغلاق كافة الجمعيات الألبانية التي كانت تهتم بهذا الشأن، لأن تلك الجمعيات كانت تحرّض وتشجع الشعب على المعارضة وعلى التمرد. وبعد مضي ثمانية أشهر من العنف والاضطراب الأمني في داخل البلاد، يبدو لي - والله أعلم - أنها فشلت في إخماد هذه الجمرة الألبانية المشتعلة، وإذا بوزارة الداخلية في الدولة العثمانية تصدر قراراً مفاجئاً تم السماح فيه بفتح جميع المدارس التي أُغلقت، وفتح مدارس جديدة أخرى. وأحد بنود هذا القرار كان ينص على أحقية الشعب الألباني بتعلم اللغة الألبانية بأبجديتها الخاصة بها. وأما بالنسبة لتعلم القرآن الكريم فنصّ القرار على وجوب التعلم بالأبجدية العربية، لا غيرها<sup>(1)</sup>.

وهكذا تنتهي هذه المعركة الاجتماعية بصدور هذا القرار الجديد. ولعل هذا كان تمهيداً لاستقلال ألبانيا في العام الذي يليه، وذلك بتاريخ 28 / 11 / 1912، والله أعلم.

## المبحث الثالث: الصراع الفكري والثقافي في المجتمع الألباني خلال القرن العشرين

ملامح التيار الاجتماعي الإصلاحية الديني في فكر الألبان، بدأت تظهر أكثر فأكثر في بدايات القرن العشرين، لا سيما العقود الثلاثة الأولى التي شهدت تطورات وأحداثاً كثيرة. فالشيوعية أخذت تنتشر وتُرسخ جذورها بشكل مباشر وسريع في الأراضي الألبانية. والأوضاع

---

(1) المرجع السابق، ص 350، بتصرف شديد. وانظر أيضاً:

الاقتصادية والسياسية ساءت للغاية قبيل الحرب العالمية الثانية، بسبب الاستقطابات السياسية والفكرية المتعددة (Polarizimi i situates ideologjike dhe politike) في أوروبا. نتيجة لهذه الأحداث والتغيرات، وبسبب الجرائم التي انتشرت بشكل غير مسبوق، وانتشار الرذائل مثل الزنا والأنانية والظلم الاجتماعي والتجسس والفساد... إلخ، فإن الناس في هذه الأراضي أصيبوا بخيبة أمل واضطراب نفسي وخوف من المستقبل، إذ إن هذه الأمور كانت قد استوطنت في نفوس أهل هذه البلاد، حيث كان المرء يشك ويحذر من الآخر، والكل كان يتجسس ضد الكل. ومنذ ذلك الحين إلى يومنا هذا، فإننا ما زلنا نجني ثمارها المرة<sup>(1)</sup>.

إن فكرة الإلحاد وإنكار الدين جملة وتفصيلاً كان قد أطلت برأسها، وشمرت عن ساعديها لاجتياح المنطقة بمبادئها المادية في المدارس والهيئات والمنظمات وغيرها. والعلماء والمفكرون الألبان ضحوا بكل ما يملكون في سبيل الحفاظ على العقيدة الإسلامية وحفظ الوطن من أطماع الأعداء المستعمرين من الإيطاليين واليونانيين<sup>(2)</sup>.

ومن العلماء والمفكرين الذين وقفوا ضد التيارات الفكرية الشيوعية القادمة من أوروبا ومن روسيا إلى أهالي هذه المنطقة، نذكر الشيخ العلامة، الحافظ علي كورتشا<sup>(3)</sup> (Hafiz Ali Korca)، وموقفه الصارم والثابت الذي كان يجهر بالحقيقة ولا يخشى في الله لومة لائم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. ونحن إن شاء الله سيكون لنا عودة مرة أخرى إلى جهود هذه الشخصية الكبيرة في ما يخص اتجاهه ومنهجه في الدراسات القرآنية، كنموذج تطبيقي لهذا التيار الفكري الإصلاح الديني. أما هنا فإننا سنتناول جانباً آخر من موقفه.

---

(1) انظر بتصرف: Basha, M. Ali, *Islami ne Shqiperi gjate shekujve*, 147

(2) انظر المرجع السابق، ص 147-148.

(3) حول هذه الشخصية الدينية الإسلامية صدرت أخيراً دراسات جيدة وقيمة. ومن أفضل ما رأيت من تلك الدراسات القيمة الشاملة التاريخية والفكرية، كانت دراسة الأستاذ الدكتور إسماعيل أحمددي، في رسالة دكتوراة عن حياة وأعمال وفكر الشيخ الحافظ علي كورتشا بعنوان: *Hafiz Ali Korca - Jeta dhe vepra*

وانطلاقاً من وجوب حماية الدين الإسلامي من الأفكار الهدامة ومن الزحف الأحمر الشيوعي، والجهد بالكلمة والقلم، فقد ألّف الشيخ الحافظ علي كورتشا في سنة 1925<sup>(1)</sup>، كتاباً سمّاه: (Bolshevizma a ckaterim i njerzimit)، (البلشفية<sup>(2)</sup> الشيوعية مدمرة ومهلكة للإنسانية). وكان قد سطرّ على جلد الرسالة أبياتاً ذات معانٍ عظيمة وحاسمة مبيّناً موقفه فيها منذ البداية فقال:

Bolshevizma s'pajton kurrë

Me dinin e Muhamedit

Çelët do ta kene luftën

Gjer ditën e Kijametit<sup>(3)</sup>

ومعنى هذه الأبيات أن دين محمد؛ أي الإسلام، لا يقبل هذا النوع من الفكر والمذهب البلشفي، وأن حربنا معهم ستكون إلى قيام الساعة. إن الشيخ الحافظ علي كورتشا، كان يتمتع بفكر وقادٍ وأصيل، وذهن حادٍّ وبصيرة نافذة، فأخذ يغوص ويتعمق ويبين أبعاد وأضرار هذه الحركة الشيوعية. وقبل أن يبيّن أضرار المادية في هذه الرسالة، بيّن بعض الأسس والمبادئ المالية وموقف القرآن الكريم من المال، فذكر قوله تعالى: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾ (الشورى: 27)، فقد قال إن سنة الله

(1) وقد عانيت من المشاكل والصعوبات أثناء قيامي بالبحث في ألبانيا عن مؤلفات هذا الشيخ، المطبوعة وغير المطبوعة، وتصويرها واستخراجها من المكتبة المركزية في عاصمة ألبانيا-تيرانا. فلولا فضل الله تعالى ولطفه، ثم جهود ومساعدات بعض الإخوة والأساتذة، مثل الأستاذ الدكتور: (Ramiz Zekaj) والأستاذ الدكتور: (Ibrahim Gashi)، ربما استحال لي إخراج تلك الرسائل والكتب من المكتبة المركزية، فجزاهم الله خير الجزاء على ما قدموا وأنا لهم شاكر ومقدر.

(2) للمزيد حول البلشفية الروسية راجع هذه المصادر:

Bogdanor, Vernon, *The Blackwell Encyclopaedia of political institutions*, Oxford, 1987, UK, 50-51;  
Krieger, Joel, *The Oxford companion to politics of the world*, Oxford University Press, 1993, Russian Revolution; Bealey, Frank, *The Blackwell dictionary of political science*, Oxford, 1999, UK, 31.

(3) Korca, Hafiz Ali, *Bolshevizma a Ckaterim i njerezimit*, Shtypshkronja, Mbrothesia, Kristo P. Luarasi, 1925, 1.

تبارك وتعالى اقتضت أن يكون هناك تفاوت في الأرزاق حتى تيسر الحياة على وجه الأرض، وحتى يخدم الناس بعضهم بعضاً، وإلا لتعطلت الحياة إذا كان الجميع على مستوى واحد من الغنى. ولأجل ذلك يجب على الجميع البحث والكد المستمر عن الرزق، حتى تمضي عجلة الحضارة إلى التقدم والتمدن، وإن الله تبارك وتعالى لم يخلقنا عبثاً<sup>(1)</sup>.

ثم إن الشيخ العلامة الحافظ علي أخذ يبين جذور هذه الفكرة الروسية البلشفية الشيوعية قائلاً:

«إن شجرة الزقوم الملعونة البلشفية زُرعت منذ 70-80 سنة من قبل كارل ماركس، (Karl Marks)، ثم سقيت في بعد ذلك بماء لينين (Lenin)، ونود أن نخبر إخواننا عن مدى العداوة الشديدة التي يُكَنِّها اليهود في صدورهم تجاه المسلمين. قال الله تعالى في سورة الأنعام: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (المائدة: 82)، وجميع الكوارث والمصائب التي أصابت العالم الإسلامي منذ القديم إلى الوقت الحاضر كان مصدرها اليهود والمشركين. وإن كثيراً من اليهود أسلموا بغرض الإضرار بالإسلام والمسلمين. وعبد الله بن سبأ بث شكوكاً وأفكاراً معادية ومخالفة للإسلام قائلاً بأن علياً - كرم الله وجهه - هو (إله)، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. كذلك معركة صفين الدامية كانت من ورائها أصابع خفية يهودية، وإن المسجد «ضراراً» الذي كان في المدينة كان قد أيد بناءه اليهود<sup>(3)</sup> والمنافقون بغرض التشكيك والإضرار، كما أنهم قتلوا كثيراً من الأنبياء والمرسلين وارتكبوا جرائم أخرى كثيرة ضد الإنسانية<sup>(4)</sup>.

(1) المصدر السابق، وانظر رسالة الدكتوراة مطبوعة للأستاذ المستشرق الألباني:

Ahmedi, Ismail, *Hafiz Ali Korca - Jeta dhe vepra*, 45; Ahmedi, Ismail, *Largpamesia denoncuese per koncepcionin Bolshevik Hafiz Ali Korca*, Jehona, No.5, Tirane, 2000, 10.

(3) حول التاريخ والفرق والعقائد القديمة والحديثة، وخطورتهم على الإسلام والمسلمين، انظر دراسة الأستاذ الدكتور عرفان عبد الفتاح حميد بعنوان: اليهودية - عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، عمان، دار عمار، ط 1، 2002، ص 34-245.

(4) انظر: 7-8: *Ali, Hafiz, Bolshevizma a ckaterim i njerzimit*.

ثم إن الشيخ نبّه إلى خطر اليهود من الناحية الاقتصادية، إذ إنهم فشلوا في محاربة النصارى والمسلمين، فلجؤوا إلى الحيل والطرق الأخرى مثل الاقتصاد وتأسيس جمعيات ماسونية، مثل جمعية «البنائون الأحرار» التي كان شعارها «الأخوة العامة للجميع». وكما يظهر فإن الشيخ كان على وعي تام بما يجري في واقعه المعاش من الأفكار والمذاهب الهدامة من قبل أعداء الإسلام.

وهكذا أدرك الشيخ خطورة الفكرة الماركسية اليهودية، التي ابتكروها باسم المدنية والحضارة، وأنها كانت تحارب وتتكلم جميع الأديان، وتسبب كوارث ومشاكل للناس، لا تعد ولا تحصى<sup>(1)</sup>.

وعن بعض الآثار السلبية الناجمة عن هذه الفكرة الماركسية نقل الشيخ الحافظ علي كورتشا عن أحد العلماء المسجونين في روسيا وتشيكوسلوفاكيا. «من كان مؤمناً بالقيامة الكبرى فلينظر إلى القيامة الصغرى التي قامت في روسيا وتشيكوسلوفاكيا. كم من الناس والأبرياء قتلوا، وكم من المساجد والمعابد أزيلت ودمرت، كم من الأغنياء أصبحوا فقراء، وكم من الناس ذوي الطبقات العالية أصبحوا أذلاء حقيرين لا قيمة لهم بسبب اتباع الاشتراكية بثوبها الشيوعي، وإن طوفان نوح عليه السلام قد كان بالماء، فانظروا إلى طوفان ماركس فإنه حقاً كان بالدماء»<sup>(2)</sup>.

أقول إن هذا لوصف دقيق وفهم ثاقب لأبعاد وأضرار النظام الشيوعي التي لحقت بالاتحاد السوفيتي والدول الأخرى التي تريد أن تتبع ذلك النظام الفاشل.

والشيخ الحافظ علي أيضاً قد تنبه إلى قضية دينية أخرى هي هذه القضية المهمة، وقراءته للأوضاع المحلية والعالمية تميزت بالنظرة الدينية أيضاً، فقد نقل من المصدر المذكور: «.. من أن كارل ماركس كان يهودياً متعصباً، وكان يتبع تعاليم التلمود في فكرته ومنهجه، زاعماً أنه يجب أن تكون هناك ثورة عامة لطبقة العمال والضعفاء، التي عُرفت باسم: البروليتاريا (Proletariati)، وأن عليهم أن يتسلموا الحكم، وأن كل المبادئ الإنسانية والروحية

(1) المصدر السابق، ص 10-11.

(2) المصدر السابق، ص 12-13.

من دين وكرامة وعرض وحياء يجب أن تنبذ وترفض.. وأن ماركس فعلاً عاشق ومحِب للتوراة، وخدام تلمود!!<sup>(1)</sup>.

يبدو أن تعاليم روسيا الإلحادية وثورة لينين سنة 1917 كانت قد انتشرت بسرعة كبيرة، والشيخ أدرك أضرار هذه الفكرة، وأنها ستتشر بسرعة فائقة لدى المسلمين في ألبانيا أيضاً، فراح يستشهد ويدعم دعوته بكلام كبار الباحثين والدارسين للشيوعية الماركسية، حتى يفهمها المسلمون الألبان على وجهها الصحيح. فذكر الشيخ الحافظ علي أن البلشفيين (الشيوعيين) منعوا وأنكروا جميع الأديان، وأن كثيراً من الرهبان والمشايع العلماء قد أُحرقوا أحياء، وأن الشيخ جمال الدين الأفغاني كان قد ذكر في كتاب له قبل خمسين عاماً أن الشيوعية ستدمر العالم، وأنها ستهلك وستتأصل البشرية من جذورها<sup>(2)</sup>، وأن هذا الزحف أو الخطر الأحمر قد أحرق المصاحف والأنجيل والكتب العلمية. كما أن من مبادئ الشيوعية إنكار الإله والدين والأنبياء جملة وتفصيلاً، وأن تلك الكتب المقدسة قد انتهت زمانها، وإنما الآن علينا أن نتبع «القرآن الماركسي»، وأنهم ينكرون الصيام والصلاة، ويرون أن السعادة الحقيقية تأتي من الإلحاد فقط. وفي المدارس الحكومية العامة كان الأساتذة يلقنون التلاميذ مبدأ الإلحاد وفكرة عدم وجود الإله، كما أنهم شككوا في الزواج وأنه لا داعي للمرء أن يتزوج وأن يتحمل مسؤولية الأولاد، الرجل يبقى رجلاً والمرأة تبقى امرأة، وأنه إذا وجد الأولاد فلا مسؤولية عليهما، وأن الزوجة حرة في أن تختار وتغير من الأزواج ما شاءت ومن أرادت، وغيرها من المبادئ الهدامة التي يستحيي القلم من ذكرها<sup>(3)</sup>.

---

(1) المصدر السابق، ص 14.

(2) لم يشر الشيخ الحافظ علي كورتشا إلى اسم ذلك الكتاب للشيخ جمال الدين الأفغاني. وكان من الواجب عليه - رحمه الله - بيان المصدر وتوثيق كلامه، والله أعلم.

(3) المصدر السابق، ص 16-21، بتصرف شديد، وانظر هذا البحث غير المنشور الذي حصلت عليه في ألبانيا بعد شق الأنفس، للباحث المؤرخ:

Hoxha, I. Daut, *Hafez Ali Korca - Veprintaria e tij ne lemin atdhetarise dhe arsim-kultures shqiptare e Arabo-Osmane-Persiane*, 1995, Tirane, 5-12.

وكان من منهج الشيخ أنه بعد أن يتحدّث ويسهب في الحديث، يثبت ويعقب على كلامه بالأدلة والحقائق. فراح يذكر الإحصائيات التي يشيب منها الولدان وتعجز العقول عن تصديقها، عن مدى الأضرار والخسائر البشرية، والاقتصادية والدينية والزراعية التي لحقت بتلك الشعوب جراء تلك المبادئ<sup>(1)</sup>.

وأخيراً في حديث الشيخ عن هذه الفكرة وإمكانية انتشارها في العالم، وبما أن اليهود كانوا نفوذهم كبيراً في زمانه، وأن زمام الأمور كانت بيدهم في كل المجالات، تنبه إلى خطرهم قائلاً بأن الدين الإسلامي ليس بحاجة إلى هذه الفكرة ولا إلى هذا النظام الفاشل، لأن في الإسلام الديموقراطية والأخوة والمساواة الحقّة، وأن محمداً -صلى الله عليه وسلم- لم يكن يتميز كثيراً بين أصحابه، وأن مؤسسة الزكاة وصدقة الفطر تتضمن الأخوة والاشتراكية الدينية الكفيلة<sup>(2)</sup>.

ومن الذين وقفوا في وجه التيار العلماني والإلحادي بشدة، وناقشوا هذه الفكرة، الشيخ الحاج وهبي دبرّا أغولي (Haxhi Vehbi Dibra Agolli)، الذي قال: «عجيباً أن يكون الإلحاد<sup>(3)</sup> وعدم التدين والإنكار لله علاجاً شافياً لتفرقتنا وتمزقنا في ما بيننا! هذا الشيء لم نكن نعلمه من قبل! إن قوماً أو شعباً كالألبان، أتباع الدين الإسلامي والنصراني بشقيه (الأرثوذكسي والكاثوليكي)، كيفهم هذا التفرق الديني. فهل تريدون أن نشكل فرقة أخرى منشقة ومنقسمة، ويزداد حزب آخر جديد؟! هل تتوحد كلمة هذا الشعب بهذا الحزب الإلحادي الجديد أم تتفرق؟! إن الدين لا يمكن أن يُفرض على الناس فرضاً، وإنما علينا البلاغ. فلاجل ذلك، إن دستور الدولة ضمن وسمح حرية التدين والدعوة إليه. ولا شك أننا لو قبلنا مثل هذه الأفكار

(1) راجع المصدر السابق للاطلاع على الإحصائيات الرهيبة، ص 22-23.

(2) راجع المصدر السابق، ص 22-31، فإن فيه حقائق جليّة ولا نستطيع أن نتوسع أكثر من هذا القدر، وكذلك يراجع دراسة الأستاذ الدكتور إسماعيل أحمددي لمعرفة المزيد عن جهود وآراء هذا الشيخ -رحمه الله-، ولنا لقاء آخر به في تحليل نماذج من تفسيره للقرآن الكريم إن شاء الله تعالى في الفصل القادم من هذه الباب.

(3) حول بعض المسائل المتعلقة بالإلحاد واليهودية والشيوعية والرد عليها وغيرها، انظر: الغزالي، محمد، قذائف الحق، دار القلم، دمشق، ط 2، 1997، ص 20-23، 187-207.

والاتجاهات الإلحادية والعلمانية، لاختلافنا أكثر ولتفرقت كلمتنا ولازداد ضعفنا ولم تعد لدينا قوة لمواجهة العدو، هكذا تنهار دولتنا. إن العدو يهابنا، ويُسدُّ الطريق أمامه بشرط واحد فقط، إذا اتفقنا واجتمعنا حول محور وهدف واحد عالٍ<sup>(1)</sup>.

ولمعرفة المزيد عن هذا التيار وحقيقته، والتحدي الذي كان يواجهه المسلمين الألبان، يمكننا الرجوع والاطلاع على الخطب والمحاضرات والدروس العلمية التي كان يلقيها العلماء. ولا شك أن هؤلاء المشايخ والعلماء كانوا مدركين وعارفين لواقع الأمة الإسلامية الألبانية ومعاشها. فقد كانت هناك دروس تفسير وحديث وتصوف وأخلاق وفقه للعبادات والمعاملات بشكل منتظم، وتُعقد كل يوم خلال شهر رمضان المبارك في المساجد أو الدوائر الجماعية العامة. والذي لفت انتباهي هو دروس التفسير للشيخ العلامة وهبي دبرا. قيل عنه إنه كان يتوسع ويتعمق جداً في تفسيره للقرآن الكريم. فقد استغرق تفسيره لسورة الفاتحة أشهراً عديدة، نظراً للمعاني الكثيرة التي شملتها هذه السورة المباركة، والتي كان يستنبطها الشيخ منها نظراً لفهمه الدقيق، وسعة اطلاعه على كتب التفسير واللغة والتصوف والفقه. وكانت المجلة العلمية الدينية التي كانت تصدرها المشيخة الإسلامية آنذاك، تنشر مقالات ودروس الشيخ وهبي دبرا. وسأقتبس قيسات من تفسيره لسورة الفاتحة لنرى كيف كان يُحذّر المسلمين الألبان من مغبة وآثار العلمانية والإلحاد وغيرها من المذاهب الهدامة، وكيف أنه بيّن فضل القرآن الكريم والشريعة الإسلامية السمحة ودعا إليها قائلاً:

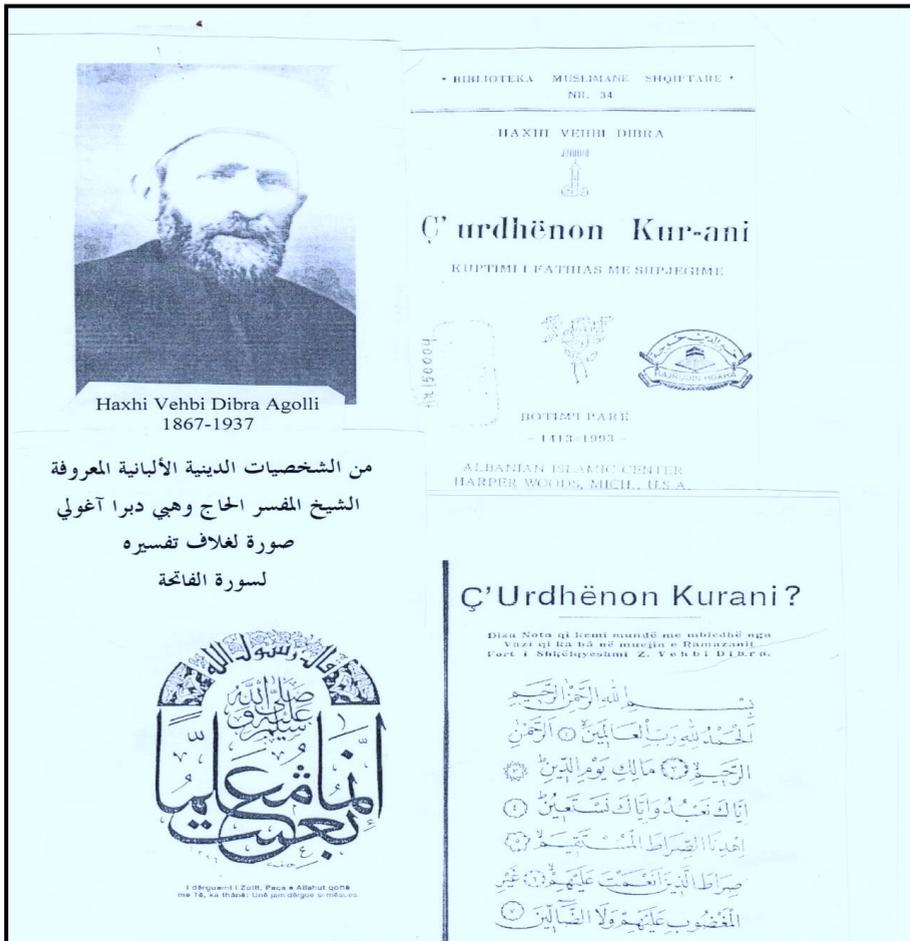
«إن القرآن الكريم قد حدد معالم المدنية والتحضّر، وبيّن طريق العدل والإدارة والتعلم والصناعة والتجارة والاقتصاد والأخوة والأخلاق. الحضارة والمدنية التي يدعو إليها القرآن توفر سعادة الحياتين، الدنيا والآخرة»<sup>(2)</sup>.

---

(1) Basha, M. Ali, *Islami ne shqiperi gjate shekujve*, 151-152.

(2) Dibra, Haxhi Vehbi, *C'urdheron Kur'ani - Kuptim i Fatihes me shpjegime*, Albanian Islamic Center, Harper Woods, Mich., U.S.A., 1st edit. 1993, 3.

ويبدو لي من تعليقه على قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (النساء: 58)، أن المجتمع الألباني كان متلبساً بالفساد الإداري والاجتماعي والقانوني، فقد قال في هذا الصدد: «علينا أن نختار شخصاً مؤهلاً للقيام بوظيفة ما، ثم إن عليه أن يعمل وأن يحكم بالعدل، أليست هذه نظرية دينية فلسفية مهمة وذات قيمة عالية. إن حياة أي شعب وتقدمه مشروطان بهذين الشرطين: الأمانة والعدل، الموظفون المؤهلون والأمناء، والحكم بالعدل»<sup>(1)</sup>.



(1) المصدر السابق، ص 4.

وكان يتطرق في تفسيره إلى بيان محاولات الأعداء وجهودهم لبث الشك في نفوس المسلمين، فإنه كان يدعو إلى عدم الاكتفاء بالإيمان الذي ورثناه عن آبائنا، وهو الإيمان التقليدي، وإنما علينا أن نتقل إلى المرتبة الثانية وهي مرتبة الإيمان الاستدلالي، وذلك من خلال دراستنا وبحوثنا العلمية للطبيعة وأن نتعرف من خلالها إلى معرفة الخالق سبحانه وتعالى (1).

وأما القضية القومية والوطنية، فإنها كانت في سُلّم الأولويات في أحاديث المشايخ ورجال الدين الإسلامي وغيرهم في ذلك الوقت، وجمهور المشايخ في الأراضي الألبانية أيدوا فكرة استقلال ألبانيا من الدولة العثمانية في سنواتها الأخيرة قبل الانهيار وناصروها، وكان لهم دور بارز وفعال مع أعضاء حركة النهضة القومية الألبانية. دفعهم إلى ذلك خوفهم وقلقهم من الدول الصليبية المجاورة، لأنهم كانوا يسعون لاحتلال الولاية الأخيرة الألبانية المتبقية من مجموع الولايات الأربع، ولم تعد الدولة العثمانية في أيامها الأخيرة قادرة على حماية نفسها ولا على حماية الألبان، فلأجل ذلك انصبّت جهود علماء الألبان متعاونة مع غيرها على استقلال ألبانيا وإنقاذها من الاحتلال الصليبي. وأيضاً فإن جمهور المشايخ والعلماء سعوا إلى قطع العلاقات مع شيخ الإسلام في الدولة العثمانية. لذا، فإن حديثهم عن أهمية الوطن والدولة والاستقلال وعدم الخيانة والعمالة والتجسس كان حديث الساعة، ولا تكاد تخلو خطبة أو محاضرة من ذكر هذه القضية.

إن اتجاه التفسير الاجتماعي أو السياسي وتياره، كان ظاهرة حاضرة في كلام وخطب علماء الألبان. فمثلاً في تفسيره لقوله تعالى ﴿مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، قال: «انظروا أيها الإخوة الأكارم واعلموا أننا مراقبون من قبل الله تعالى في أفعالنا، وأنا سنحاسب أمام الله تعالى عن كل عمل نعمله. حب الوطن في الإسلام له فضل كبير؛ للأثر الوارد عن النبي ﷺ أنه قال: حب الوطن

(1) للتوسع انظر المصدر السابق، ص 21.

من الإيمان<sup>(1)</sup>، فلاجل ذلك احذروا كل الحذر من الخيانة، فالخيانة في حق الوطن إذ لا يتبته إليها المسلم، يمكن أن تحدث بسهولة، نعوذ بالله من ذلك، فمثلاً: تفضيل بضاعة مستوردة من دولة أخرى على بضاعة دولتك، تعتبر من الخيانة للدولة، وأن الخطر إذا دام دولتنا فلا يجوز لنا السكوت وعدم التحرك، وإلا فإن هذه القضية أيضاً تعتبر خيانة تجاه الدولة<sup>(2)</sup>.

فمعالم التيار الاجتماعي والسياسي في التفسير، واضحة في تفسير الشيخ الحاج وهبي دبرا أغولي، وإن توظيف النص الديني لخدمة تلك المصالح الاجتماعية والسياسية العامة كان أمراً حتمياً في عقلية العالم الألباني في العصر الحديث.

بجانب هذا التيار الاجتماعي والفكرة الاجتماعية، وُجدت فكرة دينية أخرى ذات اتجاه صوفي في تفاسير علماء الألبان. نجد ذلك في كلام الشيخ الحاج وهبي دبرا أيضاً. ففي تفسيره

---

(1) قال الإمام الصنعاني: موضوع، وقال في المقاصد: لم أقف عليه، ومعناه صحيح. ورد القاري قوله ومعناه صحيح بأنه عجيب، قال: إذ لا تلازم بين حب الوطن والإيمان. قال: ورُدَّ أيضاً بقوله تعالى: (ولو أنا كتبنا عليهم)، الآية فإنها دلت على حبههم وطنهم مع عدم تلبسهم بالإيمان. كذا نقله القاري ثم عقبه بقوله، ولا يخفى أن معنى الحديث حب الوطن من علامة الإيمان وهي لا تكون إلا إذا كان الحب مختصاً بالموطن، فإذا وجد فيه وفي غيره لا يصلح أن يكون علامة.. قوله: ومعناه صحيح، نظر إلى قوله تعالى حكاية عن المؤمنين (وما لنا إلا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا).. الأظهر في معنى الحديث إن صح مبناه أن يُحمل على أن المراد بالوطن الجنة، فإنها المسكن الأول لأبينا آدم.. أو المراد به مكة فإنها أم القرى وقبلة العالم. أو الرجوع إلى الله تعالى على طريقة الصوفية فإنه المبدأ والمعاد كما يشير إليه قوله تعالى: (وأن إلى ربك المنتهى)، أو المراد به الوطن المتعارف ولكن بشرط أن يكون سبب حبه صلة أرحامه أو إحسانه إلى أهل بلده من فقرائه وأيتامه. ومما يدل على أن المراد به مكة ما روى ابن أبي حاتم عن الضحاك قال: لما خرج النبي -صلى الله عليه وسلم- من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة فأنزل الله: (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) قال إلى مكة، انتهى. وللخطابي في غريب الحديث عن الزهري قال قدم أصيل -بالتصغير- الغفاري على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من مكة قبل أن يُضرب الحجاب، فقالت له عائشة كيف تركت مكة؟ قال اخضرت جنباتها وبيضت بطحاؤها وأغدق إذخرها وانتشر سلمها.. الحديث، وفيه قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حسبك يا أصيل لا تُحزني، وفي رواية فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: ويها يا أصيل تدع القلوب تقر.. انظر: المكتبة الألفية للسنة النبوية في قرص الحاسب الآلي C D، الإصدار 1.5-1999، مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي، عمان -الأردن، كتاب: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لمؤلفه: إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، تحقيق: أحمد القلاش، ج1، ص414.

(2) المصدر السابق، ص43-44.

لقوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾، أطال كثيراً وتطرق إلى قضايا وتيارات صوفية كانت موجودة في عصر الشيخ. فهو كان يستشهد في تفسيره بكلام الشيخ المفسر القاضي البيضاوي كثيراً<sup>(1)</sup>. فبدأ يتطرق إلى مسائل التصوف راجياً من الحضور أن يصبروا عليه في شرحه وتوضيحه، لصعوبة إدراك تلك القضايا الصوفية وأن لا يملوا منه، فتطرق إلى بيان وشرح قضية المقامات والمعاني والكشف التي عند الصوفية، وقضية التجلي والسَّير في ذات الله سبحانه وتعالى، وقضية الشريعة والطريقة والحقيقة والمعرفة، وتطرق إلى توضيح عالم الشهادة وعالم الغيب. كل هذا التفسير جاء مستتجاً من قوله تعالى: ﴿إياك نستعين﴾<sup>(2)</sup>.

هذا المستوى الفكري الذي كان موجوداً لدى الألبان، يدلنا حقاً أنهم كانوا يعيشون صوراً وألواناً مختلفة من القضايا الدينية والفكرية، وأن هذا اللون الصوفي في تفسير الآيات يدلنا صراحة أنه كان هناك اتجاه صوفي أيضاً في دراسات الألبان للقرآن.

وأخيراً، فقد بينَّ الشيخ الحاج وهبي دبرا للمسلمين أن الإسلام دين الوسطية ودين الوحدانية، يدل ويهدي مباشرة إلى الله تبارك وتعالى لا شريك له، الصمد الذي ليس بحاجة إلى الابن ولا إلى البنت، الواحد لا شريك له<sup>(3)</sup>.

ومن العلماء الأفاضل، أصحاب الاتجاه الاجتماعي السياسي الذين لهم موقف بارز ومشهور من تلك القضايا والمذاهب الفكرية الفلسفية في العصر الحديث، الشيخ الحافظ<sup>(4)</sup> علي كرايا: (Hafiz Ali Kraja). وله رسالة<sup>(1)</sup> مشهورة بعنوان:

---

(1) حول هذا المفسر ومنهجه في التفسير، انظر: التفسير والمفسرون، لمحمد حسين الذهبي، القاهرة، مكتبة وهبة، ط9، ج1، ص211-216.

(2) المصدر السابق، ص104-105، وانظر للتوسع في القضايا الصوفية الكبيرة كتاب: نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، د. عرفان عبد الحميد فتاح، ص175-249.

(3) المصدر السابق، 120، وللتوسع والوقوف على المسائل والقضايا الأخرى، راجع تفسيره لسورة الفاتحة في المصدر السابق فستجد علماً غزيراً وهبه الله تعالى له، رحمه الله رحمة واسعة.

(4) وُلد الشيخ الحافظ علي كرايا سنة 1900. تلقى تعليمه الأول في مدينة إشقودرا الألبانية، ثم واصل تعليمه الجامعي في الأزهر الشريف، ولُقّب بعد ذلك بالشيخ العالم رفيع المستوى. في سنة 1934 كتب رسالته المشهورة بعنوان: هل نحن بحاجة إلى الدين؟ وهل يمنع الدين الوحدة القومية؟ جاءت هذه الرسالة في الوقت الذي كانت الشيوعية فيه تتجتاح هذه

(A Duhet Feja? A e Pengon Bashkimin Kombetar) وتعني: هل هناك حاجة إلى

الدين؟ وهل يمنح الدين الوحدة القومية والوطنية؟

والقضايا الفلسفية والأخلاقية التي تناولها هذا الشيخ في رسالته، هي خير شاهد وأقوم دليل على وجود تلك التيارات الهدامة في ذلك الوقت، مثل قضية التدين والحاجة إلى الدين من الناحية الروحية والخلقية والقانونية والاجتماعية. وقد توغل الشيخ في قضية مهمة من تاريخ البشرية، قاصداً البيان للألبان الذين كانوا يواجهون الإلحاد قائلًا لهم: «إنه لم يوجد في تاريخ البشرية جمعاء شعب بلا شعور ديني، سماوي أو وضعي»، و«إن هدف الشريعة الإسلامية هو حفظ وضمان المصالح<sup>(2)</sup> الدنيوية للناس<sup>(3)</sup>».

ويبين الشيخ الحافظ علي كرايا، أن الركن والعمدة لديمومة هذه المصالح الدنيوية هو مبدأ الأخلاق، وأن الشعوب الوحشية هي التي لا تعترف بها ولا توجد عندها أخلاق ولا قيم إنسانية، ولا قيم دينية، كما بين ذلك علماء الأخلاق والفلاسفة<sup>(4)</sup>.

---

البلاد، وناقض بشدة مبادئ الشيوعية في هذه الرسالة. وفي سنة 1944 ألقى محاضرة بعنوان: ما هي الشيوعية وما هي آثارها على الألبان. كان له اتصال وثيق برجال السياسة في حياته. سُجن لمدة عشرين عاماً من قِبل السلطات الإيطالية سنة 1947. توفي -رحمه الله- سنة 1974. للمزيد انظر:

Zekaj, Ramiz, *Zhvillimi i kultures islame nder shqipstaret*, 328-329.

(1) هذه الرسالة طبعت لأول مرة في مدينة إشقودرا الألبانية سنة 1934 في مطبعة (Ora e Shkodres) ثم أُعيدت طباعتها من قبل الجمعية الخيرية (Furkan) سنة 1999، وتم تحقيقها وتهذيبها من الأستاذ الدكتور (Musa Gashi)، وهذه النسخة المنقحة هي موجودة بين يدي، وليست النسخة الأصلية التي كتبها الشيخ -رحمه الله-.

(2) يبدو لي أن الشيخ -رحمه الله- لم يقصد في كلامه إلغاء المصالح الأخروية. يفهم من السياق أن هذا الكلام جاء جواباً للعلمانيين أو الملحدين الذين ظنوا أنه لا خير في الدنيا من هذا الدين، فجاء كلام الشيخ مطمئناً لهم أن لهذا الدين مصالح دنيوية كثيرة، وذكر بعضاً منها. والله أعلم. هذا التقرير له علاقة قوية بقاعدة المصلحة الشرعية في أصول الفقه. وأفضل ما رأيت من كتب حول هذا الموضوع هو ما قدمه الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في رسالته للدكتوراة بعنوان: «ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية» في الأزهر سنة 1965، فارجع إليها إن شئت.

(3) المصدر السابق، ص 21-23.

(4) المصدر السابق، ص 24-25.

وإنَّ نظرة عابرة لمحتويات وموضوعات الرسالة تطلعننا على أهمية الموضوعات وخطورة التيارات التي واجهها العلماء في العقود الأولى من القرن العشرين. فالشيخ بعد هذه الموضوعات التي ذكرناها تناول موضوع الدين الإسلامي وحقيقته، وتناول قضية الإسلام والتعصب المذموم، والإسلام والإلحاد، والإسلام والوحدة الوطنية أو القومية وغيرها. وذهب الشيخ إلى أن موقف الإسلام من أتباع الديانة النصرانية (الأرثوذكس والكاثوليك) موقف عادل ومنصف، وذلك لأن القرآن الكريم اعتبر النصارى أقرب إلى مودتنا، وأنهم أكثر رحمة من غيرهم من أهل الديانات الأخرى، وقد ورد ذلك في قوله تعالى: (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) (المائدة: 82)، كما ورد أن الرسول ﷺ والصحابة -رضي الله عنهم- حزنوا لما سمعوا خبر خسارة الروم (بيزنطة) في المعركة مع الفرس، وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿الْم (1) غلبت الروم (2) في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون (3) في بضع سنين﴾ (الروم: 1-4)، فانشرحت صدور المسلمين بهذا الخبر السار، وفعلاً لقد انتصر الروم على الفرس بعد بضع (3-9) سنوات تماماً كما أخبر بذلك القرآن الكريم في الآيات السالفة الذكر<sup>(1)</sup>.

---

(1) والذي يبدو لي من مفهوم هذه الآية التي تتحدث عن النصارى بأنهم أقرب إلينا وأرحم بنا مقارنة باليهود، أقول، والله أعلم، إنهم ربما كانوا على تلك الحالة قديماً أيام عصر الرسالة، أما الآن فلا أظن ولا أعتقد أنهم على تلك الحالة التي وُصفوا بها. إن الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية قد تغيرت، ولا سيما عند النصارى، بين أيديهم عدة أناجيل، وهم منقسمون إلى عدة فرق وطوائف (أرثوذكسية، وكاثوليكية، وبروتستانتية) وغيرها، وكذلك الأمر بالنسبة لليهود، فلهم خطط وبرامج ومناهج عالمية معروفة ضد الإسلام والمسلمين. ففي هذا الزمان هؤلاء يُعتبرون من ألد الأعداء للإسلام والمسلمين، ولا أفرق بين عداوة اليهود وعداوة النصارى شيئاً. ففي هذه المسألة نظر، والله أعلم. للتفاصيل عن عقائد ومناهج وأهداف المبشرين النصارى العالمية.. انظر:

McCurry, Don. M, *The Gospel and Islam - A Compendium* 1978, Marc, West Huntington Drive, A Ministry of World Vision International-Printed in the U.S.A.

ولقد ناقش الشيخ قضية اتجاه العالم نحو الحضارة والتقدم بعد الحرب العالمية الأولى، والإسلام والعلمانية وغيرها من الموضوعات الفلسفية التي كان الناس والمثقفون يجادلون حولها<sup>(1)</sup>.

وأفضل من ساهم في بيان التيارات والمذاهب الفكرية التي واجهها العلماء في ذلك العصر الحديث، في شكل مؤسسة علمية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مدينة إشقودرا الألبانية (Shkodra)، حيث عقد مؤتمر عالمي كبير بمناسبة مرور العام الخامس والسبعين منذ إصدار المجلة الإسلامية (Zani i Naltë) «الصوت السامي».

فقد قدم الشيخ الباحث محي الدين أحمددي<sup>(2)</sup> ورقة حول جهود المجلة في معالجة القضايا والموضوعات الدينية والفلسفية التي كانت تُنشر فيها، وهذه المجلة كانت تعكس آراء ومواقف العلماء والباحثين حول كثير من الأمور الفلسفية والدينية، وهذا يظهر في مقدمة المجلة التي جاء فيها:

«المجلة (Zani i Nalte) (الصوت السامي، أو العالي) هي مجلة تبحث في القضايا الفكرية والروحية الكبرى، وتهدف إلى رفع مستوى الإنسان في طبقات الحياة الأبدية»<sup>(3)</sup>.

ثم إن الشيخ الباحث ذكر أن أبرز من وقف على منبر هذه المجلة للرد على المخالفين الذين كان لهم تأثير بالغ في الأوساط الألبانية، المشايخ والعلماء الفضلاء:

---

(1) انظر التفاصيل حول هذه الموضوعات في المصدر السابق، 21-77، فإنك ستجد فعلاً علماء وثقافة واسعة لدى هذا العالم والشيخ الحافظ -رحمه الله-.

(2) هذا الأستاذ والشيخ الفاضل كان من أوائل الباحثين الذين فتحوا مكباتهم الشخصية للمطالعة ورحبوا بي للبحث عن المصادر والمراجع المتعلقة برسالتني. وقد وجدت في مكتبته مصادر مهمة للغاية، وقمت بتسجيل تلك العناوين ثم سافرت إلى ألبانيا لشراء تلك المصادر، وقد وجدت جل تلك المصادر والله الحمد. فوفاء بحقه وجهوده، أحببت أن أسطر شكري وتقديري الخالص له، فجزاه الله خير الجزاء.

(3) Dizdari, Islam, Zani i Nalte – Permbledhje Kumtesash, Vepimtare Shmencore me rastin e 75-vjetorit te botimit te revistes «Zani I Nalte», Rozafat, Shkoder, 1999, 35.

(Haxhi Vehbi Dibra, Hafiz Ali Korca, Qazim Ef. Hoxha<sup>(1)</sup>, Haki Sharofi, Sali Vuciterni, Hafiz Ismet Dibra, etj<sup>(2)</sup>).



(1) انظر الخطب والمحاضرات والمقالات المختلفة الفلسفية والدينية، ومقالات الشيخ (Qazim Hoxha) بعنوان: C'urdheron Kur'ani (ماذا يأمر القرآن) في هذه الأعداد من المجلة (Zani i Nalte)، ع12، س1937، ص369-384. وكذلك طالع العدد 12، ذو القعدة وذو الحجة، س1938، ص4-7، 11-29، 57-61، وغيرها من أعداد المجلة الرائدة.

(2) المصدر السابق، ص36.



وفي هذه المرحلة الزمنية الحرجة، التي كثرت فيها التهم والشبهات المثارة حول الإسلام والرسول ﷺ من قبل أعداء المسلمين، وانتشرت هذه الشبهات في العالم الإسلامي وغيره، كان لرجال الدين الإسلامي والمثقفين منهم في ألبانيا دور كبير وبارز في الدفاع عن الدين. وقبل أن أنهى كلامي أود أن أنقل قضية أخرى.

فقد صدرت مجلة إسلامية أخرى باسم (Udha e Se Vertetes) «طريق الحق» أصدرها الشيخ الباحث والمحامي الألباني قدرى خوجة من مدينة بريشتنا، عاصمة كوسوفا، (Hoxhe Kadri Prishtina).



### الشيخ قدرى بريشتنا متوسطا المجموعة - قدرى خوجة

هذا الشيخ كان يتمتع بنظر دقيق وفكر حاد ووقاد. كان ذا رؤية إسلامية وسياسية بعيدة. نشر في مجلته مقالات حول أهمية مؤسسة الزواج في الإسلام والمجتمع، دفاعاً عن الإسلام وتصحيحاً للمفاهيم الخاطئة. وأيضاً دعا إلى إصلاح بعض الأعراف والعادات الألبانية السيئة في تزويج البنات دون استشارتهن وهن صغيرات في العمر، ودعا إلى فرض قضية الكفاءة في الزواج في النسب والمال والعمر والتعلم أو الثقافة؛ حتى تستمر الحياة الزوجية بلا منغصات، لأن الفروق الشاسعة وعدم وجود الكفاءة التامة بين الزوجين في العمر والمال والنسب والتعلم قد تسبب مشاكل زوجية واجتماعية في المستقبل.

ومن القضايا التي حاربها الشيخ قدرى في مقالاته، قضية التجسس والخيانة والردة إلى النصرانية، واعتبر أنه ما دام الله -عزَّ وجلَّ- أنزل إلينا قرآنه الذي به يفرق الحق من الباطل، وما دام عقل الإنسان يقدر أن يعرف ويدرك الخير والشر، أو الحسن والقبح، فعليه أن يختار الأفضل والأولى، ولا داعي إلى أن يدعو بعضنا بعضاً إلى دين جديد<sup>(1)</sup>. كما أنه تناول قضية التعددية الدينية أيضاً، وذكر أن الإسلام دين الحرية والسماحة<sup>(2)</sup>.

وهكذا فكما رأينا أنه فعلاً كانت هنالك قضايا مهمة وخطيرة، قد نوقشت وأُشِعت بحثاً في الأراضي الألبانية قبيل فترة الاستقلال وبعدها. وهذه كانت من خصائص وسمات تلك المرحلة التاريخية في العصر الحديث، أي أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. وبهذا نكون قد بيننا قدر إمكاننا للقراء الكرام الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية في الفصول السابقة، وذلك تمهيداً لما سيأتي في ما بعد في تناولنا وتحليلنا للكتابات والدراسات القرآنية والتفسيرية. وهنا أود أن أشير إلى حقيقة مهمة للغاية وهي أنه لا سبيل إلى حسن فهم تاريخ الشعب الألباني المسلم وجهودهم العلمية، لا سيما الدراسات القرآنية والتفسيرية في هذه الرسالة، إلا بقراءة الفصول السابقة. ولا أزعجك كل شيء عن التاريخ الألباني، وإنما هو عرض مختصر لأهم الأحداث التاريخية والسياسية والاجتماعية والدينية المتعلقة بموضوع الرسالة والله أعلم بالصواب.

---

(1) هذا الكلام يشبه كلام السياسيين في عصرنا الحاضر، أي لا دعوة إلى الإسلام ولا دعوة إلى النصرانية، وإنما الكل يلتزم ويتقيد بدينه!! هذا الذي فهمته من كلامه. ولكن هذا لا يصح شرعاً ولا عقلاً، وإلا فأين ميزة وفضل الإسلام على سائر الأديان الأخرى. ألم يكن الإسلام رسالة ربانية عالمية أخيرة وناسخة للأديان الأخرى؟ وأين واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان الحق من الباطل؟ في كلامه نظر، والله أعلم.

(2) انظر للتوسع حول هذه الموضوعات:

Morina, Qemajl, *Hoxhe Kadri Prishtina - Mendimtar Islam, Kryesia e Bashkesise Islame*, Prishtine, 2000, 25-35, 37-48, 63-67.

وحول بعض القضايا الفكرية والمذهبية الأخرى والمتشابهة بتلك التي ذكرنا، انظر: بديع الزمان سعيد النورسي في مؤتمر عالمي حول تجديد الفكر الإسلامي عقد في إسطنبول سنة 1992، ترجمة أرخان محمد علي، ص 55-83، ط 1، أ Yenì

Nesil Basim-Yayin 1997 İstanbul Bosna

والآن سنتطرق إلى واحد من مشاهير التيار الاجتماعي الإصلاحى فى العصر الحديث،  
كمثال تطبيقي حي لما سبق وذكرناه من النظريات فى الفصل الأول من هذا الباب؛ الشيخ  
الحافظ علي كورتشا.

## الفصل الثاني

### الاتجاه الفكري السني الاجتماعي الإصلاحى فى الدراسات القرآنية، المتمثل فى فكر الشيخ المفكر: الحافظ علي كورتشا (Hafiz Ali Korca)



الشيخ المفكر المقاوم والمجدد الحافظ علي كورتشا مع أسرته

### كلمة إجمالية عن الفكر الدينى الإصلاحى لدى الألبان

الاتجاه الفكرى الإصلاحى لدى علماء الألبان كان ظاهرة أصيلة ومنتشرة، وإن هذا التيار الدينى الإصلاحى الذى ظهر إلى الوجود أيام الدولة العثمانية، غطى الساحة الألبانية والبوسنية فى منطقة البلقان أيضاً. ترى ذلك فى تفاسيرهم وكتاباتهم وترجماتهم للكتب والمقالات ذات المواضيع العصرية المختلفة لمشاهير المفكرين من رواد المدرسة الإصلاحية العقلية، مثل الشيخ مصطفى المراغى، والكاتب المشهور محمد فريد وجدى، والشيخ جمال الدين الأفغانى، والشيخ رشيد رضا، وغيرهم كثير<sup>(1)</sup>.

---

(1) Bardhi, Ismail, *Hafiz Ibrahim Dalliu dhe ekzegjeza e tij Kur'anore*, 92.

والسبب في انتشار هذه الظاهرة الفكرية الدينية لدى الألبان، هو أن كثيراً منهم تلقوا تعليمهم الديني في الأزهر الشريف وفي الهند<sup>(1)</sup>، ابتداء من النصف الثاني للقرن التاسع عشر إلى يومنا هذا. فقد تخرج عدد كبير من أبناء الشعب الألباني والبوسني من الأزهر الشريف ومن تلك الجامعات الأخرى. فاحتكاك طلاب الأزهر بهؤلاء المشايخ عن قرب جعلهم يتأثرون بأرائهم وبأفكارهم. وهذا أمر طبيعي؛ فإن الإنسان عموماً والتلاميذ والأولاد خصوصاً غالباً ما يتأثرون بسلوكيات وأخلاقيات الوالدين أو الأساتذة.

إن تأثر الألبان بمنهج المدرسة الإصلاحية العقلية كان كبيراً، لدرجة أنك لو ألقيت نظرة عابرة وفاحصة على طبيعة المقالات والبحوث المنشورة في المجالات الإسلامية الألبانية التي كان يتولى نشرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في ألبانيا في بدايات القرن العشرين، لرأيت أن جهودهم قد انصبّت على معالجة المشاكل والقضايا الدينية والفكرية العصرية الكبرى التي مرت، مثل: قضية وجود الله - عزّ وجلّ -، وقضية الحاجة إلى الدين أو التدين، وقضية التمدن والتحضر الإسلامي، ومواجهة التحديات الغربية كقضية تحرير المرأة ومشاركتها في الأعمال والوظائف، وحقوق الإنسان في المجتمع، وقضية العلمنة وفصل الدين عن الدولة، والسماحة الدينية، أو التعايش السلمي بين أتباع الأديان والعرقية المختلفة، وقضية الإلحاد والشيوعية والرأسمالية والاشتراكية وغيرها من القضايا<sup>(2)</sup>.

(1) Moroco dela Roka, Roberto, *Kombesia dhe Fete ne Shqiperi*, 1920-1944, 209.

(2) راجع على سبيل المثال المجلة الإسلامية الشهيرة الأخرى بعنوان: (Kultura Islame) (الثقافة الإسلامية)، التي كانت يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، والتي أتيت بها من ألبانيا، وقد صورتُ جملة من الأعداد المختلفة فيها مواضيع مختلفة، راجع مثلاً العدد 3-4، نوفمبر وديسمبر، 1941، مقال بعنوان: (Islami eshte gjalle) (الإسلام حي)، للكاتب والمستشرق الألباني المشهور (Vexhi Buharaja) وجيه بخاري، فقد أثنى هذا المستشرق على الكاتب الموسوعي العربي وصاحب المقالات المتنوعة والموضوعية، الأستاذ محمد فريد وجدي، الذي عمل محرراً ومديراً لمجلة الأزهر الجامعية، كما أن له مقالاً في نفس المجلة بعنوان: (Fuqia e Islamit ne Bote) (قوة الإسلام في العالم)، ص 96-99. وانظر أيضاً العدد: 17-19، فبراير ومارس، 1941، حيث ورد ذكر لأسماء المفكرين الكبار من رجال المدرسة الإصلاحية، مثل الشيخ جمال الدين الأفغاني ومحمد فريد وجدي أيضاً، ص 132-135، وانظر العدد 10، حزيران، 1944، ص 272-276، وانظر العدد 20، أبريل-مايو، 1942، مقال مهم بعنوان: (Feja Kultura Shkenca dhe) (الدين والحضارة والعلم)، ص 226-229، وانظر العدد 1-2، فبراير، 1946، تفسير علمي عصري مطول لقوله

وهذا يجعلنا نجزم ونؤكد أن هذه الحركة الفكرية الدينية الإصلاحية سرت إلى عقول وقلوب المفكرين من علماء الألبان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. وإننا في هذه الدراسة لا نستطيع أن نلّم بجهود وآراء جميع علماء الألبان، وإنما حسبنا في هذا الفصل أن نأخذ نموذجاً واحداً ورائداً ألبانياً مشهوراً بالدراسة والتحليل، ويظهر فيه بوضوح آثار وانعكاسات أفكار المدرسة العقلية، سواء في خطبه وكتاباته الدينية عموماً، أو في تفسيره على وجه الخصوص، رغم قلته، لأننا كما قلنا مسبقاً فإن تفسيره الكبير قد فُقد، وبعض مؤلفاته الأخرى قد أحرقت. والحمد لله أننا وجدنا بعضاً من تفسير هذا العالم الألباني فسَهّل لنا القيام بإجراء الدراسة عليه.

ورائد هذا الاتجاه كما قلنا هو الشيخ العلامة الحافظ علي كورتشا<sup>(1)</sup>. والشيخ الحافظ علي كورتشا شخصية علمية كبيرة فذة، متعددة الثقافة، فهو شاعر وأديب وعالم ومفسر، إلى جانب كونه شجاعاً، وهو من كبار علماء الألبان الذين عاشوا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين. كما أنه جمع بين النشاط السياسي والديني معاً، إذ لا تفريق بين الدين والسياسة ومصالحة الدولة عنده.

---

تعالى: (ولا تدع مع الله الهاً آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون) (القصص: 88)، فقد ناقش صاحب المقال موضوع المادة والذرة وتقسيمها والقوة وتطور المادة، ص 4-9، وغيرها من الأعداد مما لا يتسع المقام لذكرها هنا، لترى تأثير الفكر الديني الإسلامي الألباني بالفكر الإصلاحي العقلي، والله أعلم.

(1) وقد ظهرت في الآونة الأخيرة بعض الدراسات الألبانية من بعض الألبان حول فكره الأدبي والوطني والديني. ومن بين هذه الدراسات دراسة المستشرق الألباني، الأستاذ الدكتور إسماعيل أحمددي بعنوان: (Hafiz Ali Korca- Jeta dhe Vepra) (الحافظ علي كورتشا - حياته وأعماله)، وهذه الدراسة عبارة عن رسالة علمية نال بها صاحبها درجة الدكتوراة. وهي حقاً دراسة قيمة ونزيهة، ركّز الباحث فيها على الجوانب الأدبية عند الشيخ الحافظ علي، كما أنه ركز على الجوانب السياسية والوطنية التي كان للشيخ فيها دور ونشاط كبير في تاريخ ألبانيا الحديث. وتناول الجانب الديني ونشاط الشيخ عموماً، بما في ذلك بعض تفسيراته لبعض سور القرآن، لكن بشكل مختصر ووجيز، دون بيان للمدرسة الفكرية التي انتمى إليها الشيخ الحافظ علي كورتشا. والدراسة كانت مفيدة لي جداً، ذلك أنها ساعدتني في الحصول على المراجع والمصادر التي استعان بها الأستاذ المذكور. وفي ما يتعلق بحياة الشيخ ومولده وتعلمه فإنني إن شاء الله سأستعين بها، بالإضافة إلى المصادر والمراجع الأخرى الأصلية عندي التي أتيت بها من ألبانيا وكوسوفا ما بين مخطوط ومطبوع.

## المبحث الأول: التعريف بالشيخ الحافظ علي كورتشا، مولده، تعليمه، أسرته والعصر الذي عاش فيه

### المطلب الأول: اسمه ومكان ولادته

هو الشيخ الحافظ<sup>(1)</sup> علي إلياس قاضي (Ali Ijaz Kadiu)، المشهور بحافظ علي كورتشا، نسبة إلى مدينته (Korca) التي ولد فيها سنة 1873<sup>(2)</sup>، وقيل سنة 1870<sup>(3)</sup>، في جنوب ألبانيا. ينحدر من أسرة متدينة ومثقفة، محبة للعلم والعلماء. سار الشيخ الحافظ علي كورتشا على درب آبائه وأجداده في العلم والمعرفة<sup>(4)</sup>. هذه المدينة لعبت دوراً كبيراً طوال القرن التاسع عشر في الحياة الاقتصادية والثقافية والتربوية والأدبية لألبانيا، إذ إن لها موقعا استراتيجيا وجغرافيا هاما جنوب غربي البلاد، أسهم في ربط ألبانيا باليونان والبلقان عموماً. كما أن المدرسة الأولى الألبانية بالأبجدية اللاتينية فُتحت فيها، وكانت مأوى للناشطين السياسيين الألبان العاملين في رومانيا وبلغاريا وغيرها من الدول المجاورة. ودولة اليونان المسيحية كانت تتخذ من هذه المدينة محطة ومركزاً لها في بث أفكارها التبشيرية والاستعمارية السامة ضد الثقافة الألبانية الإسلامية، فقد كان لليونان في هذه المدينة وفي مدينة برات الألبانية (Berat)، أكثر من 126<sup>(5)</sup>

---

(1) لفظ «الحافظ» في عُرف الألبان والأتراك يطلق على الذي حفظ وجود القرآن الكريم. فهذا لقب شرف وتكريم لصاحبه، ملازم له إلى الموت، ولو أنه لا يفقه من العربية شيئاً. وليس المراد من لفظ (الحافظ) عند الألبان المعنى الذي اصطلح عليه المُحدثون؛ أي أن يكون حافظاً للأحاديث النبوية الشريفة.

(2) Ahmedi, Ismail, *Hafiz Ali Korca - Jeta dhe Vepra*, 8-9.

(3) بحث غير منشور عن حياته وأعماله الأدبية العربية العثمانية الفارسية، للشيخ الحافظ علي كورتشا، حصلت عليه أثناء سفري في ألبانيا لدى أحد المؤرخين في منزله بعنوان:

Ibrahim Daut Hoxha, *Hafiz Ali Korca- Veprimtaria e tij ne lemin e Atdhetarise dhe Arsim-Kultures Arabo-Osmane-Persiane*, 1.

(4) المرجع السابق، ص 1.

(5) Isamil Ahmedi, *Hafiz Ali Korca*, 12.

مدرسة مسيحية وتبشيرية، فشاء الله -عزَّ وجلَّ- أن يكون مولد هذا الشيخ والعالم وسط هذه المدينة ليكون على أهل الكفر عدواً وحزناً.

أما عن العصر الذي عاش فيه، فتذكر بعض المصادر أن الشيخ الحافظ علي كورتشا عاش في عصر الحركة والنهضة القومية الألبانية. والحركة الأدبية الإسلامية الألبانية كانت في ذروة سنامها في هذه المرحلة، لكنها أهملت من الطبقة المثقفة الشيوعية ولم تلق لها بالأرغم غزارتها و ثروتها العلمية. فمن بين تلك الشخصيات التي أبدعت في دراسة الآداب لأمم مختلفة كالأدب الألباني والفارسي والتركي والعربي، والتي كانت مهجورة، شخصية الشيخ الحافظ علي كورتشا. والحياة الفكرية للشيخ الحافظ علي كانت حافلة بالأحداث الجسمام، كانت حياة الشيخ المجاهد في سبيل الله وفي سبيل تحرير الوطن من الاستعمار. نادى بأعلى صوته على أهمية تكوين الوعي الديني الإسلامي والوعي الوطني، وكان يدعو إلى استعادة الحقوق المسلوقة والضائعة، وطلب الحرية الدينية مقترنة مع الحرية الوطنية والاستقلالية من قبضة المستعمر<sup>(1)</sup>. فطلَّبُ حرية الدين والدولة لم يكن يفارق مطالب جميع المشايخ الألبان في العصر الحديث، إلى يومنا هذا. وهذا واضح في كتاباتهم وخطبهم ومقالاتهم قديماً وحديثاً.

### المطلب الثاني: تعليمه

وسط هذه الأمواج المتلاطمة السياسية والوطنية وُلد ونشأ وتربى، وتكونت شخصية الشيخ الحافظ علي كورتشا. حفظ القرآن الكريم وهو ابن اثني عشر عاماً، وجوَّده، ولا تشير المصادر إلى اسم الشيخ الذي حفظ القرآن الكريم على يديه. وبحفظ القرآن الكريم خطا خطواته الأولى نحو الإسلام. تخرج في المدرسة الابتدائية والإعدادية من نفس المدينة ليواصل في ما بعد دراسته الجامعية في جامعة إسطنبول، حيث تعلم العلوم الإسلامية واللغات الشرقية من عربية وفارسية وتركية، بالإضافة إلى تعلمه للغة الفرنسية. وفي أثناء مكث الشيخ في

(1) المرجع السابق، ص 6-7، وانظر:

إسطنبول وتعلمه فيها، تعرف على أمهات الكتب من المصادر العربية والفارسية والتركية، وأعجب بأراء الفلاسفة والأدباء الكبار مثل ابن رشد وابن سينا وابن الرومي وعمر الخيام والأديب الفارسي سعدي شيرازي، وقد عكف على دراسة عدد منها وتناول من معينها الفكري والتراثي<sup>(1)</sup>. فتأثر الشيخ الحافظ علي في جامعة إسطنبول بأراء وأفكار هؤلاء كان كبيراً للغاية، نظراً لذلك الجو العلمي الجديد الذي أثر في تكوين شخصيته ورفع مستواه الفكري<sup>(2)</sup>.

### المطلب الثالث: أسرته وأولاده

عاشت أسرة الشيخ الحافظ علي في مدينة شياق الألبانية (Shijak). كان له خمسة أبناء وبتتان. الابن الأكبر مجد الدين وبحر الدين توفيا في مرحلة الشباب في حادث، وأما ابنه الآخر إلياس الذي تخرج في مدرسة تيرانا الدينية فحكم عليه بالسجن لمدة خمسة وعشرين عاماً أيام الألباني أنور خوجة. لكنه بعد أن قضى خمسة عشر عاماً في السجن أفرج عنه سنة 1968، ولم يلبث أن توفي هو الآخر بعد بضع سنوات، أي سنة 1975. ابنه إلياس هذا كان هو الوارث الحقيقي لعلم الشيخ الحافظ علي، ولكن شاء القدر ألا يعمر طويلاً. أما ابنه الرابع صلاح الدين فإنه كان قد تخرج في الأكاديمية العسكرية في إيطاليا وعمل مدرساً في الحرم الملكي الألباني في إعداد الضباط العسكريين الجدد. بعد الحرب العالمية الثانية اعتزل وظيفته، وأعدم في سنة 1944. وكان رئيس ألبانيا السابق قد كرمه وهو ميت بوسام الشهيد الديموقراطي. ولصلاح الدين ابن واحد يسمى مجد الدين، يعيش في الولايات المتحدة الأميركية حالياً. أما ابنه الخامس علاء الدين فإنه أيضاً تخرج في الأكاديمية العسكرية في روما. عاد إلى ألبانيا بدعوة من أبيه لخدمة البلد وتدريب المبادئ العسكرية لأبناء البلد، ولم يلبث أن

(1) عن النشاط الأدبي الألباني وجهود الألبان في ترجمة التراث الأدبي الفارسي، جهود الشيخ الحافظ علي فيه انظر:

Osmani, Shefik, *Panteoni Iranian dhe Iranologet shqiptare*, 272-276.

(2) Ahmedi, Ismail, *Hafiz Ali Korca, Jeta dhe Vepra*, 16-17; Hoxha, Ibrahim Daut, *Veprimtaria e tij ne lemin e Atdhetarise dhe Arsim-Kultures*, 11-17.

ألقي القبض عليه من قبل السلطات الشيوعية وحكم عليه بالسجن أربعة أعوام، وبعد خروجه من السجن توفي سنة 1982. وأما بنات الشيخ فأحدهما تعيش في العاصمة الألبانية تيرانا (Tirana)، والأخرى في مدينة (Durres) دورس الألبانية<sup>(1)</sup>.

### المطلب الرابع: المناصب التي تبوأها الشيخ الحافظ علي في حياته

1. تسلّم دعوة رسمية لاستقبال الأمير النمساوي عندما قدم إلى ألبانيا ليعين ملكاً فيها من قبل الدول الغربية (Prenc Du Wied) في ألبانيا سنة 1914، وألقى الشيخ الحافظ علي كلمته الترحيبية بالفرنسية بمناسبة قدوم وتعيين الملك الجديد.
2. في عام 1916، عُين مديراً للتربية والتعليم لعدة مدن كبيرة في ألبانيا.
3. خلال الأعوام 1918-1924، كان رئيساً وشيخاً للمجلس الأعلى الإسلامي في ألبانيا.
4. خلال الأعوام 1924-1949، عمل مدرساً في المدرسة الدينية الكبيرة في تيرانا (Tirana)، فدرس فيها المنطق واللغة العربية والتفسير وغيرها من المواد.
5. خلال الأعوام 1924-1938، أسندت إليه زاوية تفسير القرآن الكريم وحده في المجلة الإسلامية الألبانية (Zani i Nalte)، وقد كان المفسر الوحيد للقرآن في هذه المرحلة.
6. خلال الأعوام 1949-1959، مدة كونه في المنفى، عمل خفية مدرساً متواصلاً في مدينة (Kavaja)، كوايا.
7. عمل مستشاراً لوزير التربية والتعليم لدى وزارة التربية في ألبانيا<sup>(2)</sup>.

---

(1) انظر بتصرف: Ahmed, Ismail, *Hafiz Ali Korca Jeta dhe Vepra*, 51-53

(2) للتوسع انظر:

## المطلب الخامس: تعرضه للأذى بسبب نشاطاته الوطنية والسياسية

ذكر الشيخ الحافظ قصصاً عن إيدائه في بعض مؤلفاته، وهذا حدث له مرات كثيرة في حياته، ونحن نذكر قصة واحدة هنا فقط، نظراً لضيق المجال في البحث. ففي 18/2/1910، يوم الاثنين قبيل الظهر، اجتمع حشد كبير من الناس؛ زهاء اثني عشر ألف رجل، أمام بيته، وشرعت الجموع الحاشدة من الناس ترشق بيته بالحجارة تنديداً وإذانة له بسبب موافقه الوطنية التي لم تكن ترضي الشبان الأتراك العثمانيين القوميين (John Turqit)، وكانوا يسعون لإحياء النزعة القومية التركية العثمانية، ويعتبرون أن كل مواطن في الدولة هو عثماني وكلهم عثمانيون. وهذه الحركة كانت حركة مدعومة من اليهود الصهاينة بهدف إسقاط الدولة العثمانية. فلا شك أن هذا الموقف أحدث ردة فعل معاكسة من الطبقة الألبانية المثقفة، الدينية وغير الدينية.

ويذكر الشيخ الحافظ علي أن من بين هؤلاء الحاشدين كان هناك من يوالي الشيخ ويناصره في موافقه. ولما خرج الشيخ إليهم، أمسكت به مجموعة من الناس المؤيدين له وأركبوه فرساً وأجلسوه عليه، وبدأ بعض من محبيه يطلقون عليه شعارات التأييد قائلين: فلتحي اللغة الألبانية وليحي أبو اللغة الألبانية. وبعد فترة يسيرة ألقى بعض رجال الفكر كلمتهم، ثم حان دور الشيخ الحافظ علي في الخطاب، فألقى هو الآخر كلمته وبين لهم موقفه، وفي الختام دعا الله - عزَّ وجلَّ - بثلاث لغات، بالعربية والتركية والألبانية، وأثنى في دعائه على الله - عزَّ وجلَّ - بما هو أهله، وأثنى عليه سبحانه وتعالى أن خلق البشر بمختلف اللغات واللهجات، ثم بين إن هذا لا يعني أننا نكره الحروف العربية التي بها ندرس ونحفظ القرآن، لا نقصد ذلك البتة، لكن طالما أن القانون الجديد بإعلان الحرية في تركيا (1908) يسمح بذلك، فإننا بفارغ الصبر والفرح الكبير سنتعلم لغة الأم بحروفها، وليست هناك قوة تمنعنا من ذلك<sup>(1)</sup>.

(1) المرجع السابق يتصرف، 30، وانظر أيضاً للتوسع كتاب الشيخ الحافظ علي وهو يتحدث عن نفسه وما عانى من الولايات بعنوان: Korca, Hafiz Ali, Shtate Endrat e Shqiperise, Shtypshkronja e Shtetit II, 1944, 25-60.

فبدأت السلطات العثمانية (بعض الولاة الموجودين في ألبانيا) تتهم الشيخ الحافظ بأنه شيخ لاتيني (Llatinxhi)، أي أنه شيخ مستغرب، أو له فكرة غريبة بتعبيرنا اليوم، لأنه يفضل الأبجدية اللاتينية المستعملة اليوم في العالم على اللغة العربية. ولأجل هذا الموقف الذي اتخذه، هددوه بالقتل والتشريد. والشيخ الحافظ علي بيّن لهم أكثر من مرة أن لكل لغة خصائصها وقواعدها الخاصة بها، فطالما اللغة الألبانية هي لغة هندو-أوروبية، ولها خصائصها الخاصة، فلا علاقة لهذه القضية بإسقاط الخلافة أو الانفصال عنها، وأن حروف لغة ما هي مجرد أدوات للكتابة، وليست بمؤمنة ولا بكافرة، أو لا يمكن وصفها بأنها مسلمة أو كافرة<sup>(1)</sup>.

إن قضية الأبجدية اللاتينية الألبانية كانت لها أبعادها السياسية والدينية والتربوية لكافة العرقيات الألبانية بمختلف أديانها. وحدة الأبجدية للألبان كانت مهمة للغاية في نظر رجال الدين الإسلامي هؤلاء، وفي نظر بعض الألبان المسلمين والنصارى الذين كانوا في المنفى في الدول المختلفة من العالم، مثل: رومانيا وبلغاريا واليونان وتركيا وأمريكا وغيرها<sup>(2)</sup>. إن النهضة الألبانية في هذه المرحلة كانت تسعى لجمع شتات الألبان المنتشرين في العالم، وكانت تنادي بالعودة إلى بلادهم لإنقاذ ألبانيا من تقسيمها وتوزيعها بين الدول المجاورة. فالأوضاع والظروف الراهنة للألبان ومستقبلهم السياسي لم تكن تبشر بالخير، بسبب أطماع الدول القوية فيها. هذا هو السبب الأهم والرئيس في نظر المؤرخين الكبار الألبان وهؤلاء المشايخ في تبنيهم للأبجدية اللاتينية. وإلا فمن الممكن الميسر كتابة اللغة الألبانية حتى بالحروف العربية دون أي إشكال، والدليل على إمكانية ذلك أن نتاج الأدب الألباني الإسلامي، الصوفي والسني، في القرن الثامن عشر والتاسع عشر كان مكتوباً بالأبجدية العربية، وكان الناس يقرؤون ذلك ويكتبون به، ويعتبرون ذلك شيئاً عادياً، لكن الاستعمار الغربي الأوروبي هو الذي دفع هؤلاء المثقفين إلى إحياء فكرة الأبجدية اللاتينية، كأول خطوة لتدمير الإسلام وتشويه القرآن، من خلال تركيزهم

---

(1) انظر للتوسع المصدر السابق، والصفحات نفسها

(2) انظر بتصرف: Ahmed, Ismail, *Hafiz Ali Korca – Jeta dhe Vepra*, 28-29

على قضية التخلّي عن اللغة الفصحى واستعمال اللهجة العامية، كما هو مشاع في كتابات بعض المستشرقين قديماً وحديثاً.

وموقف الباحث من تلك القضية هو خلاف ما ذهبوا إليه من تبني الأبجدية اللاتينية على الأبجدية العربية التي هي أبجدية القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. وأيضاً فما الذي أضرَّ باليابان والصين وتايوان وكوريا وغيرها من الدول، أن تتقدم وتزدهر في مجال الصناعة والتكنولوجيا، وهي تملك أيضاً أبجدية عجيبة وغريبة ذات خطوط ورسومات خاصة، وإيقاع خاص يشبه الأبجدية العربية في الشكل. فالأبجدية مهما كان شكلها لا تشكّل عرقلة للتقدم في نظر الباحث، وإنما هناك عوامل أخرى مادية ومعنوية تدفع بالأمم إلى التقدم والازدهار أو الانحطاط والتخلف.

### الرد على تهمة الانفصال من الخلافة العثمانية

اتّهم الشيخ الحافظ علي كورتشا، لجهوده ونشاطاته الوطنية القومية وتأييده لتبني الأبجدية اللاتينية، بأنه يسعى للانفصال عن الخلافة العثمانية. إلا أن هذه التهمة لم تثبت في حق الشيخ لعدة أسباب، نذكر منها:

أولاً: قد رد الشيخ الحافظ علي كورتشا تهمة الانفصال من الخلافة في حوار مع الوالي طلعت باشا الذي اتهمه هو الآخر بذلك، قائلاً له: «إن ألبانيا قدمت وضحت بكثير من رجالها وأبطالها للدولة العثمانية، فهي لا تطمح أبداً إلى الانفصال. ثانياً: إن هذا الشعب الألباني مستغرق في مستنقع الجهل والتخلف، فلكي يخرج من ذلك الجهل ولكي يتعلم نريد تبني الأبجدية. فرد عليه الوالي طلعت باشا قائلاً: إن الألبان يجيدون اللغة التركية فلا حاجة لهم إلى اللغة الألبانية! فردَّ الشيخ الحافظ علي عليه: كيف يمكن لشعب أن يتقدّم ويزدهر بلا علم وبلا صناعة وبلا لغة وبلا ثروة؟! لا يمكن لتركيا أن تستفيد من شعب يعيش أبناؤه عيش الوحوش

الضارية في الغابات الإفريقية. فبواسطة هذه الحروف وتعلم لغتها والعلوم المختلفة يمكن أن ينهض وينقذ نفسه وغيرها»<sup>(1)</sup>.

وهناك سبب آخر مهم دفع الشيخ لاتخاذ هذا الموقف، صرح به الشيخ الحافظ في أحد مؤلفاته، أنه نظراً لحال ألبانيا كدولة متعددة الأديان والعرقيات، ولكي تسود السماحة الدينية والسلام بين المواطنين، ولتجنب إثارة عوامل البغض والكره بين الطوائف الدينية المختلفة، بين المسلمين والنصارى (الأرثوذكس والكاثوليك)، وحفاظاً على شعور هؤلاء المواطنين جميعاً حتى لا تكون هناك استفزازات دينية، فضّل أن تكون لألبانيا أبجدية جامعة للجميع.

وهذا الموقف من الشيخ الحافظ يظهر بوضوح أيضاً في حوار مع وزير التربية والتعليم العثماني في ألبانيا، الوالي «أمر الله بك». تذكر المصادر أن الوزير قال له: أنتم بهذا الطلب تريدون أن تهجروا القرآن الكريم وأن تتخلوا عن اللغة التركية، فبالتالي يظل أبنائكم بلا دين ملحدين. فقال الشيخ الحافظ علي له: كلا، إننا لن نتخلى عن القرآن ولا عن اللغة التركية، وإن شئتم أن تدرجوا هذا الحكم في القانون الجديد في دستور الدولة فأدرجوه. وفي حال افتتاح المدارس الألبانية في ألبانيا يمكنكم مراقبة تلك المدارس، ويمكنكم أن ترسلوا مفتشين، فإذا ما اكتشف هؤلاء في مدرسة ما، أن القرآن لا يدرس فيها وأن اللغة التركية لا تُعلم فيها، فأغلقوا تلك المدرسة في الحال<sup>(2)</sup>.

ثم يتابع الشيخ الحافظ على قائلاً بأنه كتب رسالة إلى شيخ الإسلام وسلّمها له بنفسه يخبره فيها بما جرى بينه وبين وزير التربية، واستشفع لدى شيخ الإسلام بأن يقنع كلاً من الوالين، الوالي «طلعت باشا» والوالي «أنور باشا». وفعلاً قام شيخ الإسلام بالحديث مع طلعت باشا واستطاع أن يقنعه، بينما الوالي أنور باشا لم يقنع بذلك البتة، فما كان من شيخ الإسلام إلا أن يشجع الشيخ الحافظ علي كورتشا على مواصلة كتابة مقالاته ونشرها في الجرائد التركية، لأن

(1) Korca, Hafiz Ali, *Shtate endrat e Shqiperise*, 59.

(2) المصدر السابق، ص 60-61.

شيخ الإسلام أعجب بقدره صاحبها على الكتابة وحسن التحليل والمناقشة للمواضيع وعرضها أمام الجماهير<sup>(1)</sup>.

أما عن موقف ورأي الشيخ الحافظ علي كورتشا من هذه القضية الحساسة، فقد بين ذلك بوضوح وجلاء بأبيات من الشعر الألباني قائلاً:

*«Shkronjat ngjyre feje s'kane, vegla per te shkruar jane*

*Gjuha me ç'do shkronja shkruhen kjo hallall kjo haram s'thuhet*

*Kot e bëni vegël fenë, na trubulloni atdhenë»*.<sup>(3)</sup>

ومعنى الأبيات:

«لا دين للأحرف وإنما، هي أدوات للكتابة

وكتابة اللغة يمكن بكل الحروف،

ولا يقال هذا حرام وذاك حلال.

لا حجة لكم في دينكم، فلا تحدثوا علينا ضجةً إذن».

فأعتقد أن في هذا القدر فيه كفاية لإثبات أن هدف الشيخ الحافظ لم يكن الانفصال عن الدولة العثمانية أو الخروج عليها أو ترك حفظ القرآن وتعلمه، والله أعلم.

### المطلب السادس: وفاته

الشيخ الحافظ علي كان في المنفى في مدينة (Kavaja) كوايا الألبانية، وظل فيها ومرض مرضاً كان يصاحبه خلاله الشعور بالبرودة مع الآلام، إلى أن وافته المنية في 1956/12/31. تولى مهمة غسله والصلاة عليه تلميذه مفتي ألبانيا السابق، الشيخ الحافظ صبري كوتشي (Hafiz Sabri Koci). شارك في الصلاة عليه وتشيع جنازته حشد كبير من المسلمين<sup>(4)</sup>.

(1) المصدر السابق، ص 60-61.

(3) المصدر السابق، ص 63.

(4) Ahmedi, Ismail, *Hafiz Ali Korca*, 51-5.

# المبحث الثاني: مؤلفات الشيخ الحافظ علي كورتشا وجهوده في مجال الإصلاح التعليمي

## المطلب الأول: المؤلفات ذات الطابع الفكري السياسي

1. (1) *Bolshevizma a Çkaterim i Njerzimit* (البلشفية (الشيوعية) مهلكة للإنسانية<sup>(2)</sup>).

2. (3) *Shtate endrat e Shqiperise* (الأحلام السبعة لألبانيا<sup>(4)</sup>).

ومن المؤلفات الفكرية غير المطبوعة للشيخ الحافظ علي نذكر ما يلي:

1. *Filozofi e Vjeter* - الفلسفة العتيقة أو القديمة.

2. *Filozofi mbi besimet Musliman* - فلسفة عقيدة المسلم.

3. *Logjika* - علم المنطق<sup>(5)</sup>.

---

(1) Shtypur ne «Mbrothesia», Mars, 1925. Shkoder.

(2) والشيخ الحافظ علي - رحمه الله - كان له نظرة اقتصادية ثابتة عن أضرار هذا النظام الشيوعي الماركسي اليهودي، وتنبأ بخطر انتشار هذه الفكرة في القارة الأوروبية، لا سيما ألبانيا، وأن اليهود كثيراً ما حققوا أطماعهم تحت شعار الديمقراطية في كل مراحل التاريخ في الشرق وفي الغرب.

(3) Shtypur per se dyti ne shtypshkronjen e shtetit, 1944, Tirane.

(4) هذا الديوان الشعري والشري السياسي الذي طبع لأول مرة سنة 1924 هو عبارة عن الرؤى أو الأحلام التي رآها الشيخ ثم أولها وعبر عنها كتابةً، فمن جملة ما أول أن ناقوس الخطر كان يدق على ألبانيا من عدة جهات، من الداخل ومن الخارج. فمن الخارج خطر الاستعمار الروسي والإيطالي واليوناني، ومن الداخل القادة والسياسيون المفسدون. ولما طبع الشيخ هذا الكتاب سنة 1924، قام بتوزيعه على الناس، فلما علمت الدولة بذلك عزلته من منصب رئيس المجلس الأعلى للشرعية الإسلامية، لكنه ظل مدرساً لمادة المنطق واللغة العربية، ومعلماً في مدرسة تيرانا الإسلامية إلى السنة 1949.

(5) انظر:

المطلب الثاني: مقالاته السياسية والفكرية في الجرائد العالمية ومراسلاته للعلماء

وملوك الدول الإسلامية والعربية وغيرهم

ومن الجرائد والصحف العالمية التي كانت تنشر مقالات الشيخ الحافظ علي كورتشا،

جرائد:

- الصباح.
  - أقشام.
  - صراط مستقيم.
  - بيان الحق.
  - عكس صدا - أناضول سنلري.
  - جريدة «الحلاج» في إيران. وكانت تتولى نشر مقالات الشيخ التي كتبها باللغة الفارسية.
  - جريدة «السياسة» في مصر. وكانت تنشر مقالات الشيخ التي كان يكتبها باللغة العربية<sup>(1)</sup>.
- وقد عرفنا أن مقالات الشيخ الحافظ علي حازت على إعجاب شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، وأن شيخ الإسلام شجعه على مواصلة الكتابة<sup>(2)</sup>.
- والشيخ الحافظ علي كورتشا كان يرسل أيضاً شيخ الأزهر في وقته أيضاً، الشيخ مصطفى المراغي سنة 1939، فردَّ شيخ الأزهر عليه وقال: «حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ علي، السلام عليكم ورحمة الله ولكم منا تحيات خالصة وبعد، فقد قرأت خطابك الأخير وهو لا شك صادر عن قلب رجل مؤمن غيور»<sup>(3)</sup>.

كما أن الشيخ راسل وكتب إلى الملك فاروق، ملك مصر، وإلى عثمان نظامي ملك حيدر آباد، وكان يقول لهم: «إن الألبان ظلوا مثل الأيتام على مائدة اللثام<sup>(4)</sup>، دون مناصرة وتأييد من

(1) لمعرفة التفاصيل وطبيعة المقالات والقضايا التي ناقشها الشيخ في تلك الجرائد العالمية انظر:

Korca, Hafiz Ali, *Shtate Endrat e Shqiperise*, 22, 27, 31, 41, 48, 55, 61.

(2) المصدر السابق، ص 61.

(3) المصدر السابق، ص 77.

(4) على حد تعبير أستاذه ومشرفي الفاضل، الدكتور عبد القهار داود العاني حفظه الله تعالى.

أحد، وإن أفضل الأراضي الزراعية وأغلاها أهديت للدول المجاورة ظلماً وجوراً (لليونان ويوغسلافيا السابقة)، وبقيت الجبال الوعرة والصخور المتحجرة للألبان المساكين»<sup>(1)</sup>.

## المطلب الثالث: المؤلفات المنهجية والمقررات الدراسية للمدارس الابتدائية والثانويات العالية

1. (Abetare) – الأبجدية الألبانية.
2. (Alfabeti Arabisht) – الأبجدية العربية.
3. (Gramatika Syntaksa Shqip-Arebisht) – النحو الألباني والعربي.
4. (Ilmi Bejan -Retorika) – علم البيان.
5. (Myslimanija) – العقيدة الإسلامية<sup>(2)</sup>.
6. (Mevludi a jete e paster e Pejgamberit)<sup>(4)</sup> – مولد الرسول ﷺ، حياة نقية للنبي ﷺ.
7. (Treqint e Tri fjalet te Imam Aliut)<sup>(1)</sup> – ثلاثمائة وثلاث كلمات للإمام علي كرم الله وجهه<sup>(2)</sup>.

(1) انظر بتصرف:

Ahmedi, Ismail, *Hafiz Ali Korca - Jeta dhe Vepra*, 43-49; Korca, Hafiz Ali, *Shtate Endrat e Shqiperise*, 75-77.

(2) ومن القضايا المهمة التي عالجها الشيخ الحافظ علي والتي لفتت نظري إليها، قضية صفات الله تعالى على منهج أبي منصور الماتريدي، مع إثبات التنزيه المطلق لله تعالى وعدم مشابته للمخلوقين، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ولكنه يقوى ويضعف. ثم تطرق إلى قضية مهمة للغاية، وهي ضوابط الكفر المخرجة من الملة، وأنه تشدد في هذه القضية جداً ولم يتنازل في هذه المسألة الخطيرة قيد شعرة، ولم يفتح قط باب إطلاق ألقاب وكلمات الكفر على المسلم المتلبس بالصغائر، وإنما هناك قضايا مهمة وصريحة ومعروفة من الدين بالضرورة التي تخرج صاحبها من الملة إذا هو أنكرها. (4) هذه الرسالة تشبه قصيدة البردة للبصيري، والشيخ الحافظ اقتبس بعض الجوانب والمعاني من هذه القصيدة أيضاً. وقد تطرق فيها أيضاً إلى قضايا دينية مهمة، لكن طبيعة البحث لا تسمح لنا أن نتوسع في عرضها وتحليلها، وحسي في ذلك أن أشير إليها إشارة فقط. فقد ركز الشيخ في هذه الرسالة على ضرورة اتباع القرآن والسنة إذا ما أراد المسلمون النجاح والسعادة في الدارين. كما أنه وجه دعوة إلى ضرورة عقيدة التوحيد لجميع الأمم. والقضية الأخرى هي أن الشيخ ذكر وبين أن هذا القرآن اشتمل على جميع العلوم فعلمنا أن نستفيد من قرآنا المعجيد...

(5) Shtypje e trete, Nandur 1919, Shtypshkronja, «Nikaj», Shkoder.

8. (Gjylistani-Trendafilishta e Sadiut<sup>(3)</sup>) - الجلستان والحديقة لسعدي شيرازي.
9. (Rubajjati-Katroret e Umer Khajjamit)<sup>(4)</sup> - رباعيات لعمر خيام.
10. (Jusufi me Zelihane- a Ahsenul Kasas) - يوسف وزليخا من أحسن القصص.
11. (Historia e Shenjte edhe te kater Halifete) - التاريخ الإسلامي المقدس والخلفاء الأربعة.

---

(1) هذا الكتاب قال عنه الأستاذ الدكتور إسماعيل أحمد علي إن الشيخ الحافظ علي ترجم بعضاً من فقرات كتاب «نهج البلاغة» للشريف الرضي، لكن هذا الكلام لا يسلم له، لأن الشيخ الحافظ علي لم يذكر هذا المؤلف في كتابه ولم يحدد مصدر الكلام الذي ترجم منه هذه الكلمات والنصائح لسيدنا علي كرم الله وجهه، وإنما الذي ذكره أنه استطاع أن يحصل على هذه المجموعة من النصائح، وأنه قام بترجمتها وتقديمها للقراء الألبان. وأثناء قراءتي لهذا الكتاب تبين لي أن هناك مبالغت كثيرة في هذه النصائح في بعض القضايا، مما يتوقف عقل الإنسان عن تصديقها، وأنها مثيرة للشك وعدم التسليم المطلق لها، والله أعلم.

- (2) Shtypshkronja, «Korca» – Korce, 1910.
- (3) Mbrothesia, Kristo P. Luarasi, Tirane, 1917.
- (4) Shtypshkronja «Shkodra», Tirane, 1942.

مجريدة الحلاج الإبرانية  
 نشرت رسالة الشيخ الحافظ علي كورتشا  
 الموجهة إلى ملك إيران شاه،  
 بحجة بحقيقة حال مسلمي البانيا

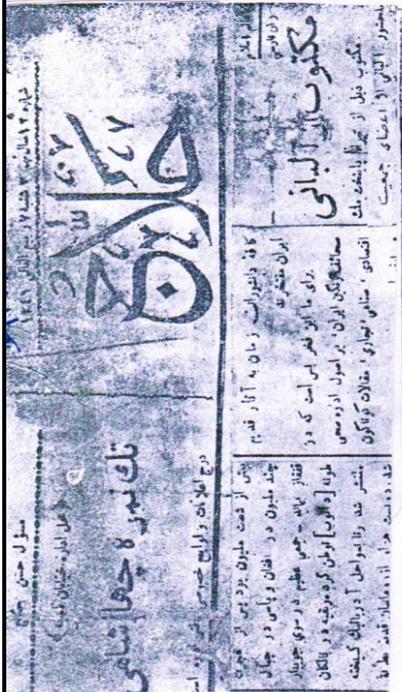
№ 9  
 1927

**ZANI I NALTË**  
 REVISTA FETARE

**Tefsiri i Sure-i Duhasë.**

Kjo Sure ka zbritur në Meqge edhe përmban njëmbdhjet Ajete.

Shkaku i zbritjes të kësaj Suresë, përdelhet a thuhet është vonimi i Valhjt pak ditë. Pra zbritja e kësaj Suresë, H. Muhammed Mustafajt po i jep një ngushllim të math edhe po e shkujdes se Zoti me madhësin e vetë ka me t'ia plotësuar mirësitë më të mëdha njerën pas tjetrës. Ky vonimi i zbritjes së Valhjt ka qënë në fillimin e Profetësisë së Tij.



**Tefsiri i Suresë së Termetit.**  
 (Dikur prej Nr. 6.)  
 Në formën tjetër folme permbi tefsirin e Ajetevet :  
 إذا زلزلت الأرض زلزالها . واخرجت الأرض أنهارها .  
 Kishim thënë se, kur toka do të dridhet me një dridhje të madhe, e do të frouditet me uj të nxehtë të jashtë-zakonshme, dhe ç'ka bresda prej metaleve dhe të gjitha ato gjëra që ka qëllitur do t'i çfryjë dhe do t'i nxijë jashtë, e kësaj do t'i vijë në krye kijameti.

نماذج من المجلة الإسلامية ( الصوت العالي و السامي )  
 والتي نشرت تفاسير لقصاص السور التي نشرت في

## المطلب الرابع: دراسة موجزة للكتاب الموسوعي «التاريخ الإسلامي المقدس والخلفاء الراشدون الأربعة»

«التاريخ الإسلامي المقدس والخلفاء الراشدون الأربعة»، هذا الكتاب يعتبر من أكبر وأضخم المؤلفات للشيخ الحافظ علي بعد تفسيره الكبير، وهو عصارة فكره واجتهاداته العلمية والدينية. ولكونه ناقش في هذا الكتاب قضايا عظيمة، فإنني سأعرج عليه ولو بشيء من التفصيل، لكي نستبين اتجاه الشيخ الإصلاحية بطريق أفضل وبصورة أمثل وأحسن. أولاً: هدف تأليف الكتاب

ذكر الشيخ أنه فكر منذ ثلاثين عاماً بكتابة التاريخ الإسلامي المقدس ليكون مقررًا دراسيًا لطلبته، على أن يكون هذا التاريخ على طريقة الشعر تسهياً لهم للحفظ والقراءة، واقتداء ببعض كبار العلماء في علم القراءات وعلم الفرائض ومصطلح الحديث والنحو في تاريخنا الإسلامي. ولأن الألبان في زمانه جبلوا على قول الشعر وقراءته. والشيخ كما قلنا في التعريف شاعر أيضاً، فإن شاعريته وعبقريته تظهرا في هذا الكتاب، فقد شرح في مقدمته أن شعره هذا موزون ومقفى طبق قواعد وعلم العروض، وأنه تحدى أقرانه ومعاصريه المبتكرين بالوطنية وانتقدهم بأنهم لا يحسنون قول الشعر، لأن ملكة اللغة الألبانية عندهم غير ناضجة، وإن قالوا الشعر فإنما قالوه مكسوراً وعلى غير وزن ولا تناسق ولا ترابط. ثم ذكر أن قول الشعر ليس بالأمر الهين، ولن يستطيع كل أحد القيام به. وقال عن نفسه إن شعره كان ينبع من قلبه ووجدانه<sup>(1)</sup>، وإنه لم يتكلف أبداً في إلقاء الشعر، وإنما نشره نشرًا مثل حبوب الأزهار والدر المثور، وإنه كتب ليلاً ونهاراً وبذل مجهوداً كبيراً في هذا الشأن<sup>(2)</sup>.

(1) وهذا الذي تعلمناه في الأدب العربي الجاهلي، فإن فحول الشعراء في الجاهلية مثل امرئ القيس والناطقة الذبياني وأبي العلاء المعري، لم يكونوا يتكلمون قول الشعر، وإنما كان الشعر ينبع من داخل وجدانهم.

(2) انظر للتوسع موسوعته التاريخية والعلمية والدينية:

ومن جملة الأمور التي ذكرها الشيخ في هذا الكتاب الجديد، أنه ليس فيه خرافات، وأن لهذا الكتاب في التاريخ أهمية كبيرة جداً، وأن القارئ إذا قرأه فكأنما يقرأ التفسير. والشيخ الحافظ علي في هذا الكتاب أزال عن الأنبياء والرسل كثيراً من الخرافات التي ذكرتها التوراة المحرفة. ثم ذكر الشيخ مصادر كتابه التي استقى تاريخه منها، فذكر من جملتها تفسير القرآن الحكيم المسمى «تفسير المنار» للشيخ رشيد رضا، وتاريخ الطبري، ثم ذكر كتباً أخرى واكتفى بالعناوين فقط دون ذكر أسماء المؤلفين، وهذا لا يستقيم منهجياً، مثل كتاب: تاريخ روضة الأحباب، وتاريخ روضة الصفا، وتاريخ الإسلام، ومراد العبر، وتاريخ الأنبياء، وتاريخ الدين الإسلامي، وقصص الأنبياء، وتاريخ عصر السعادة<sup>(1)</sup>.

ثم تطرق إلى موضوع إثبات وحدانية الله تعالى من خلال المنهج الاستدلالي بالكائنات التي من حولنا، والتي تشهد على وجود الله تعالى. والشيخ كان متأثراً بالتفسير العلمي إلى درجة أنه ذهب<sup>(2)</sup> إلى الفكرة التي تقول بأن هناك كائنات حية في الكواكب الأخرى أيضاً، سواء من البشر أو الحيوانات. واستدل على ذلك بقوله تعالى في سورة الشورى: ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير﴾ (الشورى: 29)، وأنه مع تقدم العلم وتطوره، وابتكار الأقمار الصناعية الدقيقة ستتكشف هذه المعجزة القرآنية المرتقبة والمنتظرة. واستدل الشيخ على ذلك بأن الضمير في قوله تعالى: (فيهما) يعود إلى وجود الخلائق أو المخلوقات في الأرض وفي السماء، وأن هذه المخلوقات في السماء

(1) انظر: المصدر السابق، ص 4-7.

(2) حول موقف القرآن الكريم من العلوم الكونية انظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: د. بديع السيد اللحام، دار قتيبة، ط 1، ج 2، ص 409-412. وقد ذكر الشيخ عبد العظيم الزرقاني خمسة ضوابط يجب علينا أخذها في عين الاعتبار عندما نتحدث عن هذا الموضوع. أولها: أنه لم يجعل تلك العلوم الكونية من موضوعه (أي أن موضوع القرآن هو الهداية والإعجاز)، وذلك لأنها خاضعة لقانون النشوء والارتقاء. ثانيها: أن القرآن دعا إلى هذه العلوم في جملة ما دعا إليه من البحث والنظر والانتفاع بما في الكون من نعم وعبر. ثالثها: أن القرآن حين عرض لهذه الكونيات أشعرنا أنها مبروبة له تعالى ومقهورة لمراده. رابعها: أن القرآن حين يعرض لآية كونية في معرض من معارض الهداية يتحدث عنها حديث المحيط بعلوم الكون. خامسها: أن الأسلوب الذي اختاره القرآن في التعبير عن آيات الله الكونية أسلوب بارع جمع بين البيان والإجمال في سمط واحد، ص 409-412.

والأرض وُصفت ب(دآبة)، وهي التي تدب على الأرض ديبباً؛ أي على بطنها وتمشي على رجلين أو على أربع، والله أعلم<sup>(1)</sup>. ثم أحال القراء الراغبين إلى المزيد من المعارف والعلوم على تفسير الفخر الرازي عليه رحمة الله تعالى، فإن فيه تفاصيل أمور الدين والكون<sup>(2)</sup>.

أما القضية الأخرى التي ناقشها الشيخ الحافظ فكانت مسألة الخالق الحقيقي لهذا الكون، وهو الله تبارك وتعالى، واجب الوجود، وأن ما يقوله الغربيون أو الفلاسفة المنكرون لصفة الخلق عنه سبحانه، هو كذب وافتراء، فأبطل الشيخ هذا الافتراء من أساسه، مستدلاً بالأدلة العلمية، قائلاً بأن المادة لم توجد تلقائياً أو صدفة وإنما أوجدها الله تعالى، ويشهد لهذا علم

---

(1) وقد سمعت مثل هذا التفسير أيضاً من الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله- في حلقة يومية تلفزيونية في التفسير، في قناة (ART) في كوالالمبور في ماليزيا، في صباح يوم الخميس الواقع 26/12/2002، في الساعة الثانية وخمس وأربعين دقيقة بعد منتصف الليل، وكان مما ذكره -رحمه الله- ما معناه: «إن المخلوقات الأخرى الحية في الكواكب الأخرى ليس ضرورياً أن تكون من جنس الإنسان، وإنه تعالى إذا شاء أن يجمعهم في كوكب واحد لجمعهم، وما يقوله العلم اليوم إن الماء أصل لوجود الحياة في الكواكب الأخرى، غير صحيح منطقياً. إن السمكة خلق الله لها جهازاً تنفسياً خاصاً بها بحيث تأخذ الأكسجين من الماء، وإن الإنسان ركب الله تعالى له جهازاً تنفسياً خاصاً به يأخذ الأكسجين من الهواء. فلو دخل هذا في الماء لمات، ولو خرجت تلك إلى الأرض لماتت. وعلى أي حال فهذا معنى تحتمله الآية، وما يقوله المفسرون الآخرون تحتمله أيضاً». هذه خلاصة كلام الشيخ الغزالي -رحمه الله-، وقد صادفتني هذه الحلقة وأنا أكتب هذا الفصل من الرسالة وفي صدد بيان رأي الشيخ الحافظ علي كورتشا حول الآية ذاتها. والذي يبدو لي في هذه المسألة، أنه قد يكون هناك في العوالم أو الكواكب الأخرى كائنات من قبيل الحيوانات أو الحشرات. أما كائنات بشرية فهذا مستحيل عقلاً وشرعاً. أما استحالته شرعاً فلأن الله تعالى ذكر في كتابه الكريم: (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) (طه: 55)، والضمير في المواضع الثلاثة يعود إلى هذه الأرض، بدليل سياق الآيات، وقال تعالى: (قال فيها نحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) (الأعراف: 25)، والضمير في هذه الآية في المواضع الثلاثة عائد أيضاً إلى هذه الأرض التي نعيش عليها، والتي أهبط آدم وحواء عليهما السلام إليها. ففي هذه الآيات إشارة إلى إمكانية الحياة والممات والبعث على هذه الأرض فقط. وأما استحالته عقلاً فلأن الله سبحانه وتعالى ختم رسالاته السماوية بإرسال آخر رسول من جنس البشر الذين يعيشون على هذه الأرض، وأنه بعده لا نبي ولا رسول، فإذا قلنا إن هناك كائنات بشرية أخرى لوجب على الله إرسال رسول آخر إليهم حتى لا يكون لهم عليه حجة، وهذا مستحيل. وأما المحاولات البريطانية والأمريكية والروسية في هذه الأيام، فلا تخفى علينا أهدافها السياسية والاقتصادية، والله أعلم. فكلام الشيخ الغزالي السابق له وجه من الصحة والإمكانية.

(2) Korca, Hafiz Ali, *Historia e Shenjte dhe te kater Halifete*, 10-11.

طبقات الأرض الحديث (علم الجيولوجيا)<sup>(1)</sup>، وأنه تعالى خلق الزمان والمكان، وأنه تعالى ليس له بداية ولا نهاية، وأن كل المخلوقات ستفنى، وأنه تعالى وحده سيبقى<sup>(2)</sup>.

ثم الشيخ الحافظ علي أبطل الفكرة والنظرية الداروينية القائلة بالتطور، وفندها من أساسها، قائلاً بأن علم المنطق الصحيح لا يقبل القول بتسلسل الأشياء، كما أن المنطق لا يقبل فكرة القول بالدور، وإن كلا الاحتمالين باطل. وإنما الحق في هذه المسألة، هو أن الله تعالى هو المحرك الأساسي للمادة، وأنه هو الذي أعطى الشكل المناسب لكل مخلوق، ثم هداه<sup>(3)</sup>.

يبدو للباحث كأنه يشير إلى قوله تعالى: ﴿قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ (طه: 50)، وإلى قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (1) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (2) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ (الأعلى: 1-3).

ثم تطرق الشيخ إلى مناقشة آراء الطبيعيين الذين يقولون إن أصل الإنسان من القرد، ولملاحظة هذا التطور عنده نحتاج إلى ملايين السنين. ثم ناقش القوانين الأربعة لدى هؤلاء الطبيعيين القائلين بها، فناقش قانون الوراثة، وقانون التباين، وقانون التنافس للبقاء، وقانون الانتخاب، وأثبت أن الذي قالوه هو مجرد فرضيات ونظريات، وأنها غير مستقرة وغير ثابتة، فلا يجوز الاعتماد عليها<sup>(6)</sup>.

ثم ذكر في هذه الموسوعة العلمية الضخمة<sup>(7)</sup> موضوع الإيمان بالله تبارك وتعالى، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص<sup>(1)</sup>، وإنما يقوى أو يضعف. كما ذكر ذلك في رسالته (Myslimanija)

(1) المصدر السابق، ص 11.

(2) المصدر السابق، ص 12-13.

(3) المصدر السابق، ص 14، 15، 17.

(6) المصدر السابق، ص 18-20.

(7) ملاحظة: للأسف الشديد، هذا الكتاب الضخم فُقدت منه صفحات كثيرة، والذي وجدته في المكتبة المركزية في ألبانيا كانت الصفحات (1-31)، و(232-288)، وهذا الذي أملكه ووجدته في المكتبة المركزية في تيرانا. وكان بود الباحث أن يوجد الكتاب بكامله لكي يطلع على مزيد من فكر الشيخ ومنهجه في معالجة القضايا الفكرية والفلسفية والدينية.

عقيدة الإسلام، وأن الله تعالى حافظٌ دينه من الشبهات، وأنه متمُّ نوره ولو كره الكافرون والملحدون، وأن إعجاز القرآن متحقق ببقاء هذا الدين وانتشاره، لأن الإسلام جاء لإنقاذ الناس، وأن هذا الرسول الكريم لم يكن يرغب في الملك ولا في المنصب، وإنما جاء لإنقاذ البشرية من الشرك والتثليث، ومن الظلمات إلى النور وإلى الإيمان بالله الواحد القهار<sup>(2)</sup>. وأخيراً هناك أيضاً من الأخبار الأخرى المهمة التي ذكرها الشيخ الحافظ على كورتشا عن عظمة الرسول ﷺ، وحديث الأناجيل الأربعة عنه<sup>(3)</sup>، وآراء وبحوث علماء الغرب والمستشرقين، وموقفهم من الرسالة الإسلامية، وقد أشار في عدة مواضع في الهامش إلى أنه نقلها من تفسير صاحب المنار<sup>(4)</sup>.

وبعد هذا العرض الموجز لهذا الكتاب التفسيري التاريخي والديني، نستطيع أن نجزم وأن نقول إن هذا الكتاب أبان لنا بعضاً من معالم منهج الشيخ الحافظ علي وحدد الاتجاه الفكري الديني الذي انتمى إليه، إذ نجد تشابهاً كبيراً بين طريقته في طرح ومعالجة الموضوعات وطريقة رواد المدرسة الإصلاحية الحديثة، والله أعلم.

(1) كما يقول صاحب القصيدة البيقونية في العقيدة في كتاب جوهره التوحيد، للشيخ إبراهيم البيجوري: ورجحت زيادة الإيمان/ بما تزيد طاعة الإنسان/ ونقصه بنقصها وقيل لا/ وقيل ذا خلف كذا قد نقلا. أحفظ هذه الآيات منذ أن كنت تلميذاً في مدرسة الفرقان في دمشق سنة 1983.

(2) انظر للتوسع: Korca, Hafiz Ali, *Historia e Shenjite dhe te kater Halifete*, 26-27.

(3) ليت الشيخ الحافظ علي كورتشا لم ينقل من تلك الأناجيل والكتب المقدسة شيئاً، حتى لا يتناقض مع منهجه في رفضه للإسرائيليات جملة وتفصيلاً. لكنه للأسف الشديد تابع وقلد شيخه رشيد رضا في هذا الأمر، ولم يتنبه إلى هذا التناقض الذي تلبس به هو وأستاذه.

(4) المصدر السابق، ص 236-239، 246-247.

تموجز من الخطاب الذي أرسله شيخ الأزهر الشيخ العلامة مصطفى المراغي إلى الشيخ الحافظ علي



Hafiz Ali Korca  
1873-1956

كورتشا سنة ١٩٣٩م

حجرت ما بين يدي الأستاذ حافظ علي  
 فإني أودعكم بوجه الله وأتم بنا تحيات خالصة وبعد فقد  
 قرأت خطابك الإثيري الذي صدق صادر من قلب رجل مؤمن غير  
 واني أؤقتني على أن يوجد الشيع والفرق الكثيره حار بالاسلام  
 وفي ان الشيعيين الذين باواهم يتهم من عهد طهيل  
 انهم ان يهجم ان العلم والنعامة يجب ان تكون موزعة بين  
 الناس وان يختار كل واحد علمه وما يتعلم به وانه على ولاه الامير النظر في  
 امور المسلمين بمدة عامه وانه من التغير ان يوجد مؤثر ولكن الامور ههنا  
 باوقاتها والله تعالى يوفق الجميع  
 اما خطاباتك المرسل مع خطابي فمأبغته كما اردت . ولك مني التمتع  
 الزايع

Handwritten text in Arabic script, likely a continuation of the letter or a related document.

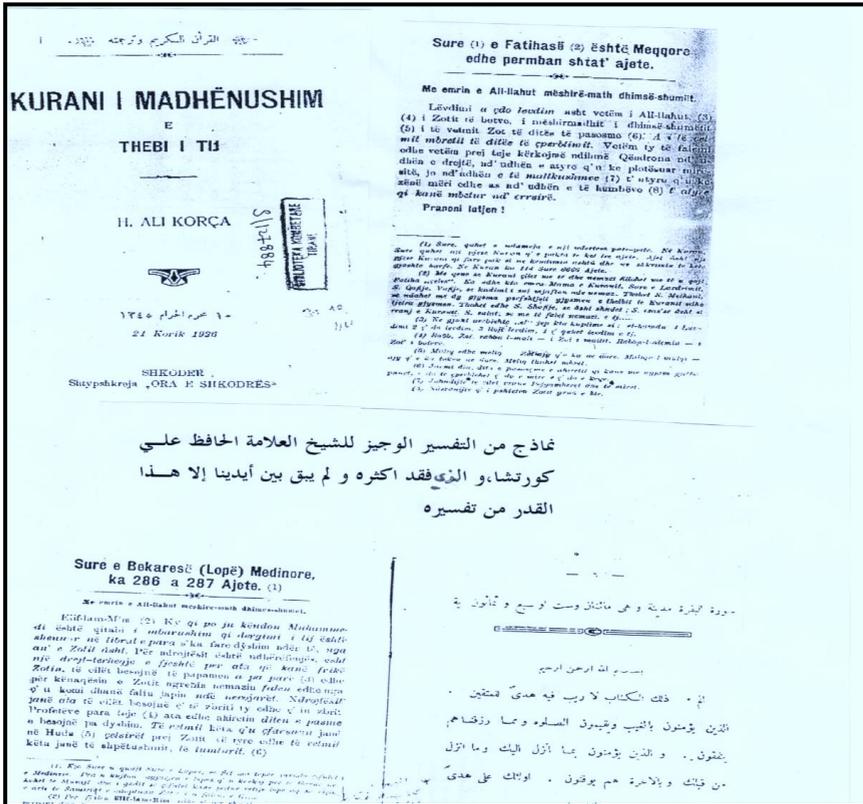
Handwritten text in Arabic script, dated 1939, with a signature.

Handwritten text in Arabic script, possibly a newspaper clipping or a separate letter.

Handwritten text in Arabic script, featuring a prominent heading in large calligraphic letters.

تمادج من الجرائد اليومية الصادرة في اسطنبول التي  
 كانت تنشر مقالات الشيخ الحافظ علي كورتشا .  
 جريدة ( صراط مستقيم ) ، ( جريدة عكس صدا ) ،  
 و ( جريدة أقشام ) ، و ( جريدة صباح ) .

# المبحث الثالث: دراسة التفسير الوجيز للشيخ الحافظ علي كورتشا<sup>(1)</sup> (Kur'ani i Madhnueshem e Thebi i Tij) (القرآن العظيم وخلاصة تفسيره)<sup>(2)</sup>.



مأخذ من التفسير الوجيز للشيخ العلامة الحافظ علي كورتشا، والذي فقد أكثره ولم يبق بين أيدينا إلا هذا القدر من تفسيره

(1) Shtypshkronja, «Ora e Shkodres», Shkoder, 1926.

(2) وهذه الرسالة أيضاً ناقصة، وليس كل تفسيره فيها، وهذا الذي وجدته في المكتبة المركزية في ألبانيا وصورت نسخة منها لنفسي. وقد بحثت لدى المشايخ الآخرين الذين اهتموا بكتبه وأرخوا عنه فلم أجد أكثر من هذا الذي وجدت، الكل أشار وذكر أن له تفسيراً كبيراً ولكنه للأسف الشديد مفقود. ومن خلال دراستنا وتحليلنا لهذا القدر الموجود من تفسيره، بالإضافة إلى تفاسيره لبعض الآيات والسور القصار التي جمعتها وصورتها من الأعداد المختلفة من المجلة الإسلامية (Zani i Nalte)، نستطيع أن نخرج بحصيلة علمية ونتيجة جيدة إن شاء الله تعالى، لنثبت انتماءه إلى تلك المدرسة الإصلاحية.

## المطلب الأول: الخصائص العامة في تفسير الشيخ الحافظ علي كورتشا

- من خلال قراءتي وتصفحني لأراء الشيخ الحافظ علي عموماً وتفسيره الوجيز خصوصاً، لاحظت أنه يركز في تفسيره للآيات والسور على هذه القضايا والجوانب الهامة:
- يحارب الرذائل الأخلاقية ويحذر الناس من شر النفس الأمارة بالسوء، ويدعو إلى التحلي بالفضائل.
  - يركز على خطر اليهود في العالم وخبث نواياهم وكثافة وفساد جهودهم السياسية والاقتصادية والأخلاقية للسيطرة على العالم.
  - يركز على إبراز وبيان فضل الإسلام وإظهار مزيته على سائر الأديان، وأن مجيء رسالة الإسلام كان لإنقاذ العرب وسائر الناس من ظلمات الجهل والاستعمار الرومي والفارسي.
  - بيان وإظهار فضل ثقافة القرآن (كما عبر هو) على سائر الثقافات الأخرى الغربية المستوردة.
  - يُظهر مناقب الرسول ﷺ وحسن خلقه مع الناس، ولا سيما مع الأيتام، وأنه مثل قمة الإنسانية والديموقراطية (كما عبر هو)، وأن خلفاءه كانوا حقاً ديموقراطيين، لكن ليس بالمفهوم العصري للديموقراطية، وأن الرسول لم يكن متطفاً يعيش على أكتاف الآخرين مثل قادة اليوم، وأن الناس سواء العبيد أو الأمراء كانوا سواسية عنده.
  - بيان الظاهرة الإسلامية على أنها انتشرت سلماً وليس عنفاً، بينما أثبت التاريخ انتشار المسيحية عنفاً عن طريق السيف والقوة، ولو لم تكن السماحة الدينية في الإسلام في تعامله مع الآخرين وقت انتشاره، لما وجدت اليوم نصرانياً في العالم، ولو كان العنف حاضراً، للزم من ذلك أن يسلم الجميع خشية منهم، ولكن المسلمين لم يجبروا أحداً على الإسلام، والدليل على ذلك أنك تجد وترى اليهود والنصارى أحياء يرزقون، ولم يُستأصلوا.

- إبراز وتأکید عالمية رسالة الإسلام وشموليتها<sup>(1)</sup>، وديمومته في الدنيا.
- بيان قدرة الإسلام الفكرية والروحية على مواجهة التحديات.
- بيان أنه لا قداسة للأشخاص في الإسلام (لا ملوك روحانيين كما عبر هو)، وأن التقديس لله وحده، ولا تزر وازرة وزر أخرى، وأن كل نفس بما كسبت رهينة.
- الدعوة إلى إصلاح المناهج الدراسية الدينية والتركيز على إحياء التراث العلمي الفكري القديم، والرفع من مستوى اللغة العربية، ودراسة كتب اللغة والبلاغة لكبار العلماء مثل كتاب: البلاغة للزمخشري، وابن الحاجب وغيرهما، حتى يخرج علماء كبار مثل الفخر الرازي وابن سينا والسيوطي والغزالي. ولم يكن يقصد بإصلاح المناهج الدراسية تقليد الطابع الفكري الغربي، لا لم يكن يقصد ذلك (كما عبر هو)، إنما كان يقصد بإصلاح المدارس والمناهج تقليد المدارس الدينية والعلمية التي وُجدت في العصر العباسي في بغداد وفي العصر الأموي بالأندلس، والتسلح بسلاح العلم بحسب متطلبات العصر<sup>(2)</sup>.
- إثبات إعجاز القرآن ونبوة محمد ﷺ وعموم رسالته لجميع الناس.
- الدعوة إلى دعم المدارس الدينية باعتبارها مراكز تعليمية هامة في حياة الأمة.
- محاربة الشرك والتوسل والتوجه إلى الله وحده، وليس إلى الأصنام، أحياء كانوا أو أمواتاً<sup>(3)</sup>.
- محاربة العادات والخرافات والتقاليد والبدع الموجودة لدى المجتمع الألباني، والدعوة إلى التمسك بالكتاب والسنة.

(1) حول شمولية الإسلام انظر: القضاوي، يوسف، شمول الإسلام في ضوء شرح مفصل للأصول العشرين للإمام الشهيد حسن البناء، القاهرة، مكتبة وهبة، ط2، 1995، ص35-120.

(2) انظر: الذهبي محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج2، ص408-420، لتقارن منهج الأستاذ الإمام محمد عبده بهذا الذي ذكرته.

(3) لترى هذه الخصائص في تفسيره راجع الأعداد التالية من المجلة الإسلامية:

Zani i Nalte: Nr. 3, Mars, 1929, (796-797, 799-800); Zani i Nalte: Nr.9, Qershor, 1924, (270); Zani i Nalte: Nr.8, Maj, 1924, (238-246).

## المطلب الثاني: منهج الشيخ الحافظ علي وطريقته في التفسير

ذكر الشيخ الحافظ علي كورتشا في مقدمة هذا التفسير الوجيز الموجود بين يدي الباحث، أنه كتب كثيراً من تفسيره لكتاب الله تعالى، معتمداً على التفاسير الكثيرة والمشهورة كمصادر، لكن الظروف الاقتصادية الشديدة والقاسية حالت دون طبع ذلك التفسير الكبير، ذلك أنه ذكر أنه كان يحتاج إلى مبلغ كبير من المال لطبع ونشر ذلك التفسير الموسع. فلأجل ذلك أجّل طباعته إلى حين آخر ريثما تيسر الأمور الاقتصادية. وفي الوقت نفسه، فضّل أن يكتب وينشر خلاصة ذلك التفسير الكبير حتى تكون قراءته ميسورة للناس، فشرع في اختصاره، وهذا هو التفسير المختصر الوجيز الذي بين أيدينا، والذي فقد الشيء الكثير منه أيضاً.

وقد ذكر غير واحد من الباحثين أن هذا التفسير الكبير والمفقود للشيخ الحافظ كان يبلغ عدد صفحاته 2000 صفحة<sup>(1)</sup>. هذا التفسير وجيز ومختصر وغير كامل أيضاً، وهو تفسير من أول سورة الفاتحة إلى قوله تعالى: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾ (البقرة: 37). لكن نظراً لقلّة الآيات المفسرة الموجودة، والبحوث التفسيرية المنتشرة في كثير من مؤلفات الشيخ وفي المجالات الإسلامية المختلفة، أخذ مني ذلك جهداً كبيراً في بحث وقراءة مؤلفات الشيخ الحافظ علي للوقوف على مزيد من آرائه وحقيقة أفكاره، فاستطعت بحول الله تعالى أن أكوّن ثروة لا بأس بها من آراء واجتهادات الشيخ، مما يسر لي التعرف على اتجاه الشيخ الحافظ. وقبل عرض منهجه وطريقته في التفسير، يجدر بنا أن نتعرف على مصادر التي اعتمد عليها في تفسيره وكتاباتة الدينية عموماً، فأقول:

أولاً: إنه من خلال قراءتي ومطالعتي لمؤلفات الشيخ الحافظ وتفسيره الوجيز وتفاسيره المختلفة في المجالات الإسلامية تبين لي أنه اعتمد على قدر كبير من المصادر والمراجع

(1) انظر:

Ramiz, Zekaj, *Zhivillimi i Kultures Islame*, 317-319; Bardhi, Ismail, *Hafiz Ibrahim Dalliu*, 67; Osmani, Shefik, *Panteoni Iranian dhe Iranologet shqiptare*, 272-276.

المختلفة، وأن معرفته لبضع لغات شرقية وغربية ساعدته على تكوين هذه الثقافة الدينية والأدبية والسياسية. ومن جملة المصادر نذكر ما يلي:

كتب التفاسير المختلفة والمتنوعة، وعلى رأسها تفسير الفخر الرازي وتفسير المنار للشيخ رشيد رضا، وكتب الحديث النبوي، وكتب التاريخ الإسلامي وغير الإسلامي ولا سيما تاريخ الطبري، وكتب السيرة النبوية وحياة الصحابة، وكتب اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة، وكتب الفلسفة للمسلمين والغربيين، وكتب الثقافة العامة بمختلف اللغات، وكتب الأدب العربي والفارسي والتركي والألباني، وكتب العلم الحديث المختلفة من جغرافيا وعلم فلك وبيولوجيا، وكتب الفقه وأصوله، وكتب علوم القرآن، وكتب القصص القرآني، وكتب العقيدة، وكتب السياسة العالمية، وكتب المستشرقين الغربيين، وغيرها من المصادر العلمية، مما يدل على تنوع ثقافة الشيخ وسعة اطلاعه.

ثانياً: ومن كل ما قرأت له من تفسيره وبحوثه التفسيرية تبين لي أنه سلك هذا المنهج والتزم هذه الطريقة في فهمه لكتاب الله تعالى:

- يذكر المكي والمدني للسورة ويذكر عدد آياتها.
- يحلل مفردات السورة وغريب الكلمات الواردة فيها.
- يذكر أسماء السور ويبين سر تسميتها بذلك.
- يتطرق إلى مناقشة بعض المسائل النحوية والصرفية، مثل ما فعل في بيان المعاني الواردة في (ال) التعريف في قوله تعالى: الحمد لله رب العالمين.
- يتعرض إلى ذكر القراءات الواردة أحياناً مشيراً إليها باختصار شديد.
- يذكر أقوال العلماء والمفسرين في معنى الحروف المقطعة، لكن بإيجاز واختصار شديد<sup>(1)</sup>.
- يتعرض في تفسيره إلى ذكر المجتمعات الموجودة في الجزيرة العربية، من يهود ونصاري وعباد الأصنام والنجوم وبعض الدهريين<sup>(1)</sup>.

---

(1) وذكر الشيخ الحافظ علي في هامش تفسيره الوجيز في هذا الصدد أنه ألف كتاباً خاصاً عن معنى الحروف المقطعة، مما يدل على اهتمامه الكبير وباعه الطويل في علم التفسير. لكن هذا الكتاب أيضاً مفقود للأسف الشديد.

- يذكر سبب نزول الآية إن كان هناك سبب للنزول، ويبين تعدد سبب النزول في قضية واحدة<sup>(2)</sup>.
- يستعين بالسيرة النبوية و حياة الصحابة في توضيح معنى الآية.
- يميل إلى التفسير العلمي للآيات. ويظهر ذلك في تفسيره لسورة الزلزلة، حيث ناقش بعض القوانين الفيزيائية في ما يخص خراب الأرض قبل قيام الساعة، وتحدث عن خروج البراكين وسقوط النجوم والسموات وغيرها من الأمور التي ستقع. ويبدو للباحث أن التفسير العلمي واعتماده على تفسير الفخر الرازي كثيراً، أثر عليه لدرجة أنه ظن أن هناك كائنات أخرى من حيوان وإنسان في الكواكب الأخرى، واستدلَّ على ذلك بقوله تعالى: ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير﴾ (الشورى: 29)، ثم نقل الشيخ كلام الفخر الرازي دون أن يشير إلى رقم الصفحة والجزء<sup>(4)</sup>.
- أحياناً يستعمل بعض العبارات والاصطلاحات التي تُشعر بأنها صوفية. ففي تفسيره لسورة الضحى ذكر أن الرسول ﷺ لما رأى الوحي لأول مرة: «اندهش وغرق في بحر نور الله تعالى وتعب في أمواج ذلك البحر غير العادي من نور الله تبارك تعالى»<sup>(5)</sup>.
- يستطرد أحياناً في تفسيره ثم يعود إلى موضوعه.
- يستشهد بالشعر العربي الأصيل أحياناً في تفسيره<sup>(6)</sup>.

(1) للوقوف على هذه النقاط السبع المنهجية راجع تفسيره الوجيز:

*Kur'ani i Madhnueshem e thebi i Tij*, 3-13.

(2) المصدر السابق، ص 13.

(4) للوقوف على هذا التفسير راجع المجلة الإسلامية الألبانية:

*Zani i Nalte*, Nr.6, 1927, (162-167).

(5) راجع المجلة الإسلامية الألبانية:

*Zani i Nalte*: Nr.8, Mars, 1927, (227-228).

(6) انظر المرجع السابق، ص 233.

- يستشهد بالتاريخ العربي الجاهلي في بيانه لأحوال العرب ويبين فضل الإسلام عليهم<sup>(1)</sup>.
- كان يُثري تفسيره بشعر من عنده، فقد كانت قريحته الشعرية قد تفجرت لديه منذ نعومة أظفاره، وهذا الشعر كان حقاً شعراً موزوناً ومقفى، حاوياً المعاني السامية والأهداف النزيهة العالية<sup>(2)</sup>.
- يذكر في تفسيره كلام الحكماء والفلاسفة والمؤرخين المختلفين من الغرب، ويبين إعجابهم بعظمة رسالة الإسلام وعبقرية محمد ﷺ، فقد كان ﷺ شخصية عظيمة. وسعى لتحقيق الأهداف الإنسانية والربانية (كما صرح بذلك)، كما أنه كان يرد على شبهات وأباطيل الأعداء، سواء من المستشرقين أو المبشرين ويبين جهودهم في تنصير المسلمين في إفريقيا والصين والهند<sup>(3)</sup>.
- يفرد مقدمة يسيرة قبل الشروع في تفسيره للآيات، كما فعل في تفسيره لسورة القدر والتكاثر وغيرها من السور والآيات، ثم يتوسع في تفسيرها وشرحها<sup>(4)</sup>.
- في منظور الشيخ، ذكر الأعداد الواردة في سورة القدر وفي غيرها من المواضع القرآنية ليس المراد منه التحديد أو العدد المذكور نفسه؛ أي لا يفيد الحصر، وإنما المراد منه التأكيد كما هو وارد في لغة العرب<sup>(5)</sup>.
- ينقل من المفسرين الآخرين ولا سيما الفخر الرازي، وتفسير المنار للشيخ رشيد رضا، وغيرهما. لكنه لم يسمّهم لنا<sup>(6)</sup>.

(1) انظر المرجع السابق، ص 233.

(2) انظر المصدر السابق، 236.

(3) انظر المجلة الإسلامية الألبانية: *Zani i Nalte*, Nr.1, Nentor, 1927, 383-388.

والعدد: (203-217), Prill, 1924, Nr.7.

(4) انظر المجلة الإسلامية الألبانية: *Zani i Nalte*: Nr.7, Prill, 1924, (195-201).

(5) انظر المرجع السابق، والصفحات نفسها.

(6) راجع تفسيره لسورة الزلزلة في المجلة الإسلامية: *Zani i Nalte*, 1926, Nr. 6, (163-167).

- يذكر في تفسيره العبر والدروس المستفادة من الآيات، كما أنه وجه عتاباً شديداً للأغنياء والمترفين الذين يفتخرون بالمال والولد ولا يقدمون خدمات اجتماعية ولا دينة لأبناء وطنهم، مثل بناء المدارس وتزويج الفقراء وبناء المستشفيات. وكثيراً ما دعا إلى حسن استثمار تلك النعم<sup>(1)</sup>.
- أحياناً يعقب على تفسيره لسورة معينة فيقدم في نهايته خلاصة. كما أنه يستدل بالحديث النبوي الشريف في أثناء تفسيره للآيات أحياناً.
- أما الإسرائيليات فيرفضها رفضاً تاماً، ولم أجد له شيئاً من ذلك في ما قرأت له من تفسيره، ولعل هذا الجانب من أبرز الجوانب والأسس للمدرسة الإصلاحية العقلية التي تأثر بها إلى درجة كبيرة<sup>(2)</sup>.
- الاستعانة بالاكشافات العلمية الحديثة في زمانه والاعتماد على تقارير الأطباء في بيانهم للأضرار الناجمة عن تعاطي الخمر وشرب الدخان، والفوائد الصحية من الصيام وغيرها<sup>(3)</sup>.
- لا يعيد المعنى الذي ذكره، كما أنه في توضيحه لمعنى الآية وإظهار الأسرار الكامنة من مدلولاتها يتطرق إلى ذكر أنواع الأساليب القرآنية في الخطاب، وكان غرضه من ذلك بيان أكان هذا الخطاب خاص بالنبي ﷺ، أم أنه عام لجميع المسلمين أيضاً؟<sup>(4)</sup>.
- يستعمل الاستعارات البيانية والبلاغية في تفسيره مثل: (حان شمس الدين الحق أن يسطع..)، (من بحر نور العشق الإلهي) وغيرها<sup>(5)</sup>.

(1) انظر تفسيره لسورة التكاثر في: (261-265)، Zani i Nalte, Nr. 9, Qreshor, 1924.

(2) انظر تفسيره لآية الصوم في المجلة نفسها: (174)، Zani i Nalte, Nr. 6, Mars, 1924.

(3) المرجع السابق والصفحة نفسها.

(4) المرجع السابق، ص 164. وحول الأساليب القرآنية في الخطاب انظر: جعراية، عبد الحميد بن محمد ندا، المدخل إلى التفسير، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 1، 1996، 405-424، رسالة الدكتوراة. وانظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، التحبير في علم التفسير، تحقيق د. فتحي عبد القادر فريد، دار المنار، القاهرة، 1986، ص 235-242.

(5) انظر للتوسع المجلة الإسلامية الألبانية:

- يناقش أحياناً بعض المسائل المتعلقة بالقدر، وكثيراً ما يحارب العادات والتقاليد الخرافية لدى الألبان، ويصحح التصورات الخاطئة عندهم<sup>(1)</sup>.
  - يدافع كثيراً بشدة عن أهل السنة والجماعة، ويدعو إلى التمسك بالقرآن والسنة، وكان يدعو أيضاً إلى ترجمة نصوصهما وتقديمها للمجتمع الألباني<sup>(2)</sup>.
- هذه هي بعض معالم منهجه التي اعتمد عليها في تفسيره لكتاب الله تعالى، والتي استطعت أن أجمعها من مؤلفاته وبحوثه المختلفة والمتنوعة. وأعتقد أننا استطعنا بتوفيق الله تعالى أن نُقدّم بعضاً من الأسس الفكرية والمنهجية لهذا العالم والمفسر الألباني، المنتمي إلى المدرسة الإصلاحية في العصر الحديث، رغم صعوبة الحصول على آثاره العلمية المطبوعة، والله أعلم.

### المطلب الثالث: تأثر الشيخ بأفكار المدرسة الإصلاحية العقلية

ومما يثبت دعوانا انتماء الشيخ الحافظ علي إلى الاتجاه الموصوف بالإصلاح، موقفه من حادثة سحر النبي ﷺ، التي وردت في الأحاديث الصحيحة<sup>(3)</sup>. وحتى لا نتقول على الشيخ، يحسن بنا أن ننقل نص كلامه حرفياً حتى نكون على بينة من الأمر. ففي تفسيره لسورة الفلق رأيت الشيخ الحافظ علي يقول:

«والذي يقال عن لبيد بن الأعصم اليهودي من المدينة أنه كان قد سحر النبي ﷺ في بئر، حتى يخيل إليه ﷺ أنه يعمل شيئاً أو يأتي شيئاً وفي الحقيقة هو لا يفعل ذلك، وكأنه يتكلم بشيء وفي الحقيقة لا يتكلم بشيء، إلى أن أطلعه الله تعالى وأخبره على موضع سحره، وغيرها من الأخبار. أقول فإن هذه الأخبار غير صحيحة على الإطلاق، ذلك، لأن الأنبياء لا يُسحرون،

(1) انظر المجلة الإسلامية الألبانية، العديدين:

Zani i Nalte, Nr.2, Fruer, 1929, (776); Nr.3, Mars, 1929, (799).

(2) انظر المجلة الإسلامية:

Zani i Nalte, Nr.3, Mars, 1929, (800).

(3) حديث سحر النبي -صلى الله عليه وسلم- رواه الإمام البخاري في صحيحه في باب السحر، برقم: 5430، ج5، ص2174، وأيضاً رواه الإمام مسلم في صحيحه في باب السحر، برقم: 2189، ج4، ص1719.

وكيف يمكن أن يسحر النبي ﷺ؟ قائل هذا الكلام يؤكد قول المشركين الذين قالوا: ﴿إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً﴾ (الإسراء: 47)، و(الفرقان: 8)، والمسحور معناه الذي اختلطت عليه الأمور، والذي يخيل له أنه يأتي شيئاً أو يعمله وفي الحقيقة لم يأت به ولم يفعله، أو اعتقد أنه أوحى إليه أو ألهم بشيء، وفي الحقيقة لم يوح إليه شيء ولم يلهم بشيء. هؤلاء القائلون لا يعرفون حقيقة النبوة وأهميتها، وبدون أدنى حياء يلصقون هذه التهم والأمور المضحكة برسول الله ﷺ، ويعتقدون بأن لبيد بن الأعصم اليهودي قد سحره. هؤلاء نسوا القرآن الكريم أنه حق، وأنه قد أثبت أن الرسول ﷺ معصوم ومحفوظ من الخطأ. فعلياً أن نصدق ما يجب الإيمان به وتصديقه، وأن نرفض ما يجب رفضه. لما شاع خبر سحر النبي ﷺ هو نفسه أنكر هذا الخبر قائلاً بأنني لا أسحر. وعلى أي حال فإن كان هناك شيء من هذه الأخبار التي وردت عن رسول الله ﷺ في هذا الشأن فإنها هي وردت عن طريق الأحاد الذي ليس له أهمية في التصديق. نحن مطالبون أن نؤمن بأنه ﷺ معصوم ومطهر وبريء من كل ما يقال أو قيل عنه، فليقولوا ما شاؤوا أن يقولوا، فنحن مكلفون بما أمرنا به القرآن، ولو صحت تلك الافتراءات من هؤلاء أصحاب العقول الفارغة، بأن عقل رسول الله قد سحر، للزم من ذلك أن يخبر أمته بشيء لم يأمره به الله - عزَّ وجلَّ - ولم ينزل عليه.

نعم يمكن أن يوجد السحر<sup>(1)</sup>، ولكن لا سبيل له أن يؤثر في معصوم الله - عزَّ وجلَّ -، لأن الله يحفظه ويرعاه - يقصد بذلك سيدنا محمداً ﷺ -. نحن المسلمون نؤمن بما أمرنا به القرآن فقط، ولسنا مطالبين بأن نؤمن بما يؤمن به المشركون. صحيح أن كلمة السحر موجودة وواردة ولكن علينا ألا نفسر ذلك مثل ما فسره هؤلاء المنحرفون.

(1) الشيخ الحافظ علي كورتشا بهذه الكلمة أقر بوجود السحر، لكنه نفى ورفض أن يكون للسحر تأثير على شخص الرسول - صلى الله عليه وسلم -. وقد ذكر الشيخ في تفسيره لقوله تعالى: (ومن شر النفاثات في العقد) (الفلق: 4) باللغة الألبانية أن المراد بـ: النفاثات هم: النمامون.. وقد قمت بالتحقيق والمقارنة في هذه المسألة، فوجدت تقريباً الكلام نفسه الذي ذكره الأستاذ الإمام محمد عبده في تفسيره للسورة نفسها الذي ذكره أيضاً الشيخ الحافظ علي كورتشا. فالتشابه بين الاثنين كان لحد كبير، مما يدلنا على وحدة الفكرة والمنهج. انظر للتوسع: تفسير جزء عم للأستاذ الإمام محمد عبده، ص 181-192.. نقلاً عن: التفسير والمفسرون للذهبي، ج2، ص 420-421.

ومعنى السحر هو إبعاد الشيء عن حقيقته، وهو عبارة عن حيلة يلجأ إليها بعض الناس بواسطة الكلام وعن طريق الحركات، ويخيل إليك أنها صحيحة. والقرآن الكريم ذكر قوله: ﴿يَخِيلُ إِلَيْهِ مَنْ سَحَرَهُمْ أَنَّهُ تَسْعَى﴾ (طه: 66)، ولم يقل القرآن: ﴿يَخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ تَسْعَى بِسَحَرِهِمْ﴾، فكما نعبر نحن الألبان أحياناً عندما نقول: إن فلانا أخذ بلب عقلي وإنه ألقى تراباً أو رماداً على عيني، نقصد بذلك مكره وحيلته. والرسول ﷺ قال: ﴿إن من البيان لسحراً﴾<sup>(1)</sup>.

وفي السياسة اليوم فإن الدبلوماسيين يستعملون مثل هذا النوع من السحر في القضايا العظام غير المحسومة، وذلك عن طريق المؤتمرات الكثيرة، بالكلمات والتعابير الضخمة، ذات المعاني الخالية أو الفارغة، والوعود الكثيرة عديمة التحقيق. يلجؤون إلى هذا عندما تفشل جهودهم وحلولهم الأخرى، بل حتى الحلول الحربية.

والدليل الثاني على عدم صحة هذه الأخبار، هو أن سورة الفلق نزلت في مكة، وليد بن الأعصم كان في المدينة، فكيف يمكن قبول هذا؟!<sup>(2)</sup>، وعلى أي حال، فهذه خرافة سخيفة، أصحاب العقول السليمة والصحيحة لا يؤمنون بها ولا يصدقونها» انتهى كلامه<sup>(3)</sup>.

موقف واضح وجلي من الشيخ الحافظ علي تجاه هذه الحادثة أو هذه القصة. علل أسبابه منطقياً ودينياً بعدم إمكانية حدوث ذلك للنبي ﷺ.

هذا رأيه ومذهبه، وهذا اجتهاده الذي أداه إليه، ولكن هذا الكلام فيه نظر. وقبل أن يرد الباحث عليه، يرى أن ينقل كلام الأستاذ الدكتور محمد حسين الذهبي في تعليقه حول هذا الموضوع، فقد قال: «وهذا الحديث الذي يرده الأستاذ الإمام رواه البخاري وغيره من أصحاب الكتب الصحيحة، وليس من وراء صحته ما يخل بمقام النبوة، فإن السحر الذي أصيب به عليه الصلاة والسلام كان من قبيل الأمراض التي تعرض للبدن بدون أن تؤثر على

(1) هذا الحديث رواه الإمام الترمذي في سننه برقم: 2028، ج 4، ص 376.

(2) ذكر ابن كثير في تفسيره أن المعوذتين سورتان مدنيتان. انظر تفسيره، ج 4، ص 574. وذكر ابن شهاب الزهري في كتابه:

تنزيل القرآن، أن سورة الفلق نزلت بمكة، ج 1، ص 24. فكما ترى أن المسألة فيها خلاف والله أعلم.

(3) المجلة الإسلامية الألبانية:

شيء من العقل، وقد قالوا إن ما فعله لبيد بن الأعصم بالنبي ﷺ من السحر لا يعدو أن يكون نوعاً من أنواع العقد عند النساء، وهو الذي يسمونه (رباطاً)، فكان يخيل إليه أن عنده قدرة على إتيان إحدى نسائه، فإذا ما همَّ بحاجته عجز عن ذلك، أما السحر الذي نُفي عنه ﷺ، فمراد به الجنون، وهو مخل ولا شك بمقام النبوة وهم الذين نقل الحق سبحانه وتعالى عنهم قولهم: ﴿وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون﴾ (الحجر: 6).

ثم إن الحديث الذي رواه البخاري وغيره من كتب الصحيح، ولكن الأستاذ الإمام ومن على طريقتة لا يفرقون بين رواية البخاري وغيره، فلا مانع عندهم في عدم صحة ما يرويه البخاري، كما أنه - لو صح في نظرهم - فهو لا يعدو أن يكون خبر آحاد لا يثبت به إلا الظن، وهذا في نظرنا هدم للجانب الأكبر من السنة التي هي بالنسبة للكتاب في منزلة المبيّن من المبيّن<sup>(1)</sup>.

وإضافة إلى ما ذكره الدكتور الذهبي، نقول إن السنة الصحيحة لا تعارض القرآن، وإن: «السنة مبينة للقرآن ومؤكدة له، وشارعة لأحكام مستقلة في إطار مقاصده وكتلياته، وليست معارضة له، ولا توجد سنة صحيحة صريحة تعارض القرآن. وما وجد من ذلك فلا بد أنه صحيح غير صريح، أو صريح غير صحيح. وغير الصحيح لا اعتبار له، وغير الصريح يجب تأويله بما يتفق مع القرآن، لأن القرآن هو الأصل، والفرع لا يخالف أصله»<sup>(2)</sup>. وقضية أخرى مهمة أن رد الأحاديث الصحيحة كقبول الأحاديث الموضوعية، وهذا من سوء الظن بالأمة وعلمائها وأئمتها في أفضل أجيالها وخير قرونها، وأن رد الأحاديث الصحيحة يُخرج من الدين ما هو منه<sup>(3)</sup>.

(1) الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج2، ص421-422.

(2) القرضاوي، يوسف، المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة.. ضوابط ومحاذير في الفهم والتفسير، القاهرة، مكتبة وهبة، د. ط، د. ت، ص99.

(3) القرضاوي، يوسف، المدخل لدراسة السنة النبوية، القاهرة، مكتبة وهبة، ط3، 1992، ص103 بتصرف شديد.

ونضيف ونقول إن الإمام الشاطبي قد فصل القول في كتابه «الموافقات» حول السنة وأصولها في القرآن الكريم وأهمية اتباعها وذم تركها، وذكر أن «السنة راجعة في معناها إلى الكتاب، فهي تفصيل مجمله، وبيان مشكله، وبسط مختصره»<sup>(1)</sup>.

كما رأيت أنه لا مجال إلى رد السنة الصحيحة والصريحة، وأنها لا يمكن أن تخالف أصلاً من أصول العقيدة أو مصادرها التشريعية. فالشيخ الحافظ علي كورتشا، كان ينبغي له أن يترث في هذا الموضوع، وألا يحكم على هذه الأخبار بأنها غير صحيحة، أو أنها من طريق الأحاد التي لا يثبت بها مثل هذا الحكم. إن الطعن في الصحيحين أو في أحدهما هو منهج المستغربين من المسلمين والمستشرقين من أعداء الدين الإسلامي قديماً وحديثاً. هذه الحرية العقلية الزائدة في فهم النصوص، ولا سيما النصوص النبوية لدى رواد المدرسة الإصلاحية العقلية، وهذه النزعة وهذه الفكرة الاعتزالية هي من أكبر المآخذ عليهم، وأشنع الأخطاء التي ارتكبتها روادها تجاه المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وهي السنة النبوية المطهرة. هذا الأساس المبدئي عندهم وهذا التجرؤ منهم على النصوص النبوية، يجب أن يزال وأن يلغى وأن يستبدل بالذي هو خير منه، وهو العودة إلى منهج السلف الصالح وجمهور علماء المسلمين قولاً وعملاً واعتقاداً، إذا ما أردنا النجاح والتوفيق. ولا يجوز لأحد مهما كان شأنه وفضله أن يطعن في الصحيحين البخاري ومسلم، اللذين أجمعت الأمة على صحتها، وإلا فستبقى سمة العار الاعتزالي على وجوههم مدى الدهر، وعليهم وزره ووزر من عمل به إلى قيام الساعة، والله أعلم.

### المطلب الرابع: الشيخ الحافظ علي والتفسير الإشاري

من انعكاسات وآثار الاتجاه الإصلاحية على فكر الشيخ الحافظ علي كورتشا كان تفسيره لبعض الآيات تفسيراً إشارياً. وهذا التفسير الإشاري هو لون من التفسير الصوفي الجائز وله أصل في شرعنا، وهو ما يعرف في علم التفسير بـ: «جمع المعنى الظاهر والباطن للآية»، أو كما

(1) الشاطبي، أبو إسحق، الموافقات في الشريعة الإسلامية، ج4، ص396.

يقول بعض أهل العلم إن: «كل آية لها ظهر وبطن». وقد تطرق إلى هذه المسألة المهمة في التفسير كثير من العلماء، قديماً وحديثاً. فمن القدامى الإمام الغزالي والإمام أبو إسحق الشاطبي وغيرهم، ومن المحدثين الشيخ الدكتور محمد حسين الذهبي، والشيخ الدكتور محمد عبد العظيم الزرقاني، والشيخ الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي، والشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، وغيرهم. ودليل القائلين بوجود هذا النوع من التفسير، هو الحديث الذي رواه البخاري: «عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: كان عمر يُدخلني مع أصحاب النبي ﷺ، فقال له عبد الرحمن بن عوف: أتدخله ولنا بنون مثله؟ فقال له عمر: إنه من حيث تعلم، فسألني عن هذه الآية: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرَ اللَّهِ وَالْفَتْحَ﴾ (النصر: 1)، فقلت إنما هو أجل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أعلمه إياه، وقرأ السورة إلى آخرها، فقال عمر: والله ما أعلم منها إلا ما تعلم»<sup>(1)</sup>.

وأيضاً ما ذكره ابن جرير الطبري وغيره من المفسرين أنه لما نزلت: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم..﴾ (المائدة: 3) وذلك يوم الحج الأكبر، بكى عمر ابن الخطاب، فقال له النبي ﷺ ما يبكيك؟ قال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا كُمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص! فقال صدقت.

وهناك أحاديث وآيات أخرى ذكرها العلماء، كلها تثبت أصل هذا النوع الباطني أو هذا اللون الإشاري من التفسير. وظاهر القرآن هو خطاب الله تعالى إلى عباده بلسان عربي مبين وله أحكامه وقواعده التي تؤدي بنا إلى الفهم السليم. وأما باطنه فهو مراد الله تعالى من ذلك الخطاب العربي، وغرضه الذي من أجله أنزل القرآن، وهو الذي يُقصد إليه من خلال فهمنا لتلك القواعد والأحكام اللغوية، بالإضافة إلى الموهبة الربانية التي هي شرط مهم من شروط المفسر كما ذكر ذلك الإمام السيوطي، وهو نور الله تعالى الذي يقذفه في قلب العالم والعارف بالله تعالى سليم القلب والتفكير والسلوك. وهذا المعنى الباطن اشترط له بعض العلماء بعض الشروط، وهو أن يكون على مقتضى الظاهر المقرر في كلام العرب والمقاصد العربية، وأن

(1) أبو إسحق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ج3، ص348.

يكون له شاهد -نصاً- في محل آخر يشهد لصحته. فالفهم الباطن إذن معلق ومشترط أيضاً على الفهم الظاهر السليم للنص، وإلا فلا اعتبار بعجائب وغرائب بعض الصوفية ومن شاكلهم في طريقتهم<sup>(1)</sup>.

والآن لنرَ مثلاً على ما ذهب إليه الشيخ الحافظ علي كورتشا في تفسيره الوجيز. ففي تفسير لقوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: 19)، قال الشيخ في تفسيرها: «الصَّيْبُ والسحاب، هما الإيمان والقرآن، ظلمات ورعد، هي الأعمال الثقيلة، مثل الصلاة والصيام وجهاد الكفار والتخلّي عن الأديان القديمة والابتعاد عن المناصب الدنيوية، ولكن التخلي عن هذه الأعمال بالنسبة لهم كان صعباً للغاية. ولما كانوا يسمعون هذه القضايا الأخروية الثقيلة التي كانت تشبه البرق والصواعق، كان هؤلاء الكفار يضعون ويجعلون أصابعهم في آذانهم حتى لا يسمعوها»<sup>(2)</sup>.

### المطلب الخامس: موقف الشيخ الحافظ علي كورتشا من الإسرائيليات

ومن القضايا المهمة المتعلقة بصلب موضوعنا وما يخص اتجاه الشيخ الديني الإصلاحية، قضية الأخبار الإسرائيلية أو ما يعرف بالإسرائيليات في الشريعة الإسلامية عموماً وفي التفسير خاصة. وكما هو معلوم فإن من الأسس الفكرية أو الضوابط اللازمة لتفسير القرآن الكريم لدى

---

(1) للتوسع والمزيد حول هذا الموضوع المهم والحساس راجع هذه المصادر والمراجع: الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحق الشاطبي، ج3، ص346-359؛ التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ج2، ص261-280؛ اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد بن عبد الرحمن الرومي، ج1، ص407-412؛ مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ج2، ص89-93؛ المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة، يوسف القرضاوي، ص315.

(2) انظر تفسيره الوجيز:

رواد المدرسة الإصلاحية العقلية، الرفض الكامل للإسرائيليات، والاكتفاء بما ورد في القرآن أو السنة الصحيحة فقط<sup>(1)</sup>.

الشيخ الحافظ علي في معالجته وانتقاده للفكر الإلحادي والشيوعي لدى الطبقة المثقفة من الألبان العلمانيين، لفت انتباه القراء المسلمين المتدينين إلى أنه قد وجد هناك بعض رجال الدين الإسلامي من المشايخ والخطباء والوعاظ من كانوا على جهل تام بما يقولون للناس في خطبهم ومواعظهم. يذكر الشيخ الحافظ علي كورتشا قصة خطيب قد صعد المنبر، وكيف أنه كان يصرخ ويصيح في وعظه ذاكراً قصصاً وخرافات إسرائيلية للحضور، وأنه قد أكثر من ذكر خرافات اليهود في قصة خلق آدم، وكيفية خلق الأنهار في الجنة وغير ذلك من الأخبار التي لا أصل لها في ديننا. فالشيخ تضايق من هذا التصرف الساذج، مما جعله يقول في موسوعته إن القرآن الكريم كان يكفي للاستدلال به والاعتماد عليه، وإن هذا الشيخ لو كان علم بكيفية خلق طبقات الأرض وكيفية خلق الأنهار، لما ذكر ذلك الكلام التافه في خطبه، ودعا الشيخ في هذا الكتاب إلى اجتناب أخبار وخرافات اليهود، لأنهم أفسدوا على المسلمين دينهم<sup>(2)</sup>.

### المطلب السادس: من اجتهادات الشيخ الحافظ علي كورتشا

إن اجتهاد الحافظ علي كورتشا في إعداد هذه الرسالة المنهجية حول عقيدة المسلمين، جعله يضيف ركناً سادساً إلى أركان الإسلام الخمسة المعروفة، وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إلى ذلك سبيلاً، التي وردت في حديث جبريل مع الرسول ﷺ، الذي رواه عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-<sup>(3)</sup>.

(1) راجع في هذا الصدد منهج الأستاذ الإمام محمد عبده في تفسيره: الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج2، ص410-411، للمقارنة بينهما. وكذلك راجع: الرومي، فهد بن عبد الرحمن، منهج المدرسة العقلية الإصلاحية في التفسير، ص100-130.

(2) Korca, Hafiz Ali, *Historia e Shenjte dhe te kater Halifete*, 28-29.

(3) وحديث سؤال جبريل عليه السلام للرسول -صلى الله عليه وسلم- عن الإسلام والإيمان والإحسان. رواه الإمام مسلم في صحيحه، برقم 7، ج1، ص37.

والركن السادس الذي أضافه الشيخ هو ركن: الجهاد في سبيل الله تعالى.

ويبدو للباحث أنه من خلال دراسته للظروف السياسية والاجتماعية والدينية، التي عاش فيها الشيخ، ونظراً لذلك الواقع المرير، اجتهد أن يغرس في قلوب أبناء وطنه حبه للوطن والتضحية والدفاع لأجله من كيد الأعداء. هذه المسألة لا شك فيها أنها حساسة، وأن التشريع بغير ما أنزل الله ليس من الإسلام في شيء. صحيح أن الجهاد فريضة إسلامية كبيرة وأنها ماضية إلى يوم القيامة، وأنه ما ترك قوم الجهاد إلا ذُلّوا، وأنها اليوم حقاً مهجورة في كثير من الدول الإسلامية، وأن ترك الجهاد هو السبب الرئيسي لنكبة المسلمين قديماً وحديثاً.. لا أحد يعارضنا في هذه الحقيقة، إلا أن إدراجه في الأركان الإسلامية الخمسة وجعله ركناً سادساً قد يكون محل نظر لدى المحققين من أهل العلم. والصحيح الراجح أنه لا يصح إضافة حكم إلى ما أجمع عليه المسلمون قاطبة. ولكن كما هو معلوم ومعروف أن على أهل العلم أن يجتهدوا في كل زمان ومكان، وعليهم أن يتابعوا حركة الحياة الاجتماعية والدينية، وأن عليهم أن يستعدوا لإيجاد البديل أو الدواء من الصيدلية الإسلامية<sup>(1)</sup> لمعالجة أمراض الأمة الإسلامية والتصدي لنائبات الدهر، وباب الاجتهاد مفتوح وماضٍ إلى قيام الساعة، فأقول والله أعلم، إن مثل هذه الأمور التي كانت موجودة وعاشها الشيخ الحافظ في حياته قد تركت أثرها في نفسه، وإنه لما رأى أن عزائم الناس في زمانه قد ضُغفت وارتكست، دعا إلى إحياء هذه الفريضة بإضافتها إلى أركان الإسلام الخمسة المعروفة. ويبدو للباحث أنه كان ينبغي عليه أن يبحث عن طريق آخر في كيفية رفع عزائم الناس وحبهم للجهاد، كأن يكتب رسالة خاصة حول فرضية الجهاد وأهميته في حياة الأمة الإسلامية، أو يركز عليه كثيراً في خطبه ومحاضراته، وغير ذلك من السبل والوسائل، وليس بإضافته إلى الأركان الخمسة. فهذا كما قلنا لا يصح حتى لا يكون ذريعة للذين من بعده في إضافة أو إلغاء الأحكام العقدية والشرعية بحسب متطلبات العصر وتحدياته، والله أعلم<sup>(2)</sup>.

(1) على حد تعبير الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي في كثير من مؤلفاته وخطبه. وقد سمعت ذلك منه في خطبة الجمعة التي صلاها في مسجد الجامعة الإسلامية العالمية في زيارته الأخيرة لها عام 1998.

(2) انظر رسالة الشيخ الحافظ علي كورتشا: *Myuslimanija*، في هذا الموضوع، ص5، 7، 8، 9، 10، 17.

## المبحث الرابع: شروط المفسر لدى الشيخ الحافظ علي كورتشا<sup>(1)</sup>، وبيان أوجه الاتفاق بين آرائه وآراء المدرسة الإصلاحية

### المطلب الأول: شروط المفسر لدى الشيخ الحافظ علي كورتشا

وأخيراً وبعد هذه الجولة العلمية التي قضيناها مع الشيخ الحافظ علي كورتشا، وحتى لا نحكم عليه مسبقاً بالنجاح أو الفشل، أحببنا أن نجيب عن سؤال مهم وكبير، ألا وهو: هل توفرت لدى هذا المفكر الألباني شروط المفسر لكتاب الله تعالى؟ وإذا توفرت فإلى أي مدى؟ نقول في الجواب ودون أدنى مبالغة:

إنه فيما يبدو لنا بعد دراستنا لفكر هذا الداعية ومنهجه، أنه قد وجدت لديه الثروة العلمية الكافية والحمد لله تعالى، مما أهله ومكنه للقيام بتفسير كتاب الله تعالى، هذه الثروة العلمية تمثلت عنده في هذه الجوانب:

- حفظه وإتقانه وتجويده لكتاب الله تعالى، وهذه الحالة كما قلنا سابقاً كانت ظاهرة منتشرة لدى علماء الألبان قديماً، وأما حديثاً فإلى حد ما.
- اطلاعه على كتب التفسير المختلفة.
- إتقانه ومعرفته للغة العربية معرفة جيدة وعميقة، من نحو وصرف وبلاغة وفروعها، ولا سيما علم العروض، ذلك أنه كان أستاذاً في الأدب.
- معرفته للسنة النبوية، ومعرفة صحيحها من سقيمها.
- معرفته واطلاعه على علوم القرآن المختلفة، مثل معرفة المكي والمدني وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والمطلق والمقيد، والعام والخاص، وأساليب الخطاب في القرآن، ومعرفة أول ما نزل وآخر ما نزل، والمحكم والمتشابه وغيرها من العلوم.

---

(1) للمقارنة بين هذه الشروط، انظر شروط التفسير عند الأستاذ الإمام محمد عبده، التي ذكرها الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني في مناهل العرفان في علوم القرآن، ج2، ص62-64.

- الأدب الإسلامي الرفيع والتربية الإسلامية الصحيحة، إذ إنه لم يكن بذيء اللسان ولا فاحش الكلام، إلا ما دعت الحاجة إليه في عتابه الشديد لليهود والنصارى، فإنه لم يتأدب معهم، ولم يأسف لذكر فضائحهم طوال التاريخ البشري إلى يومنا هذا. فهذه العلوم المختلفة التي وجدت عند هذا المفكر الإسلامي أهلتها للقيام بتفسير كتاب الله تبارك وتعالى، ونحسبه أنه قام بتوظيفها لفهم كتاب الله تعالى خير قيام، ونظن فيه خيراً أنه نجح إلى حد كبير، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، والله أعلم.

## المطلب الثاني: أوجه الاتفاق بين فكر الشيخ الحافظ علي كورتشا ومبادئ المدرسة الإصلاحية

- في هذا المطلب نود أن نبين باختصار شديد بعض أوجه الاتفاق بين فكر الشيخ الحافظ علي كورتشا وأسس وأفكار المدرسة الإصلاحية، تمييزاً للفائدة، فمنها:
- دعوته إلى إصلاح المناهج الدراسية عموماً والدينية خصوصاً، وهذا ما دعا إليه رواد المدرسة الإصلاحية أيضاً في ما يتعلق بإصلاح مناهج الأزهر.
  - إضافة المواد العلمية المختلفة إلى المواد الدينية وإتقان تلك المواد والمهارات وافتتاح كليات خاصة بهذا الغرض.
  - إصلاح طرق تدريس اللغة العربية، لا سيما أن الشيخ الحافظ علي فضل طريقة التدريس الفرنسية في تعليم اللغة.
  - دعوته لرجال الدين الإسلامي لرفع مستواهم العلمي على غرار الأسس والمبادئ لرجال الإصلاح الديني العربي القديم والحديث، مثل الشيخ محمد عبده والشيخ جمال الدين الأفغاني، والإمام الغزالي والجنيد وابن سينا.
  - رفضه الشديد للإسرائيليات وعدم قبولها إطلاقاً، والحذر منها.
  - رفضه الشديد للتقليد الأعمى.
  - موقفه من حادثة سحر النبي ﷺ وعدم قبول الحديث الصحيح.

- الاهتمام بقضايا الوطن والسياسة العالمية.
- متابعتة ما يجري في الهند من قتل المسلمين وتشريدهم وتعذيبهم تحت النظام الظالم للمهاثما غاندي (Mahatma Gandhi)، واهتمامه بجهود الشيخ أحمد أبو الكلام، المعروف بسر أحمد خان.
- عدم مبالاته كثيراً بسقوط الدولة العثمانية، وعدم بحثه في كيفية إنقاذها من الانهيار. وهذا الجانب أهمل أيضاً من رواد المدرسة الإصلاحية في الأزهر، بل وُجد منهم من كان ينادي بأفضلية الخلافة القومية العربية وأحقيتها! والله المستعان، ولا شك أن هذا من الآثار السلبية التي نجمت عن التعصب القومي العنصري.

### المطلب الثالث: نموذج من البعد الديني الإصلاحي الوطني في فكر الشيخ الحافظ علي كورتشا

تظهر هذه الحقيقة عنده في بيان كيفية المحافظة على مبادئ الإسلام في ألبانيا والحذر من كيد الأعداء في رسالة له مطولة ومفتوحة وجهها إلى إخوانه العلماء والمشايخ الألبان، ونحن نقتبس فقرات منها. وقد جاء فيها:

«سادتي العلماء والمشايخ، إن كنتم تريدون نيل احترام الشعب تجاهكم كما ناله السابقون، فعليكم أن تُعدّوا أولادكم بنفس السلاح الذي تسلّح به السابقون، بسلاح العلم والمعرفة، لأن ذلك ميراثنا، وهذا الذي يجب أن نورثه لأبنائنا، لأن الشعب لم يعد يطيق الاستماع إلى الخرافات والإسرائيليات والكلام الفارغ. عيب علينا أن نفتخر بعز أسلافنا ونحن عراة لا نملك شيئاً. ما الذي ستستفيد هذه الدولة من هؤلاء الذين يتقفون خارج بلادنا؟ (يشير إلى المثقفين في الغرب).

إخواني السادة، العلماء والمشايخ..

إن كان لكم عشق وحب لمحمد ﷺ فلا تغفلوا، وعليكم الاهتمام بحال الأجيال القادمة، وعليكم التركيز والانتباه إلى هذه القضايا:

- عدم تسليم الشباب والفتيات إلى أيدي المبشرين والمنصرين.
- تعليم وتحفيظ القرآن لكل ابن وابنة.
- علينا أن نرسل إلى المدرسة الدينية كل من بلغ عمره ثلاثة عشر عاماً.
- كل عالم وداعية أن يكون له على الأقل ابن واحد في المدرسة الدينية حتى يكون وريثه.
- على كل مسلم ومسلمة أن يضحى بكل ما يملك في سبيل التحسين والتطوير من مستوى المدرسة الدينية إلى المرتبة اللائقة بها.
- على العلماء والمشايخ الدعاة أن يتجولوا في القرى والمدن لحض الشعب على مَدِّ يد العون والمساعدة لهذا المشروع.
- إذا ارتفعت ميزانية المدرسة، فعلينا أن نأتي بالأساتذة والمشايخ المتخصصين لكل مادة. وإلا فعدم اهتمام المشايخ والعلماء بحال الأمة، هو السبب الرئيسي في هدم الإسلام وتدميره. هذه هي أمراضنا، وهذا هو طريق العلاج في هذه الوصفة الطيبة. في العصر العباسي كان العلماء يجيدون ست أو سبع لغات، ونحن ماذا نعرف؟ ها هي المصادر التي تُحدثنا بذلك. أرسلوا أولادكم البالغين من العمر ثلاثة عشر عاماً للتعلم عندنا، فإنني أضمن لكم بإذن الله بعد ثلاث سنوات إنهم سيكونون قادرين على التحدث بالعربية والفارسية والفرنسية، وسيتعلمون بعض العلوم العلمية والفنية. نحن سنسعى حتى لا يصيبنا عار أمام الرسول ﷺ يوم القيامة، وإذا أنتم لا تؤيدوننا في ما قلناه آنفاً، فأنتم مسؤولون أمام الله يوم القيامة. كيف نسلح ونعد أبناءنا؟

بجانب تعلم اللغة الأم واللغة العربية، فعلى كل واحد أن يتعلم لغة عالمية مشهورة، وأن يتسلح بسلاح العلم، بحسب متطلبات العصر والمستقبل، وإلا فنحن أموات من كل الجوانب»<sup>(1)</sup>.

ما أحوج الأمة الإسلامية إلى مثل هذه النصائح في هذه الأيام! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(1) انظر تفاصيل هذه الرسالة المهمة ومضمونها في المجلة الإسلامية اللبنانية:

## المطلب الرابع: بعض المآخذ المنهجية والدينية على الشيخ الحافظ علي

ونختم لقاءنا مع هذا العالم الجليل بذكر بعض المآخذ عليه، فمن الملاحظات المنهجية والموضوعية:

- كثيراً ما رأيت لا يشير إلى موضع الصفحة أو الجزء الذي نقل منه كلامه.
  - التفاصيل في توثيق المصادر والمراجع غير موجودة، وإنما اكتفى بعنوان الكتاب.
  - قلة استدلاله بالأحاديث النبوية الصحيحة في مقالاته وكتاباته.
  - رفضه لصحة حادثة السحر التي رويت في صحيح البخاري وفي صحيح مسلم، وفي ذلك طعن بأهم وأوثق الكتب الصادقة بعد القرآن الكريم، والذي أجمعت عليهما الأمة بالقبول. كان ينبغي له أن يترى في هذه القضية ولا يطلق القول فيها. وهذه من أكبر المآخذ والملاحظات المنهجية والدينية على الشيخ الحافظ علي كورتشا، وكان عليه أن يبحث أو يجد تأويلاً آخر سائغاً للحديث الذي رفضه في حادثة السحر.
  - لا يذكر أرقام الآيات التي يفسرها.
  - في كثير من الحالات يهمل ذكر نص القرآن بالعربية، ويكتفي بالترجمة والتفسير دون أن يكون للنص العربي وجود أمامه، والأولى أن يكون النص العربي وبمقابله أن تكون الترجمة أو التفسير.
  - في كثير من الأحيان لا يفرق بين الترجمة والتفسير للنص، فالقارئ العادي لا يعرف هل هذه ترجمته أم تفسيره للآية. والأفضل والأولى أن يترجم الآية ثم يعقب عليها بالشرح والتفسير<sup>(1)</sup>.
- هذا ما تبين لنا من خلال دراستنا لهذه الشخصية العلمية الألبانية الكبيرة، ذات الاتجاه الديني والإصلاحي، وقد أخذت هذه الدراسة مني جهداً كبيراً لجمع شتاتها من مختلف المصادر، أرجو من الله العليّ القدير أن أكون قد وفقت إلى الإتيان بالمطلوب، والله من وراء القصد، والحمد لله رب العالمين.

(1) راجع المجالات المذكورة سابقاً لترى هذه الملاحظات، وانظر أيضاً:

## الباب الثالث

الاتجاه الفلسفي والعلمي التجريبي

في الدراسات القرآنية لدى الألبان

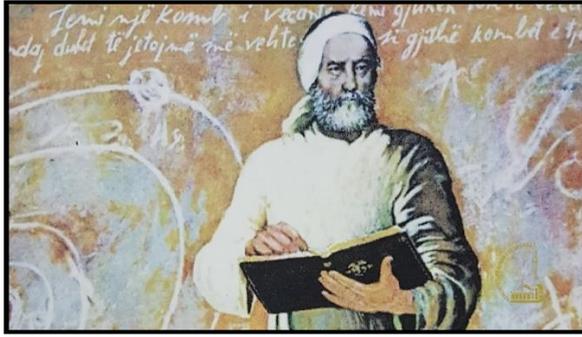


## الفصل الأول

الاتجاه الفلسفي في التعامل مع بعض القضايا القرآنية،

المتمثل في آراء الشيخ حسن تحسين أفندي

(Hoxha Hasan Tahsin Efendiu)



الشيخ العالم الفلكي حسن تحسين أفندي

**المبحث الأول: تمهيد عن الخلفية التاريخية حول هذين**

**الاتجاهيين لدى علماء الألبان**

يعود تاريخ هذا الاتجاه لدى الألبان إلى المنتصف الثاني من القرن التاسع عشر. لقد وُجدت هناك مقالات وكتابات وبعض البحوث العلمية حول هذا الاتجاه بشقيه: العلمي الفلسفي والعلمي التجريبي. ولكن لم تكن هنالك مؤلفات أُلِّفت حول هذا الموضوع، والمسألة لم تكن قد تأصلت تأصيلاً علمياً صحيحاً بعد. لأجل هذه الحقيقة التاريخية ليس لنا مرجع أو عمدة في هذا الشأن، إلا تلك الدوريات والمجلات الإسلامية الشهرية التي كان

يُصدرها ويتولى نشرها المجلس الأعلى للشريعة الإسلامية في ألبانيا<sup>(1)</sup>، والتي كانت تُعبر عن تلك الآراء وتنشر تلك الكتابات العلمية والفلسفية بحرية كبيرة<sup>(2)</sup>.

وهذا الاتجاه أو هذا المنهج العلمي في التعامل مع كتاب الله تعالى فهماً وتفسيراً، يأتي تابعاً لذلك الاتجاه الإصلاحية العقلي الذي مرَّ في الباب السابق، والذي كان للمفكرين الألبان حظ كبير في تأثرهم به، أو يمكن أن يقال إن هذا المنهج العلمي هو الجناح الثاني لذلك التيار الفكري الديني الإصلاحية الذي ظل يسير في كتابات الألبان حتى النصف الثاني من القرن العشرين<sup>(3)</sup>. ووجدنا من بين تلك البحوث والمقالات ما هو مترجم من اللغات الأخرى، وما هو -وهو الأكثر- كتابات وبحوث من إنتاج الفكر الألباني الأصيل<sup>(4)</sup>.

---

(1) انظر على سبيل المثال المجلة الإسلامية:

*Kultura Islame*, Nr: 7-8, Mars-Prill, 1944, 173-179.

جاء في صفحة التفسير من هذه المجلة المذكورة بحث بعنوان: تفسير قوله تعالى (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين (12) ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) (المؤمنون: 12-13).

(2) انظر أعمال الندوة العلمية:

*Zani i Nalte-Permbledhje kumtesash*, 10-46.

التي عقدت في ألبانيا بمناسبة مرور خمسة وسبعين عاماً على إصدار المجلة الإسلامية المشهورة: *Zani i Nalte* التي كانت دورية دينية فلسفية أخلاقية واجتماعية، والعدد الأول منها صدر عام 1923، واستمر صدورها إلى سنة 1939، ثم توقفت من قِبل الحكومة العلمانية، وبعد فترة يسيرة بدأت تصدر مرة أخرى لكن بعنوان آخر: (*Kultura Islame*). (3) يظهر ذلك في المجالات والدوريات الإسلامية الألبانية في كوسوفا، راجع هذه الأعداد على سبيل المثال لترى هذه الظاهرة:

*Edukata Islame*: Nr: 37-38, 1983, (12-18); Nr: 46-47, 1986, (3-8); Nr:33-34, 1982, (15-21).

(4) ملاحظة مهمة: قلنا من إنتاج وبنات الفكر الألباني الأصيل لنُخرج غير الأصيل منه، ونقصد بذلك إخراج تلك الكتابات من حيز دراستنا، التي ليست من إنتاج فكر الألبان. كما أن عنوان البحث لا يسمح لنا بإدخال تلك الدراسات المترجمة في بحثنا، وإنما واجبنا في هذا البحث أن ندرس الكتابات والدراسات القرآنية الأصلية لعلماء الألبان وليس المترجمة، رغم أن لتلك الدراسات المترجمة علاقة وثيقة ووطيدة ببحثنا. ولا شك أنها جهد كبير يُشكر أصحابها عليها، وأنها أيضاً تنصبُّ في قالب الدراسات القرآنية والتفسيرية. وفي ما يلي قائمة بتلك الدراسات المترجمة الخارجة عن نطاق تناولنا في هذا البحث:

- فقد أخرجنا من دراستنا كتاب التفسير المترجم «أسباب النزول للواحدي» وهو من قبيل التفسير بالمأثور، والذي ينصب في هذا الاتجاه العلمي كما قال بذلك الشيخ فهد الرومي في كتابه اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ج 1، ص 45، الذي ترجم إلى اللغة الألبانية من اللغة البوسنية بعنوان:

Ramiq, Jusuf, *Shkaqet e shpalljes se Kur'ani Kerimit*, Perktheu: Bahri Aliu, 1992.

(الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، السعودية)

- كما أخرجنا من دراستنا المصحف المترجم المفسر إلى اللغة الألبانية من كاتب باكستاني ذي اتجاه قادياني محرف ومفسد، وهذا التفسير المختصر باطل وكله كفر وشرك وتضليل، تُرجم بغرض تضليل المسلمين الألبان في الغرب وفي ألبانيا وكوسوفا أيضاً ولهم نشاط كبير في ذلك. وللأستاذ الألباني الكوسوفي المشهور أمين بهرامي Emin Behrami دراسة نقدية قيمة ونفيسة حول ذلك المصحف المترجم والتفسير المختصر والمضلل باللغة الألبانية. فرغم أن هذا التفسير الميسر إلى اللغة الألبانية موجود ومهم للدراسة إلا أنه ليس من إنتاج علماء ومفكري الألبان، وبما أنه ليس من إنتاجهم فلا يصلح أن يدخل في حيز الدراسة. وعنوان هذا التفسير الميسر:

Khan, Muhammad Zakaria, *Kur'ani i Shenjte, arabisht - shqip, Perktim e komentim*, 1990, Islam International Publications Ltd, Islamabad, Sheephatch Lane, Tilford, Surrey, GU10-2AQ, U.K.

- كما أننا أخرجنا من دراستنا دراسة التفسير الميسر والمصحف المترجم من قبل الدكتور تقي الدين الهلالي والدكتور محسن خان بالإنكليزية، للأسباب المذكورة آنفاً. فقد ترجمها مجموعة من الطلبة الألبان المتعاونين مع دار السلام في الرياض. وعنوان هذا المصحف المفسر:

*Shpjegimi i kuptimeve te Kur'anit te Larte ne gjuhen shqipe*, Permbledhur ne nje vellim, nga Dr. Muhamed Taki-ud-Din El-Hilali dhe Dr. Muhamed Muhsin Khan. (Perkthyer ne gjuhen shqipe nga nje Grup perkthyesish prane Darusselam Shtepia Botuese dhe Shpermdarese, Riad, Arabia Saudite, 2000.

- كما أني أخرجت من الدراسة للأسباب آنفة الذكر الكتاب المترجم للشهيد سيد قطب: التصوير الفني في القرآن الكريم، الذي ترجمه إلى الألبانية الشيخ الكاتب عمر موسى بعنوان:

Musa, Ymer, *Ilustrimi artistik ne Kur'an*, Shkup, Logos-A, 1996.

- كما أني أخرجت التفسير: المنتخب في تفسير القرآن الكريم، من جمهورية مصر العربية، وزارة الأوقاف، والمترجم إلى اللغة الألبانية، من قبل الحاج سليم اصطفى، بعنوان:

*Perzgjdhje ne komentimin e Kur'ani Kerimit*, Komuniteti Musliman i Shqiperise, Komiteti Botes Islame. Perktheu nga origjinali, Haxhi Selim Stafa, Tirane, 1998.

- كما أني أخرجت من الدراسة تفسير سورة يس، المقتبس من تفسير: في ظلال القرآن، للشهيد سيد قطب، والمترجم إلى اللغة الألبانية من قبل الباحث محمد مصطفى بعنوان:

*Jasini-Perktim dhe komentim*, prof. Sejid Kutub, Perktheu Muhamed Mustafa, Logos-A, Shkup, 1999.

- كما أني أخرجت من الدراسة كتاب: الظاهرة القرآنية، لمالك بن نبي بعنوان:

هذه البحوث العلمية التي كانت تُنشر في هذه المجالات والدوريات الإسلامية، كانت تهدف إلى إبراز الحكمة والإعجاز العلمي للقرآن الكريم من وراء تشريع الفرائض والمبادئ التي جاء بها هذا الكتاب العزيز من لدن الله سبحانه وتعالى، الذي طالب البشرية بالالتزام بها على أحسن وجه. أما نوعية تلك الدراسات وطبيعة موضوعاتها فإنها كانت تهتم بتفسير وشرح الآيات المتعلقة بتحريم الخمر ولحم الخنزير والأضرار الناجمة عن شرب الدخان... إلخ، ثم تعزيز ذلك التفسير بتقارير الأطباء المختصين في العلم الحديث، حتى يكون ذلك أقرب إلى إدراك الحكم الربانية من وراء التشريع. وأيضاً فإن تلك البحوث كانت تناقش الموضوعات الفلسفية العميقة، وآراء كبار الفلاسفة من المسلمين القدامى حول التصوف والمنطق والإلحاد والوجود.. مثل الفيلسوف الكِنْدِي والفارابي وابن رشد وابن سينا والإمام الغزالي.

ولا بد في هذا المقام، ونحن نحاول أن نستشف هذين المنهجين العلميين والفلسفيين من بحوث المفكرين من علماء الألبان، أن نشير وأن نخرج إلى بعض الأعلام الألبان، الذين عاشوا في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، وحتى نكون على بينة من الخلفية التاريخية لهذه الظاهرة، فإن أحد هؤلاء الأعلام الألبان عاصر والتقى برؤوس الفكر الديني الإصلاحية، ألا وهو الشيخ جمال الدين الأفغاني والشيخ الإمام محمد عبده، كما أنه عاش في مرحلة زمنية كانت خلالها حركة التنوير الفرنسية في أوروبا (Enlightenment Movement)، في أوجها، وكانت أيضاً متزامنة مع بروز أقطاب حركة الإصلاحيين في الأزهر.

---

*Fenomeni Kur'anor*, Mitrovica, 1997.

• وأيضاً الكتاب المترجم إلى اللغة الألبانية: القرآن محاولة لفهم عصري، لمصطفى محمود، بعنوان:

*Kur'ani-perpjekje per te kuptuarit bashkohor*, Mitrovica, 1997.

• والكتاب المترجم إلى اللغة الألبانية: القرآن والعلم، لموريس بكاي بعنوان:

*Kur'ani dhe shkenca*, Prishtine, 1996.

• والكتاب المترجم إلى اللغة الألبانية: معجزة القرآن، للشيخ محمد متولي الشعراوي بعنوان:

Morina, Qemal, *Mrekullia Kur'anore*, Dituria Islame, Prishtine, 1996.

إن ضرورة التعرف على هذا الشيخ المجدد والعالم الألباني تكمن في نسبة هذا المنهج العلمي الفلسفي له، ولأنه فاق أقرانه العلماء من الألبان وغيرهم من المفكرين والمشايخ في الدولة العثمانية في العلوم الإنسانية المختلفة، كما سنرى ذلك في ترجمته إن شاء الله تعالى.

*Yjet që nuk shuhen*

**Shkruan: Dr. Ali VISHKO**

## HASAN TAHSINI FIGURË E NDRITUR E RILINDJES KOMBËTARE

**الجزء الرابع الإسلامي ونشر آراء الشيخ حسن تاحسين**

**Shkruan: Dr. Ali VISHKO**

**Lidhur me shkrimin e gjuhës shqipe Hasan Tahsini në një mbledhje, mes tjerash pat konstatuar se sipas Kur'anit, të gjitha gjuhërat janë të barabartë dhe se çdo alfabet është një lloj i respektuar.**

Hasan Tahsini si njëri me kulturë të lartë evropiane, vishaj në formë elegante. Kur mbante ligjratat, ky elegancë. Kur mbante ligjratat, ky elegancë. Kur mbante ligjratat, ky elegancë.

Në të degëzuar për burgosjen e Hasan Tahsini, një grup intelektualësh shqiptarë të përdoruar në Stamboll në krye me Ismail Demal Vllamëri u angazhuan që të shpillojnë në të nejtën Hasan Tahsin nga burju. Pas interesimit të treguar e angazhimit të mirë të Ministrit Sigurimit Publik - Hyysi Pasha, njëri më paksimin progresive, Hasan Tahsin ishte shpallur nga Burju.

Pikëpamjet e të arritura e tja filozofike Hasan Tahsin në atë kohë në pjesë të madhe të publikacione revistën e përmendur - "MECMUA-I ULUM" ("REVISTA SHKENCË-CORE"), themeluar e redaktuar prej këtu. Temat, artikujt e të tjera nga letëri i filozofisë të Hasanit merren vend të caktuar, jo të vogël në këtë revistë.

Sipas mendimit unanin në Burimet osmane e të tjera dhe, vegandë riant nga artikujt e Saim Frashërit, të botuara në të përkohshmen "HAFTA" ("JAWA") në veçori si të enciklopedike, "KAMUS LIL ALAM" ("Enciklopedia e Diturive") të Hasan Tahsin ishte njëri më i dur i



**Perëndinë Osmane i detyrë që të moshe shpallur "S A V A N I" ("DIJETAR") në kujtim të plotë të tij.**

**Veprimtaria letëre**

Për veprimtari letëre dhe për kontributin e Hasan Tahsin në shpër e letërsisë dhe shumë pak.

Në këtë sferë të veprimtari nga Hasan Tahsin janë të njohura në revistë poezish të publikuara në revistën e përmendur - "MECMUA-I ULUM", nga të cilat në pjesë dhe janë njohur me vlerë, ndërsa në pjesë tjetër Hasan Tahsin nuk arriti të dojë, të cilat kanë mbetur si dorëshkrim dhe, të përdorura për opinionin kulturor shqiptar. Nga poezitë e pabotuara të Hasan Tahsin detyra për të përmendur sidomos një përmbledhje ose "Divan".

Në letërsi Hasan Tahsin parapjet dhe si përkthyes nga gjuhërat e huaja, ku ka bërë gjas përkthime të

**Jubilee**

**Në Kongresin Musliman Shqiptar u miratua edhe statuti i Bashkësisë Islame të Shqipërisë dhe tërë organizimi dhe funksionimi i saj ishte menduar të mos jetë i varur nga asnjë qendër nga jashtë.**

**صورة للمسجد المركزي في تيرانا**

**عاصمة ألبانيا**





**كتاب خواجه محمد بن تاج الدين**

**تأليفه**

**إعداد**

**ترجمة محمد محمود**

**مطبعة طرابلس جليلية سنة 1310**

## المبحث الثاني: التعريف بالشيخ حسن تحسين<sup>(1)</sup>، حياته، دراسته ومؤلفاته

ولد الشيخ حسن تحسين (Hoxhe Hasan-Tahsin Efendiu)، في بدايات القرن التاسع عشر، في السنة 1811<sup>(2)</sup>، في مقاطعة اليانينا (Janina) جنوب شرق ألبانيا، والمحتلة من اليونان حالياً، في قرية نينات (Ninat)، في محافظة اسمها فيلات (Filat). كان والده قاضياً. تلقى مبادئ الإسلام من والده، وتخرج من الابتدائية والثانوية في البلد، ثم واصل تعليمه العالي في إسطنبول حيث حصل على إجازة علمية، وكان من المتفوقين في الدراسة.

(1) حول حياة وفكر هذا الشيخ المستغرب والمتنوع كتب كثير من الباحثين، سواء من الألبان أو الأتراك أو الغربيين في الموسوعات الدينية والعلمية المختلفة. وقد أسست في ألبانيا جمعية خيرية ثقافية ألبانية-تركية، باسم هذا الشيخ. وقد عقدت هذه الجمعية في تيرانا (Tirana) عاصمة ألبانيا، بالتعاون مع مدير المعهد الألباني للفكر والحضارة الإسلامية الشيخ الدكتور رامز زكاي، مؤتمراً عالمياً حول فكر وجهود هذا الشيخ بتاريخ 1997/12/20، وحضر المؤتمر عدد كبير من الشخصيات الدينية الإسلامية وغير الإسلامية والوطنية. ثم إن مدير المعهد قام بطبع مقالات ذلك المؤتمر وبحوثه وأعماله على شكل كتاب حتى يكون تناولها ميسوراً على القراء. وقد كان لي شرف اللقاء والزيارة له في ألبانيا في منزله والحديث معه والاستفسار منه والحصول على بعض المراجع والمصادر النادرة المهمة. وعنوان الكتاب الذي جمع أعمال المؤتمر هو:

Hoxha, Ibrahim Daut, *Hoxhe Hasan Tahsini - te tjeret per te*, Tirane, 1998.

ملاحظة مهمة: نظراً لعدم وجود المصادر والمراجع الكافية في ألبانيا حول فكر الشيخ حسن تحسين، فإنني سأعتمد في دراسة هذه الشخصية العلمية على أعمال وبحوث ذلك المؤتمر العالمي، فقد جاءت فيه بحوث مهمة للغاية مترجمة من اللغة التركية واللغات الأخرى إلى اللغة الألبانية، من كبار تلاميذ الشيخ حسن تحسين مثل الكاتب والأديب الألباني الموسوعي: شمس الدين سامي بك فراشرى، صاحب الموسوعة الأدبية والعلمية «قاموس الأعلام»، باللغة العثمانية، والباحثين الآخرين من الألبان. كما أنني سأعتمد على بحث طويل كتبه الباحث التركي عمر فاروق آكون: Omer Faruk Akun في الموسوعة الدينية التركية:

*Türkiye Diyanet Vakfı İslam Ansiklopedisi*, 198-206.

ولكم كنت أتمنى أن أقف على مؤلفاته الخاصة والأصلية، مؤلفات الشيخ حسن تحسين نفسه، حتى نكون منصفين وحتى لا نتقول عليه. ولكن للأسف هذه هي الحقيقة، فليس هناك غير تلك التي كتبها الآخرون عنه. فلأمانة العلمية والموضوعية أحببت أن أنه القارئ الكريم.

(2) وقيل سنة 1812، وقيل أيضاً إنه ولد سنة 1813. انظر:

*Türkiye Diyanet Vakfı İslam Ansiklopedisi*, 198.

أما علم و حياة الشيخ حسن تحسين، فأفضل من يحكي لنا عنه هو تلميذه الموسوعي الكبير والباحث المعروف لدى الألبان والدولة العثمانية، وهو شمس الدين سامي بك فراشري (Shemsuddin Sami Bey Frasheri)<sup>(1)</sup>. يروي لنا تلميذه أن الشيخ حسن تحسين حقاً نذر حياته كلها لطلب العلم ونشره قرابة نصف قرن من الزمن. كان الشيخ يفضل العلوم الإنسانية، ولم يكن يحب العلوم التاريخية. تلقى العلوم الدينية المختلفة من تفسير وحديث وعلوم الشريعة عموماً من والده، لأنه كان عالماً وقاضياً. نادراً ما تجد في الأوساط الألبانية والتركية من جمع بين العلوم الدينية والعلوم الإنسانية. فمن هؤلاء النوادر كان الشيخ العلامة حسن تحسين. فقد كان عالماً بالأدب العربي والفارسي والعثماني والغربي. كتب الشعر والنثر باللغة العثمانية، وكتب عن الرياضيات بحوثاً علمية موثقة ومحكمة. كان يحب شيئين اثنين، أولاً: توسيع دائرة علومه والوصول إلى الحقيقة المنشودة، وثانياً: خدمة الإنسانية ولا سيما بني قومه. كان يعتزل المجالس التي ليس فيها حديث عن العلم أو المعرفة، وكان يقول: «ما الذي سيُسعد المحب من المجالس إذا كانت المجالس لا تبحث عن الحب الذي يبحث عنه المحب». وكانت المصالح الكبرى الوطنية والشعبية مقدمة عنده على مصالحه الشخصية. كلما وقع في يده مال صرفه لشراء كتاب. وكثيراً ما كان ينام على كتاب كان يقرؤه قبل نومه. لم يكن يتناول الطعام إلا عندما يشعر بالجوع الشديد، وكان يأكل الخبز والجبن. كانت غرفته مليئة بالكتب والآلات الهندسية والفلكية والخرائط الحسائية. كان مهتماً بحال الأمة الإسلامية للغاية ويفكر ويبحث كثيراً عن السبل والوسائل التي تمكن من وحدة الشعوب والأمم الإسلامية، وقبل موته بعشر سنوات أسس جمعية خاصة في مدرسته الخاصة، باسم «الجمعية الجغرافية لوحدية الشعوب الإسلامية»، وفضل لفظ الجغرافية حتى يتجنب خلافات

(1) لهذا الأديب والمفكر الألباني كتب ورسائل عدة ذات موضوعات مختلفة باللغة العربية والعثمانية والفرنسية. كما أن له رسالته المشهورة: همة الهمام في نشر الإسلام، وغيرها من الرسائل النحوية والصرفية، بعضها مطبوعة وبعضها غير مطبوعة. انظر للتفاصيل رسالته المترجمة إلى اللغة الألبانية: همة الهمام في نشر الإسلام بعنوان:

Frasheri, Sami, *Perpjekja e heronjeve ne perhapjen e Islamit*, Perktheu nga gjuha arabe: Dr. Ismail Ahmedi, Logos-A, 2003-Prishtine –Kosova, fq:41-43.

بعض الناس، ففضل تلك التسمية (الجغرافية) بدل (الإسلامية). كان يقول: «علينا أن ننشر ديننا وأن نعمل في سبيل ذلك، ولا يحق للغربيين والأوروبيين أن يمنعوننا، لأنهم أنفسهم يرسلون المبشرين والمنصرين إلى كافة أنحاء العالم، فلاجل ذلك من الطبيعي أن نعمل نحن أيضاً لنشر ديننا. في مجالسه العلمية كان المحور الأساسي في موضوعاته أن الشريعة المحمدية لا تتعارض بحال من الأحوال مع الحقائق العلمية، ولا تمنع الحضارة والازدهار. وكان يستدلُّ على ذلك بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية. لكنه لم يجد قبولاً ولا رواجاً لأفكاره ولآرائه في الأوساط العلمية الخاصة والعامة، وعورض معارضة شديدة من قبل بعض المشايخ والأئمة في الدولة العثمانية، وساءت سمعته بين الناس للغاية واتهموه بالكفر والهرطقة والزندقة، كما حدث لمحي الدين بن عربي، وابن سينا وابن رشد وسقراط وغيرهم. لكنه لم يكن يبالي بما يقوله الناس عنه. كيف يمكن لأمثاله أن ينكروا الخالق - سبحانه وتعالى - وقد كان عالماً وعارفاً بهذا الخالق. كثيراً ما كانوا يعتزلون مجالسه العلمية بسبب عمق وصعوبة الموضوعات الفلسفية التي كان يعالجها ويشرحها، إذ لم يكونوا يفهمونه، فكأنهم قالوا نعوذ بالله من ضلالات هذا الشيخ. فقد كان زاهداً ومحباً للعلم»<sup>(1)</sup>.

(1) المصدر السابق، مقال من تلميذه شمس الدين سامي بك فراشري، مترجم من اللغة التركية إلى الألبانية، بتصرف، ص 65-73. ولا بد في هذا المقام من أن نلتزم الموضوعية والإنصاف والأمانة العلمية والدينية. مع احترامي الشديد لكل ما ذكره تلميذه المنصف شمس الدين سامي بك فراشري عن شيخه وأستاذه، إلا أنه قد وردت في هذا المؤتمر الكبير من بعض الباحثين الألبان والأتراك أخبار بما يخل بمروءة هذا العالم الكبير. ويعلم الله تعالى أي ترددت كثيراً في مواصلة البحث عن فكر هذا العالم عندما قرأت تلك الأخبار واطلعت على تلك المعلومات. وبعد أن فكرت ملياً حول هذا الموضوع، أخيراً قررت أن أكتب عنه وأبين ما له وما عليه، وهذا هو الإنصاف والله أعلم. وأما عن تلك الأخبار فهي تمس صلب الدين والعقيدة الإسلامية، وتمس تدينه الشخصي. فقد ذكر بعض هؤلاء الباحثين أنه من الثابت أن الشيخ حسن تحسين لم يكن يصوم شهر رمضان، ولم يكن يصلي إلا نادراً، وكان متهاوناً ومتكاسلاً للغاية في أداء الصلاة. وكان يستهزئ من بعض المصلين في دعائهم للخليفة العثماني بالخير والصلاح، وكان يلبس الرزي الغربي ويقلد الفرنسيين في لباسه، وكان يخرج بهذا اللباس أمام الجماهير في إسطنبول. وكان الناس عموماً وشيخ الإسلام في الدولة العثمانية خصوصاً، يتقدونه لهذه التصرفات الغربية، راجع هذه الصفحات من المصدر السابق، 81، 83، 88، 122-124، 161. وقد أورد الباحث التركي عمر آكون في الموسوعة التركية ذكر هذه الاتهامات والانتقادات وغيرها، رغم دفاعه الشديد عنه وتبرئته منها. انظر:

أراد وزير التربية والمعارف في الدولة العثمانية رشيد باشا إرسال بعثة ومجموعة من الطلبة المتفوقين إلى أوروبا لدراسة العلوم الإنسانية المختلفة ونشرها في الدولة العثمانية، لأن الدولة العثمانية كانت تعاني من التخلف الحضاري والعلمي، على حد تعبير الوزير، فحتى لا تنهار الدولة العثمانية كلية، فكر في كيفية إنقاذها.

تقدّم مجموعة من الطلاب لذلك الغرض، فالذين نالهم الحظ الطيب كانوا ثلاثة، ومن بين الثلاثة الشيخ حسن تحسين. واختيرت باريس عاصمة فرنسا للتوجه إليها. اثنان من هؤلاء الثلاثة رجعوا إلى إسطنبول ولم يكونوا موفقين لمواصلة الدراسة، بينما الشيخ حسن تحسين كان قد نذر نفسه لذلك فقرر أن يبقى هناك وأن يتعلم من الثقافة الفرنسية وفلسفاتها العلمية المختلفة؛ لشدة اهتمامه وإعجابه بالبلد وتعلقه بعلومها. واستطاع أيضاً أن يُحسّن علاقته مع السفير التركي وأن يتوظّف لدى سفارة الدولة العثمانية في باريس، وأن يتعين إماماً ومدرساً لهيئة الأعضاء العاملين في السفارة ولتدريس أطفالهم. وهكذا استطاع الشيخ أن يقوم بوظيفة الإمامة والتعلم في جامعة (السوربون) في باريس، قرابة ستة عشر عاماً ظل فيها إلى أن أتقن معظم العلوم الكونية والإنسانية وتفوق فيها، مثل: علم الفيزياء، وعلم الكيمياء، وعلم الجغرافيا، والجيولوجيا، وعلم الفلك، وعلم النجوم، وعلم النفس، وغيرها. ومع وفاة إحدى الشخصيات الدبلوماسية العثمانية الكبيرة في باريس، وهو: الصدر الأعظم فؤاد باشا، عُيّن

---

*Turkiye Diyanet Vakfi Islam Ansiklopedisi*, Cilt 18, 1998 - Baglar bashi, kisikli caddesi, 7 Uskudar, Istanbul, 198, 200, 2001, 202, 203, 205, 206.

ولا نريد في هذا المقام أن نضع تصرفات الشيخ حسن تحسين على الميزان الإسلامي. فقد بات معلوماً لدى المسلمين الفرق بين من يترك الصلاة أو الصوم تكاسلاً وتهاوناً، ومن يترك ذلك تعمداً ووجوداً، فأرجو من الله تعالى أن يكون الشيخ قد كان من هؤلاء الكسالى وليس من الجاحدين المتعمدين، لأن طبيعة البحث لا تسمح لي بالتوسع أكثر من هذا القدر. ولكم وددت ألا أسمع شيئاً من هذه الانتقادات الخطيرة في حق هذا الشيخ، لكن للأسف الشديد هذا هو الغالب في حق الذين رضعوا وتربوا في الأحضان الغربية وتلوثوا بمناهجهم وأفكارهم، إلا من رحم الله تعالى، فكان الشيخ حسن تحسين أحد تلك الضحايا في تصوري، والله أعلم.

الشيخ حسن تحسين ليتولى مهام غسله وتشيعه إلى إسطنبول. فلما عاد إلى إسطنبول استقر به المقام هناك فلم يرجع بعد ذلك إلى فرنسا<sup>(1)</sup>.

وكانت الدولة العثمانية قد استعدت وخططت منذ عهد مبكر لفتح جامعة كبيرة تقوم بتدريس العلوم الإنسانية، فبعودة الشيخ تحسين إلى إسطنبول وكان قد ذاع صيته وشهرته بين الأوساط العلمية، عينت الشيخ حسن تحسين مديراً لتلك الجامعة المسماة «دار الفنون». وحينما عُين الشيخ مديراً في الجامعة، ما كان منه إلا أن اتصل بالمفكرين والعلماء في العالم الإسلامي، واستقدمهم إلى الجامعة لإلقاء المحاضرات المختلفة أمام الطلبة. فكان في إحدى المرات قد استقدم الشيخ المفكر جمال الدين الأفغاني لتعيينه مدرساً في الجامعة. وفي أحد الأيام ألقى الشيخ جمال الدين الأفغاني<sup>(2)</sup> محاضرة علمية، أراد من خلالها أن يثبت أمام الجمهور ضرورة التنفس، لأنه بلا تنفس لا يمكن لكائن حي أن يعيش. وأراد أن يثبت ذلك عن طريق التجربة، فكان أن أحضر حمامة وقفصاً، فأدخل الحمامة في القفص وأغلقه إغلاقاً محكماً. فماتت الحمامة في الحال بعد لحظات. فلما رأى الجمهور والحضور هذا التصرف العجيب من الشيخ جمال الدين الأفغاني أنكروا ذلك عليه وأدانوه بالشدة وقالوا: كيف يمكن للجامعة أن تسمح لأمثال هؤلاء الناس أن يقتلوا الحيوانات البريئة!! وقالوا بأن هذا لا يجوز وليس من الإسلام في شيء، وإن مدير هذه الجامعة درس في فرنسا، فهو علماني وملحد، وإنه زنديق، وغير ذلك من التهم، فيجب عزله من الجامعة.

ومرة أخرى طلب الشيخ حسن تحسين من الشيخ جمال الدين الأفغاني إلقاء محاضرة عن أهمية الصناعة، وأن يشرح خلاصة أفكاره التي سطرها في رسالته: «الرد على الدهريين» باللغة

---

(1) المصدر السابق، بحث مقدم من باحث تركي اسمه إسماعيل حبيب (Ismail Habib)، ص 89-97.

(2) حول فلسفة الفكرة التنويرية وتفاصيلها لدى كل من الشيخ جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، انظر: عمارة، محمد، الإسلام بين التنوير والتزوير، القاهرة، دار الشروق، ط 1، 1995، ص 238-268، وانظر أيضاً المقال بعنوان: من المعتزلة وابن رشد إلى محمد عبده، ل: نصر حامد أبو زيد، ومقال بعنوان، مفهوم التنوير في فكر ابن رشد، ل: محمود حمدي زقزوق، في كتاب: ابن رشد والتنوير، من المحررين: مراد وهبة ومنى أبو سنة، دار الثقافة الجديدة، ط 1، 1997، ص 105-113، وص 129-148.

الفارسية. في بداية الأمر اعتذر الشيخ الأفغاني لعدم إجادته للغة التركية، ثم ما كان منه إلا أن أحضر ورقة محاضراته باللغة التركية وقدمها لوزير التربية فوافق الوزير عليها، فقام الشيخ الأفغاني بإلقاء محاضراته باللغة التركية أمام المشايخ والعلماء. ومن بين هؤلاء المستمعين كان شيخ الإسلام للدولة العثمانية، الشيخ حسن فهمي أفندي. ومن المعروف أن موقف علماء الدولة العثمانية من الحركة الإصلاحية الدينية كان معارضاً ومخالفاً لما كان عليه مذهب كل من الشيخ الأفغاني والشيخ حسن تحسين والشيخ محمد عبده، فلأجل ذلك أقيمت عليهم القيامة من قبل المشايخ والعلماء، وحقاً إنهم لم يجدوا رواجاً كبيراً لأفكارهم وآرائهم في الأوساط والمؤسسات العلمية. فكان مما جاء في محاضرة الشيخ جمال الدين الأفغاني أن: «التنبؤ أو الاستطلاع - أي الاستشفاف أو التوقع - لما سيحدث في المستقبل هو شيء من الفن والصناعة الخاصة»، فما كان من الجمهور والحضور إلا أن حملوا كلام الشيخ جمال الدين الأفغاني على غير مراده وعلى غير محمله، وعلى رأس هؤلاء شيخ الإسلام للدولة العثمانية، فأشاعوا الخبر أن الشيخ يقول بأن النبوة نوع من الفن أو الصناعة! وليس الأمر كما زعموا، فهناك فرق بين التنبؤ والنبوة، كما هو واضح. فما كان من الشيخ الأفغاني إلا أن اضطر للمغادرة إلى القاهرة، وذلك سنة 1871، الموافق 1288 هـ. فلأجل قصة الحمامة السابقة، وهذه الحادثة الأخيرة، عزلوا الشيخ حسن تحسين من منصب مدير الجامعة بعد سنة واحدة من توليه هذا المنصب<sup>(1)</sup>.

تذكر المصادر أن الشيخ حسن تحسين لم يتزوج، وكان زاهداً في الدنيا ومحباً للعلوم الكونية والتجريبية، فعكف بعد ذلك قرابة نصف قرن من الزمن على التدريس في مدرسته الخاصة، وتنقل من مكان إلى مكان آخر مع بضعة تلاميذ يدرسه ويعلمهم هذه العلوم الكونية التي أيقنوها، إلى درجة أنه أصبح مغروراً معجباً بنفسه، حتى إن بعضاً من أفكاره وتصرفاته جاءت مخالفة لتعاليم الشريعة الإسلامية، وذلك من شدة انبهاره وتأثره بالحضارة الفرنسية

(1) المصدر السابق.

الغربية والفكر الفلسفي الغربي، كما هو شأن غيره من المفكرين الذين تربوا في أحضان الغريين.

وفي سنة 1880 وقيل سنة 1881، كان وفاة الشيخ حسن تحسين عن عمر ناهز السبعين، وتوفي في منطقة أرُنْكِي (Erenkoy) من ضواحي إسطنبول، ودفن في مقبرة سراي جديد<sup>(1)</sup> (Sahrayicedid Mezarligi)، ولا يعرف قبره.

### من مؤلفاته

مؤلفات الشيخ أغلبها مفقودة، بعضها باللغة التركية وبعضها باللغة الألبانية، وفي ما يلي عناوين بعض مؤلفاته التي ذكرها الباحثون في المؤتمر وأشارت إليها بعض المصادر الأخرى:

- تاريخ تكوين الخَلقة (Tarih-i Tekvin yahut Hilkat)<sup>(2)</sup>، باللغة التركية.
- أساس علم الهيئة (Esas-I Ilm-i Hey'et)<sup>(3)</sup>، باللغة التركية.
- علم النفس - علم الروح (Psiholoji yahut Ilm-i Ruh)<sup>(4)</sup>، باللغة التركية.
- أسرار الماء والهواء (Esrar-i Ab u Hava)<sup>(5)</sup>، باللغة التركية.
- هيئة العالم<sup>(6)</sup> باللغة التركية<sup>(7)</sup>.
- لوح، سماه «مرآة السماء»، أو «مرآة الجهان»، باللغة التركية.

(1) *Turkiye Diyanet Vakfi Islam Ansiklopedisi*, 202.

(2) طبع في إسطنبول سنة 1310هـ.

(3) طبع في إسطنبول سنة 1311هـ.

(4) طبع في إسطنبول سنة 1309هـ.

(5) طبع في إسطنبول سنة 1309هـ.

(6) وهو الرسالة نفسها: أساس علم الهيئة، لكن طبعت بعنوان آخر سنة 1297هـ على شكل مقال في مجلة «مجموعة العلوم».

(7) المصدر السابق، بحث من باحث تركي هو محمود كمال إينال (Mahmut Qemal Inal)، ص106، فقد أدرج هذا الباحث التركي في كتاب له الشيخ حسن تحسين في قائمة الشعراء الأتراك الكبار، وكان عنوان كتابه: الشعراء الأتراك في القرن الأخير.

- رسالة مترجمة من اللغة الفرنسية بعنوان: «النواميس الطبيعية».
- أقلام الأقوام.. لم أعلم اللغة التي كتبت بها.
- خلاصة الأفكار.. لم أعلم اللغة التي كتبت بها.
- أصول فن الفلاحة والزراعة (Usul-i Fenn-i Felahet –Kimyayi Ziraat)<sup>(1)</sup>.
- مربي الأطفال (Murebbi-i Etfal)<sup>(2)</sup>، بالاشتراك مع غيره.
- طبعت مقالاته في مجلة علمية خاصة بعنوان: مجموعة العلوم (Mecmua-i Ulum)<sup>(3)</sup>، بالإضافة إلى ما تنشره الجرائد اليومية التي كانت تصدر في إسطنبول مثل جريدة هفتا (Hafta)، وغيرها من الجرائد باللغة التركية<sup>(4)</sup>.

## المبحث الثالث: دراسة الاتجاه الشيخ حسن تحسين الفيلسفي الذي انتمى إليه

قد صدق القائل: «حين تكون الفلسفة (حب الحكمة)، فنحن نحبها ما دامت الحكمة إصابة الحق، وأما أن تكون الفلسفة التواء الفطرة عن طريق اجتهادات زائفة ونظريات ضالة فلا، حتى وإن صدر ذلك عن مسلم له قدم في الفكر الإسلامي، لأن معيار القبول أو الرفض عندنا لأي فكر هو موافقة الوحي -القرآني- أو معارضته، فيما صح عن الله -عز وجل- ورسوله ﷺ دليلاً واستدلالاً»<sup>(5)</sup>.

وهذا الذي سأقوله في حق الشيخ الأستاذ الفلكي الألباني الشيخ حسن تحسين أفندي.

(1) طبع في إسطنبول سنة 1291هـ.

(2) طبع في إسطنبول سنة 1289هـ.

(3) طبع في إسطنبول سنة 1297هـ.

(4) للتوسع حول فكر الشيخ وآثاره العلمية، انظر الموسوعة الدينية التركية، بحث الباحث التركي:

Ymer Faruk Akun: *Turkiye Diyanet Vakfi Islam Ansiklopedisi*, 203-206.

(5) ندا جعرانة، عبد الحميد بن محمد، المدخل إلى التفسير، ص 303.

وللأسف الشديد لقد أكد غير واحد من الباحثين في هذا المؤتمر الكبير، أن الشيخ حسن تحسين تأثر إلى درجة كبيرة بالمناهج الفلسفية الفرنسية وانحرف عن جادة الصواب إلى درجة أنه أصبح من أساتذة<sup>(1)</sup> المدرسة الفلسفية الوضعية لأوغست كونت<sup>(2)</sup> (August Cont) المسمى (Positivism)، التي تعتمد على التجربة والمشاهدة اليقينية أكثر من اعتمادها على النظريات أو الأفكار<sup>(3)</sup>، كما أنه تأثر إلى درجة كبيرة جداً بفلسفة دئيسم (Deism)، التي تعترف بالربوبية أو وجود الإله، لكنها ترى للعقل مندوحة واستغناء عن الوحي، و«أنه يؤمن بالخالق لكنه يرى في العقل مندوحة عن الوحي، أو إنها تنكر الوحي. هؤلاء هم البراهمة المحدثون الذين يرون أن كل عقيدة دينية متوارثة لا تتفق مع حكم العقل فهي مردودة»<sup>(4)</sup>. ومن لوازم هذه الفلسفة أن أمور الطبيعة أو الظواهر الطبيعية، ليس فيها دخل لله تعالى، وأن الطبيعة لها قوانينها الخاصة تحكمها وتسيطر عليها، وأنها تحكم نفسها بنفسها، ومن ثم فلا يبقى لله دور فيها إلا دور الخلق والإيجاد<sup>(5)</sup>، وأما الحركة والتسيير والنمو البيولوجي للمخلوقات في الطبيعة فإن ذلك من عمل الطبيعة!

حقيقة هذه فكرة فلسفية خطيرة تحتاج إلى شيء من التفصيل والبيان حتى نفهم حقيقة فكر الشيخ حسن تحسين، وهذا التوسع النسبي ضروري جداً، لأننا بصدد تحليل ودراسة فكر خطير وجديد، فلا بد من التفصيل لكي نصل إلى جذور المشكلة، وحتى نكون منصفين بحكمنا على صاحب الفكرة، ولأن الحكم على شيء فرغ عن تصوره. فلا بد إذن من تصور المسألة أولاً على حقيقتها، ومن ثم الحكم عليها والله أعلم. والقضية الأخرى هي أن هذا

(1) Hoxha, Ibrahim Daut, *Hoxhe Hasan Tahsin Efendiu*, artikulli i prof. Nexhip. P. Allpan, 31.

(2) انظر: قاموس المورد الوسيط، منير البعلبكي وروحي البعلبكي، ص 455.

(3) انظر:

*Oxford Advanced Learners Dictionary of Current English*, 5th edition, Oxford University Press, 1995, 899.

(4) من تعريف الأستاذ الدكتور عرفان عبد الحميد فتاح، أستاذ الفلسفة ومقارنة الأديان. ذكر ذلك لي مشافهة في الحوار الذي أجرته معه حول هذا الموضوع في مكتبته في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

(5) Hoxha, Ibrahim Daut, *Hoxhe Hasan Tahsin Efendiu*, artikulli i prof. Dritan Spahiut, 43.

الفكرة الفلسفية - في ما يبدو لي -، قليلاً ما تناولها الباحثون في الدراسات القرآنية، ويمكن القول بأنها هي الأولى في الدراسات القرآنية يطرحها عالم ومفكر ألباني في العصر الحديث، والله أعلم. فلذا لا بد من ذكر معالمها في هذه الدراسة.

وقد قمت بمراجعة وتحقيق هذه المسألة في بعض المعاجم والموسوعات الفلسفية العربية والغربية الحديثة لكي أقف على حقيقتها. وفي ما يلي أذكر ملخصاً وموجزاً عن فلسفة حركة الأنوار أو التنوير: (Enlightenment)، وفلسفة: الدئيسم (Deism)، نظراً لتعلقهما الوثيق بموضوع بحثنا، ولا سيما بفكر الشيخ حسن تحسين، الذي ثبت عنه أنه كان متأثراً بفلسفة تلك الحركة إلى درجة كبيرة.

### المطلب الأول: طبيعة فلسفة حركة الأنوار أو التنوير.. عرض تاريخي موجز

جاء في بعض المعاجم الفلسفية العربية أن حركة التنوير أو (Enlightenment) هي: «حركة فلسفية في القرن الثامن عشر، تعتد بالعقل وتقرر أن الوعي هو العامل الحاسم في تطور المجتمعات، وأن الشرور الاجتماعية نتيجة مترتبة على الجهل بفهم الطبيعة الإنسانية. وقد نشأت هذه الفلسفة في عصر التمهيد للثورة البرجوازية كرد فعل ضد التزمّت الديني والأيدولوجيا الإقطاعية والتعمية. ويعرّف «كانت» التنوير بأنه تحرير الإنسان من عجزه عن إعمال العقل من غير مرشد خارجي، وأن هذا العجز مردود إلى فقدان الشجاعة والتصميم على إعمال العقل من غير موجه»<sup>(1)</sup>.

وجاء في الموسوعة السوفييتية المترجمة إلى اللغة العربية تعريف التنوير بأنه: «اتجاه سياسي اجتماعي، حاول ممثلوه أن يصحّحوا نقائص المجتمع القائم، وأن يغيروا أخلاقياته وأساليبه وسياسته وأسلوبه في الحياة، بنشر آراء في الخير والعدالة والمعرفة العلمية. ويكمن في أساس التنوير الزعم المثالي بأن الوعي يلعب الدور الحاسم في تطور المجتمع والرغبة في نسبة الخطايا الاجتماعية إلى جهل الناس، وافتقادهم إلى ثقتهم بطبيعتهم... ومن

(1) وهبة، مراد، المعجم الفلسفي، د. م، دار الثقافة الجديدة، ط3، 1979، ص135.

ثم لم يستطيعوا كف القوانين الموضوعية للمجتمع. وكان مفكرو التنوير يوجهون مواضعهم إلى جميع طبقات ومصاف المجتمع، ولكنهم كانوا يوجهونها في الأساس إلى أولئك الممسكين بالسلطة. وكان التنوير ينتشر في فترة الإعداد للثورات البرجوازية (الطبقة المتوسطة). وقد ساعد نشاطهم بقدر كبير في التغلب على نفوذ الأيديولوجيا الكنسية والإقطاعية. وقد ناضل مفكرو التنوير بتصميم ليس ضد الكنيسة فحسب، وإنما أيضاً ضد المعتقدات الدينية الجامدة، وضد مناهج التفكير المدرسية. ولم يعد التنوير في الوقت الحاضر اتجاهاً مؤثراً في التفكير الاجتماعي، إلا إن آراءه لا تزال سارية بين المثقفين غير الماركسيين<sup>(1)</sup>.

وجاء في بعض الموسوعات الدينية والسياسية الغربية باللغة الإنكليزية تفصيل أكثر حول حركة التنوير وأهدافها وأبرز شخصياتها، فرى من الفائدة أن نقل الخلاصة التي وردت فيها فهي:

«مرحلة تاريخية وحركة فكرية أوروبية حددت من جديد العلاقة بين الدين والسياسة. والتنوير مصطلح غامض ومبهم (The Enlightenment is an ambiguous term)، ويبحث العلماء في خلفيتها التاريخية والأماكن الجغرافية التي انتشرت فيها، وأبرز شخصياتها وأبرز خصائصها التي هيمنت عليها».

إن حركة التنوير في معناها الضيق هي حركة التنوير الفرنسية أو عصر العقل والفكر French Enlightenment or the Age of Reason). برزت في القرن الثامن عشر في فرنسا، وانتهت مع الثورة الفرنسية وإخفاقها في عدم تحقيق أهم غايات الثورة، وذلك سنة 1789.

وفي معناها الأعم والأوسع، فإن حركة التنوير تشمل على خصائص الإصلاح، وإن البذور الأولى لهذه الحركة ترجع إلى اليونانيين القدامى، ولا سيما عصر النهضة والإصلاح

---

(1) الموسوعة الفلسفية - وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفيت، بإشراف: روزنتال ويودين، ترجمة: سمير كرم، مراجعة: د. صادق جلال العظم وجورج طرابيشي، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط6، 1987، ص145-146.

A Dictionary of Philosophy, Edited by: M. Rosenthal and P. Yudin.

اليونانيين. وبمفهوم أعم وأوسع فإن حركة التنوير بدأت في القرن السابع عشر في إنكلترا، خاصة في المنهج الذي وضعه جون لوك: (John Locke) للعلم والدين والسياسة. ومن أبرز الشخصيات من الإنكليز والإسكوتلنديين نذكر:

Joseph Priestley, Francis Hutcheson, Adam Smith, Edward Gibbon, etc.

ومن الشخصيات الفرنسيين برز:

Voltaire, Baron De Montesquieu, Denis Diderot, Jean-Jacques Rousseau, etc.

ومن الألمان برز:

Christian Wolf, Moses Mendelssohn, Immanuel Kant, etc.

ومن أمريكا الشمالية برز:

Thomas Paine, Benjamin Franklin, Thomas Jefferson, etc.

### المطلب الثاني: خصائص حركة التنوير

ورد في بعض المعاجم والموسوعات الدينية والسياسية أن حركة التنوير:

«The dominant, medieval, European, pre-Enlightenment approach to politics and religion emphasized the hierarchical supremacy of supernatural religious authority. It upheld divine revelation, religious scripture and tradition, the church and clerical authority. The monarchy and political institutions were derivative, receiving their legitimacy by appeals to supernatural and religious authority. Proponents of the Enlightenment rejected this approach to politics and religion and upheld reason and nature, not the supernatural realm as the primary source...They emphasized critical reasoning, laws of nature, objectivity, and universality; a scientific outlook; progress; natural rights, liberty, and equality; utility; toleration; and freedom from superstition, irrationality, and dependence on religious and other forms of external authority...<sup>1)</sup>»

---

(1) Wuthnow, Robert, *The Encyclopedia of Politics and Religion*, Routledge, United Kingdom, London, 1998, 233-234.

أي: إن النظام السياسي والديني السائد في العصور الوسطى ما قبل حركة الأنوار أو التنوير كان بيد رجال الدين المسيحي التابعين للكنيسة، المعترفين بالوحي والكتب المقدسة، والذين كانوا أهل القرار والحل والعقد. الملوك والمراكز السياسية كانت تتلقى مشروعاتها من رجال الدين، أهل القداسة والمرجعية العليا.

وبالتالي فإن المؤيدين لفلسفة حركة الأنوار أو التنوير رفضوا رفضاً تاماً هذا النظام السياسي والديني، وذهبوا إلى تقديس الطبيعة والعقل، واعتباره مصدراً أساسياً علمياً ثابتاً لصالح البشرية. بجانب ذلك ركزوا أيضاً على أهمية النقد الفكري، وقانون الطبيعة والموضوعية والشمول. كما أنهم ركزوا على الاتجاه العلمي الحديث والحقوق الطبيعية، والحرية والمساواة والنفعية، وعدم التعصب والسماحة الدينية، مع التحرر الكامل والمطلق من الخرافات الدينية، واللاعقلانية، وعدم الاعتماد على المرجعية الدينية أو الخارجية.

والفيلسوف المشهور كانت (Kant)، في تعريفه لفلسفة حركة الأنوار في سنة 1784، دعا الناس إلى الاعتماد الذاتي، والناس يجب عليهم أن يمتلكوا القوة والإرادة لكي يفكروا بأنفسهم بالسياسة والدين، وأن يثقوا بأنفسهم بدلاً من أن يعتمدوا على غيرهم في هذه القضايا، وأن عليهم إعمال عقولهم وقدراتهم البشرية للتوصل إلى علم صحيح وفهم أفضل للسياسة والدين<sup>(1)</sup>.

ومن خصائص هذه الفلسفة، تحرير العقل والفكر من الخرافات الدينية والعقدية، وتحرير العقل والنفس من اللاعقلانية والمناهج الظالمة، والانتقال من المعاناة والطغيان السياسي واللاأخلاقي، ومن الشقاء والعذاب الدائم، إلى التقدم والكمال. ومع تطوير هذه القدرات العقلية يمكن للإنسانية أن تخطو وتتقدم نحو الكمال.

واستناداً لهذه الأفكار والمبادئ، فإن الذي يدرس الدين والسياسة، يجب عليه التحقيق والبحث عن هذه الطبيعة الجامدة الصماء، وعن الطبيعة الإنسانية عقلياً فقط.

---

(1) المصدر السابق، 234.

«..Nature has a rational structure exhibited through universal natural laws. Natural phenomena, religious and political institutions and human behavior were to be investigated using the same fundamental conceptions and a common methodology... uncovering relations of cause and effect<sup>(1)</sup>».

أي: إن الطبيعة لها بنية عقلية خاصة بها، وتؤدي وظيفتها وعملها طبق القوانين المطردة والعامّة التي وضعت لذلك تلقائياً. وإن الظاهرة الطبيعية، والقضية السياسية والدينية والأخلاقية، يجب أن تدرس وأن تُتناول طبق المنهج العقلي نفسه وطبق تلك المبادئ العقلية. هذه الطبيعة التي من حولنا، والقضية الإنسانية عموماً، والقضية العلمية والسياسية، لكي نفهم تلك القضايا المعقدة على وجهها الصحيح، فإنه يجب تفتيتها إلى عناصر وأجزاء، لاكتشاف العلاقة بين السبب والمسبب<sup>(2)</sup>.

وبناء على ما تقدم فإن كل عقيدة دوغماتية، أو خرافة دينية غير خاضعة للنقد والتحليل والسبر العقلي، يجب أن تُستأصل وأن تقلع، سواء كان ذلك (اللامعقول) في أمر الدين أو السياسة.

(Uncritical dogma, superstition, and irrationality were to be uprooted, whether in religion or politics).

إن فلسفة حركة الأنوار كان مستندة إلى فكرة السماحة وعدم التعصب، حتى يكون الناس أحراراً في معتقداتهم وكلامهم بعيداً عن التعصب الديني والسياسي السائد قديماً، وهذا هو الذي جعلهم غير قادرين عقلياً وغير مؤهلين فكرياً، على تطوير أنفسهم وقدراتهم للوصول إلى الحقيقة.

هذا الاتجاه التنويري سعى في فصل الدين عن السياسة، وأسهم في إعداد مجموعة من المتنورين الملحدون الذين أيقنوا وأمنوا أنه لا جدوى ولا خير في الدين أو التدين، وأصروا على

(1) المصدر السابق، ص 234.

(2) وعن تقرير العلاقة الضرورية بين السبب والمسبب، انظر: العراقي، محمد عاطف، النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد، مصر، دار المعارف، د. ط، د. ت، ص 163-167.

تحرير أو تطبيق السياسة من الهيمنة الدينية والعقدية والجهل والخرافة. وفي المقابل وجدت مجموعة من المتنورين، الذين لم يلحدوا، وإنما اتجهوا إلى اكتشاف وإبداع دين عقلي طبيعي جديد يهيمن على الدين السماوي المنزل. وأصحاب هذا الاتجاه الديني العقلي البحث عارضوا بقوة وشدة سلطة رجال الدين السماوي أو المسيحي وهيمنتهم ومرجعيتهم في شؤونهم الخاصة، لأن في مفهومهم، أن الدين الذي مستنده العقل والطبيعة، يجب أن يُحترم وأن يقدر الأسس الطبيعية للسياسة والكون، وأن يعترف بالحقوق السياسية للآخرين، مؤمنهم وملحدهم، على حد سواء<sup>(1)</sup>.

### المطلب الثالث: الاتجاه الفلسف دئيسم (Deism)، في فكر الشيخ حسن تحسين

أستطيع بادئ ذي بدء أن أقرر أنه كانت من لوازم ونتائج فلسفة التنوير هذه الفكرة الفلسفية الأخرى المتولدة منها، والتي نحن بصدددها. هذه الفلسفة بلغت ذروتها أواخر القرن التاسع عشر. ورواد فلسفة الأنوار عامة كانوا يعتقدون بفلسفة التقدم (Philosophy of progress)، التي من لوازمها التنكر للموروث الثقافي والديني والتاريخي، باعتباره تراكمًا تاريخيًا لا ينسجم ولا يتماشى مع مطالب العصر<sup>(2)</sup>.

فقد ذكرت أيضاً بعض المعاجم الفلسفية أن هذه الفكرة الفلسفية المسمى دئيسم

(Deism) تعني:

---

(1) للمزيد حول هذه الفكرة الفلسفية والسياسية راجع هذه الموسوعات الفلسفية:

Wuthnow, Robert, *The Encyclopedia of Politics and Religion*, Routledge, United Kingdom, London, 1998, 233-235; Edwards, Paul, *The Encyclopedia of Philosophy*, Collier Macmillan Publishers, London, 1967, 519-525.

(2) للمزيد حول حركة الأنوار الفرنسية وفلسفتها انظر:

Gay, Peter, *The Enlightenment - An introduction*, Random House, New York, 1966.

«..Deism, the view that true religion is natural religion... Most deists dismissed revealed religion as a fiction. God wants his creatures to be happy and has ordained virtue as the means to it...Salvation cannot, then, depend on special revelation. True religion is an expression of a universal human nature whose essence is reason and is the same in all times and places. Religious traditions such as Christianity and Islam originate in credulity, political tyranny and priest craft, which corrupt reason and overlay natural religion with impurities. Deism is largely a seventeenth and eighteenth-century phenomenon and was most prominent in England. Among the more English deists were John Toland (1670-1722) , Anthony Collins (1676-1729) , Mathew Tindal (1657-1733)etc. By the late eighteenth century, the term came to mean belief in an «absentee God» who creates the world, ordains its laws, and then leaves it to its own devices»<sup>(1)</sup>.

أي: إن الدين الحقيقي هو الدين الطبيعي، (العقلي، أو الطبيعة نفسها). وإن أغلب المنتسبين لهذا الاتجاه أنكروا الوحي باعتباره خرافة وضرباً من الخيال. الرب يريد لخلقه السعادة، فشرع الفضيلة كوسيلة لتحقيق تلك السعادة. نجاة الناس وإنقاذهم لا يمكن أن يعتمدا على الوحي أياً كان نوعه. الدين الصحيح والحقيقي هو التعبير الحر عن الحرية الإنسانية الشاملة المستندة إلى العقل المجرد في كل زمان ومكان. مبادئ الدين المسيحي والإسلامي تتصف بالسذاجة والطغيان السياسي، والخداع والمكر والمهارة الرهبانية، وبأنها مفسدة للعقل. كما أنها تغطي الدين الطبيعي -العقلي- بالآراء المتلوثة والنجسة.

هذه الحركة كانت ظاهرة القرن السابع عشر والثامن عشر، وانتشرت في إنكلترا بشكل كبير فظهرت شخصيات مشهورة تحمل هذا الفكر الفلسفي. في القرن الثامن عشر، هذا المصطلح اتخذ مفهوماً وبعداً آخر هو ما عبروا عنه بالإله الغائب أو المتغيب في هذه الطبيعة، الذي خلق العالم وحدد قوانينه وأنظمتها، ثم ترك له أن يعمل وفق القوانين والآليات الخاصة بها<sup>(2)</sup> (أي أنه

---

(1) Audi, Robert, *The Cambridge Dictionary of Philosophy*, Cambridge University Press, 1995, 188.

(2) المصدر السابق، ص 188.

يدبر شؤون نفسه بنفسه)!!، وأن الله بعد أن خلق العالم وفرغ من خلقه، انسحب وانفصل إلى عالم آخر منفصل، تاركاً الدنيا تعمل بنفسها وتدبر أمورها طبق القوانين والأنظمة العقلية المطردة. هذه الفكرة الفلسفية في الأصل كانت مستقاة من فكرة الفيلسوف والعالم الفيزيائي الإنكليزي اليهودي المشهور إسحق نيوتن (Isaac Newton) التي تقول: بأن هناك ربطاً وانسجاماً، وعملاً متصلًا وتناسقاً عقلياً بين أجزاء هذا العالم، فهو يشبه آلة ميكانيكية محكومة بالحركة والسير<sup>(1)</sup>.

رواد هذه الحركة الفلسفية رفعوا من شأن العقل وقدراته الخارقة التي تفوق الوحي بحسب زعمهم، وأنكروا بالقوة تلك المزاعم الدينية التي جرّت الناس إلى التعصب الديني العقدي وعدم السماحة والانفتاح على الآخر، والتي شوّهت أيضاً صورة الله سبحانه وتعالى، خالفاً ومصوراً عقلياً لهذا العالم المنسق. هذه النهضة العلمية والفلسفية رفضت بشدة تلك النظرية التي تقول بأن العقل محكوم عليه بالفساد بسبب الإثم أو الخطيئة التي ارتكبها أبونا آدم عليه السلام. في القرن السابع عشر أكد كبار رواد هذه الحركة الإلحادية على رفض التقيد والالتزام بالطقوس والعبادات الدينية كلياً، لأنها في نظرهم كانت مماثلة للعادات والتقاليد والخرافات الدينية التي كانت سائدة بين المشركين، فلاجل ذلك يجب رفضها<sup>(2)</sup>.

وللتأكد مما ذكرته سابقاً، قمت أيضاً باستشارة بعض أهل العلم والفضل من أساتذتي الفضلاء<sup>(3)</sup> الذين لهم قدم راسخة في الأمور الفلسفية والدينية الأوروبية، وبعد نقاش طويل مع

---

(1) Merriam-Webster's *Encyclopedia of World Religions*, Wendy Doniger, Consulting Editor, Springfield, Massachusetts, 1999, 284.

(2) Merriam-Webster's *Encyclopedia of World Religions*, Wendy Doniger, Consulting Editor, Springfield, Massachusetts, 1999, 284

(3) وهو أستاذي الكبير، الأستاذ الدكتور عرفان عبد الحميد فتاح، أستاذ الفلسفة والتصوف ومقارنة الأديان في قسم أصول الدين في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا. أجريت الحوار والمقابلة معه في يوم الأربعاء الموافق لـ: 15.01.2003 في مقر مكتبه في الجامعة، فجزاه الله خيراً على ما أفادني وأزال هذا الغموض من فكري، فأنا له مقدر وشاكر.

فضيلته، وصلنا إلى هذه النتيجة العلمية التي أرجو من الله تعالى أن نكون قد وفقنا إلى الصواب فيها. وأنقل هنا ملخص ما ذكر لي فضيلته:

«إن الفلسفة المستفادة من التلاوة المتدبرة للقرآن الكريم تجرنا إلى جملة أحكام عامة لا تقبل التجزئة أو الرد عليها.

أولاً: إن العالم المادي محكوم بقوانين مطردة لا شذوذ فيها ولا تناقض. وهذا مؤكد في كثير من الآيات القرآنية، مثل قوله تعالى: ﴿الذي خلق سبع سماوات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور (3) ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير﴾ (الملك: 3-4)، وقوله تعالى: ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون﴾ (النمل: 88)، وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (النمل: 61)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: 49)، وقوله تعالى: ﴿وكل شيء عند بمقدار (8) عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾ (الرعد: 8-9)، والآيات كثيرة في هذا الموضوع.

ثانياً: هذه القوانين المطردة والمتسقة (Uniformity)، هي كالطبيعة وغيرها، الكل من خلق الله تعالى، وليست من خواص الطبيعة ولوازماها.

ثالثاً: ما دام أن الخالق سبحانه وتعالى هو خالق الطبيعة، فهو سبحانه خالق قوانينها أيضاً، فله وحده أن يخرق قانونها متى شاء وكيف شاء، وهذه هي المعجزة الربانية. والآيات في هذا الموضوع كثيرة، مثل قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تبارك الله رب العالمين﴾ (الأعراف: 54)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فسيحان الذي بيده ملكوت شيء وإليه ترجعون﴾ (يس: 82-83).

فالاطراد أو الشذوذ في مظاهر الطبيعة كلاهما من صنع الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون (71) قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون﴾ (القصص: 71-72).

وبعد هذا العرض الموجز لفلسفة وأغراض هذه الفلسفة، أعتقد أنه اتضحت لنا حقيقة فكر الشيخ حسن تحسين، وأنه قد وقع تحت تأثيرات حركة فلسفة الأنوار وفلسفة دئيسم إلى حد كبير<sup>(1)</sup>، وكان أحد ضحاياها للأسف الشديد، أدرك ذلك أو لم يدرك. وفي ما يلي نذكر بعض الأمثلة التطبيقية، لنرى تأثير الشيخ حسن تحسين بفلسفة دئيسم، فقد حاول بناء وتعليل تلك المواقف بحسب ما استقرت في عقله من مبادئ تلك المدرسة الفلسفية الغريبة. هذه المواقف قد ذكرها الباحثون في أوراقهم العلمية في المؤتمر وأشارت إليها بعض المصادر الأخرى.

## المبحث الرابع: الآثار السلبية لتلك الفكرة الفلسفية على فكر الشيخ حسن تحسين

### المطلب الأول: موقفه من الروح<sup>(2)</sup> وظاهرة الموت

ذكر مدير ذلك المؤتمر، المؤرخ الباحث إبراهيم داود خوجة (Ibrahim Daut Hoxha)، أنه لما كان الشيخ حسن تحسين في إحدى المدن الألبانية، وفي أحد المجالس كان الناس يتباحثون ويتناقشون حول حقيقة الروح وماهيتها. فرجال الدين الإسلامي في تلك المدينة اعتقدوا أن الروح شيء مادي، وبموت الإنسان فإنه يغادر الجسم على شكل البخار أو السحاب، وأن هذه الروح تذهب إلى الله تعالى ويحتفظ بها عنده لكي تعود إلى صاحبها يوم البعث والنشور. لما سمع الشيخ حسن تحسين هذه الفكرة رد عليهم قائلاً: «لا، ليس الأمر كما تزعمون. إن الروح ليست شيئاً منفصلاً عن الجسم. إن سبب الموت لدى الإنسان هو توقف الأعضاء والجوارح عن العمل والحركة. والإنسان عندما لا يتنفس فهو لا يتحرك، فهذا هو الموت!»!

(1) حول مسألة حركة الأنوار الفرنسية وتأثر عدد كبير من المفكرين المسلمين، انظر: فتاح، عرفان عبد الحميد، الفكر الديني في مواجهة تحديات الحداثة، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، مركز البحوث، 2001، 29-37.

(2) ملاحظة مهمة: هذه المواقف التي سأذكرها للشيخ حسن تحسين قد ذكرها الباحثون في ذلك المؤتمر الكبير مع ذكر مصادر مقولاتهم، والباحث لم يجد شيئاً مكتوباً بقلم الشيخ ولم أقف على مؤلفاته، فأنا أرويهما أو أحكيها كما حكاهما هؤلاء الباحثون في أوراقهم، وتمنيت أن تكون تلك المواقف مسجلة ومكتوبة في كتب الشيخ حسن تحسين، حتى تظمن قلوبنا لما نقول.

فكل الحاضرين استغربوا واندعشوا من هذا الشرح لظاهرة الموت في كلام الشيخ حسن تحسين<sup>(1)</sup>.

هذا التعريف للموت، أو هذا الشرح لكيفية الموت بهذه الصورة لا يصح ولا يثبت أمام الأدلة الكثيرة والمستفيضة في القرآن والسنة، والأدلة التي ذكرها العلماء الكبار مثل العلامة ابن القيم في كتابه «الروح» على أن الإنسان مركب من روح وجسد، وأنه إذا مات خرجت روحه وذهبت إلى بارئها لتعود إليه في قبره للسؤال. وقد ذكر في كتابه في المسألة الرابعة عنواناً: أن الروح هل تموت أم الموت للبدن وحده؟ فقال:

«اختلف الناس في هذا فقالت طائفة تموت الروح وتذوق، لأنها نفس، وكل نفس ذائقة الموت. وقال الآخرون لا تموت الأرواح فإنها خلقت للبقاء، وإنما تموت الأبدان. قالوا وقد دلت على هذا الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها، ولو ماتت الأرواح لما شعرت بالنعيم والعذاب، وقد قال تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون (169) فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم﴾ (آل عمران: 169-170).

والصواب أن يقال موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت وإن أريد أنها تعدم وتضمحل وتصير عدماً محضاً فهي لا تموت بهذا الاعتبار بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو عذاب<sup>(3)</sup>.

فالشاهد أن الأرواح تفارق الأبدان عند الموت وأنها تعود إلى الأبدان للنعيم أو العذاب في القبر، وأن الأحاديث قد تواترت في ذلك كما ذكرها أيضاً العلامة ابن القيم<sup>(4)</sup>. لكن المقام لا يسمح لنا أن نسردها هنا. وقد أكد حقيقة فصل الروح عن الجسد عند الموت أيضاً الفيلسوف

(1) المصدر السابق، ص 131، 154.

(3) ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي، الروح، تحقيق ودراسة الدكتور السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1994، 70-71، بتصرف يسير.

(4) المصدر السابق، 97-98.

الكبير ابن سينا عندما ذكر أن: «الموت ما هو إلا فصل أو فراق الروح عن الجسد»<sup>(1)</sup>. وبذلك بطل قول الشيخ حسن تحسين في ما ذهب إليه في هذه المسألة والله أعلم.

والصحيح والصواب في هذه المسألة أن للروح<sup>(2)</sup> وجوداً وكياناً مستقلاً، ولكن لا ندرى ولا نعلم كيفية ذلك، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ (الإسراء: 85).

### المطلب الثاني: موقفه من نزول المطر

ثم إنهم لم يلبثوا في المجلس ذاته حتى فتحوا حديث نزول المطر، وما الذي يسبب ذلك؟ فما كان من الحاضرين إلا أن أجابوه بالجواب السابق نفسه، بأن ذلك يحدث بأمر الله تعالى، وأن نزول الغيث هو رحمة من الله تعالى لعباده. فرد الشيخ حسن تحسين هذا الرأي قائلاً:

«ظاهرة نزول المطر مثل بقية الظواهر الطبيعية الأخرى، هي من نتاج القوانين الطبيعية»<sup>(4)</sup>، ثم شرع الشيخ حسن تحسين في بيان كيفية تشكل وتكوّن المطر والثلج والبرد والندى. ثم حاول أن يبرهن على مقولته، بإجراء بعض التجارب في داخل الغرفة التي كانوا يجلسون فيها. فأتثناء إجراء التجربة الكيماوية في الغرفة بواسطة بعض الآلات والمواد التي أحضرها، بدأت تتشكل على سقف الغرفة قطرات الماء من البخار وبدأت تتساقط تلك القطرات على رؤوس الجالسين.. فلما رأوا ذلك بدأ الحاضرون يستعيذون بالله تعالى وينفخون يمنة ويسرة ويقولون: نعوذ بالله من الشيخ حسن تحسين الضال والمضل والمرتد، لعنه الله. بينما كان الشيخ حسن تحسين يتسمم مع الذين أعجبوا بتصرفاته»<sup>(5)</sup>.

(1) Iljazi, Ali, *Kur'ani dhe shkenca bashkohore*, Gjakove, 2000, 455.

(2) للمزيد عن الروح وحقيقته انظر أيضاً: حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد المسمى تحفة المرید علی جوهرة التوحيد، تحقيق: علي جمعة محمد الشافعي، جامعة الأزهر، دار السلام، ط 1، 2002، 266-269.

(4) المصدر السابق، بحث مقدم من الباحث إبراهيم داود خوجة (Ibrahim Daut Hoxha)، ص 131.

(5) المصدر السابق، ص 132.

وهذا المعتقد من الشيخ أيضاً تنقضه الآيات الكثيرة والصريحة في القرآن الكريم، التي تنص على أن نزول الغيث هو من رحمة الله تعالى، يسوقه متى يشاء وعلى من يشاء من عباده، وفي أي مكان كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: 34).

وقد ورد في بعض الآيات الكريمة الرد القاطع والبرهان الساطع على خلاف ما ذكره الشيخ حسن تحسين من أن نزول الغيث، وإرسال الصواعق وغيرها من الأمور الطبيعية، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يَرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (12) وَيَسِيحُ الرِّعْدَ بِحُمَدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ (الرعد: 12-13)، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (48) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ (الفرقان: 48-49). ووجه الاستدلال من الآيات، هو أنها قررت جملة من الحقائق:

الأولى: أن الله تعالى هو الذي يارادته وقدرته يري لنا البرق، فنسب الفعل إليه سبحانه. الثانية: أن الله -جلّ وعلا- هو الذي يرسل الصواعق بعظمته وقدرته وجلاله، وليست الطبيعة الصماء التي ترسل ذلك، فقد نسب فعل الإرسال إليه سبحانه وتعالى. الثالثة: أن هذه الصاعقة بأمر الله تعالى تصيب من يشاء، وأنها بأمر الله تعالى أيضاً تنصرف عن من يشاء، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ ۗ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (43) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (النور: 43-44). الرابعة: أن الله تبارك وتعالى هو الذي أنزل وينزل من السماء الماء، فنسب فعل الإنزال أيضاً إليه سبحانه، وليس إلى الطبيعة، كما توهم ذلك الشيخ حسن تحسين ومن نهج نهجه.. وأعتقد أن هذه الآيات البيّنات واضحة وضوح الشمس لإبطال مزاعم القائلين

بخلافها، وأن ما قيل في هذه المسألة يقال في كل المسائل التي ذكرها الشيخ حسن تحسين، والتي تخالف صراحة نصوص القرآن والسنة، والله أعلم.

### المطلب الثالث: موقفه من حدوث الصاعقة

وفي يوم من الأيام صادف وجود الشيخ في القرية نفسها في ألبانيا، فإذا بالجو يتغير والسماء تتلبد بالسُّحب، فيبدأ المطر بالنزول وتحدث الصواعق والبرق، فبدأ أهل تلك القرية يستعيذون بالله تعالى لكي يصرفها عنهم، لأنها ربما تأتيهم بالعذاب بسبب اعتقادهم أن الله تعالى يرسل تلك الصواعق على المذنبين والفاستقين من عباده، وأن الله تعالى كان يخوفهم بذلك. كما أنهم اعتقدوا أن الصاعقة هي عبارة عن قطعة حديدية ملتهبة نازلة من السماء، أو أنها قطعة حجر ملتهب تنزل من السماء. فلما رأى الشيخ حسن تحسين أنهم يدعون الله تعالى ويتهلون ويتضرعون إليه لكي يصرفها عنهم قال لهم:

ماذا تعملون؟ لماذا تدعون الله وتتضرعون إليه؟ فأجابوه حتى يصرف الله هذا السوء عنا! قال لهم الشيخ: ومن الذي سيجبر الله تعالى على ذلك؛ أي على تحقيق رغبتكم واستجابة دعوتكم؟ قالوا: لا أحد، إنما هو الله تعالى بفضله وكرمه. قال لهم الشيخ حسن تحسين: ليس لله دخل في إرسال تلك الصاعقة أو منعها أو صرفها عنكم! قالوا له: فمن غير الله إذن؟ أجاب الشيخ لهم: الآلات والطبيعة، هي التي تسبب الصاعقة وهما مصدر الصاعقة! قالوا: عجباً لك يا أيها الشيخ، ماذا تقول؟!!

ثم قال الشيخ لهم: الآن أنا سأبرهن لكم على ما أقول. وقد صادف في أثناء كلامه أن يكون هناك حمار على بعد خطوات منهم يركب الحشيش وعلى ظهره سرج، فقال الشيخ لهم: هل ترون ذلك الحمار هناك؟ قالوا نعم. قال: فانظروا كيف أوجه الصاعقة لتقتل ذلك الحمار. افعل ذلك، صاح أحد الحاضرين، فإنه مُلك لي. فما كان من الشيخ إلا أن ذهب وربط قطعة حديد على سرج ذلك الحمار! فإذا بالبرق والصواعق تعود مرة أخرى، وبعد لحظات إذا بالصاعقة تصيب الحمار وتقتله في الحال. فلما تم ذلك قال الشيخ لهم: هل تعتقدون الآن أن

الله لا يرسل الصاعقة؟ فما كان من الحضور إلا أن انصرفوا مندهشين من تصرفات الشيخ حسن تحسين. وأنا أندعش أيضاً مع هؤلاء الحضور من تصرفات الشيخ حسن تحسين<sup>(1)</sup>!

### المطلب الرابع: من ابتكاراته واكتشافاته العلمية الفلكية

الشيخ حسن تحسين بجانب تلك التصرفات العجيبة كما عرفنا عنه، فإنه أيضاً كان عالماً فلكياً كبيراً. ففي أحد مؤلفاته عن علم الفلك والهيئة، ذكر أنه كان أول من اكتشف أربعة أنواع أو نماذج من دوران الكواكب حول الشمس، وأن الشمس مركز ومحور رئيسي لتلك الكواكب: (Sistemi Heliocentrik)، أو ما يسمى «المجموعة الشمسية». وقال الشيخ حسن تحسين: «إن العلم الحديث لم يعرف عن هذه الحقيقة شيئاً إلى وقت لاحق، مع أن القرآن الكريم تحدث عنها قبل اثني عشر قرناً بشكل قطعي ورائع قائلاً: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ۚ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (38) وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (39) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس: 38-40)»<sup>(3)</sup>.

---

(1) المصدر السابق، ص 132-133، نقل هذا الخبر الباحث المؤرخ (Ibrahim Daut Hoxha) من بعض الشخصيات الذين عاصروا الشيخ حسن تحسين، راجع أعمال المؤتمر للوقوف على مزيد من التفاصيل.

(3) المصدر السابق، بحث مقال مقدم من الباحث الدكتور رامز زكاي، 59-60. وللمزيد عن حياة الشيخ حسن تحسين انظر:

Kondi, Sejdi, *Ylli i Camerise Hasan Tahsini-vjersha dhe poezi kushtuar jetes dhe vepres se tij*, Tirane, 1998.

## المبحث الخامس: بيان موقف الشيخ حسن تحسين من الأبجدية العربية

الشيخ حسن تحسين كان يعارض بشدة فكرة تبني الأبجدية العربية، ولم يكن يرضى حتى بالأبجدية اللاتينية المقترحة من الآخرين، فلأجل ذلك ابتكر أبجدية فريدة وخاصة للغة الألبانية، لكن لأسباب كثيرة أصحابه لم يوافقوا على اقتراحه.

أما عن تمسكه بهذا الرأي فذكر أحد الباحثين المعاصرين له واسمه (Jani Vreto)، وهو من نصارى الألبان الأرثوذكس، أن الشيخ حسن تحسين قال لهم بخصوص الأبجدية في معرض رفضه إياها:

«نبينا محمد ﷺ كان عربياً وكان يتحدث العربية، وإن القرآن كُتب باللغة العربية، وأنا قد تعلمت العربية، وقد قرأت القرآن مراراً، وها هو معي الآن. جاء فيه أن الله أرسل إلى كل قوم نبياً على لسان قومه<sup>(1)</sup>، وفيه أيضاً أن الله أرسل إلى كل قوم أنبياء متعددين<sup>(2)</sup>، وفيه أيضاً أن من آيات الله الكبرى خلق السماوات والأرض والألسن الكثيرة المختلفة والألوان المتعددة<sup>(3)</sup>، وأن الكتب المقدسة قبل القرآن مثل العهد القديم كان أصله مكتوباً باللغة العبرية، وأما العهد الجديد فقد كُتب باللغة اليونانية، ومع ذلك فإن هذه الكتب لا تزال موضع احترام وتقدير وتقديس لدى الناس. ها هو القرآن بين أيديكم وها هي المواضع -الآيات والسور- المشار إليها التي ذكرتها لكم، فمن يعرف منكم العربية فليقرأها ولتأكد منها ومن صحة ما أقول. وهكذا فإن القرآن يعتبر جميع اللغات متساوية، وإن أبجديات تلك اللغات المذكورة هي محترمة ومقدرة. على المسلمين أن يتعلموا اللغة العربية لغرض تلاوة القرآن الكريم بالأصل

(1) الكاتب لم يذكر نص القرآن، ولعله يشير إلى قوله تعالى: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم)، (إبراهيم: 4).

(2) لعله يشير إلى قوله تعالى: (إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) (فاطر: 24).

(3) يشير إلى قوله: (ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين) (الروم: 22).

أي باللغة العربية، ومن ثم عليهم - أن يترجموا ذلك الكتاب لهؤلاء الذين ليس بإمكانهم فهم وتعلم اللغة العربية»<sup>(1)</sup>.

### المطلب الأول: تعقيب الباحث على هذه المسألة

وقد ذكرت في ما سبق، أنه بالرغم من كثافة الضغوط السياسية العالمية الاستعمارية لتغيير الأبجدية العربية وتبني الأبجدية اللاتينية، ورغم احتجاجات علماء الألبان واستدلالهم بالآيات القرآنية كما رأينا عند الشيخ حسن تحسين، واستدلالهم بالحجج العقلية كما رأينا عند الشيخ الحافظ علي كورتشا، وتحمل الأذى الشديد في سبيل نشر وتعليم الأبجدية اللاتينية الألبانية كما سنرى عند الشيخ الحافظ إبراهيم داليو.. أقول: تلك كانت اجتهاداتهم ومواقفهم تجاه تلك القضية الراهنة في عصرهم، إلا إن فضل اللغة العربية لكونها لغة القرآن ولغة نبي الإسلام، أقول: يبقى لها فضلها وهيمتها وأفضليتها على سائر اللغات والأبجديات العالمية. وهذا لا يعني نبد اللغات العالمية الأخرى وكرهها، كلا، إن الله تبارك وتعالى خلقها لتكون وسائل للتخاطب والتعارف للشعوب العالمية، ويبقى فضل اللغة العربية بسبب كون القرآن نزل بهذه اللغة، وأن الرسول الذي بلغ إلينا هذا القرآن هو عربي هاشمي قرشي. فأفضلية اللغة العربية تكون بهذا المعيار، وهذا لا يعني قطعاً أن العرب أفضل من العجم، والآية القرآنية في سورة الحجرات قد حسمت لنا هذه القضية ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ (الحجرات: 13)، والله أعلم.

«وسبب ما اختصوا به من الفضل والله أعلم، ما جعل الله لهم من العقول والألسنة والأخلاق والأعمال، وذلك أن الفضل إما بالعلم النافع وإما بالعمل الصالح. والعلم له مبدأ وهو قوة العقل، الذي هو الفهم والحفظ، وتمام قوة المنطق الذي هو البيان والعبارة. فالعرب هم أفهم وأحفظ وأقدر على البيان والعبارة، ولسانهم أتم الألسنة بيانا وتمييزا للمعاني. وأما

(1) المصدر السابق، ص 75-76.

العمل فإن مبناه على الأخلاق؛ وهي الغرائز المخلوقة في النفس، فغرائزهم أطوع من غرائز غيرهم. فهم أقرب إلى السخاء والحلم والشجاعة والوفاء من غيرهم، ولكن حازوا قبل الإسلام طبيعة قابلة للخير معطلة عن فعله، ليس عندهم علم منزل ولا شريعة مأثورة، وما اشتغلوا ببعض العلوم بخلاف غيرهم، فإنهم كانت بين أظهرهم الكتب المنزلة وأقوال الأنبياء فضّلوا الضعف عقولهم وخبث غرائزهم. وإنما كان علم العرب<sup>(1)</sup>، ما سمحت به قرائحهم من الشعر والخطب أو ما حفظوه من أنسابهم وأيامهم أو ما احتاجوا إليه في دنياهم من الأنواء والنجوم والحروب، فلما بعث الله محمدا ﷺ بالهدى تلقفوه عنه بعد مجاهدة شديدة، ونقلهم الله عن تلك العادات الجاهلية التي كانت قد أحالت قلوبهم عن فطرتها، فلما تلقوا عنه ذلك الهدى زالت تلك الريون عن قلوبهم فقبلوا هذا الهدى العظيم وأخذوه بتلك الفطرة الجيدة، فاجتمع لهم الكمال بالقوة المخلوقة فيهم. والكمال الذي أنزله الله إليهم، بمنزلة أرض طيبة في نفسها لكن هي معطلة عن الحرث أو قد نبت فيها شجر العضاء والعوسج وصارت مأوى الخنازير والسباع، فإذا طهرت عن ذلك المؤذي من الشجر وغيره من الدواب وازدرع فيها أفضل الحبوب أو الثمار جاء فيها من الحب والثمر ما لا يوصف مثله، فصار السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار أفضل خلق الله سوى الأنبياء، وصار أفضل الناس بعدهم من أتبعهم

(1) وما ذكره شيخ الإسلام وغيره من بعض الآثار عن فضل العرب ومحبتهم، مثل: «أحبوا العرب لثلاث: لأنّي عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي. وفي لفظ وكلام أهل الجنة في الجنة عربي»، قال الإمام العجلوني: «رواه الطبراني والحاكم والبيهقي وآخرون عن ابن عباس مرفوعاً بسند فيه ضعف، ورواه الطبراني أيضاً عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ أنا عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي، وهو مع ضعفه أقوى من حديث ابن عباس. وأخرجه أبو الشيخ بسند ضعيف أيضاً عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ أحبوا العرب وبقاءهم فان بقاءهم نور في الإسلام، وإن فناءهم ظلمة في الإسلام. ورواه الدارقطني عن ابن عمر بلفظ حب العرب إيمان وبغضهم نفاق». انظر: المكتبة الألفية للسنّة النبوية، على (قرص سي دي)، من جمعية إحياء التراث العربي، عمان - الأردن؛ كتاب: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، تحقيق: أحمد القلاش، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط4، 1405هـ ج1، ص414-415.

بإحسان - رضي الله عنهم - إلى يوم القيامة من العرب والعجم، والله سبحانه أعلم والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين وسلم تسليماً<sup>(1)</sup>.

وهذا الذي ذكرناه من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية إنما هو اجتهاد منه حول هذه المسألة. ولا بد هنا أيضاً من بيان هذه الحقيقة، بأن أفضلية أمة ما على أخرى على أساس عرقي أو لغوي إذا هي لم تعمل بشريعة الله المنزلة ولم تستمسك بالسنة النبوية الصحيحة، ليس من الإسلام في شيء. أفضلية أي أمة ما أو خيريتها إنما تأتي من مدى تمسكها بشريعة الله تعالى وقيامها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سواء في ذلك العرب وغيرهم، والله أعلم.

## المبحث السادس: مناقشة مواقف الشيخ حسن تحسين والرد عليه باختصار

فهذه هي بعض مواقف هذا الشيخ المستغرب والمتنور، وقد رأينا بوضوح اتجاهه ومنهجه الفلسفي شبه الإلحادي في تفسير وتعليل بعض القضايا والظواهر الدينية والعلمية. ولا تخفى خطورة هذا المنهج الفلسفي في محاولته إقصاء الوحي عن العقل في سلب ونفي صفة من صفات الله تبارك وتعالى ألا وهي صفة الربوبية لله تعالى، التي أحد معانيها التدبير لشؤون الغير والقيام بمصالحه، أي أنه تعالى بعد أن يخلق الخلق يتكفل بالرزق والرعاية لهم. وهذا هو معنى أن الله تعالى هو رب الناس، أي مدبر شؤونهم ومصالح حالهم. والله تعالى حينما خلق الخلق لم يتركهم سدى على رحمة الطبيعة الجامدة وعلى نظامها وقوانينها، كما قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ (السجدة: 7)، وقال تعالى: ﴿والذي قدر فهدى﴾ (الأعلى: 3)، وكما جاء على لسان موسى وفرعون: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ (51) قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ۖ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (52) الَّذِي

(1) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم أبو العباس: جامع الرسائل، ت: محمد رشاد رفيق سالم، مصر، د. ط.، د. ت، ج 1، ص 287، وانظر لهذا المرجع المهم أيضاً: صبري، مصطفى، مختصر موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين ورساله، المسمى: القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون، دار السلام، مكتبة النور، د. ط.، 1186، ص 115-117، من قال «أنا عربي أو تركي أولاً ثم مسلم كان استهانة بالنبوة».

جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّىٰ (53) كُلُّوا وَارْزُقُوا أَنْعَامَكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ ﴿طه: 51-54﴾. وفي شأن تعميم الرزق وتوزيعه للخلائق يقول تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾ (هود: 6).

كيف يمكن لفلسفة أن تستقيم وكيف يمكن لشيخ مثل حسن تحسين أن يقول إن الله تعالى هو الموجد للخلق، ثم كل شيء يتوقف ويسير طبق القوانين البيولوجية والفيزيولوجية الخاصة بالطبيعة، وقد قال تعالى: ﴿لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾ (سبأ: 3)، فالكل في علم الله تعالى حتى الذرة.

كيف يمكن أن يُقبل رأي يقول بأن الطبيعة لها قوانينها الخاصة في النمو والحركة، وهي خارجة عن علم الله وقدرته وإرادته، والله يقول: ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ (الأنعام: 59). كل شيء معلوم في علم الله، حتى ورقة الشجرة التي تسقط، فإنها لم تسقط إلا بعلمه تعالى وإذنه، ولا تسقط تلقائياً لأن لها رباً وخالقاً جل في علاه.

من الذي يحيي الأرض أو الطبيعة الميتة بنزول المطر؟ هل هي تحيا وتربو بنفسها؟! وهل بنفسها تخرج رزقها وثمرها من جوفها دون أن يكون هناك عامل ودافع آخر، وأقصد بذلك قدرة الله -عزَّ وجلَّ-؟! فإن قالوا نعم، فيها ونعمت، وإن قالوا لا، فلا شأن لنا بهم، قد بدا بيننا وبينهم البغضاء والعداوة إلى يوم القيامة، ولا حجة بيننا وبينهم، ولنا أعمالنا ولهم أعمالهم، ونحن منهم براء لأنهم أنكروا آيات كثيرة من القرآن الكريم تُثبت خلاف ما يزعمون ويعتقدون. فمنها قوله تعالى في سورة فصلت: ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير﴾، (فصلت: 39)، وقال تعالى: ﴿وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾ (الحج: 5). وتأمل معي أيضاً هذه الآيات البيئات والحجج الدامغة، ثم قل لي بربك هل تحس شيئاً أو هل تفهم أن بوسع الطبيعة أن تتولى تدبير نفسها بنفسها دون الله عز جل، قال

تعالى: ﴿وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد وفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ (الرعد: 4).

حقاً فإن القائلين بتلك النظرية من أن الطبيعة الجامدة تتولى شؤون نفسها بنفسها ونظامها، هؤلاء قوم لا يعقلون، لأنهم لو عقلوا قليلاً لرأوا تهافت وسخافة المذهب الذي اتتموا إليه، والله أعلم.

ولا يسمح لنا المقام أن نورد هنا آيات أخرى من القرآن الكريم تدحض وتفند تلك الآراء الفلسفية المادية الجافة والبعيدة عن الحقيقة. وكان الهدف مما سبق التعرف على رائد هذا المنهج المنحرف لدى الألبان، وحسبنا بهذا القدر، وأخالني أني قد أتيت ببعض ملامح وسمات هذا المنهج، وما من شك أنه منهج لا يصلح الاعتماد عليه في فهم الحقائق القرآنية الكريمة والتعامل معها.

إذن قد تعرفنا في هذا المبحث على الخلفية التاريخية لهذا الاتجاه أو هذا التيار في العصر الحديث، ولا شك أنه قد وُجدت هناك كتابات وبحوث لباحثين آخرين من علماء الألبان الذين تناولوا هذا الجانب الدراسي، وكانت أكثر أنصافاً وأقرب إلى الحقيقة والموضوعية، ولم تكن تتسم بالانحراف والإلحاد، بالرغم من أنهم عاشوا المرحلة نفسها والظروف نفسها التي عاشها الشيخ حسن تحسين فيها، لكن الفرق بينهم وبينه، أن الشيخ حسن تأثر بالفلسفة الغربية الفرنسية، بينما هؤلاء ظلوا سالمين في عقائدهم وأفكارهم ولم يتأثروا بها، مثل الباحث والمستشرق الألباني الكبير، حقي شاروفي (Haki Sharofi)، الذي عاش في بدايات القرن العشرين، والذي قال: «دراسة العلوم الطبيعية ليست قضية محرمة في منظور القرآن، بل هي واجبة، لأن الذي يعرف الله تعالى أو يتعرف عليه عن طريق الآثار والآيات الدالة في الكون، يكون أفضل وأشرف من الذي يتعرف عليه عن طريق التقليد وهو أعمى»<sup>(1)</sup>.

(1) انظر الأعمال الكاملة للمؤتمر العالمي الذي عُقد في ألبانيا إحياء لذكرى الأستاذ الكبير حقي شاروفي:

*Haki Sharofi dhe Veprat e Tij*, Kumtesa, shkrime origjinale dhe perkthime, Botime te A.I.I.T.C. Tirane, 2000, 40.

وكما قال الفيلسوف والمستشرق<sup>(1)</sup> الألباني الكبير فريد وكوبولا (Ferit Vokopola)، وهو بصدد حديثه عن الفكر الإصلاحى وتحريم المرأة، إذ لم يذهب ذلك المذهب المنحرف أو المندهش بالحضارة الغربية الفرنسية كما ذهب الشيخ حسن تحسين، فقال: «عقيدتي الإسلامية هي مصدر الحضارة ومنبعها، ورأس المال وثمرته، مُعَلِّمُ الإنسانية، رائد التقدم والازدهار، مشجع وأمر لطلب العلم والمعرفة، عمدة الخُلُق والتربية، مبدد الجهل والظلام. ونحن مطالبون بإصلاح هذه الدنيا واستعمارها، كما نحن مطالبون بإصلاح الأعمال للحصول على السعادة الأخرى»<sup>(2)</sup>.



العالم والمستشرق واللغوي الألباني المشهور فريد وكوبولا Ferit Vokopola

(1) ملاحظة هامة: عندما نطلق كلمة «الاستشراق» أو «المستشرقون» الألبان، يجب ألا يتبادر إلى الأذهان معنى الاستشراق الذي عند الغربيين. معنى الاستشراق في العصر الحديث عند الألبان يعني الذي درس وأتقن اللغات الشرقية الثلاث من عربية وتركية وفارسية، ومن لهم جهود كبار في نقل وترجمة التراث الأدبي العربي والفارسي أو التركي. ولا يتبادر إلى الأذهان من الاستشراق الألباني ذلك المعنى الخبيث الذي عند جمهور الغربيين الذين درسوا اللغة العربية أو الفارسي بقصد التشويه والدس في نصوص القرآن والسنة. فالاستشراق عند الألبان له لون ومعنى مشرق ونزيه، بخلاف الاستشراق الغربي، والله أعلم.

(2) Haki Sharofi dhe Vepra e Tij, 58-59.

كان هدفنا من هذا الكلام هو إثبات وجود شخصيات علمية استشرافية في العصر الحديث عاشت نفس الظروف والتحديات التي عاشها الشيخ حسن تحسين، لكنها لم تنهج ذلك المنهج الفلسفي الغربي المنحرف الذي انتهجه الشيخ حسن تحسين، ولعل ذلك بسبب اختلاف الأجواء العلمية التي عاشت فيها. فهؤلاء المنصفون عاشوا في ظل الأجواء العلمية الألبانية الإسلامية الطاهرة، بينما عاش الشيخ حسن تحسين في ظل جوٍّ علمي فاسد، مضطرب وعفن، والله أعلم.

## الفصل الثاني

الاتجاه العلمي التجريبي المتمثل في دراسات الدكتور

الطبيب علي فخري إلياسي (Ali Fahri Iljazi)



الطبيب الاستشاري للأمراض الباطنية علي فخري إلياسي

### الخلفية التاريخية لهذا الاتجاه

نود في هذا الفصل أن نتعرف على منهج علمي آخر غير المنهج الفلسفي الأول الذي برز في كتابات العلماء والباحثين الألبان عند تناولهم للدراسات القرآنية. هذا المنهج العلمي أو الاتجاه العلمي التجريبي مقارنة بالأول، هو أقرب إلى الحقيقة والصواب. بلغ هذا المنهج في التعامل مع النصوص القرآنية ذروة سنامه في كتابات علماء الألبان في العقد الأخير من هذا القرن. إلى ما قبل بضعة أعوام لم يؤلّف أحد في هذا المجال، إلى أن برز الأستاذ الدكتور والطبيب المشهور المختص بالأمراض القلبية والأمراض الباطنية، الألباني الكوسوفي علي فخري إلياسي.

والدكتور علي إلياسي له جهود مضمينة في هذا المجال، وهو ما زال على قيد الحياة، وهو شخصية علمية كبيرة. وقد أُلّف قبل عامين كتابه المشهور والكبير بعنوان «القرآن والعلم الحديث»<sup>(1)</sup>، (Kur'ani dhe Shkenca Bashkohore) هذا الكتاب يمكن أن نقول إنه كتاب تفسير مختصر موضوعي للآيات المتعلقة بقضايا خلق الإنسان وخلق الكون والظواهر الطبيعية الأخرى. هنا تكمن أهمية هذا الكتاب، وسبب تناولنا له بالدراسة والتحليل. ونحن إن شاء الله تعالى سنعرض على بعض فقرات وموضوعات هذا الكتاب بغرض التعرف على منهج المؤلف الذي سار عليه في تفسيره لبعض الآيات القرآنية المتعلقة ببعض الموضوعات العلمية العصرية. يأتي هذا الكتاب كحلقة وصل وتوسيع للكتاب الذي أُلّفه قبل أربعة أعوام بعنوان (Aspekte Shkencore ne Kur'an)، مظاهر علمية في القرآن الكريم.

## المبحث الأول: التعريف بالدكتور علي فخري إلياسي، حياته، تعلمه، ومؤلفاته

ولد الأستاذ الدكتور علي فخري إلياسي في مدينة جاكوفا (Gjakova) بجمهورية كوسوفا الحالية عام 1949. وهو ينحدر من أسرة متدينة تدينًا شديدًا ومثقفة ثقافة عالية. خرج من نسل هذه العائلة أكثر من عشرين داعية، وسبعة علماء ومدرسين كبار. آخرهم وفاة كان والده الشيخ الحافظ والمدرس الكبير فخري إلياسي أفندي. أنهى الأستاذ الدكتور علي فخري إلياسي مدرسته الابتدائية والثانوية في بلده بتقدير ممتاز. ثم واصل دراسته الجامعية في جامعة سرايفو، كلية الطب، وتخرج بتقدير مرتبة الشرف الأولى. وحصل على الإجازة والشهادات التذكارية والتقديرية الكثيرة، والميدالية الذهبية وجائزة مالية. ثم واصل دراسته التخصصية في الجامعة نفسها حتى أنهاها بتقدير امتياز أيضًا سنة 1979. ثم واصل دراسة الماجستير والدكتوراة في مدينة نوفي ساد (Novi Sad) في يوغسلافيا السابقة وذلك بين العامين 1981 - 1988، ونجح بتقدير امتياز متخصصًا في الأمراض الداخلية والرئوية. وفي عام 1987 حصل على الترقية

(1)Gjakove, Kosova, 2000.

وُلِّقَ باللقب الطبي العالي (Primarius) من قبل وزارة التربية والثقافة في جمهورية كوسوفا. طُبِعَ له حتى الآن في المجالات الطبية المختلفة أكثر من ثمانين مقالا وبحثا علميا<sup>(1)</sup>. شارك في العديد من المؤتمرات العالمية التي عُقدت في كثير من مدن يوغسلافيا السابقة. وله كتاب مشهور في الطب في الأمراض الرئوية. بجانب ذلك، كان له اهتمام كبير بتفسير القرآن العلمي، وطبع له في هذا المجال أكثر من سبعين بحثاً ومقالاً علمياً في المجالات الإسلامية في جمهورية كوسوفا ودولة مقدونيا. وله عدة مؤلفات أخرى مثل:

- (Agjerimi nga aspekti medicinal) الصوم من الناحية الطبية.
- (Aspekte shkencore ne Kur'an) مظاهر وقضايا علمية في القرآن.
- (Kur'ani dhe shkenca bashkohore) القرآن والعلم الحديث.
- (Mrekullia dhe komentimi i Kur'anit ne driten e njohurive shkencore)، الإعجاز وتفسير القرآن الكريم في ضوء المعارف العلمية<sup>(2)</sup>.

والباحث في دراسته لمنهج الدكتور علي فخري إلياسي سيكون جل اعتماده على هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

هذا بالإضافة إلى العديد من المحاضرات العلمية والدينية التي ألقاها شفويًا في المناسبات المختلفة في المساجد، لا سيما في شهر رمضان المبارك. وفي الوقت الحالي يشغل الدكتور علي منصب الخطيب تطوعاً منه في أحد المساجد المركزية في مدينة جاكوفا (Gjakova) في كوسوفا، إضافة إلى ممارسة مهنته الطبية في المستشفى الحكومي وفي عيادته الخاصة. وقد جمع حوله الشبان المسلمين والمثقفين من الطبقات المختلفة، وله أسلوب دعوي جذاب.

---

(1) انظر المجلة الإسلامية والفلسفية والثقافية بعنوان: (Frymezimi) الإلهام، الأعداد من 1-10، وتصدر في مدينة الأستاذ الدكتور علي فخري إلياسي، وهو المشرف عليها والمحرر الرئيسي فيها، لتقف على بحوثه ومقالاته حول الموضوعات المختلفة، إذ ركز على إبراز إعجاز القرآن وفضله في تلك الموضوعات المعالجة علمياً.

(2) هذه الترجمة عن حياة الأستاذ الدكتور علي فخري إلياسي كتبها بخط قلمه في منزله في مدينة جاكوفا عندما زرته وأجريت هذا الحوار معه، وناقشته في بعض القضايا العلمية في يوم 28/07/2001، وقد زدوني ببعض المصادر والمراجع العلمية في ما يتعلق بموضوع رسالتي في مجال تفسير القرآن علمياً.

أما عن قدرته العلمية على تفسير القرآن الكريم، فهو مع شدة احترامي وتقديري البالغ له، ومن خلال ما رأيته ولاحظت عنده أثناء لقاءاتي وأحاديثي الكثيرة معه، ونظراً لاختلاف تخصصه الأصلي، فإن هذا الجانب عنده يأتي مكماً لتخصصه الأصلي في الطب، وإيماناً منه بقيام واجب التبليغ والدعوة لخدمة كتاب الله تعالى. ولعل ذلك من آثار التربية الإسلامية الصحيحة التي تلقاها عن والده الشيخ العلامة فخري أفندي إلياسي. فإذا ما فهمنا هذه الحقيقة، نستطيع أن نقول ونقرر إن الدكتور علي فخري إلياسي لم يدرس في المدارس والكلية والجامعات الدينية حتى يكتسب العلوم الشرعية والعربية، ويتعرف على مناهج المفسرين القدامى والمحدثين، فمن الطبيعي جداً أن يحس بالحاجة الماسة إلى التعمق في علم اللغة العربية من نحو وصرف وبيان ومعانٍ وبديع، وفي علم الحديث وعلم المصطلح، والقرآن وعلومه، والفقه وأصوله، مع أنه يملك مصادر عربية أصيلة من الكتب الدينية والتفاسير المختلفة وكتب التصوف والأخلاق وغيرها من المصادر التي رأيتها في مكتبته الخاصة، والتي ورثها عن أبيه. إن اهتمام الدكتور علي فخري إلياسي بتفسير القرآن الكريم تولد من خلال قراءته ومطالعاته للكتب والبحوث الكثيرة المتنوعة للعلماء والباحثين المحدثين من الغربيين أو العرب المسلمين بمختلف اللغات الأصلية والمترجمة، في مجال التفسير العلمي للقرآن الكريم. أضف إلى ذلك اهتمامه الخاص وإمامه بتعلم اللغة العربية وعلوم الشريعة حتى الآن. هذه هي بعض المقومات والمرتكزات العلمية التي انطلق منها الدكتور علي فخري إلياسي لتفسير آيات من كتاب الله على ضوء علمي عصري حديث، والله أعلم.

## المبحث الثاني: أسس التفسير العلمي لدى الدكتور علي فخري البياسي ونماذج من تفسيره وتعليقاته على الآيات القرآنية

وردت في مقدمة كتابه «القرآن والعلم الحديث» عدد من القضايا المهمة التي ناقشها المؤلف وحاول من خلالها أن يضع المقدمات والمرتكزات لكي يبنى عليها نتائج في ما بعد. وطبيعة هذه المقدمات هي الاستدلال على وجود المنهج العلمي الحديث وصحته كوسيلة جديدة يُفهم على ضوءها بعض الآيات القرآنية ذات الدلالات العلمية.

كان استهلال المؤلف لمقدمته بقوله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ (فصلت: 53)، ذكر المؤلف بعدها جملة من الأمور. ونحن سنقف على أهم النقاط التي ذكرها لكي نستقي منها منهجه، وقد قال فيها:

«حقاً، من يتوجّه لدراسة هذا القرآن الكريم بشيء من الجدية والإخلاص، متحرراً من القيود الفكرية المظلمة السابقة، فإنه سيكتشف كنزاً ذهبياً، وسيفهم الحقيقة الروحية والثقافية والحضارية التي جاء بها. وإنني أؤكد أولاً وقبل كل شيء أن القرآن الكريم ليس كتاب علم يُبحث فيه عن تفاصيل وجزئيات العلم. فهو كتاب الله تعالى، خالق الكائنات، فمن المعقول أن يبحث هذا الكتاب عن مسائل الخلق والنظام الدقيق في هذا الكون الفسيح، وهذا التناسق العجيب في الأرض والبحار والمحيطات وفي ذات الإنسان، كما قال تعالى: ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار﴾ (آل عمران: 190)»<sup>(1)</sup>.

ثم تعرض إلى بيان بعض المسائل المهمة التي تحدّث عنها القرآن قبل أربعة عشر قرناً إما تلميحاً وإما تصريحاً. فالقرآن تحدث عن خلق الكون منذ أن كان كتلة نارية، وعن المجرات والنجوم والمذنبات والمجموعة الشمسية، والأرض والقمر، وعن مراحل خلق الإنسان، وعن

(1) Iljazi, Ali, *Kur'ani dhe shkenca bashkohore*, 7.

أنواع النبات والحيوان، وعن دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس، وعن مبادئ الأخلاق الإنسانية والاجتماعية، وغيرها من القضايا<sup>(1)</sup>.

وقد دافع المؤلف عن مذهب القائلين بأن القرآن الكريم لم ينزل ليكون كتاب علم للفلك والجغرافيا والكيمياء والطب وغير ذلك، وإنما نزل ليكون كتاب إيمان بالله تعالى وهداية للناس أجمعين. وفي الوقت الذي برر ودافع فيه عن هذا الجانب الأساسي، فقد برر ودافع عن الذين يقولون بأن هناك قضايا علمية كثيرة في القرآن، قائلاً: «وكذلك نؤمن بأن هناك كثيراً من القضايا العلمية والإعجازية التي تحدث عنها القرآن منذ زمن بعيد، والعلم الحديث ما زال عاجزاً عن فهم أو إدراك تلك الحقائق»<sup>(2)</sup>.

أما عن ضبط تعريف للعلم والنظرية والفرضية، فقد ذكر: «إن العلم هو قضية يمكن تحققها، ينطلق من نظرية أو فرضية يستدل عليها بالأدلة، وتصدقها أو تكذبها التجربة، وكثيراً ما تفشل الفرضيات السابقة ولا يتحقق شيء منها عن طريق التجربة»<sup>(3)</sup>. وفي هذا الصدد بين موافقة الإسلام أو القرآن للعلم وعدم معارضته له، فقد قال إنهما يسيران متساويين كالتوأمين على طريق وخط واحد. اليوم أصبح العلم خير معين لتفهم وتوضيح النص القرآني، فطالما أن الله تعالى هو خالق كل العلوم والمعارف، فإن كتابه سيكون قادراً على مواجهة كل التحديات في كل الأزمان. فهو كتاب معجزة خالدة في هذه الحياة، وإنه يتحدى جميع الناس، وإن الإسلام هو الصديق العزيز والمخلص للعلم والمعرفة، كما بين الله تعالى ذلك: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ (آل عمران: 18)، وكما قال: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ (البقرة: 269).

(1) المصدر السابق، بتصرف، ص 8.

(2) المصدر السابق، ص 8.

(3) المصدر السابق، ص 8.

وصعوبة تفسير القرآن الكريم والخوض فيه لم تكن أمراً خافياً لدى المؤلف. فقد ذكر أن تفسير القرآن الكريم ليس بالأمر الهين، وأن المفسر يجب أن يكون مستعداً بالعلوم الكافية لممارسة ذلك الفن، واستدل على ذلك بكلام الباحث والعالم الفرنسي المشهور موريس بكاي (Maurice Bucaille) الذي قال: «إن كل إنسان يريد أن يفهم القرآن على وجهه الصحيح يجب أن يكون متحلياً بالعلوم الموسوعية»<sup>(1)</sup>.

كانت هذه مقدمة قصيرة من المؤلف قبل أن ينتقل إلى الخلفية التاريخية لهذا الفن ومراحل تطوره منذ عصر الرسول ﷺ إلى الوقت الراهن. فقد ذكر أنه بعد وفاته ﷺ تولى زمام التفسير الخلفاء الراشدون الأربعة، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وابن عباس وغيرهم. وبعد مضي القرون الثلاثة المفضلة، تطور علم التفسير ومرّ بمراحل أخرى مثل: مرحلة التفسير بالمأثور، ثم مرحلة التفسير بالرأي، ثم مرحلة التفسير العلمي. وفي عصر النهضة العلمية في العصر العباسي ظهرت بعض الشخصيات الكبيرة في تفسير القرآن الكريم.

كما أنه في هذه المرحلة برزت شخصيات علمية أخرى في كثير من المجالات الدينية والفلسفية أيضاً، مثل الشيخ الإمام الغزالي والشيخ أبو الفضل المرسي، وفي ما بعد، الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي.

ثم لاحظنا في العصر الحديث شخصيات علمية جديدة في التفسير مثل جوهرى طنطاوي والشيخ محمد عبده. ومن الباحثين نديم الجسر ومصطفى محمود وموريس بكاي وغيرهم<sup>(2)</sup>. بعد هذه المقدمة شرع المؤلف في بيان تعريف للتفسير العلمي وما المراد منه، فذكر قائلاً: إن المراد منه أن يستخدم الإنسان أثناء تفسير القرآن اصطلاحات علمية حديثة أيضاً<sup>(3)</sup>. وإن هذه الحركة التفسيرية وُجدت قديماً في كتابات العلماء في ما عرف عنهم بمسألة «القول في احتواء القرآن لكل العلوم»، سواء من العلوم التي وُجدت في عصرهم أو التي ستوجد أو

(1) المصدر السابق، ص 10.

(2) المصدر السابق، ص 11-12، بتصرف.

(3) هذا التعريف للتفسير العلمي لا يسلم له، كما سنبين ذلك في آخر هذا الفصل.

تكتشف في ما بعد، ورائد هذه الفكرة كان الإمام الغزالي الذي نقل في كتابه «إحياء علوم الدين» قول ابن مسعود -رضي الله عنه-: من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر في القرآن<sup>(1)</sup>. فبعد أن نسب هذا العلم إلى الإمام الغزالي، راح المؤلف يؤصل هذه المسألة بمزيد من كلام الإمام الغزالي الذي قال: «كل العلوم تستقى من بحر واحد، من بحر معرفة الله تعالى. هذا البحر من أفعال الله تعالى، وإن هذا البحر لا ساحل له، ولو كان مداداً لكلمات الله لنفد ولجفَّ البحر قبل أن تنفذ كلمات الله. فمن فعل الله وخلقته مثلاً: الداء والدواء، كما قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ (الشعراء: 80)، هذا البحر الله يعرفه الذي يعرف الطب، لأن الطب يعرف الأمراض عموماً، يعرف علامات المرض ومظاهره وطريقة دوائه والآثار الناجمة عن ذلك»<sup>(2)</sup>.

ثم عقب المؤلف بعد كلام الإمام الغزالي وبنى عليه قائلاً: «إن من فعل الله أو خلقه تحديد المنازل للشمس والقمر، ولا يستطيع التعرف إلى ذلك إلا من ملك زمام المعرفة بهذا العلم، وإن هذا العلم اليوم أصبح علماً قائماً بذاته، مثل علم الفلك وعلم النجوم. ولا يمكن للإنسان أن يفهم قوله تعالى: ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾ (6) الذي خلقك فسواك فعدلك (7) في أي صورة ما شاء ركبك» (الانفطار: 6-8)، على الوجه الصحيح إلا من كان عالمًا في البنية الشكلية للأعضاء (Morfologjia e Organeve) وعلم التشريح (Anatomy)، وعلم الأنسجة العضوية (Histology)».

إن مسألة التفسير العلمي أو مسألة احتواء القرآن لعلوم الأولين والآخرين شغلت الإمام السيوطي أيضاً، فذهب إلى ما ذهب إليه الإمام الغزالي. فقد استهل الإمام السيوطي كلامه في (إتقانه) بقوله تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ (الأنعام: 38)، وقوله تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾ (النحل: 89)، وبعض النصوص النبوية مثل قوله ﷺ: في

(1) المصدر السابق، ص 12.

(2) المصدر السابق، ص 11-12، ولم يشر المؤلف إلى موضع النقل من كتاب الإحياء؛ الجزء والصفحة غير مشار إليهما، وهذا خلل منهجي كبير.

الحديث الذي رواه الإمام الترمذي وغيره: «ستكون فتن، قالوا وما المخرج يا رسول الله، قال ﷺ: كتاب الله تعالى، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم»<sup>(1)</sup>. والحديث الآخر الذي رواه أبو هريرة: «إن الله لو أغفل شيئاً لأغفل الذرة والخردل والبعوضة»<sup>(2)</sup>.

فكل الذي ذكره الأستاذ الدكتور علي إلياسي من كلام الإمام السيوطي وكلام الإمام الغزالي، كان غرضه تعزيز منهجه ومذهبه في هذه المسألة، وتأبيدهما.

ومن العلماء والباحثين المتأخرين الذين احتج المؤلف بكلامهم وآرائهم حول وجود المنهج العلمي في التفسير وصحته، الإمام الشيخ محمد عبده الذي تعرض في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت﴾ (البقرة: 19)، إلى نظرية الكهرباء، وذَكَر الهاتف والقطار الكهربائي<sup>(3)</sup>.

وأيضاً ذكر طرفاً من كلام الدكتور مصطفى محمود الذي ذكر أن:

«في القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على أن الإسلام دين علم وحضارة وتقدم. إن المكتشفات العلمية الحديثة تعيننا كثيراً على تفسير تلك الآيات. الآيات التي تحدثت عن علم الفلك والكون تُفسَّر طبقاً لضوء تلك الاكتشافات العصرية فقط. القرآن الكريم ليس كتاب شريعة أو عقيدة فحسب، وليس فيه الجانب البياني أو البلاغي أو النحوي فقط. إنما القرآن الكريم موسوعة علمية كبرى، اشتمل على مبادئ الأخلاق والسياسة وعلم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ والطب والفلسفة وعلم الأجنحة. ولما حاولت أن أُفسِّر نص القرآن الكريم

---

(1) هذا الحديث بهذا اللفظ لم أجده عند الإمام الترمذي، والذي ذكره الإمام الترمذي في سننه برقم 2195، هو: «باب ما جاء ستكون فتن كقطع الليل المظلم.. بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم»، انظر: السلمي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج 4، ص 487.

(2) المصدر السابق، ص 13، بتصرف، وانظر: الإتقان في علوم القرآن، ج 3، ص 136.

(3) المصدر السابق، 14، بتصرف.

بالرأي والعقل العلمي هوجمتُ وأنكروا عليّ ذلك. طلبوا مني العمامة وشهادة الأزهر، وكأن القرآن نزل ليفسّره هؤلاء، أما غيرهم فليسوا أهلاً لذلك»<sup>(1)</sup>.

يُعبّر الباحث على كلام الدكتور مصطفى محمود ويرى أنه لا يُسلّم له كلياً، لأن الذين طلبوا منه العمامة وشهادة الأزهر، على تقدير صحة هذا الكلام، كان يقصدون أن يكون المفسر قد تعلم وتخرج على أيدي كبار المشايخ في الأزهر الشريف. فالمراد من كلامهم هو العلم الشرعي الصحيح الذي يعين المفسر على فهم كتاب الله تعالى، وليس المراد هو العمامة والشهادة بالذات. العمامة لا تعين على تفسير كتاب الله تعالى ولا تغني من ذلك شيئاً، وإنما هي زي إسلامي معروف، وأما الشهادة فهي تثبت أنك تعلمت وجلست بين أيدي هؤلاء العلماء وأفدت منهم. فالمراد من كلامهم هو التزود بالعلم الصحيح الذي يؤهل صاحبه للحديث في كتاب الله تعالى. والله أعلم.

بعد هذه المقدمة المهمة، بين المؤلف للقراء أن هناك أيضاً جوانب علمية أخرى يمكن التماسها في دراسة القرآن، مثل الجوانب البلاغية، والتصويرية، والإعجازية، والتشريعية، والقصصية، والنفسية، والتركييبية، والتناسقية، والمنهجية، والموسيقية أو الإيقاعية، والجمالية والفنية<sup>(2)</sup>.

فالجانب العلمي هو أحد تلك الجوانب، وهذا هو الذي يهتم المؤلف في هذا الكتاب. فالمؤلف كان موضوعياً في بيانه لتلك الجوانب الأخرى أيضاً، إذ لم يقتصر على إبراز الجانب العلمي فقط من القرآن كما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين الآخرين.

---

(1) المصدر السابق، ص 14، نقلاً عن «القرآن محاولة لفهم عصري»، مصطفى محمود، ولم يشر المؤلف إلى صفحة الكتاب الذي نقل منه، وهذا خلل منهجي كبير لا يغتفر له، لأنه من المستحيل أن أتبع أرقام كل المراجع والمصادر التي نقل منها، هذا ليس من واجبي في هذه الدراسة.

(2) المصدر السابق، 15-19، بتصريف شديد.

ورغم تلك المحاولات البشرية لاكتشاف تلك الكنوز والجواهر والالء من كتاب الله - عزَّ وجلَّ -، فإن القرآن الكريم يظل قرآنًا، فهو كلام الله - عزَّ وجلَّ - الذي هو صفة دائمة له سبحانه، ورسالة خالدة ومنتقنة، خالية من التعارض (1).

ونظرًا لكثرة البحوث العلمية التي وردت في هذا الكتاب، ونظرًا لعمقها وتوسع المؤلف في بعضها، فإنه ليس بإمكانه أن أحلل كل بحوثه، فهذا ليس من واجبي في هذا البحث، لكننا بإذن الله تعالى سنتناول عددًا من البحوث العلمية المهمة التي قدمها الأستاذ الدكتور علي فخري إلياسي، وسنأتي بنماذج ومقتطفات من كلامه لنرى طريقته ومنهجه في الشرح والتفسير، حتى نثبت أنه ينتمي إلى هذا الاتجاه العلمي التجريبي في التعامل مع القرآن الكريم. وأثناء هذا العرض سنبيّن منهجه وطريقته في التفسير ثم نعقب عليه ما شاء الله أن نعقب.

---

(1) المصدر السابق، ص20.

## المبحث الثالث: نماذج تطبيقية من تفسير الدكتور علي فخري إلياسي وتعليقه حول بعض الآيات القرآنية

### المطلب الأول: بيان لبعض مظاهر قدرة الله تعالى

في تعليقه وتفسيره لقوله تعالى: ﴿وفي الأرض آيات للموقنين﴾ (الذاريات: 20)، قال: «هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم تدل على أن الإسلام هو الدين الحق، وأن عظمته تتجلى في كثير من القضايا العلمية، والعلم الحديث هو المجال الخاص لتفسير تلك القضايا. وفي الآيات السابقة ينبه الله -عزَّ وجلَّ- الإنسان لملاحظة تلك الحقائق ودراستها في الأرض وفي نفس الإنسان. لقد ثبت علمياً أن هناك أكثر من مليون ونصف المليون من أنواع الحيوانات المختلفة، وأن هناك أكثر من نصف مليون نوع من النبات على وجه الأرض. فالقرآن الكريم يحث الإنسان دائماً على مواصلة التفكير والتعقل، لأنه ثبت علمياً أن الإنسان يستغل ويستعمل من قدرته العقلية والفكرية 10٪ فقط، فحتى يستغل الإنسان القسم الآخر من فكره وقوة عقله ويستثمره، عليه أن يحرك وأن يوقظ الجزء الآخر من عقله المستور أو غير المستعمل. وهذا العقل المستور يكمن في خزينته 90٪ من القوى العقلية غير المستعملة<sup>(1)</sup>.

### المطلب الثاني: تعليقه على عظمة قلب الإنسان

وفي تعليقه وتفسيره لقوله تعالى: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ (الذاريات: 21)، يقول: «في هذه الآية الكريمة ذات الألفاظ القليلة معان عظيمة، فإن الله سبحانه وتعالى ينبه الإنسان إلى ضرورة ملاحظة آياته ودلائل الخالق -جلَّ وعلا- فيها. فالقرآن يأمرنا أولاً أن ندرس وأن نلاحظ آيات الكون، وإن لم نستطع فعلينا أن ننظر إلى أنفسنا لنرى تلك الآيات الربانية والبراهين الإلهية. وفي ما يلي بعض الحقائق الطيبة عن الإنسان، لنأخذ مثلاً القلب.

(1) المصدر السابق، ص 24.

قلبنا هو أدق مضخة في العالم. ففي كل 23 ثانية يضخ القلب خمس لترات من الدم. وفي اليوم الواحد يضخ القلب 19 ألف لتر من الدم. ولمدة ستين سنة يضخ القلب 480 مليون لتر من الدم. تزن هذه المضخة العجيبة 230 جراماً لدى النساء، و280 جراماً لدى الرجال. يقطع جريان الدم في شرايين القلب مسافة طولها 100 كيلومتر خلال مدة زمنية لا تزيد على 23 ثانية. هذه السرعة لجريان الدم هي أكبر بـ 215 مرة من سرعة الأقمار الصناعية. هذه المعجزة الربانية يمكن توضيحها وتقريبها إلى العقول أكثر على الوجه الآتي:

تعيش كريات الدم الحمراء 42 يوماً، والكريات الأكثر مقاومة تعيش إلى 127 يوماً، وهذا يعني أن دمنا يتجدد في كل شهرين، ويعني أيضاً أن: 200 مليار كرة دم يومية تولد وتموت في جسم الإنسان، فلأجل هذا، الله -جلّ وعلا- يوجه أنظارنا إلى عظمة خلقه قائلاً: ﴿أفلا تبصرون﴾ (الذاريات: 21)».

### المطلب الثالث: تعليقه على عظمة مخ الإنسان

«إن مخ الإنسان هو أدق جهاز (حاسوب) في العالم. يتشكل هذا الجهاز من أكثر من 100 مليار خلية صغيرة. وهذا يعادل أكثر من 10 آلاف برنامج كمبيوتر في عمل دائم مستمر. والمساحة المطلوبة لهذه الأجهزة الكمبيوترية هي 250 ألف كيلومتر مربع، وهي تعادل نصف مساحة فرنسا. وهذا لا يستطيع أن يفعله أي جهاز في العالم أبداً إلى قيام الساعة. فكأن المؤلف أراد أن يقول إنه مع كبر حجم تلك الأجهزة فإنها ستظل عاجزة عن القيام بما يقوم به مخ الإنسان. في كل يوم يأتي العلم لنا بشيء جديد اكتشفه في الإنسان. فمثلاً، اكتُشف مؤخراً في جامعة ميشغن (Michigan University) أن جلد الإنسان وشعره يحتويان على معادن مختلفة مثل الفضة والرصاص والحديد والومنيوم والزنك (الذي هو الخارصين، وهو عنصر فلزي أبيض مزرق) وغيرها من المعادن. إن سرعة الرياح والعواصف المختلفة نادراً ما تتجاوز 130-140 كيلومتراً في الساعة. بينما سرعة الهواء والأوكسجين الذي يخرج من صدر

الإنسان ورثته أثناء العطس تصل إلى: 390 كيلومترا في الساعة. ما أعظم معجزة للخالق تبارك وتعالى! (1).

ثم يواصل قائلاً:

«وفي الحقيقة، فإن الإنسان كائن كهربائي عجيب، فهناك ستين مليار خلية لدى الإنسان تعمل وتؤدي وظيفتها بحسب تلك الكهرباء الطبيعية التي وضعها الصانع والخالق -جلّ وعلا- والعلم يقول لنا اليوم إن الإنسان يشبه منجماً يكون مكهرباً من الداخل بشحن كهربائية سالبة، بينما من الخارج هو مكهرب بشحنة كهربائية موجبة. فبناء على ذلك يستطيع العلم الحديث أن يقوم بإجراء الفحوصات القلبية المختلفة، وهو ما يعرف بـ(EKG) و(EEG) عند الأطباء المختصين، وذلك لمعرفة وجود شرارة أو حرارة كهربائية بين المخ والقلب. والله يقول في القرآن الكريم: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ (الذاريات: 21).

ويعقب المؤلف بعد ذكره لهذه الآية قائلاً إن كثيراً من الناس يقرؤون هذه الآية دون وعي وتدبر لعمق معناها. وتحليلنا ودراستنا لها نجد أن هناك آيات كثيرة في أنفسنا. وربما قال متوهم بعد هذا: أنا أحكم نفسي بنفسي وأنا أتصرف فيها كيف أشاء! لكن هذا لا يصح ولا يجوز، لأن جسم الإنسان هو ملكُ الله -عزَّ وجلَّ-. هل يمكنك أن توقف دقات قلبك لحظة واحدة؟! وإذا توقف لحظة هل يمكنك أن تعيد دقاته مرة أخرى؟ كيف تتجرأ أن تقول بأنك تحكم نفسك بنفسك؟! وعندما تنام أنت، القلب لا يتوقف عن دقاته، ألا ترى ذلك؟

### المطلب الرابع: تعليقه على عظمة جهاز التنفس والأمعاء وكريات الدم البيضاء

وأما عن التنفس، فهل أنت تتنفس بإرادتك؟ يجب عليك أن تعلم أن عملية التنفس هي عملية غريزية، 16 مرة تتنفس في خلال الدقيقة الواحدة، دون إرادة منك ولا حول ولا قوة. ولما يأتيها الأمر الرباني والإلهي فإنها تتوقف ولا يقدر أحد أن يعيدها أبداً. والقضية نفسها بالنسبة

(1) المصدر السابق، ص 28 بشيء من التصرف.

للمعدة في عملية الهضم للطعام والإفرازات المختلفة التي تفرزها للهضم. هل كل هذه العمليات تتم بإرادتك؟! كلا.

وأما وظيفة الأمعاء وكيفية تحرك الطعام فيها وتوزيعه للجسم، والحفاظ على الحاجات الضرورية وطرح الزائد والفضلات إلى الخارج، هل هذه العملية تتم بإرادتك أم أنها تتصرف وحدها دون أن تشعر أنت بشيء؟!!

وكذلك الأمر بالنسبة لكريات البيض في الدم عندما تصادم مع الجراثيم ومع السموم في داخل الجسم، فإنها مهياة للدفاع بنفسها، حتى يتمكن النخاع الشوكي من تحضير وتصنيع مواد دفاعية تقوي المناعة في جسم الإنسان. هل أنت تصدر الأوامر لإجراء تلك العمليات في جوفك، وهي التي تشبه الحرب والملحمة الدفاعية الكبرى؟! هل أنت تتدخل في تلك العمليات البيولوجية والكيمائية؟! ففي ثانية واحدة آلاف العمليات تجري في جسمك وأنت لا تشعر. كل هذه الأعضاء منقادة لإرادة الله -عزَّ وجلَّ-.

إن رحمة الله تعالى كانت واسعة عندما خلق الله هذه الأعضاء لتخدمنا، وتركها تحت تصرفه سبحانه، وإلا فإن الإنسان لم يكن ليعيش، ولم يكن ليعمل، ولم يكن ليؤدي دوره في هذا الكون وفي هذا الوجود لو كانت هذه الأمور تحت تصرفه. فمثلاً لو كان عمل القلب ودقاته في أيدينا وتحت تصرفنا وإرادتنا فما الذي سيحدث؟ ما من شك أننا سنضطر إلى أن نكون دائماً يقظين حتى نراقب عمل القلب، لنرى هل يدق طبيعياً أم لا؟ ولم نكن نستطيع النوم البتة خشية اضطراب دقات القلب. ولو أن المعدة كانت تحت تصرفنا وإرادتنا فإننا سنضطر بعد تناول كل وجبة من الطعام إلى أن نراقب عملية الهضم، هل تتم على الوجه الصحيح والطريقة الصحيحة أم لا؟ خشية العطل أو الخراب. ثم قال المؤلف إن كل هذه الأمثلة التي سقناها معروفة لدى الناس، وإن الله تعالى تعمد أن يخلق الإنسان على هذه الصورة، حتى يبين للناس أنهم ليس لهم تصرف وتدخل في هذه الأمور، وإنما الكل بيد الله -عزَّ وجلَّ- تحت إرادته وسلطانه وجبروته سبحانه(1).

(1) المصدر السابق، ص 30-34، بتصرف يسير.

ولقد أطلال المؤلف كلامه وتعليقه حول الآية المذكورة في هذا البحث الأول من كتابه، وبذل قصارى جهده لإبراز عظمة الله تعالى في خلق الإنسان، وأن كثيراً من الناس عن هذه الحقائق لغافلون. فهو جزاءه الله خيراً لم يكتف فقط بعرض الآراء العلمية، وإنما كان يهدف من وراء ذلك إلى إصلاح أفكار الناس وتصحيح مفاهيمهم المغلوطة.

### المطلب الخامس: تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكٌ وَأَبْكِي﴾<sup>(1)</sup>.

قال: «كثير من الناس يقرؤون هذه الآية دون أن يتعمقوا في فهم معناها العظيم. وإذا أمعنا النظر فيها وجدنا أنها تحمل في نفسها معجزة إلهية كبيرة. وإذا نظرنا إلى الناس كافة في العالم، فسئرى أن الضحك والبكاء ظاهرة موحدة بين الناس رغم اختلاف ألوانهم وألستهم وعرقياتهم. فليست هناك ابتسامة إنكليزية أو أمريكية أو إفريقية. إنما هناك ابتسامة واحدة مشتركة للجميع. كما أنه ليس هناك بكاء آسيوي ولا بكاء أسترالي، وإنما هناك بكاء مشترك لدى الجميع. هناك مركز وحيد في مخ الإنسان (المخ الأكبر)، ومن ذلك المركز تتحكم العواطف المؤثرة بالبكاء أو الضحك بأمر من الله - عزَّ وجلَّ - وهذا يعني أن الضحك أو الابتسامة من إرادة الله - عزَّ وجلَّ - ومن فضله، والدليل على ذلك أنه تعالى أكرم جميع مخلوقاته بهذه الصفة. أيضاً، إن هذا من مظاهر عدل الله تعالى في عبادته، فإنه تعالى عندما يهدي شيئاً فإنه يعمم فيهديه للجميع ولا يفرق بينهم<sup>(2)</sup>. الكل متساوون في هذه النعم وفي هذه الهدايا أو العطايا الربانية، وإنه تعالى عادل. ومع كل هذه الحقائق التي تقدمت فهناك من الناس من لا يرضى بهذا ويرفع صوته مستكبراً وقائلاً: الإنسان السوي القوي والثابت هو الذي يقرر مصيره بنفسه وهو سلطان نفسه<sup>(3)</sup>!

(1) النجم: 43.

(2) حول أن الضحك والبكاء نعمة من الله - عزَّ وجلَّ - خص بها الإنسان من بين سائر المخلوقات الأخرى؛ ليس هناك كائن أو حيوان آخر يجمع بين البكاء والضحك إلا الإنسان. وحول إعجاز البكاء والضحك عند الإنسان. انظر: أبو الخير، محمد عادل محمود، اجتهادات في التفسير العلمي في القرآن الكريم، القاهرة، ط1، 1988، ص38-42.

(3) المصدر السابق، ص36-37.

المطلب السادس: تعليقه على قوله تعالى: ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء وتذل من تشاء، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير﴾<sup>(1)</sup>.

يقول: «ولي وقفة عند قوله تعالى: ﴿وتنزع الملك ممن تشاء﴾، وهذا يعني أنه ليس هناك شخص يتنازل عن السلطة أو المنصب أو المال طواعية من عند نفسه، وإنما يجب أن يؤخذ ذلك منه بالقوة وبالعرف، لأن معنى النزاع هو الأخذ بالقوة، ونتيجة لذلك اندلعت ثورات كثيرة واضطرابات عامة لسلب السلطة من هؤلاء الذين ظنوا أنهم ملوك الناس للأبد، وزعموا أنهم يقدرون على فعل كل شيء. وفي الآية دليل على أن المنصب أو الغنى أو الجاه لا يستطيع أحد أن يصل إليه بنفسه، لكن بإرادة الله - عزَّ وجلَّ - وفضله وقدره وقضائه. الإنسان لا يملك شيئاً لنفسه، ولا يستطيع أن يمدَّ في أجله ثانية واحدة، ورغم أن النتائج المخبرية لصحة شخص ما تبشر بالخير، فإننا كثيراً ما رأينا هذا الشخص يموت أمامنا فجأة بتقدير الله - عزَّ وجلَّ -. ربما قال البعض إنه أصيب بجلطة قلبية أو دماغية. كل هذه أسباب، لكن المسبب الرئيسي والحقيقي هو أن أجل ذلك الإنسان قد انتهى، كما يقرر الله تعالى في (الأعراف: 34): ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾<sup>(2)</sup>.

وهكذا سار المؤلف في بقية المباحث الموجودة في الكتاب، ولم يغادر مسألة كونية إلا تحدث عنها أو أشار إليها مستنداً إلى آية قرآنية، ونكتفي بهذا القدر من هذه النماذج، لكي نتقل إلى تقويم وتحليل منهجه الذي سلكه في كتابه.

(1) (آل عمران: 26).

(2) المصدر السابق، ص 37-39 بتصرف يسير جداً.



MREKULLIA DHE KOMENTIMI I  
KUR'ANIT NË DRITËN E NJOHURIVE  
TË REJA SHKENCORE (10)



صورة فوتوغرافية للأستاذ الدكتور الطيب علي فخري إلياسي في منزله في مدينة جاكوفا في كوسوفا، في مكتبته الشخصية. ويظهر فيها أيضاً شهاداته التذكارية الكثيرة، والتي تفوق الثلاثين.

هذه صورة شخصية التقطت عام 2000 في منزل المرحوم أثناء زيارتي له

## المبحث الرابع: بيان منهج المؤلف في تناوله لهذه القضايا العلمية المستشفة والمستلهمة من الآيات القرآنية والتعقيب عليه

فبعد هذه الجولة العلمية مع هذا المؤلف الجليل، استطاع الباحث أن يُلخّص معالم منهجه في هذه النقاط:

- نادراً ما يستدل بكلام المفسرين الكبار مثل الفخر الرازي، وكان من الأفضل والأصوب له أولاً أن يستنير بفكر وآراء وجهود هؤلاء الجهابذة في معرفة التفسير ومعنى الآية التي يريد تفسيرها، ثم يفسرها تفسيراً علمياً، ويعلّق عليها ما شاء الله أن يعلق.
- أحياناً يتطرق إلى مناقشة المسائل النحوية لبيان سر استعمال القرآن لتلك الألفاظ، وهذا قليل<sup>(1)</sup>.
- يهدف ويربط الظواهر العلمية والطبيعية المختلفة، مثل حدوث الزلازل وخروج البراكين وسير الجبال وغيرها، بالظاهرة الأخروية التي ستحدث، أي الظواهر من اختلال الكون وتكوير الشمس واندثار النجوم، قبل قيام الساعة<sup>(2)</sup>.
- يربط كل ظاهرة طبيعية بقدرة الله -عزَّ وجلَّ-، وأن قدرة الله تعالى وإرادته وراء كل شيء، وهذه نقطة إيجابية مهمة لديه، خلاف المنهج الذي سار عليه الشيخ حسن تحسين.
- يخاطب العقل الإنساني الحر مباشرة حينما يعرض هذه الحقائق العلمية الجديدة التي تحدّث عنها القرآن قبل قرون، ويؤكد أن عليه أن يتفكر وأن يمعن النظر فيها.

(1) المصدر السابق، ص 129-130.

(2) المصدر السابق، ص 115-130.

- يُكثر الاستشهاد بالآيات المتعددة حول كل المسائل والقضايا الدينية والعلمية. والذي رأته من خلال ذلك أنه وُقِّع إلى درجة كبيرة لاختيار المعنى المناسب من الآيات، لكنني مع ذلك رأته في بعض المواضع لم يترجم الآية ترجمة جيدة<sup>(1)</sup>.
- يستشهد بكلام أهل العلم والباحثين، المسلمين وغير المسلمين، لكن الذي يؤخذ عليه في هذا إنه لا يشير إلى رقم الصفحة ولا إلى اسم الكتاب الذي نقل منه الكلام إلا نادراً جداً!
- تعددت موارد ثقافته، وكثرت مصادر كتابه، فقد جمع بين المصادر الصوفية المشهورة مثل كتب جلال الدين الرومي، والغزالي، وابن سيرين، ومحي الدين بن عربي، وعبد الغني النابلسي، وعبد القادر الجيلاني، وابن القيم، ومالك بن نبي، وسيد قطب، ومحمد حسين الذهبي، ومحمد متولي الشعراوي، ومصطفى محمود، وعبد المجيد الزنداني، وكبار الأطباء المشهورين من يوغسلافيا وغيرها من الدول، وهذا مما أغنى كتابه ورفع من مستواه العلمي<sup>(2)</sup>.
- أحياناً يحلّل الألفاظ والتراكيب القرآنية، وذلك بالرجوع إلى علم الصرف وقواعده لكي يتعرف على المعنى الصحيح الوارد في الآية<sup>(3)</sup>.
- أحياناً لا يراعي الترتيب في الموضوعات المدروسة، وهناك خلط كبير في كلامه. فبمجرد أن يتحدث عن موضوع واحد ويأتي ببضع آيات على ما يريد أن يقوله، ينتقل

(1) المصدر السابق، 186، 197.

(2) انظر المصدر السابق، مثلاً في كلامه وتعليقه حول حقيقة وماهية السماوات السبع، فقد ذكر آراء عجيبية وغريبة للغاية. وفي رأي الباحث أنه مع احترامه البالغ للمؤلف، فإنه ليس لتلك الآراء العلمية التي ذكرها وجه من الصحة على الإطلاق. فمثلاً كان مما ذكر: «إن العلم اكتشف أن الضوء له سبعة ألوان مختلفة، من الأحمر إلى البنفسجي، وهذا يشبه الدرجات الموسيقية السبع، كما أن الأسبوع له سبعة أيام، والجنين يكتمل نموه في الشهر السابع. واكتُشف أن سبب الألوان السبعة في ضوء الشمس هو الإلكترونات حول نواة الهيدروجين. يُفهم من هذا أن انفجار الإلكترونات من ذراتها وانتشارها إلى سبع عوالم هو انتشار إلى السماوات السبع». انظر للتفصيل المصدر السابق، ص 175.

(3) انظر المصدر السابق مثلاً، ص 159-168.

إلى موضوع آخر ليست له صلة بالأول<sup>(1)</sup>. تجدد هذه الحقيقة عند المؤلف في حديثه عن الخلق وعلم الأجنة والتطور من منظور قرآني وعلمي<sup>(2)</sup>.

- أهمل قضية منهجية مهمة، هي الإشارة إلى آراء الآخرين الذين نقل منهم. من المستحيل أن تكون كل فقرات الكتاب من كلامه هو، لأنه أثبت في قائمة المصادر عدداً كبيراً من المراجع والمصادر. هذه القضية تزيدنا غموضاً، وتوقعنا في إشكال التعرف على فكر المؤلف وتحديد اتجاهه. فالتوثيق أمر مهم، وهو نوع من الإسناد، وإن من بركة العلم أن يُسند القول إلى قائله.

- لا يذكر أسباب النزول ولا القراءات ولا الأحكام الفقهية إلا نادراً<sup>(3)</sup>، ولا الأمور والقضايا البلاغية ولا المسائل الفرعية، وإنما جُلَّ اهتمامه نقل المكتشفات العلمية من الباحثين المختلفين.

- لم أر عند المؤلف تراثاً وتحفظاً في تلك المسائل العلمية الكثيرة التي ذكرها، فكأنه يذكر لنا حقائق لا فرضيات. فإنه ما يزال هناك كثير من القضايا العلمية في دائرة الفرضيات والظنون. فكما أن الأمر في المسائل الدينية يتطلب شيئاً من التحقيق العلمي والتأني والتريث، وكذلك الأمر بالنسبة للقضايا العلمية، فإنها من باب أولى ألا تُقبل لأول وهلة، وألا يُسلم بها إلا بعد التحقيق والتمحيص العلمي اللازم. هذا الذي وجدته عند المؤلف. فالذي يقرأ كتابه يحسب تلك الآراء أو الاكتشافات أموراً متفقاً عليها، وهذا ليس بصحيح على الإطلاق.

- ملاحظة أخرى ومهمة على المؤلف، هي أنه رفع كثيراً من مستوى علماء الطبيعيات إلى درجة عالية، حينما فسر قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: 28)، فقال: «نستنتج سؤالاً من الآية السابقة وهو: من هم العلماء الذين يخشون الله

(1) راجع المصدر السابق، ص 173-180.

(2) المصدر السابق، ص 159.

(3) المصدر السابق، ص 204.

حق الخشية؟ الجواب هو: جميع العلماء الذين تخصصوا في دراسة المخلوقات التي خلقها الله تعالى، سواء تلك المخلوقات البشرية أو الحيوانية أو النباتية. العقل البشري بإمكانه أن يتعرف على تلك العلوم عن طريق المراقبة والبحث والتجربة. لكن كثيراً ما يحدث أن الإنسان أحياناً بعد أن ينهي تجاربه المخبرية والتجريبية يبقى عاجزاً في بعض القضايا التي لا تخضع للحس والتجربة، مثل قضية الروح والمادة، وأيهما وجد أولاً الروح أم المادة؟<sup>(1)</sup>.

يدو لي من جواب المؤلف على سؤاله، أن علماء الطبيعة والنبات والحيوان هم أهل الله وخاصته، وهم الذين يخشونه حق خشيته، وأما غير هؤلاء فلا!! وهذا غريب حقاً. وكان من الأولى عليه ألا ينسى دور ومرتبة علماء الأخلاق والقلوب والعقائد والأحكام والتفسير والحديث والشريعة واللغة والبلاغة، في تلك الآية الكريمة؟ هل صحيح أن هؤلاء لا يعرفون خشية الله ولا يخشونه حق خشيته؟ كلا، إن الأمر ليس كما زعم المؤلف، فالكلام الذي ذكره له شيء من الصحة، والله أعلم.

- بينما تجده من ناحية أخرى قد أجاد وأفاد في بعض القضايا دون أن يستطرد أو يخرج من موضوعه، فقد تحدّث عن أهمية الماء والعسل والثمرات المختلفة من الناحية القرآنية والعلمية، ولم يخرج عن صلب تلك الموضوعات قيد شعرة. فقد شرع بحثه بقوله تعالى: ﴿أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾ (الأنبياء: 30)، وقوله تعالى: ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون (68) ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه﴾ (النحل: 68-69).

- يربط أحياناً كلامه وتفسيره بأحداث من السيرة النبوية، وإن كان هذا الربط ليست له علاقة مباشرة بالنص. كما في حديثه عن أهمية الحليب أو اللبن، فقال إن اللبن

(1) المصدر السابق، ص 180.

(الحليب) في الإسلام هو رمز للعلم، كما في قصة المعراج عندما قدّم جبريل للرسول آيتين في إحداهما اللبن، فاختار الرسول اللبن، أي العلم<sup>(1)</sup>. أقول: هذا ليس صحيحاً. المعروف في التاريخ والسيرة أن جبريل قال له: اخترت الفطرة، وليس العلم كما ذهب إليه المؤلف، والله أعلم.

- يستدل بالأحاديث النبوية أحياناً في تعزيز كلامه وإثراء بحثه<sup>(2)</sup>.
- يستدل بكلام كبار الأطباء والفلاسفة والعلماء المسلمين وغير المسلمين، مثل ابن سينا وابن رشد والغزالي، و(Palmer)، و(Vivino)، و(Tonkari)... إلخ<sup>(3)</sup>.
- ذكر الدروس والعبر المستفادة من خلال دراسته وتحليله لبعض القضايا القرآنية والعلمية. وهذه نقطة إيجابية مهمة لدى المؤلف، فإن الإيمان كان يغمر قلبه ومشاعره وأحاسيسه، وكثيراً ما يلفت أنظار القراء إلى الاعتبار من هذه النعم الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى والتي وهبها الله - عزَّ وجلَّ - للإنسان. ولكي نرى هذه الحقيقة أنقل شيئاً من كلامه لأهميته.

بعد أن فرغ من حديثه المفصل والدقيق عن العسل وفوائده من منظور قرآني وعلمي، قال المؤلف: «فكما أن النحل نشيط ودقيق في اختيار طعامه وبناء بيوته وحفظ أصدقائه وصنع علاجه (عسله)، فكذلك يجب أن تكون حال المسلم والمؤمن الحقيقي. فهو ينبغي ألا يتغذى بالطعام الخبيث والمحرم، وإنما عليه أن يبحث عن الطعام الحلال والنقي ﴿يُخْرِجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾. هكذا يجب أن يكون المسلم، عليه أن يتكلم بكلام طيب حلو مثل العسل، كلام يشفي صدور وقلوب الناس، فلا يتكلم أبداً بكلام فاحش ومؤذٍ للناس.

(1) المصدر السابق، ص 197.

(2) المصدر السابق، ص 199، 215.

(3) المصدر السابق، ص 213-215.

النحل كما قال الرسول ﷺ لا يكسر ولا يؤذي الشجر أو النبتة التي يستقي رحيقه منها، وكذلك المسلم الحقيقي والمؤدب تربية إسلامية صحيحة، يكون خلقه حسناً، وعمله حسناً، فلا يؤذي ولا يخون الآخرين. وهكذا نستطيع أن نعتبر من النحلة في تحسين حياتنا اليومية، وأن نكتسب دواء قلوبنا وصدورنا من القرآن الكريم<sup>(1)</sup>.

- يرد على الآراء العلمية التي تخالف النصوص القرآنية أو المبادئ الإسلامية، كما فعل في رده على عالم سويدي اسمه نيلس أوليف جو كوبسون (Nils Olif Jacobson)، أعلن في نظريته أن روح الإنسان تزن 21 جراماً، اعتماداً على تجاربه الكثيرة التي أجراها على الناس في حالة الاحتضار قبل الموت. فهو كان يزن كل مريض أو شك أن يموت في ميزان دقيق قبل مماته وبعد وفاته، وقرر بناء على ذلك أن الإنسان عندما يموت وتخرج روحه منه، فإنه يفقد من جسمه بعض الجرامات من وزنه الأصلي! فيعقب المؤلف قائلاً بأن هذه النتائج هي نتائج لا أساس لها وإنما افتراء وكذب، لأن النقص الناتج من وزن الميت لا شك هو الهواء والأوكسجين الذي يخرج من الرئتين<sup>(2)</sup>.

- ناقش بعض القضايا الروحية في علم التصوف، ممّا يخص أنواع الأرواح والأنفس السبع التي ذكرها بعض علماء الصوفية، مثل النفس الأمانة، والنفس اللوامة، والنفس الملهمة، والنفس المطمئنة، والنفس الراضية، والنفس المرضية، والنفس الكاملة. وأنواع العوالم السبعة التي ذكرها العالم الصوفي الكبير جلال الدين الرومي: عالم الحانوت، وعالم اللاهوت، وعالم الجبروت، وعالم الملكوت، وعالم المعاني، وعالم الصور، وعالم الطبيعة<sup>(3)</sup>، والمقامات العليا والفناء في الله سبحانه وتعالى وغيرها من الأمور.

(1) المصدر السابق، ص 216-217.

(2) المصدر السابق، ص 459.

(3) المصدر السابق، ص 467-472.

والذي يبدو لنا في هذه المسألة باختصار شديد والله أعلم، أولاً: أن المؤلف ما كان ينبغي له أن يخوض في هذه الموضوعات الصوفية الشائكة والصعبة، التي يعجز عن إدراكها ربما كثير من العلماء العاملين في حقل الدعوة الإسلامية، فضلاً عن العوام، ولأن الرسول ﷺ والصحابة الكرام والسلف الصالح لم يكونوا يُتعبون أنفسهم في البحث في مثل هذه الأمور الشائكة والمستعصية، ولم يصل عنهم شيء يفيد بأنهم قد بحثوا في تلك القضايا، فكان الواجب أن يسعنا ما وسعهم في الأمور العقديّة، وأن لا نعسر على الناس مبادئ هذا الدين، «وأن لا ندخل العقائد والمسائل الغيبية في قضايا فلسفية لم تروها نصوص من النبي المعصوم، ولأن الإسلام دين لعامة الناس، وعقيدته غير معقدة بل سهلة الفهم والهضم. فلا يمكن اقتصار فهمه على طائفة خاصة من الناس كالفلاسفة والصوفية من أرباب المقامات وأصحاب الإشارات»<sup>(1)</sup>. إننا أمّرنا باليسر في كل شيء، والله يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العسر. فالأمور التي ذكرها المؤلف هي من القضايا العسيرة وصعبة الإدراك.. ثانياً: هذه القضايا هي من القضايا التكميلية في حياة المسلمين، وهي من النوافل، فهم لا يُسألون أمام الله -عزَّ وجلَّ- لماذا لم يرتقوا إلى تلك المقامات العليا ولماذا لم يَمروا في تلك المراحل الروحية السبع، وإنما يسألون عما عُرف من الدين بالضرورة. الكثير لا يحسن أداء الصلاة أداءً كاملاً بأركانها وشروطها المعروفة. والكثير لم يفهم حقيقة وجود الله تعالى وحقيقة التوحيد الخالص الصافي والخالي من البدع والخرافات، كما هي الحال في كثير من الدول الإسلامية والعربية. الكثير من المسلمين الألبان وغيرهم مغرقون في الزنا وشرب الخمر والسرقة وعقوق الوالدين وتعاطي المخدرات، والكثير منهم لا يؤتي زكاة ماله... إلخ.

فالمسلمون إذن بحاجة إلى تبسيط أمور دينهم وثقافتهم فيها، ولا سيما القضايا الأساسية

والأولية.

(1) كان هذا التعليق وهذا التدخل المهم من أستاذي الفاضل الذي كان ممتحناً ثالثاً للرسالة، الأستاذ الدكتور محمد بهاء الدين حسين، فجزاه الله خيراً.

ثالثاً: أما تلك الأمور التي تعرض لها المؤلف فإنها خروج أيضاً منه عن منهجه الذي ألزمه نفسه وسار عليه منذ بداية الكتاب، وهو المنهج العلمي التجريبي الحديث في تفسير القرآن الكريم على ضوء تلك العلوم الحديثة. إننا نسأل المؤلف: ما علاقة تلك العوالم السبعة بالعلم الحديث؟! وما علاقة الأنفس السبع بالعلم الحديث؟! هل اكتشف العلم الحديث شيئاً من تلك القضايا التي ذكرها؟ الجواب: بالطبع لا. لا نعلم شيئاً عن ذلك، لأنه هو أيضاً لم يذكر شيئاً من ذلك في كتابه، وإلا لذكرها، اللهم إلا ما ذكر من تعريفات لبعض الفلاسفة الغربيين الكبار للروح، لأنها شغلت بالهم فاهتموا بها هم أيضاً<sup>(1)</sup>.

رابعاً: لا شك في أن الخوض في مثل هذه القضايا ناتج عن عدم مراعاة سلم الأولويات في الدعوة إلى الإسلام. كان من الأفضل عدم مناقشة تلك القضايا الفلسفية الصوفية الشائكة والخطيرة، ريثما يتقوى ويزيد إيمان المسلمين الألبان وغيرهم<sup>(2)</sup>، والله أعلم بالصواب.

هذه هي بعض معالم هذا الاتجاه وهذا المنهج العلمي التجريبي الذي سلكه الدكتور علي فخري إلياسي في تفسيره لآيات القرآن الكريم في ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة. ولا شك أنه يُعتبر رائد هذا الاتجاه وهذا المنهج بلا نزاع في المجتمع الألباني، وإليه يعود الفضل في هذا الأمر في العصر الحديث بين علماء الألبان، إذ لم يسبقه أحد من الألبان في أنه قد تناول بهذا

(1) المصدر السابق، انظر بحثه بعنوان: «مدى معرفتنا للروح»، ص 458-472.

(2) ملاحظة مهمة: حركة التصوف والصوفية لها نفوذ لا بأس بها في الأراضي الألبانية في العصر الحديث، سواء في ألبانيا أو كوسوفا أو الجبل الأسود أو مقدونيا أو البوسنة والهرسك منذ عهد الدولة العثمانية في البلقان. فهناك طرق صوفية كثيرة ومنتشرة في الأراضي الألبانية، ولها زوايا وتكايا. بعض تلك الطرق بقيت أسماؤها ومعالمها فقط ولا أتباع لها، والبعض الآخر لها معالمها ونشاطها وأتباعها. حظيت تلك الحركات الصوفية وتلك المعالم باهتمام الغربيين، فقام بعض المستشرقين الغربيين بدراسة تلك الفرق والمعالم بغرض الفتنة والفساد، وزرع بذور الشك بإحياء تلك الفرق التي اندثرت. والحمد لله أن هؤلاء أقل من أن يذكروا ولم ينجحوا في هذا، وأن جمهور الشعب المسلم الألباني وغالبيتهم هم أهل السنة والجماعة، ولا سيما في كوسوفا ومقدونيا والجبل الأسود، وأما في ألبانيا فناقوس الخطر يدق عليهم. فهناك فرقة البكتاشية الضالة التي اتخذت هناك مركزاً ثانياً لها بعد الأناضول. للتوسع حول تاريخ الصوفية والتصوف والتكايا والزوايا في الأراضي الألبانية انظر:

الشكل وبهذه الطريقة العلمية الموسعة والمتخصصة الآيات القرآنية بالشرح والتفسير على ضوء المعارف الحديثة. ومهما يكن من أمر الدكتور علي فخري إلياسي في هذا المجال، فهو بشر يصيب ويخطئ. كتابه هذا لا يُستغنى عنه في هذا الزمان، لا سيما للدعاة والمشايخ الألبان؛ لبيان أن ما جاء في القرآن من القضايا العلمية لا يتناقض مع ما جاء به العلم الحديث من حقائق تؤكد صحة ما جاء في القرآن. فعلينا أن نستعين بذلك التفسير العلمي المختصر، مع المراعاة لتلك الملاحظات والضوابط والشروط التي ذكرناها. نرجو من الله تعالى أن نكون قد وفّقنا لعرض بعض المقتطفات من تفسيره العلمي المختصر ودراسة أفكاره، وأنه قد اتضح لنا منهجه وطريقته واتجاهه، وأنه استطاع فعلاً أن يبرز القدرة الإلهية وأن يبرز إعجاز القرآن الكريم في كثير من آياتها التي ناقشها ودرسها فجزاه الله خيراً على ما قدم وأفاد، والله أعلم بالصواب.

والآن بعد أن تعرفنا على المنهج العلمي التجريبي حان الوقت أن نضع ذلك المنهج وذلك الاتجاه على ميزان التقويم ثم الحكم عليه.

## **المبحث الخامس: عرض المنهج العلمي لتفسير القرآن الكريم على ميزان النقد من خلال مناقشة آراء بعض العلماء القدامى والمعاصرين**

هذه القضية العلمية المهمة شغلت بال كثير من العلماء والباحثين في الدراسات القرآنية والتفسيرية قديماً وحديثاً. وقد شغلتنني أيضاً كما شغلت هؤلاء. ورأيت أن هناك تعقيداً وخطأً في كلام بعض العلماء والباحثين حول هذه المسألة، وأنها ما زالت يكتنفها بعض الغموض؛ لكونها لم تُبسّط بسطاً كافياً. فحتى تقرب هذه المسألة إلى إدراكنا لا بد من المرور على بعض معالمها ولو باختصار، فأقول وبالله التوفيق والهداية:

من خلال مطالعتي ومتابعتي لحركة هذه الفكرة العلمية قديماً وحديثاً، رأيت أن أقوال العلماء فيها قد تشابكت وتضاربت، وأنه كثيراً ما صدر من العلماء حكم واحد على الجميع مع

تفاوت آرائهم واختلاف مواقفهم في هذه القضية، وبالتالي لم يُحسم الأمر نهائياً. وهذا دفعني إلى تلخيص آراء العلماء وتوجهاتهم حول هذه القضية المهمة. وذلك من خلال تناولنا وتوضيحنا لجملة من القضايا الأساسية في هذه المسألة باختصار:

أولاً: ما مفهوم التفسير العلمي وما المقصود منه؟

ذهب الشيخ عبد العظيم الزرقاني إلى أن المقصود من التفسير العلمي هو العلوم الكونية والمعارف والصنائع، وما جد وما يجد في العالم من فنون ومعارف كعلم الهندسة، والحساب، والهيئة، والاقتصاد، والاجتماع، والطبيعة، والكيمياء، والحيوان، والنبات، وعلم طبقات الأرض<sup>(1)</sup>.

وهذا هو الذي يبدو صحيحاً وراجحاً للباحث في هذه المسألة، فعندما نتحدث عن التفسير العلمي للقرآن الكريم يجب أن نضع نصب أعيننا هذه القضايا العلمية التي ذُكرت. فالمفسر الذي ينهج هذا المنهج في تفسيره يكون هدفه ربط دلالات بعض الآيات القرآنية على ضوء ما وصل وانتهى إليه العلم من الحقائق العلمية اليقينية فقط، لا الفروض والنظريات، وذلك لإبراز عظمة الخالق في هذا الكون وبيان إعجاز القرآن الكريم على أنه من لدن حكيم خبير. فليس المراد أو المقصود من التفسير العلمي تحكيم الاصطلاحات العلمية أو الفلسفية في الآيات القرآنية كما ذهب إلى ذلك بعض العلماء في العصر الحديث مثل: الأستاذ أمين الخولي، والشيخ الدكتور محمد حسين الذهبي، عندما قالوا بأنه: «التفسير الذي يُحكّم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها»!!<sup>(2)</sup>. فهذا غير صحيح وليس هو المراد من التفسير العلمي للقرآن الكريم. فالمفسر لا يُحكّم ولا يُحمّل على عبارات القرآن الاصطلاحات العلمية الحديثة، وإنما يستعين بها ليلقي مزيداً من الضوء

(1) الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج2، ص1-6.

(2) الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج3، ص140.

على المعاني القرآنية اللامتناهية المستنبطة من الآيات القرآنية. فهذا هو الغرض والمقصود من التفسير العلمي، والله أعلم.

### ثانياً: تعريف التفسير العلمي

فإذا عرفنا الغرض والمقصود من التفسير العلمي، يمكننا الآن أن نصوغ له تعريفاً آخر يتماشى مع غرضه، غير الذي ذكره هؤلاء الباحثون. ولعل تعريف الأستاذ الدكتور أحمد عمر أبو حجر أقرب إلى الغرض المقصود، وهو الذي نميل إليه، عندما قال: «هو التفسير الذي يحاول فيه المفسر فهم عبارات القرآن في ضوء ما أثبتته العلم، والكشف عن سرٍّ من أسرار إعجازه، من حيث أنه تضمّن هذه المعلومات العلمية الدقيقة التي لم يكن يعرفها البشر وقت نزول القرآن، فدلّ ذلك على أنه ليس من كلام البشر، ولكنه من عند الله خالق القوى والقدر»<sup>(1)</sup>، والله أعلم.

### ثالثاً: هل هناك تناقض بين الآيات القرآنية الصريحة والحقائق العلمية الثابتة؟

باختصار شديد جداً نقول إنه لا تعارض بين القرآن الكريم والحقائق العلمية الثابتة والقائمة على اليقين. بل القرآن الكريم يؤيدها ويؤكدّها، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لا يمكن أن يكون هناك تناقض بين صحيح المنقول وصريح المعقول»، وأعتقد أن هذا الكلام واضح ولا يحتاج إلى بيان<sup>(2)</sup>.

وإذا ورد ما يُشعر بالتعارض أو التناقض، فالجواب كما قال بعض العلماء، هو إما أن يكون صريحاً غير صحيح، وإما صحيحاً غير صريح.

---

(1) أبو حجر، أحمد عمر، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، بيروت، دار قتيبة للنشر والتوزيع، ط1، 1991، 66.  
(2) المرجع السابق، ص83. وللمزيد حول هذه المسألة المهمة راجع موسوعة شيخ الإسلام ابن تيمية بعنوان: درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، الرياض، دار الكونز الأدبية، 1391هـ تحقيق: محمد رشاد سالم، ج1، ص4-5، فما بعد، فقد ذكر كلاماً طويلاً حول هذه القضية.

ولا أوافق الأستاذ الدكتور أحمد عمر أبو حجر عندما أورد كلام الشيخ الإمام محمد عبده وبعض الباحثين الآخرين في خصوص تعارض العقل مع النقل، دون أن يعقّب عليه: «هناك اتفاق بين أهل الملة الإسلامية إلا قليلاً ممن لا ينظر إليه، على أنه إذا تعارض العقل والنقل، أخذ بما دل عليه العقل وبقي في النقل طريقان: الأول: طريق التسليم بصحة المنقول مع الاعتراف بالعجز عن فهمه وتفويض الأمر إلى الله، والثاني: تأويل النقل مع المحافظة على قوانين اللغة حتى يتفق معناه مع ما أثبتته العقل»<sup>(1)</sup>. والغريب من الباحث الدكتور أحمد عمر أنه لم يُعلّق على كلام الإمام الشيخ محمد عبده ولو بسطر واحد، مما يدل على موافقته لما ذهب إليه الشيخ الإمام محمد عبده. والذي يبدو لنا في هذه المسألة هو مخالفة الشيخ محمد عبده في الشق الأول من كلامه، وموافقة الشيخ في الشق الثاني من كلامه.

وتعقيباً على كلام الإمام محمد عبده نقول: إننا فرضاً لو أولنا ذلك النص المنقول وفق قوانين اللغة العربية ولم يتفق مع ما أثبتته العقل، فما الحل إذن؟ هل نلوي عنق النص ونحمّله فوق ما يحتمل، حتى يتفق مع ما أثبتته العقل؟! فهذا لا يقول به من له أدنى إلمام بعلوم اللغة العربية وعلم أصول الفقه. ففي هذه الحالة نوافق الإمام محمد عبده عندما قال: نسلّم بصحة المنقول ونعترف بالعجز عن فهمه ونفوّض حقيقة معناه إلى الله تعالى، ولا نقدم العقل على النقل الصحيح، والله أعلم.

رابعاً: تصنيف مواقف العلماء المؤيدين والمعارضين تجاه التفسير العلمي قديماً وحديثاً

أ. المؤيدون للتفسير العلمي من المتقدمين هم:

- الإمام أبو حامد الغزالي المتوفى سنة 505هـ، في كتابه «إحياء علوم الدين» وكتابه

الآخر «جواهر القرآن».

- الإمام فخر الدين الرازي المتوفى سنة 606هـ، في تفسيره الكبير «مفاتيح الغيب».

(1) المرجع السابق، ص 86، نقلاً عن: الإمام محمد عبده، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، 1320هـ، ص 61.

- ابن أبي الفضل المرسي المتوفى سنة 655هـ الذي ذكره الإمام السيوطي في كتابه «الإتقان في علوم القرآن»<sup>(1)</sup>.
- الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي المتوفى سنة 794هـ، في كتابه «البرهان في علوم القرآن».
- الإمام جلال الدين السيوطي المتوفى سنة 911هـ، في كتابه «الإتقان في علوم القرآن»، وكتابه الآخر «معترك الأقران»<sup>(2)</sup>.

ب. المؤيدون المغالون للتفسير العلمي في العصر الحديث<sup>(3)</sup>:

- الأستاذ الإمام محمد عبده (1848 – 1905)، في تفسيره لجزء عم.
- الشيخ طنطاوي جوهرى المولود سنة 1862، في تفسيره «الجواهر في تفسير القرآن».
- السيد عبد الرحمن الكواكبي، من مواليد سنة 1271هـ، في كتابه «طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد».
- الأستاذ عبد الرزاق نوفل في كتابه «الله والعلم الحديث».

ت. المعاصرون المعتدلون في التفسير العلمي وهم:

- الشيخ محمد بخيت المطيعي (1882 – 1935) في كتابه «تنبيه العقول الإنسانية لما في آيات القرآن من العلوم الكونية والعمرائية».
- الشيخ عبد الحميد بن باديس المتوفى سنة 1940، في كتابه «تفسير ابن باديس» أو «مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير».
- الشيخ مصطفى المراغي (1881 – 1945)، «تفسير المراغي».

(1) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص126-128.

(2) للتوسع انظر: أحمد عمر أبو حجر، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص145-165.

(3) انظر: المرجع السابق، ص169-216.

- الشيخ الدكتور محمد عبد الله دراز المتوفى سنة 1947 في كتابه «مدخل إلى القرآن الكريم».
  - الشيخ المفكر وحيد الدين خان في كتابه «الإسلام يتحدى».
  - الكاتب الأديب مصطفى صادق الرافعي المتوفى سنة 1938، في كتابه: «إعجاز القرآن والبلاغة النبوية».
  - الباحث والكيميائي المتخصص، الدكتور محمد أحمد الغمراوي.
  - العالم الفلكي الدكتور محمد جمال الدين الفندي في كتابه «القرآن والعلم».
  - الشيخ محمد الطاهر بن عاشور المتوفى سنة 1973، في كتابه «التحرير والتنوير»<sup>(1)</sup>.
- ومن المعتدلين أيضاً الذين لم يذكرهم الباحث السابق يمكن أن ندرج هؤلاء الأعلام أيضاً:
- المفكر الإسلامي المعروف محمد فريد وجدي، من خلال تعليقاته على كتاب «الإسلام والطب الحديث»<sup>(2)</sup>.
  - المجاهد والمفكر الإسلامي بديع الزمان سعيد النورسي، المتوفى سنة 1960، في تفسيره لسورة البقرة بعنوان «إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز»، وبعض بحوثه الأخرى المسمى «كليات رسائل النور»<sup>(3)</sup>.
  - الشيخ العلامة محمد متولي الشعراوي، في كتابه «معجزة القرآن».
  - الدكتور والطبيب المفكر مصطفى محمود، في كتابه «القرآن.. محاولة لفهم عصري».

(1) المرجع السابق بتصريف شديد، ص 219 - 270.

(2) كارم، السيد غنيم، الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق، القاهرة، دار الفكر العربي، ط 1، 1995، ص 130 فما بعدها.

(3) المصدر السابق، ص 121، وص 135 - 139. ورقة الأستاذ الدكتور سعاد يلدرم، قدمها للمؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي للقرآن والسنة، بعنوان: مستندات التوفيق بين النصوص القرآنية وبين النتائج العلمية الصحيحة، إسلام آباد، 1987.

- المفكر محمود ناظم نسيمي، في كتابه «مع الطب في القرآن الكريم».
- الشيخ العلامة والمفكر الإسلامي عبد المجيد الزنداني، في كثير من بحوثه وكتابات، منها «المعجزة العلمية في القرآن والسنة»، ورقة المؤتمر العالمي الأول في إسلام آباد سنة 1987<sup>(1)</sup>.

فهؤلاء المذكورون أنفًا يشار إليهم بالبنان في مجال التفسير العلمي، سواء كانوا من المؤيدين له أو المعارضين. وما من شك أننا لم نستوعب كل الباحثين، وأن الأيام القادمة ستبرز لنا أعلاماً آخرين في هذا الميدان، فنسأل الله تعالى أن يجزي المجتهدين المصيبين مرتين، والمخطئين منهم مرة واحدة.

#### خامساً: تعقيب الباحث على رأي الإمام الشاطبي

تناول الباحث الدكتور أحمد عمر أبو حجر في رسالته القيمة والمهمة في هذا الموضوع، موضوع الذين عارضوا التفسير العلمي قديماً وحديثاً. فذكر من المعارضين القدامى الإمام الشاطبي. والحق يقال إنه من خلال تبعية لكلام الإمام الشاطبي في «الموافقات»، وجدته أنه لا يعارض التفسير العلمي جملة وتفصيلاً، ولا نستطيع أن ندرجه في قائمة المعارضين لهذا اللون من التفسير، كما أدرجه الباحث المذكور ومن سبقه من العلماء. وإنما الذي بحثه الإمام الشاطبي كان قضية: هل القرآن الكريم احتوى واشتمل علوم الأولين والآخرين؟ كما أنه انتقد هؤلاء الذين ينهجون هذا المنهج في تفاسيرهم واعتبره نوعاً من الفهم الذي فيه تكلف زائد فوق ما يحتمله النص.

والقضية الأخرى التي تناولها هي أنه أكد في أكثر من موضع في «الموافقات»، أن القرآن الكريم تضمن علوماً هي من جنس العلوم التي وجدت عند العرب فقط، لا غير، وأنه يجب الاختصار في الاستعانة على فهمه، بكل ما يضاف علمه إلى العرب خاصة!<sup>(2)</sup>

(1) وللشيخ عبد المجيد الزنداني رسالة أخرى مهمة في هذا المجال بعنوان: من أوجه الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في عالم البحار، مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، 1999.

(2) الموافقات، ج2، ص 79-80.

فالإمام الشاطبي لم ينكر حقيقة احتواء القرآن الكريم على بعض العلوم التي كانت من جنس العلوم التي وجدت عند العرب فقط. فبالتالي لا يصح إدراج الإمام الشاطبي في قائمة المعارضين للتفسير العلمي جملة وتفصيلاً، كما ذهب إليه كثير من الباحثين في هذا الموضوع، لأن هذا سوء فهم لكلامه وتقولُ عليه<sup>(1)</sup>.

وقد أعجبني تعقيب الباحث الدكتور أحمد عمر على كلام الإمام الشاطبي في قضية العلوم التي وُجدت عند العرب، عندما قال: «إنه لو كان مقصوداً على ما عند العرب لما تنافس العلماء في الازدياد منه، ولكانوا مستوين في درجات العلم به، وهذا لا يصح وهو خلاف الواقع، وعدم نظر المسلمين الأوائل في هذا - كما استدل الإمام الشاطبي -<sup>(2)</sup>، لا يدل على تحريم النظر في التفسير العلمي على من جاء بعدهم، فالقرآن للأجيال كلها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها»<sup>(3)</sup>. وقریباً من هذا، ذهب أيضاً العلامة المرحوم الشيخ الدكتور عبد الله دراز في تعليقه على هذه المسألة من «الموافقات»<sup>(4)</sup>.

أرى من الفائدة إيراد أهم الفقرات من كلام الإمام الشاطبي حول هذه المسألة حتى نكون على بينة من الأمر. وقد ذكر في الموافقات:

«إن العرب كان لهم اعتناء بعلوم ذكرها الناس، فمن علومهم: علم النجوم ما يختص به من الاهتداء في البر والبحر، واختلاف الأزمان باختلاف سيرها. وهو معنى مقرر في أثناء القرآن في مواضع كثيرة كقوله تعالى: ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾ (الأنعام: 97)، ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾ (النحل: 16). ومنها علم الأنواء، وأوقات نزول المطر، وإنشاء السحاب وهبوب الرياح المثيرة، فبيّن الشارع حقّها من باطلها، فقال تعالى: ﴿وهو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينشئ السحاب الثقال﴾ (12) ويسبح الرعد

(1) كما ذهب إليه الباحث الدكتور أحمد عمر أبو حجر في رسالته للدكتوراة: التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص 271، ومن قبله الأستاذ الشيخ الدكتور محمد حسين الذهبي في: التفسير والمفسرون، في معالجه لهذا الموضوع.

(2) الموافقات: ج 2، ص 80.

(3) التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص 290.

(4) من تعليق الشيخ عبد الله دراز، الموافقات: ج 2، ص 73.

بحمده ﴿ (العدد: 12-13)، وعلم التاريخ وأخبار الأمم الماضية. وفي القرآن من ذلك ما هو كثير وكذلك في السنة، لكن القرآن احتفل بذلك وأكثر من الأخبار بالغيوب التي لم يكن للعرب بها علم، لكنها من جنس ما كانوا يتحلون، قال تعالى: ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ﴾ (آل عمران: 44)، ومنها علم الطب، فقد كان في العرب منه شيء لا على ما عند الأوائل، بل مأخوذ من تجارب الأميين غير مبين على علوم الطبيعة التي يقررها الأقدمون.. -ثم قال الإمام الشاطبي- إن كثيراً من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد، فأضافوا إليه كل علم يُذكر للمتقدمين أو المتأخرين، من علوم الطبيعيات والتعاليم والمنطق، وعلم الحروف. وهذا إذا ما عرضناه على ما تقدم لم يصح، وإلى هذا فإن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم كانوا أعرف بالقرآن وبعلمه وما أودع فيه، ولم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم في شيء من هذا المدعى، سوى ما تقدم. ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر لبغنا منه ما يدلُّنا على أصل المسألة، إلا إن ذلك لم يكن، فدلَّ على إنه غير موجود عندهم. وذلك دليل على أن القرآن لم يُقصد فيه تقرير شيء مما زعموا، نعم تضمَّن علومًا هي من جنس علوم العرب، أو ما ينسب على معهودها مما يتعجب منه أولو الألباب. أما أن فيه ما ليس من ذلك فلا، فليس بجائز أن يضاف إلى القرآن ما لا يقتضيه، كما أنه لا يصح أن ينكر منه ما يقتضيه. ويجب الاقتصار على كل ما يضاف علمه إلى العرب خاصة<sup>(1)</sup>. انتهى

ولو دققنا النظر في كلام الإمام الشاطبي لوجدناه خلاف ما أُشيع عنه من أنه من المعارضين لهذا الاتجاه العلمي جملة وتفصيلاً، فهذا تقوُّل وافتراء عليه، فهو لم ينكر وجود هذه النزعة العلمية في التفسير، لكنه اقتصر على ما وجد لدى العرب فقط. ونعقب عليه ونقول بأن هذا غير صحيح أيضاً لأمرين:

أولاً: إن قدرات العرب في ذلك الزمان كانت محدودة إلى تلك الدرجة التي ذكرها الإمام الشاطبي، فهم استطاعوا أن يفهموا تلك العلوم الموجودة في زمانهم بحسب قدراتهم البشرية

(1) الشاطبي، أبو إسحق، الموافقات في الشريعة الإسلامية، ج2، ص381-391.

والعلمية. ولو عاش عرب القرن الأول في زماننا هذا، لا شك أنهم لتوجهوا إلى تعلُّم هذه العلوم التي استجدت في عصرنا واستفادوا منها، ولتعلموها كما تعلموا تلك العلوم التي سادت في عصرهم.

ثانياً: نعم فإنه يجب أن تقتصر على ما وُجد عند العرب فقط فيما يخص من علوم اللغة وفنون البلاغة والبيان وتصاريف الكلام، لأن القرآن الكريم أنزل بلسان عربي مبين. أما أن تقتصر على ما وجد عند العرب من علم الطب وعلم النجوم... إلخ، فهذا لا يصح، لأن أفهام الناس وقدراتهم في استنباط العلوم الكونية من القرآن الكريم تتفاوت. والحكمة أو العلم الجديد النافع ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها والله أعلم.

ث. ومن المعاصرين المعارضين للتفسير<sup>(1)</sup> العلمي نذكر:

- الشيخ محمد رشيد رضا، (1865 – 1935).
- الشيخ محمود شلتوت، (1893 – 1964).
- الكاتب والأديب الإسلامي عباس محمود العقاد المتوفى سنة 1964، في كتابه «الفلسفة القرآنية».
- الأستاذ والمفكر أمين الخولي المتوفى سنة 1965 في كتابه «التفسير، معالم حياته، منهجه اليوم».
- الأستاذ الشيخ محمد عزة دروزة، من مواليد سنة 1888، في كتابه «التفسير الحديث».
- الشيخ العلامة محمد عبد العظيم الزرقاني، في كتابه «مناهل العرفان في علوم القرآن»، وذكر أن هناك ضوابط وشروطا للقول بالتفسير العلمي.
- الأستاذ المفسر سيد قطب (1906 – 1966)، في مواضع كثيرة من تفسيره «في ظلال القرآن»، مثل تفسيره لقوله تعالى: ﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت

---

(1) يراجع للتوسع هذا المصدر المهم حول التفسير العلمي للقرآن الكريم: كارم، السيد غنيم، الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق، القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، 1995، ص113-167، 255-283، 284-300.

للناس والحجج ﴿ (البقرة: 189)، وتفسيره للآية التي في سورة فصلت: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ (فصلت: 53).

وهنا لا بد من الإشارة إلى نقطة مهمة جداً تتعلق بموقف الأستاذ سيد قطب حول هذه المسألة. فقد زعم بعض الباحثين أن هذا خلاف ما هو ثابت في تفسيره في ظلال القرآن، وأنه من القائلين والمؤيدين للتفسير العلمي جملة وتفصيلاً، بينما الأمر ليس كذلك.

إن الأستاذ سيد قطب قد علّل موقفه الراض للتفسير العلمي بشكل مختصر وواضح، فذكر أن ذلك خطأ منهجي أساسي، كما أنه ينطوي على معان ثلاثة كلها لا تليق بجلال القرآن الكريم. الأول: الهزيمة الداخلية التي تُخيل لبعض الناس أن العلم هو المهيمن والقرآن تابع.. الثانية: سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته وأنه حقيقة نهائية مطلقة.. والثالثة: التأويل المستمر -مع التمحل والتكلف- لنصوص القرآن كي نحملها ونلهث بها وراء الفروض والنظريات التي لا تستقر ولا تثبت. كل أولئك لا يتفق وجمال القرآن. ثم عقب قائلاً: إن ذلك لا يعني ألا ننتفع بما يكشفه العلم من نظريات ومن حقائق عن الكون والحياة والإنسان في فهم القرآن، كلا؛ إن هذا ليس هو الذي عني بذلك البيان<sup>(1)</sup>.

ومن المعارضين للتفسير العلمي:

- الأستاذ المفكر عبد الواحد وافي.

- الأستاذ إسماعيل مظهر الذي اعتبر هذه الظاهرة في التفسير نوعاً من البدعة المستحدثة التي ستؤدي حتماً إلى الصراع بين الدين والعلم<sup>(2)</sup>.

---

(1) انظر: في ظلال القرآن، ج 1، ص 180-1184، وانظر: التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص 318-321 بتصرف، وللباحث كاتب هذه السطور بعض البحوث الأخرى حول فكر ومنهج الشهيد سيد قطب في التفسير أثبت فيها أنه ليس من القائلين بالتفسير العلمي مطلقاً، وإنما الذي ورد على لسان الشهيد هو ما ذكرناه سابقاً من أنه لا مانع من الاستفادة والاستعانة بالاكشافات العلمية التي هي في درجة الحقيقة الثابتة التي لا تخضع للشك، وليس الفروض والنظريات.

(2) التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص 297-330 بتصرف شديد. وللوقوف على مزيد من مما كتبه العلماء حول التفسير العلمي للقرآن واجتهادات العلماء حول ذلك انظر هذه المراجع القيمة والمفيدة: أبو الخير، محمد عادل: اجتهادات في التفسير العلمي في القرآن الكريم، مركز الدلتا للطباعة، سبورتنج، القاهرة، ط 1، 1988، 21-82؛ خليل، عماد الدين، مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1983، ص 9-14؛ كارم، السيد

- الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه المشهور «التفسير والمفسرون»<sup>(1)</sup>.
- أستاذ الفلسفة الإسلامية، الأستاذ الدكتور عاطف العراقي.
- الشيخ عبد الكريم الخطيب.

ويمكن القول بأن هذا هو مذهب جمهور المفسرين المتقدمين مثل الإمام الطبري، والإمام القرطبي، والبيضاوي، وابن كثير، وأبي السعود، وغيرهم، إذ لم ينقل أحد عنهم شيئاً في هذا الخصوص، والله أعلم.

### سادساً: أصحاب التوفيق بين الآيات القرآنية والعلوم الكونية

فبعد أن عرفنا أصناف الناس ومواقف العلماء تجاه هذه القضية، رأينا هناك فريقاً آخر من الناس الذين يرون أنه يمكن التوفيق بين ما استجدَّ من العلوم الكونية والعلمية وبعض آيات القرآن التي تشير إلى تلك العلوم، وهذا مذهب بعض المسلمين من الفلاسفة القدامى، مثل ابن سينا والفارابي والكندي.

«وكان اتجاه أصحاب النزعة التوفيقية بين الفلسفة والدين يقوم على أساس تأويل النصوص الدينية وحملها على معانٍ تتفق وما تقول به الفلسفة. وجذور هذا الاتجاه ترجع إلى فلاسفة اليونان وما صنعوا مع نصوص الأساطير التي كانت لها قداسة دينية، وأولوها تأويلاً مجازياً. وقد قام بعض الفلاسفة المسلمون بشرح الفلسفة اليونانية، ومن ثم محاولة الجمع بين آراء رجالها والإسلام، حتى قيل إن الجمع بين الدين والفلسفة كان غاية أكثرهم، ولا سيما فلاسفة العرب. وقد ذكر الإمام البيهقي أن الفيلسوف الكندي جمع في تصانيفه بين أصول الشرع وأصول المعقولات. وأنه أقام تفسيره للآيات القرآنية على أساس عقلي استقاه من دراسة الفلسفة. وممن حاولوا التوفيق بين الفلسفة والشريعة من فلاسفة الإسلام أبو نصر

---

غنيم، الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق، القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، 1995، ص113-167، 255-284، 283-300.

(1) كارم، السيد غنيم، الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق، ص121-122. وقد ذكر أستاذاً الدكتور سعاد يلدرم الأسباب التي دفعت الشيخ الذهبي إلى ذلك، في ورقته التي قدمها للمؤتمر العالمي في إسلام آباد سنة 1987.

الفارابي. فقد قال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾ (الحديد: 3)، قال الفارابي: «لا وجود أكمل من وجوده، فلا خفاء به من نقص الوجود، فهو في ذاته ظاهر ولشدة ظهوره باطن، وبه يظهر كل ظاهر، كالشمس تُظهر كل خفي وتستبطن لا عن خفاء»، وأنه حاول أن يثبت أنه لا خلاف بين الفلسفة اليونانية وعقائد الشريعة الإسلامية. وابن سينا أيضاً حاول التوفيق بين الدين والفلسفة<sup>(1)</sup>.

كما حاول ذلك بعض الكتاب والباحثين المعاصرين ممن ليسوا بفلاسفة. وأصحاب هذه النزعة من المعاصرين غالبيتهم من الكتاب والباحثين والأطباء، وليسوا من المفسرين الكبار المشهورين أو المختصين في التفسير، وإنما لهم جهود مباركة في الدراسات القرآنية والعلمية، لا سيما في متابعة عجلة الاكتشافات العلمية الحديثة، والبحث في الآيات القرآنية التي تشير أو تدل إلى شيء من ذلك.

وبناء على ما تقدم، يمكن أن نبتغي بين ذلك سبيلاً، وأن نبحث عن طريق وسط في هذه المسألة المهمة، وأن نقول بأن هذا اللون من التفسير العلمي لا نقبله جملة وتفصيلاً، كما أننا لا نرفضه جملة وتفصيلاً، وإنما علينا مراعاة بعض الضوابط والشروط التي ذكرها بعض العلماء، والتي استخلصتها من كتبهم من خلال دراستي لهذا الموضوع. فإذا ما توفرت هذه الشروط والضوابط يمكن الاعتماد عليه والأخذ به إن شاء الله تعالى، فأقول:

## المبحث السادس: شروط وضوابط التفسير العلمي الفلسفي

### والعلمي التجريبي

ذكر أهل العلم بعض الضوابط والشروط التي ينبغي مراعاتها عند القيام بهذا النوع من التفسير، نذكر منها ما يلي:

- ألا تطغى تلك المباحث على المقصود الأول من القرآن، وهو الهداية والإعجاز.

(1) زغلول، الشحات السيد، الاتجاهات الفكرية في التفسير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1977، 299-318 بتصرف. وللمزيد حول آراء الفيلسوف الفارابي انظر: عطوي، فوزي، الفارابي فيلسوف المدينة الفاضلة، قدم له: الدكتور: صبحي الصالح، دار الكتاب العربي، د. م. د. ت، ط، ص 97-171.

- أن يُلاحظ في مزج أو إدخال تلك العلوم بالتفسير ما يلائم العصر والناس، لأنها قد تكون مفيدة في الأوساط المثقفة، وقد تكون فتنة ونكبة لفئة أخرى من الناس وفي الأوساط الجاهلة<sup>(1)</sup>.
- لا حرج على المفسر أن يستدلّ بالاكشافات والحقائق العلمية الثابتة المسلّم بها، وليس بالفرضيات، ما يغني ويثري المعنى الوارد في النص القرآني، وما يتوافق مع روح النص ومقاصد الشريعة الإسلامية، وأن يؤتى بذكر تلك الاكتشافات على سبيل الاستئناس وإلقاء مزيد من الضوء على عظمة الآية الكريمة.
- ألا يتكلّف المفسر بأن يُحمّل النص ما لا يحتمله أو أن يأتي بمعان بعيدة وغير مقصودة من السياق العام للآيات، أو السباق أو اللحاق، لأنه وُجد في الساحة الإسلامية من العلماء من شحن وملا تفسيره بالفرضيات والنظريات ظنّاً منه أنها حقائق. ثم إنه مع مرور الزمن، سرعان ما تحولت تلك الحقائق المزعومة إلى فرضيات ونظريات ملغاة لا قيمة لها، لأن عجلة العلم كل لحظة تتحرك.
- أن لا نصاب بالهزيمة النفسية التي تجعلنا كلما ظهر شيء جديد نقول إن ذلك من إعجاز القرآن حتى يؤمنوا بالقرآن، كما أكد ذلك الأستاذ سيد قطب في ظلاله. وعلينا أن نطلق من الحقيقة الدينية الواردة في القرآن إلى الحقيقة العلمية أو الفلسفية، وليس العكس. لأن القرآن جاء بحقائق علمية متناهية وثابتة، وأما العلم الحديث فجاء بحقائق علمية غير متناهية، فلا يمكن تفسير المتناهي بغير المتناهي.
- قد أجمع العلماء قديماً على أن الغرض أو المقصد الأساسي والأسمى الذي من أجله نزل القرآن هو هداية البشرية جمعاء إلى عقيدة صحيحة غير مشوبة بالانحرافات والأضاليل والبدع، وهدايتهم إلى التي هي أقوم وأسلم. القرآن الكريم لم ينزل ليكون موسوعة في علم الفيزياء أو علم الفلك أو الرياضيات أو الطب أو الجيولوجيا وغير ذلك من العلوم الإنسانية المستحدثة. نعم هناك بالتأكيد إشارات وإشعاعات من بعض العبارات القرآنية إلى تلك العلوم، فمن أراد

(1) الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج2، ص113.

التعمّق والتوسع فيها فعليه أن يرجع إلى مصادر تلك العلوم لدى أهل الذكر والاختصاص، وأن يتعلم منهم. وأعتقد أن هذا من إعجاز القرآن الكريم، إذ يكتفي بالإشارة إلى ذلك فقط، فكأنه يقول لنا: هذا هو الطريق والسبيل المؤدي إلى ذلك الكنز فابحثوا عنه. وأعتقد أن المسلم لا يشك أن هذا القرآن الكريم مليء بالأسرار والكنوز، وأن الاكتشافات العلمية ستواصل مسيرها إلى قيام الساعة، لأن هذا يتماشى مع إعجازه، وكونه كتاب كل زمان وكل مكان، كما قال الشاعر:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً  
ويأتيك بالأخبار ما لم تزود

- الإيمان واليقين بأن القرآن الكريم إنما أنزل للتدبر والتفكير والتعقل في آياته حتى نهتدي إلى الإيمان به سبحانه وتعالى من خلال نظرنا وتفكرنا فيها، وأنه نزل ليحلب لنا السعادة في الدنيا والآخرة، هذا هو المقصد الأساسي من نزوله، كما أكد ذلك الشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا وغيرهم من الإصلاحيين.

- وأخيراً، ذكر الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني بعض الآثار والفوائد الناجمة من مزج العلوم الكونية بالتفسير، فنذكر منها: «مسايرة أفكار الناس ومعارفهم، وتفسير القرآن لهم تفسيراً يشبع حاجاتهم من الثقافة الكونية. دفع مزاعم القائلين بأن هناك عداوة بين العلم والدين. استمالة غير المسلمين إلى الإسلام من هذا الطريق العلمي الذي يخضعون له دون سواه في هذه الأيام. الحث على الانتفاع بقوى الكون. امتلاء النفس إيماناً بالله وقدرته حينما يقف الإنسان في تفسير كلام الله على خواص الأشياء ودقائق المخلوقات»<sup>(1)</sup>.

هذا ما تبين لي في هذه المسألة الشائكة، وإن هذا الذي ذكرته هو الصحيح والصواب من خلال مطالعتي لأقوال العلماء السابقين والمتأخرين، وأعتقد أن هذا هو القول الوسط والأسلم فيه والله أعلم بالصواب<sup>(2)</sup>.

(1) الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج2، ص112.

(2) للوقوف على مزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع في التفسير انظر: العك، خالد عبد الرحمن، أصول التفسير وقواعده، بيروت، دار النفائس، لبنان، ط2، 1986، ص217-224، وانظر أيضاً: الرومي، فهد بن عبد الرحمن،

وما من شك أن هذه المسألة العلمية من المسائل العويصة، وتحتاج منا الباحثين مراجعة آرائنا وكتاباتها عنها بين حين وآخر بسبب الاكتشافات العلمية الكثيرة. فربما في ما بعد تتحول بعض النظريات العلمية إلى حقائق، كما أنه من الممكن جداً أن تتحول بعض الحقائق العلمية المزعوم أنها ثابتة إلى نظريات تافهة، والله أعلم.

---

أصول التفسير ومناهجه، الرياض، مكتبة التوبة، 1413هـ، ص94، وانظر أيضاً: القرضاوي، يوسف، كيف نتعامل مع القرآن العظيم، القاهرة: دار الشروق، ط1، 1999، ص324-369، وانظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، القاهرة: دار الشروق، ط11، 1985، ج1، ص180-182، وانظر: الشاطبي، أبو إسحق، الموافقات في الشريعة الإسلامية، ج2، ص69، وانظر: الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، القاهرة، مكتبة وهبة، ط2، 2000، ص364-381، وانظر: الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، تحقيق: أبي حفص سيد بن إبراهيم بن صادق، القاهرة، دار الحديث، ط1، دت، ج1، ص289، وانظر: السيوطي، أبو عبد الرحمن، الإتيان في علوم القرآن، بيروت، دار الفكر، دط، 1979، ج4، ص27-31، وانظر: الذهبي، محمد حسين، الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم.. دوافعها ودفعها، القاهرة: مكتبة وهبة، ط3، 1986، ص83-91؛ الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج2، ص109-113؛ الشراقوي، محمد عفت، الفكر الديني في مواجهة العصر.. دراسة تحليلية لاتجاهات التفسير في العصر الحديث، ص393-405، وانظر:

Jansen, J. G, *The Interpretation of the Koran in Modern Egypt*, 34 –53.



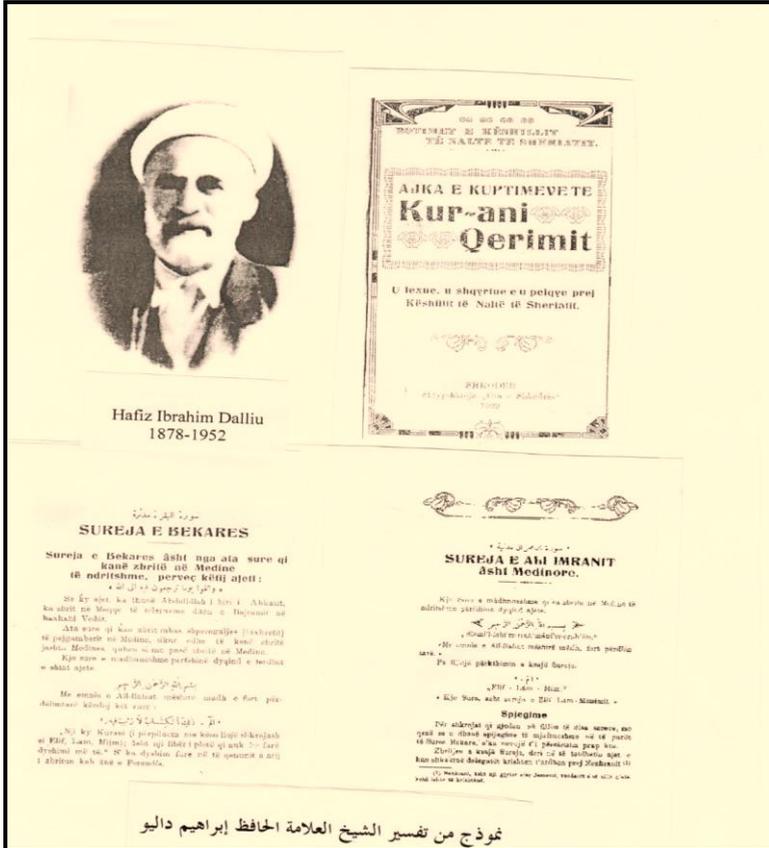
## الباب الرابع

الاتجاه الفكري العقدي السني الماتريدي في الدراسات  
القرآنية المتمثل في فكر الشيخ الحافظ إبراهيم داليو  
(Hafiz Ibrahim Dalliu)



# الفصل الأول

## دراسة فكر الشيخ الحافظ إبراهيم داليو من خلال تفسيره



### Ajka e Kuptimeve te Kur'ani Qerimit<sup>(1)</sup>

(غلاف تفسيره خلاصة معاني القرآن الكريم)

(1) أود أن ألفت نظر القراء إلى قضية مهمة جداً، وهي نظر أئسشت المادة العلمية بين بعض المصادر والمراجع والبحوث حول حياة الشيخ الحافظ إبراهيم داليو وأعماله، ونظراً لقلتها، رأيت من المناسب أن أكتب عن حياته وأعماله بشكل عام دون أن أشير إلى المصادر عن كل فكرة أو فقرة أكتبها، لأنني لم أجد معلومات كافية ومرضية في مصدر واحد مستقل، وآثرت أن أثبت المصادر والمراجع في نهاية هذا المبحث لمن أراد المزيد والتوسع والرجوع إليها.

## الخلفية التاريخية عن هذا الاتجاه لدى الألبان

أُلِّفت في هذا الاتجاه العقدي السني الماتريدي في التفسير بعض المؤلفات في بدايات القرن العشرين ونهايته، فوجد في المجتمع الألباني من فسّر ثلث القرآن الكريم تفسيراً علمياً منهجياً صحيحاً، مثل تفسير الشيخ الحافظ إبراهيم داليو (Hafiz Ibrahim Dalliu)، الذي سيكون موضوع دراستنا في هذا الفصل إن شاء الله تعالى. كما أنه وُجدت هناك تفاسير مطولة لبعض الآيات والسور من بعض العلماء الآخرين، مثل التفسير المطول لسورة الفاتحة من الشيخ (Haxhi Vehbi Dibra Agolli)، الحاج وهبي دبرا آغولي، والتفسير المختصر لبعض الآيات والسور من الشيخ الحافظ علي كورتشا كما رأينا في الباب السابق، ومثل التفسير الوجيز<sup>(1)</sup> للشيخ الحاج شريف أحمددي (Ahmedi Haxhi Sherif)، وغير هؤلاء الذين ذكرناهم. فهذا التيار الفكري العقدي السني الماتريدي وُجد في كتابات الألبان قديماً وحديثاً. وفَضَّلنا أن نأخذ نموذجاً واحداً من بين هؤلاء المفسرين، ليكون موضوع دراستنا في هذا البحث، نظراً لعلمه واشتهاره في المجتمع الألباني المسلم.

وفي هذا الفصل من هذا الباب سنتناول بإذن الله تعالى شخصية الحافظ إبراهيم داليو ومنهجه وتفسيره (خلاصة معاني القرآن الكريم)، وموقفه من بعض الآيات التي تتحدث عن القضايا العقديّة، مثل آيات الأسماء والصفات ورؤية الله تعالى وغيرها، مما سنقف عنده بشيء من التفصيل أثناء الدراسة والتحليل. وتفسير الشيخ الحافظ إبراهيم داليو هو من أكبر وأجّل التفاسير التي شهدتها التراث الإسلامي الألباني في العصر الحديث والموجود بين أيدينا اليوم، فلأجل ذلك سيكون وقوفنا عنده أكثر مقارنة مع غيره من النماذج والشخصيات.

---

(1) راجع هذه الصفحات من التفسير الوجيز للشيخ الحاج شريف أحمددي بعنوان: القرآن الكريم... ترجمة وتفسير معانيه إلى اللغة الألبانية، لترى كيف أنه أوّل آيات الصفات تماشياً مع المنهج الماتريدي.

Ahmeti, Sherif, *Kur'ani perkthim me komentim*, Medine, 1413, Arabia Saudite, 32, 88, 260, 322, 452, 524, 589, 590, 603, 617, 663, 665.

## المبحث الأول: التعريف بمؤلف هذا التفسير

هو الشيخ الحافظ إبراهيم داليو. ولد سنة 1878 في مدينة تيرانا (Tirana) عاصمة ألبانيا الحالية. ينحدر من أسرة متدينة ومتعلمة ذات ثقافة دينية عالية. صادف مولد الشيخ عصر النهضة القومية الألبانية، أيام بذور الانفصال والانفطام من الخلافة العثمانية التي قد ظهرت لدى بعض الأوساط الألبانية المثقفة، كما بينّا ذلك في الباب الأول من هذا البحث.

تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في مسقط رأسه، كما أنه حفظ القرآن الكريم في سن شبابه، ولا تشير المصادر إلى سن الحفظ للقرآن الكريم، ولا إلى أسماء المشايخ الذين حفظ على أيديهم. وحفظ القرآن الكريم كان سمة غالبية و ظاهرة منتشرة لدى علماء الألبان، إذ كان يندر بين دارسي العلوم الدينية في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات العشرين من لا يحفظ القرآن. ثم إن الشيخ التحق بدار العلوم في جامعة إسطنبول، عاصمة التلقي للعلوم والثقافات المختلفة باللغات الشرقية: الفارسية والعربية والتركية، لمواصلة دراسته العليا. ظروفه الاقتصادية الحرجة اضطرتّه إلى أن ينقطع عن الدراسة لفترة ما، على أمل أن يستأنف بعدها، ولكن شاء قدر الله ألا يستمر وألا يكمل دراسته العليا.

إن شخصية الشيخ الحافظ إبراهيم داليو متعددة الجوانب الثقافية. كانت شخصية سياسية ودينية ووطنية، وكانت حياته مليئة بالمواقف المشهود لها بالكفاح المستمر للحفاظ على الهوية الوطنية الألبانية من الانصهار والذوبان التام في الثقافة اليونانية والإيطالية والصربية. هذه الشخصية بقيت قرابة نصف قرن من الزمن مجهولة ومخفية عن الأنظار وتناول الدارسين. وشاء الله -عز وجل- أن يسقط وينهار ذلك النظام الغاشم الشيوعي لتظهر إلى الساحة شخصية هذا العالم الجليل، الذي خلف آثاراً علمية كثيرة ونفيسة، جديرة بالدراسة والتحليل.

وأثناء القيام بوظيفة الإمامة والخطابة وممارسة الشرائع الدينية في ألبانيا، كان للشيخ الحافظ إبراهيم داليو اهتمام خاص أيضاً بالقضية الوطنية الألبانية، لأنه نشأ نشأة المهتم بقضايا عصره. فقام بفتح المدارس العامة للتعليم باللغة الألبانية، ونشر الرسائل والكتب الألبانية لتثقيف

الشعب الألباني، رغم كون هذا العمل محظوراً لدى السلطات العثمانية، فقد كان التعليم باللغة الألبانية يعتبر إجراماً يعاقب عليه صاحبه، وهذا شيء غريب حقاً.

كانت المدرسة الأولى التي افتتحها الشيخ الحافظ إبراهيم خاصة للبنات، وذلك عام 1908. تخرجت فيها الدفعة الأولى من المعلمات المسلمات، فكان ذلك إسهماً كبيراً في تاريخ ألبانيا الثقافي والإسلامي. وفي عام 1909 عُيّن مدرساً لتعليم اللغة الألبانية في المدرسة الثانوية في مدينة ألباسان (Elbasan) في ألبانيا. ففي هذه المدرسة كان الشيخ الحافظ يُدرّس اللغات الشرقية (العربية والفارسية والتركية) للتلاميذ، حيث جاهد الشيخ الحافظ إبراهيم باللسان والقلم والنفس جهاداً كبيراً. كان فصيح اللسان، قوي البيان، أوتي مجامع الكلم، سرعان ما ذاع صيته في كافة الأوساط الألبانية، من خلال خطبه ومواعظه التي كان يلقيها في المساجد.

وأما في مجال السياسة فالشيخ الحافظ إبراهيم داليو شارك في عديد من المؤتمرات الكبيرة المحلية التي عقدت في ألبانيا. فشارك في مؤتمر مناستير (Manastir) عام 1908، وفي مؤتمر ألباسان (Elbasan) سنة 1909، وحضر الحفل الكبير يوم استقلال ألبانيا سنة 1912، وشارك في مؤتمر لوشنيا (Lushnja) سنة 1920. وكانت تُبحث في هذه المؤتمرات القضايا المصرية للألبان، مثل دراسة مخططات الأعداء لتجزئة الأراضي الألبانية وتقسيمها بين الدول المجاورة -لأن الدولة العثمانية كانت قد انهارت تماماً ولم تعد لها سيطرة للحفاظ على مصالح الألبان- والبحث في قضية الأبجدية واللغة الألبانية، وغيرها من الأمور والقضايا الهامة، فكانت مشاركة الشيخ مشاركة فعالة ومعروفة. فجهود الشيخ في بداية أمره انصبت على تخريج الأجيال الجديدة من الطلبة والمدرسين من تلك المدارس التي أنشأها، وفعلاً حقق نتائج ملموسة ومُرضية، فكان خير مثال للمعلم والمدرس المثقف الحر المسلم. كنت ترى الشيخ في كافة الاجتماعات التي تنعقد في البلاد، فكان الناس من الشباب والمشايخ يلتفون حوله يحبونه ويحترمونه أشد الاحترام.

## المبحث الثاني: تعذيبه وتعرضه للأذى بسبب مواقفه الدينية

### والوطنية<sup>(1)</sup>

وأما عن تعذيب الشيخ الحافظ إبراهيم داليو في السجون العثمانية في أواخر عهدها ثم السجون الألبانية في ما بعد، وتعرضه لأبشع أنواع التعذيب والتنكيل فحدث ولا حرج. ويبدو لنا أن هذا الأمر سنة إلهية، وأنه نادراً ما يسلم عالم أو داعية أو مفكر إسلامي من هذا الابتلاء، نرجو الله الثبات على دينه وطاعته. فالיום كثير من السجون مليئة بمثل هؤلاء العلماء في مختلف أرجاء العالم الإسلامي، وما الحال التي آل إليها الأستاذ سيد قطب وغيره من المفكرين والعلماء عنا ببعيد، نسأل الله تعالى أن يفرج عنهم وأن يجيرنا وإياهم من شر الطغاة الظالمين أينما وجدوا.

والشيخ الحافظ إبراهيم داليو، تعرض على أيدي الظالمين لصور من التعذيب يعجز اللسان عن وصفها. تذكر المصادر أنه تعرض لقلع الأسنان من فيه، ألبسوه بلباس النسوة حتى يشهروا به أمام الناس. كان الشيخ ومن معه من أصحابه الدعاة، لا يستطيعون الخروج إلى الشوارع

---

(1) ملاحظة: أود أن أشير هنا إلى مسألة مهمة جداً، وهي أن معنى الوطنية أو القومية في فكر الشيخ الحافظ إبراهيم داليو وغيره من أقرانه وزملائه المشايخ كما سنرى في البحث، هو نفس المعنى إلى حد كبير الذي فهمه الإمام حسن البنا -رحمه الله-، وعبر عنه في رسائله المختلفة. يقول الشهيد الإمام حسن البنا في إحدى رسائله مركزاً على هذه الفكرة ومبرزاً أهميتها: «ويخطئ من يظن أن الإخوان المسلمين يتبرمون بالوطن والوطنية، فالمسلمون أشد الناس إخلاصاً لأوطانهم وتفانياً في خدمة هذه الأوطان احتراماً لكل من يعمل لها مخلصاً. وأوصي بالبر والإحسان بين المواطنين وإن اختلفت عقائدهم وأديانهم: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) (المتحنة: 8). كما أوصي بإنصاف الذميين وحسن معاملتهم (لهم ما لنا، وعليهم ما علينا)، نعلم كل هذا فلا ندعو إلى فرقة عنصرية، ولا إلى عصبية طائفية. إن كان دعاة الوطنية يريدون بها حب هذه الأرض وألفتها والحنين إليها والانعطاف نحوها فذلك أمر مركوز في فطر النفوس من جهة، وأمور به في الإسلام من جهة أخرى. وأن كانوا يريدون أن من الواجب العمل بكل جهد في تحرير البلد من الغاصبين وتوفير استقلاله له وغرس مبادئ العزة والحرية في نفوس أبنائه، فنحن معهم في ذلك أيضاً. وإن كانوا يريدون بالوطنية تقوية الرابطة بين أفراد القطر الواحد وإرشادهم إلى طريق استخدام هذه التقوية في مصالحهم فذلك نوافقهم فيه أيضاً»، من رسالة: إلى الشباب، ص 180-181، ومن رسالة: دعوتنا، ص 19-20، من مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ميدان السيدة زينب، 1992.

العامّة. كان الولاية العثمانيون المتممون إلى جمعية الشبان الأتراك الأحرار (John Turqit) في آخر عهدّها يشجعون الغلمان والسفهاء من الناس أن يرموه بالحجارة ويشتموه ويهينوه، تماماً كما فعل سفهاء وغلّمان الطائف مع الرسول ﷺ. قامت الحكومة بضرب حصار تام على هؤلاء جميعاً، فلم يكن أحد من المسلمين يجرؤ أن يصلّي خلف هؤلاء، ولم يكن أحد يجرؤ أن يسلم عليهم ولا أن يكلمهم. كما أنهم لم يكونوا يُدعون إلى المحافل لحضور حفل الزواج أو الوفاة أو تشييع الجنّازة كما كانوا يدعون إليها من قبل. حصار تام كما حاصر المشركون الرسول والمسلمين في مكة المكرمة. حُكّم عليه بالسجن لمدة عشر سنوات من قبل المحكمة العسكريّة، ثم أُحيل إلى المنفى ومن سجن إلى آخر، وكان آخر سجن ذاق مره هو سجن يدي كول (Jedi Kule) في سلانيك - اليونان. وقد عبر الشيخ عن بشاعة هذا السجن وشدة التعذيب فيه، ووصفه بأنّه سجن (الجهنّمات السبعة). ومع ذلك فإنّ الشيخ لم يهن ولم يضعف ولم يستسلم أمام هؤلاء، وكان يجاهر بالحق لمحو الأمية والجهل الذي كان يسيطر على الشعب الألباني، ويؤكد أن ناقوس خطر الانصهار كان يدق، وأنّ الدولة العثمانيّة لم تكن تبالي كثيراً بذلك الخطر الذي كان يدهمهم.

الشيخ الحافظ إبراهيم داليو كثيراً ما دعتّه السلطات العثمانيّة للاستجواب حتى يتخلّى عن إصراره على تعلّم اللغة الألبانيّة ونشرها. وسبب معارضة الشيخ الحافظ إبراهيم كان أنّه وُجِدت هناك مجموعة من الأتراك المنافيين والخائنين يُسمّون (Xhon Turqit)، وكانوا يشيعون الأخبار الكاذبة ويحرضون الدولة العثمانيّة ضدّ الألبان قائلين إنّ تعلّم اللغة الألبانيّة اللاتينيّة يخرج المرء من ملة الإسلام ويدخله في الكفر، ويجعله يتخلّى عن القرآن ويدفعه إلى تدمير المساجد والتكايا... إلخ. وهؤلاء الأتراك المذكورون كانوا ضدّ الحكومة العثمانيّة الإسلاميّة في الوقت نفسه، وكانوا يهدفون إلى إنشاء دولة عثمانية قومية طورانية بحته بتشجيع من اليهود. فهم كانوا بمنزلة المنافيين في المجتمع الإسلامي العثماني والألباني، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. وفي غضون هذه التطورات والمحاولات لإحباط جهود الشيخ الحافظ إبراهيم داليو، قال مقولته الرائعة والمشهورة: «إنّ الجهل لا يزول بالدبابات والمدفعايات، وإنما يزول

بالرجال العاملين لنشر العلم». وظل الشيخ مصممًا وثابتًا على آرائه حتى أيام الملك الظالم أحمد زوغو، في ألبانيا، كما أنه تعرض للسجن والتعذيب أيضًا في أثناء احتلال الدولة الإيطالية الفاشية لألبانيا، وأيام الرئيس الألباني الشيوعي السابق، أنور خوجة. بقي صامدًا مثل الجبل الشامخ ولم يتزعزع أمام تلك العواصف والموجات الاجتماعية والدينية والسياسية المتلاطمة، فكان خير مثال يقتدى به وخير نموذج للصبر إلى أن وافته المنية في بلده الأم، ففارق الحياة عن عمر ناهز السبعين، سنة 1952، في تيرانا عاصمة ألبانيا، فأكرم به من شيخ وعالم ومجاهد.

### المبحث الثالث: أعماله وجهوده العلمية

كما ذكرنا سابقًا، فإن الشيخ الحافظ إبراهيم داليو كان شخصية ذات أبعاد فكرية متعددة، فبالتالي جاءت مؤلفاته موافقة ومطابقة لتلك الأبعاد التي كان يتمتع بها. ومؤلفاته عمومًا كانت تدور على محاور أربعة: الديني والاجتماعي والأدبي والسياسي. إلا أن كثيرًا من تلك المؤلفات التي خلفها وللأسف الشديد أحرقتها الحكومة الألبانية الشيوعية، لكن مع ذلك شاء الله -عزَّ وجلَّ- أن يبقى الشيء الكثير من تراث ذلك العالم الجليل. ومما يشهد على كثرة التأليف، شهادة صاحبه المعاصر الشيخ الألباني وهبي إسماعيل<sup>(1)</sup>، فقد ذكر بعض الباحثين عنه أنه قال: بلغ مجموع عدد الصفحات التي كتبها وترجمها الحافظ إبراهيم داليو عشرة آلاف صفحة. هذا الخبر إن كان صحيحًا كما روي، يبيِّن أن هذا العالم قد حقق ما لم يحققه غيره من إخوانه العلماء في مجال التأليف. ولا يستبعد ذلك منه؛ لأنه كان يملك مفاتيح الثقافات والحضارات الكبرى، فمفتاح كل ثقافة هو لغتها. فهو كان يجيد اللغة الفارسية والعربية والتركية، اللغات الشرقية الأساسية، إذن فلا غرابة من ذلك، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

---

(1) الإمام وهبي إسماعيل الألباني، إمام وخطيب للجالية الألبانية في الولايات المتحدة الأمريكية ورئيس المركز الإسلامي التابع للألبان.

وفي ما يلي تصنيف بعض مؤلفات الشيخ التي عثرتُ عليها بعد شق النفس في ألبانيا، والبعض الآخر ذكره الباحثون الآخرون.

### 1. خلاصة معاني القرآن الكريم (Ajka e Kuptimeve te Kur'ani Qerimit).

وهذا من أكبر مؤلفاته التي وصلت إلينا وأهمها، وهو تفسير غير كامل للقرآن الكريم، فقد وصل المؤلف بتفسيره إلى بداية سورة التوبة في ثلاثة مجلدات. وقد ذكر ذلك الشيخ الحافظ إبراهيم في كتابه (Libri i se falmes) قائلاً: «والكتاب صفوة معاني القرآن، ترجمته أنا شخصياً وطبع في مجلدين من قبل المشيخة الإسلامية، وهناك ثلاثة مجلدات أخرى غير مطبوعة»<sup>(1)</sup>.

فالحمد لله أن لهذه الشخصية الإسلامية الألبانية تفسيراً منهجياً بصرف النظر عن عدم إتمامه، ولكم تمنيت لو أنه أكمله كله، ولكن شاء الله تعالى أن يحول أجل المؤلف دون تحقيق ذلك الأمل المنشود، نرجو من الله العلي القدير أن يهيئ من عباده المخلصين من علماء الألبان من يواصل ذلك المشروع العظيم فإن الحاجة إليه ماسة جداً، كما حدث ذلك لكثير من العلماء الكبار الذين شرعوا في التفاسير ولكن الأجل حال بينهم وبين ما يودون إتمامه، فقام الطلبة المخلصون أو غيرهم من بعدهم فأنجزوا تلك المشاريع التي كان قد بدأها مشايخهم. مثل تفسير الشيخ محمد عبده الذي لم يكمله في حياته، فواصله تلميذه الشيخ رشيد رضا، ثم لم يكمله هو أيضاً. وتفسير الشيخ الشنقيطي الذي لم يكمله فواصله تلميذه المخلص الشيخ العلامة عطية محمد سالم، وتفسير الفخر الرازي وتفسير الجلالين وغير ذلك من التفاسير.

أما القضية الأخرى المهمة لهذا التفسير وصاحبه فهي أن هناك إشكالاً أثاره بعض الباحثين في صحة نسبة هذا التفسير إلى الشيخ الحافظ إبراهيم داليو. وحجة هؤلاء أنه ليس هناك على غلاف التفسير اسم الشيخ، فالغلاف خالٍ من الاسم. الموجود عنوان التفسير فقط ومكان وتاريخ الطبع:<sup>(2)</sup> (Ajka e kuptimeve te Kur'ani Qerimit)

أي: إن الكتاب من مطبوعات المجلس الأعلى للشريعة الإسلامية في ألبانيا:

(1) Mehdiu, Feti, *Perkthimet e Kur'anit ne gjuhen shqipe*, 48.

(2) Shtypshkronja, «Ora e Shkodres», Shkoder, 1929.

(Botimet e Keshillit te Nalte te Sheriatit)

ومكتوب عليه هذا التقرير باللغة الألبانية:

،(u shqyrtue e u pelqye prej Keshillit te Nalte te Sheriatit،U lexue)

أي أن هذا التفسير قرئ وأُقر من قبل المجلس الأعلى للشريعة الإسلامية. هذه هي البيانات الموجودة على غلاف كتاب التفسير. وكما يظهر أنه ليس هناك اسم للشيخ الحافظ إبراهيم إطلاقاً.

الجواب عن هذا الإشكال:

أولاً: قد تكون هناك أسباب سياسية وأمنية تجعل المرء أحياناً يفضل ألا يضع اسمه على الكتاب، ويضع اسم غيره، أو أنه يوكل للهيئة الإسلامية أن تتولى مسؤولية نشر الكتاب. إن ظروف ألبانيا السياسية والاجتماعية والدينية كانت سيئة للغاية في الوقت الذي صدر فيه تفسير الشيخ الحافظ إبراهيم، والهجمة الشرسة الوحشية ضد الدين ورجاله كانت أمراً واقعياً. ثانياً: وقد رجح الباحث الدكتور إسماعيل باردي صحة نسبة هذا التفسير إلى الشيخ الحافظ إبراهيم في دراسته عن منهج الشيخ في التفسير. وقد نقل الباحث المذكور شهادة شفوية عن أحد علماء الجالية الألبانية في الولايات المتحدة الأمريكية ممن عاصر الشيخ الحافظ إبراهيم، وهو الشيخ الإمام وهبي إسماعيل (Ismaili Vehbi)، أن هذا التفسير من عمل وجهود وتأليف الحافظ إبراهيم داليو ومن مؤلفاته الأصلية<sup>(1)</sup>.

ثالثاً: وأعتقد أن هذا أقوى الأدلة التي يمكن أن يزال بها هذا الإشكال، وهو إقرار الشيخ الحافظ إبراهيم نفسه في أحد مؤلفاته كما رأينا قبل قليل أنه ألف التفسير ( Ajka e kuptimeve te Kur'ani Qerimit)، وأن المشيخة الإسلامية طبعت منه مجلدين وبقيت ثلاث مجلدات أخرى بلا طبع ولم تظهر إلى الوجود<sup>(2)</sup>.

(1) Bardhi, Ismail, *Hafiz Ibrahim Dalliu dhe ekzegjeza e tij Kur'anore*, 101.

(2) Mehdiu, Feti, *Perkthimet e Kur'anit ne gjuhen shqipe*, 48.

رابعاً: ومن القرائن القوية الدالة على صحة نسبة هذا التفسير إليه وحدة الأسلوب، ووحدة الطريقة والمنهج في تفسير وتحليل الآيات ومعالجة الموضوعات. وهناك خط متوازن ومتعادل في شرحه للآيات، إذ إنه لم يفسر آية على حساب آية أخرى، فكل من عاش في ظلال تفسيره أو قرأ شيئاً منه يلاحظ هذه الحقيقة متمثلة بين يديه والله أعلم.

أظن أن هذا الإشكال زال بحمد الله تعالى، لا سيما أن بعض الباحثين المتأخرين الذين قاموا بدراسة حياة الشيخ وتفسيره مجمعون على أن هذا التفسير للشيخ الحافظ إبراهيم داليو. ونحن استطعنا بحمد الله تعالى أن نعثر على مجلدين اثنين فقط وأن نصورهما بعد أن تفضل الشيخ الدكتور رامز زكاي بإعارتهما لي من مكتبته الشخصية الضخمة والخاصة في ألبانيا، وهو مدير ومؤسس المعهد الألباني للفكر والحضارة الإسلامية فأنا له مقدر وشاكر. ومن مؤلفاته أيضاً:

## 2. مولد وحياة الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام<sup>(1)</sup>

(E lemja dhe jeta e te madhit Muhamed alejhi selam)<sup>(2)</sup>

## 3. فضائل ومزايا شهر رمضان المبارك<sup>(3)</sup> (Dhuntie Ramazani)

فسّر فيه آية الصوم مستأنساً بكلام الإمام الفخر الرازي، ثم تحدث عن فوائد الصوم الدينية والخلقية والصحية والاجتماعية والاقتصادية، وفرضية الصوم مفسداته وغير ذلك.

## 4. رسالة عن شعب الإيمان<sup>(4)</sup> (Nji broshure mbi degat e imanit)

هذه الرسالة كما صرح المؤلف هي ترجمة لشرح الحديث: «الإيمان بضع وسبعون شعبة» من شرح صحيح البخاري للعلامة محمود بدر الدين العيني الحنفي.

---

(1) وهذا الكتاب لدي نسخة مصورة منه، حصلت عليه في المكتبة المركزية في تيرانا-ألبانيا، والكتاب يقع في 228 صفحة، كتبه الشيخ بلغة سلسلة جذابة سهلة على شكل الشر.

(2) Shtypshkronja «Shkodra», Tirane, 1934.

(3) Shtypshkronja «Tirana», Tirane, 1935.

(4) Shtypi «Tirana», Tirane, 1943.

## 5. عقيدة المسلمين (Besimet e Muslimaneve) (1)

ذكر فيها المؤلف بعض الأدلة والبراهين على إثبات وجود الله تعالى، وفيها أيضاً ثناء على الله تعالى وبيان فضل رسوله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، وعلى الإمام أبي حنيفة والإمام أبي منصور الماتريدي.

## 6. ما هو الإسلام؟ (C'ashte Islamizma) (2)

ذكر المؤلف فيها بعض قضايا الإسلام والإيمان على طريقة السؤال والجواب على مذهب أهل السنة والجماعة.

## 7. كتاب الصلاة (Libri i se falmes)

وفيه بين أحكام الصلاة والطهارة وفوائدهما. وفيه أيضاً ترجمة وتفسير لبعض قصار السور التي يتلوها المصلي عادة في صلواته حتى يكون على بينة منها.

## 8. بطولات ألبانية في تيرانا (3) (Patriotizma ne Tirane) (4)

أما مؤلفاته المترجمة فنذكر بعضاً منها:

1. ترجم الشيخ كتاب الإمام البرجوي (929-981هـ) بعنوان «الطريقة المحمدية»

(Udha Muhamedane) (5) (6).

---

(1) Shtypi «Tirana», Tirane, 1942.

(2) Shtypi «Qendra Islamike Amerikane», 1992.

(3) كتبه في أواخر أيام الدولة العثمانية بين سنة 1908-1915، وذكر فيه نحو مائة وخمسين شخصية وطنية، بالإضافة إلى بعض الشخصيات الدينية الإسلامية من الذين تعرضوا للابتلاء ولأشد أنواع التعذيب والتنكيل على يد السلطات العثمانية (الشبان الأتراك)، وكان الشيخ واحداً منهم. وقد بين الشيخ سبب ذلك التشهير والتعذيب، وهو ثبات وصمود الشيخ وزملائه على فكرة ضرورة التعلم باللغة الألبانية.

(4) Shtypshkronja «Imazh», Tirane, 1995.

(5) vol. 1, Tirana, Tirane, 1936.

(6) أعيد طبع هذا الكتاب للمرة الثانية عام 2000 من قبل مدير ومؤسس المعهد العالمي الألباني للفكر والحضارة الإسلامية د. رامز زكاي. وهذا الكتاب في الأصل كتاب عقيدة أهل السنة والجماعة، فيه قضايا تتعلق بالقرآن والتوحيد

2. ترجم الشيخ كتاب الأستاذ عمر نصوص بعنوان «دروس نظرية وتطبيقية في التربية

الإسلامية»، بعنوان: (1) Mesime teorike dhe praktike te moralit Islam

3. ترجمته لأحاديث كتاب الأربعين النووية بعنوان Hadithi erbain

4. ترجمته لكتاب «أحكام تجويد القرآن»، ولم يذكر المؤلف من أي لغة ترجمه، بعنوان:

(2) i perkthym prej H. Ibrahim Dalliu, Texhvijs i Kur'anit

بالإضافة أن للمؤلف مؤلفات أخرى أدبية ونثرية ونقدية وسياسية لا يتسع المقام هنا

لسردها جميعاً<sup>(3)</sup>.

---

ونواقض التوحيد والبدع في الدين وأنواع العلوم وأنواع الكبائر وأمراض القلوب. والكتاب كان له فضل كبير، فقد سد فراغاً كبيراً في المجتمع الألباني المسلم.

(1) Shtypshkronja «Tirana», Tirane, 1935.

(2) Shtypshkronja «Sanxhakcian», Tirane, 1921.

(3) لمعرفة المزيد عن حياة الشيخ الحافظ إبراهيم داليو وفكره وأعماله، انظر هذه المصادر الأولية:

Bardhi, Ismail, *Hafiz Ibrahim Dalliu dhe ekzegjeza e tij Kur'anore*, 75-100; Zekaj, Ramiz, *Zhvillimi i kultures Islame nder shqiptaret gjate shek. XX*, 309-312; Feja, *Kultura dhe Tradita Islame nder shqiptaret*, (أعمال وبحوث المؤتمر العالمي) artikulli Hysni Myzyrit, *Hafiz Ibrahim Dalliu per mesimin shqip ne etapen e fundit te Rilindjes*, 405-410; Mehdiu, Feti, *Perkthimet e Kur'anit ne gjuhen Shqipe*, Logos-A, Shkup, 1996, 21-30; Dalliu, Hafiz Ibrahim, *Patriotizma ne Tirane*, Imazh, Tirane, 1995, 37-48; *Turkiye Diyanet Vakfi Islam Ansiklopedisi*, baglarbashi, Kisikli caddesi, 7 Uskudar – Istanbul, 1997, Vol.15, fq. 92.

Kasollja, A, Faik, *Hafiz Ibrahim Dalliu Jeta dhe vepra*, Tafaj, Sinan, *Jeta e Hafiz Ibrahim Dalliu*, Delisula, Rezarta, *Tiranasi qe perktheu Kuranin* (مقالات وبحوث في الإنترنت), Hasnaj, Ibrahim, ne: Hafiz, Ibrahim Dalliu, *Vepra Letrare, Dokrra hini, Grenxat e kuqe te Tiranës, Nje ander e ime* Petrit Kusi, Botimet Enciklopedike, Tirane, 2000, 91-95.

## المبحث الرابع: بيان منهج الشيخ الحافظ إبراهيم داليو في تفسيره

إن المسلمين الذين عاشوا في الدول البلقانية، حقاً واجهوا مشاكل اجتماعية وسياسية ودينية وفكرية. وعلى رأس هؤلاء الذين ابتلوا ونالوا النصيب الأوفى من مشقة هذه التحديات، المفكرون والعلماء الألبان، فكما قال الباحث الدكتور إسماعيل بارذبي: «المسلمون في البلقان، سواء الألبان أو البوسنيون وغيرهم عاشوا ألواناً مختلفة من الحياة، وحقاً عاشوا في حالة يرثى لها وظروف صعبة للغاية. عاشوا أزمة العقل<sup>(1)</sup> وأزمة الحقيقة التاريخية، كما أنهم عايشوا هزة الفضائل الحضارية. كثير من المشاكل لم تعالج، أو أنها عولجت بطريقة غير مرضية. لكن قوة إيمان هؤلاء العلماء والمفكرين وحبهم وإخلاصهم للإسلام والمسلمين، دفعتهم إلى أن يشتغلوا بالتفسير. إن حبهم للشرق وتأثرهم بالغرب كان أمراً واقعياً أو ظاهرة ملموسة. فالناس بحثوا عن الله -عزَّ وجلَّ- وعن فكرة الإنسان والعالم والطبيعة والحرية والمرأة وغيرها من القضايا. ففي غضون هذا العصر وهذه التطورات بجانب الترجمات للقرآن الكريم وُجد التفسير أيضاً من قبل الألبان والبوسنيين. والذي يلفت نظرنا إليه هو المنهج المتقارب بين علماء الألبان وعلماء البوسنة. ففي عام 1929، طُبِعَ التفسير الأول في ألبانيا للشيخ الحافظ إبراهيم داليو، وفي الفترة ذاتها وجد تفسير عند البوسنيين للشيخ شكريا آلاقش (Shukrija Alagic)، الذي طبع سنة 1931، والذي ترجمه صاحبه من تفسير المنار للشيخ رشيد رضا<sup>(2)</sup>.

أما عن منهج الشيخ وطريقته في تفسيره فأقول وبالله التوفيق والهداية:  
شرح المفسر الشيخ الحافظ إبراهيم داليو في تفسيره بلا تمهيد ولا مقدمة، وهو خلاف العادة التي جرى عليها المفسرون الكبار من السلف الصالح والمتأخرين من بيان منهجهم

(1) حول أزمة العقل المسلم راجع للفائدة والمقارنة: أبو، سليمان، عبد الحميد، أزمة العقل المسلم، دار العالمية للكتاب الإسلامي، ط2، 1992.

(2) Bardhi, Ismail, *Hafiz Ibrahim Dalliu dhe ekzegjeza e tij Kur'anore*, 160.

وطريقتهم في التفسير، حتى يكون القارئ على بينة من الأمر، فالشيخ لم يبيّن المنهج الذي سيسلكه في تفسيره، ولا شك أنه بهذا أهمل قضية مهمة. فهو لم يفعل كما فعل الإمام القرطبي في مقدمة تفسيره<sup>(1)</sup>، وكما فعل الإمام ابن جرير الطبري<sup>(2)</sup>، وكما فعل الإمام ابن كثير<sup>(3)</sup>، والإمام أبو حيان<sup>(4)</sup>، وغير هؤلاء كثيرون. فأمثال هؤلاء الأعلام لم يكونوا مجهولين على الشيخ الحافظ إبراهيم حتى نلتمس للشيخ عذراً بعدم معرفة هؤلاء. وضرورة المقدمة تكمن في أمر مهم للغاية، إذ فيها بيان من الكاتب أو المفسر على طريقة عمله ومنهجه أو شرطه كما عبر عن ذلك الإمام القرطبي، أو كما فعل ذلك الشهيد سيد قطب في ظلالة<sup>(5)</sup>. وكان يتطرق إلى تفسير وتحليل السورة مباشرة، فيذكر البسملة بالنص العربي، ثم يعقب ذلك ببيان مكان نزول السورة. وإن ورد شيء من الآثار حول فضل السورة فهو يبين ذلك، كما أنه يذكر الأسماء الواردة للسورة. يعلل سبب التسمية بهذا الاسم، ويذكر المقاصد والمعاني العظيمة للسورة كما عبر هو<sup>(6)</sup>. فكلمة المقاصد وردت على لسان الشيخ في تفسيره لسورة الفاتحة باللغة الألبانية: (te Kur'anit Qellimet e medha)، أي: مقاصد القرآن الكبرى، والفاتحة اشتملت على بعضها

(1) انظر: تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1962، ج1، ص20.

(2) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تقريب وتهذيب لإمام المفسرين والمؤرخين أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (224-310)، هذبه وقربه وخدمه صلاح عبد الفتاح الخالدي، خرّج أحاديثه: إبراهيم محمد العلي، دار القلم، دمشق، ط1، 1997، ج1، ص1-3.

(3) انظر: ابن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار المعرفة، ط1، 1406هـ، ج1، ص1-5.

(4) انظر: تفسير أبي حيان، أثير الدين محمد بن يوسف، البحر المحيط، مصر، مطبعة السعادة، ط1، 1328هـ، ج1، ص6-9.

(5) انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، القاهرة، دار الشروق، ط1، 1985، ج1، ص38-39.

(6) حول مبدأ المقاصد وأهمية هذا العلم انظر: الموافقات في أصول الشريعة الإسلامية للإمام أبي إسحق الشاطبي، بتحقيق الشيخ إبراهيم رمضان مقابلة عن الطبعة التي شرحها الشيخ عبد الله دراز، ج2، ص323-662، وانظر أيضاً: البوطي، سعيد رمضان، ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، وللباحث بحث غير منشور حول دراسة ونقد هذا الكتاب.

أو كلها إجمالاً، ففيها ثناء على الله وفيها عبودية مطلقة لله تعالى وغيرها من المقاصد التي يجب التنبه لها أولاً.

يشرع في تفسير البسملة، وبعد أن يفرغ منها يُعقَّب قائلاً: الشرح، فيبدأ يشرح الآيات بشيء من التفصيل. ثم إن الشيخ في تفسيره للبسملة ذكر ما ذكره جمهور المفسرين من أن هناك كلاماً محذوفاً تقديره: أي بسم الله أقرأ وأكتب.

ثم إنه شرح لفظ الجلالة (الله) وذكر أن هذا من أسماء الله الحسنى، ولا يسمى أحد غير الله بهذا الاسم، وهو سبحانه واجب الوجود، ولأننا عندما نتلفظ بهذا الاسم يحضر على البال ذات الله -جلّ وعلا- المتصف بصفات الكمال التي تليق به جل جلاله<sup>(1)</sup>.

أثناء تفسيره للآيات يعقب بذكر قاعدة، كما فعل الإمام ابن كثير أحياناً في تفسيره. ففي هذه القاعدة بين الشيخ بعض القضايا العلمية والضوابط المنطقية المتعلقة بمعاني أسماء الله تعالى. يتطرق إلى ذكر بعض المسائل الحساسة في ما يتعلق بالأسماء والصفات، وبيان المعاني الواردة فيها، ولكن كل ذلك مع نفيه وحذره كلما يتبادر إلى الذهن من معاني البشرية في ما يخص ذات الله تعالى. فهو سبحانه ليس كمثله شيء، وهو تعالى منزّه عن صفات النقص، وهو تعالى أيضاً السميع العليم، وهو متصف بكل صفات الكمال اللائقة به سبحانه<sup>(2)</sup>.

ويردُّ على المناطقة والذين تأثروا بعلومهم من الفرق المبتدعة، من أمثال المعتزلة والجهمية وغيرهم ممن حاولوا تطبيق القواعد المنطقية الفلسفية في فهم الغيبات وأمور الدين، فضلوا وأضلوا غيرهم، رغم كون أهدافهم صافية نقية لتنزيه الله عز وجل، لكنهم وقعوا في شبكة

---

(1) انظر: تفسير الشيخ الحافظ إبراهيم داليو: *Ajka e kuptimeve te Kur'ani Qerimit*، ج1، ص305، من الآن

فصاعداً: انظر: *Ajka e kuptimeve..*

(2) ولكن مع هذا الحذر الشديد ومع هذا التنزيه وجدناه -رحمه الله- يؤول آيات الصفات، تمشيًا مع مذهب الماتريدي، كما سرى ذلك في الفصل الثاني من هذا الباب إن شاء الله تعالى.

الإنكار والنفي والتعطيل<sup>(1)</sup>. فحديث الشيخ حول القضايا المنطقية فيه دلالة على فهم الشيخ للمنطق الأرسطي إلى حد كبير.

كان يهدف من خلال تفسيره إلى تصحيح بعض المفاهيم المغلوطة والموجودة لدى الألبان المسلمين وغيرهم، لأن الصراع الفكري في المجتمع الألباني كان أمراً قائماً، حيث انتشار الشيوعية ومبادئها، والهجوم الشرس على الدين وأهله في مرحلة العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن، بات قضية مسلمة بها<sup>(2)</sup>. فكان من الضروري أن يتناول الشيخ الحافظ إبراهيم داليو تلك القضايا وأن يبين وجه الصواب فيها، وهذا يدل على حسن فهمه للواقع الذي عاش فيه، واستجابته بطريقة فعالة لتحديات عصره.

ويتطرق إلى مناقشة بعض المسائل اللغوية والصرفية، كما يظهر ذلك واضحاً في تفسيره لكلمة: (رب)، إلا أنه لم يقف على ظاهر مدلول الكلمة، وإنما كان يتعمق إلى أبعاد هذه الكلمة ومضمونها لاستخراج معاني أخرى. فذكر أن من معاني الرب الخالق والمطعم والمدبر ومالك الملك، ولا شك أن الله عندما خلق الخلق فإنه لم يهملهم عبثاً، وإنما قام أيضاً بتدبير شؤونهم في كافة المجالات الدينية والدنيوية<sup>(3)</sup>. فنجده أيضاً في تفسيره لكلمة: (العالمين) يقول ما ملخصه:

«أي إن هذه العبارة جاءت على صيغة الجمع، وهو اسم يطلق على كل الكائنات ما عدا الله سبحانه، سواء أكانت الكائنات صغيرة أم كبيرة. وبها يُستدل على وجود الله تعالى، ولكي يبين الله تعالى أن كافة المخلوقات لا تستغني عن تربيته الله وتدبيره إياها، وردت صيغة الآية بـ: (ال) وذلك للشمول والاستغراق، وأن عليهم أن يشكروه حق شكره. فكل المخلوقات لما خلقت

---

(1) للمزيد حول الاتجاهات المنحرفة في الدين والتفسير، انظر: الذهبي، محمد حسين، الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1996، ص47-62، وانظر: الشحات، زغلول، الاتجاهات الفكرية في التفسير، الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1977، ص186-216.

(2) عن الخصائص التاريخية والدينية والاجتماعية في الأراضي الألبانية انظر دراسة الباحث المستشرق الإيطالي:

Dela Roka, Roberto Moroco, *Kombesia dhe Feja ne Shqiperi* ..., 117-142.

(3) انظر: *Ajka e kuptimeve..*، ج1، ص8-9.

احتاجت للرعاية والتربية وإلى تدبير شؤونها وإلى من يقيم حياتها. فتنفسير الآية: ﴿رب العالمين﴾ يكون على هذا النحو: أي أن الله هو مبدع وقيوم العالمين كافة<sup>(1)</sup>.

ويذكر أحياناً أسرار الأحكام من الآيات، وقد فهمت هذا من خلال تفسيره للفتاحة لقوله تعالى: ﴿إياك نعبد﴾، إذ قال ما ملخصه:

«قارئ الفتاحة عندما يقرأ هذه الآية فهو شخص واحد فلم يقل: (إياك أعبد) وإنما جاء ذلك على صيغة الجمع، والسبب في ذلك أن هناك أيضاً غيره من إخوانه وعباد الله الصالحين والأولياء والملائكة، فهناك أمل كبير أن يتقبل الله هذا الدعاء، فلاجل ذلك شرعت صلاة الجماعة، ولأن عمل الجماعة عند الله أفضل وأقرب إلى القبول»<sup>(2)</sup>.

ويذكر أحياناً بعض الآثار التي تُشعر بأنها إسرائيلية لعدم بيانه مصدر تلك الآثار، وإنما نقلها نقلاً دون الإشارة إلى المصدر<sup>(3)</sup>.

فالأخبار أو الآثار الإسرائيلية كما قال العلماء، إما أن توافق ما في شرعنا وإما أن تخالف شرعنا. فإن خالفت شرعنا فلا شأن لنا بها، ونضرب عنها صفحاً ولا نقلها، بل ولا يجوز حتى روايتها. فإن وافقت ما عندنا نذكرها للاستئناس وليس للاستشهاد<sup>(4)</sup>، كما قال بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية<sup>(5)</sup>. وإن لم تخالف ولا توافق فيبدو لي أن في المسألة تفصيلاً: فإن كان المطلع من المبتدئين أو المتعلمين في الشريعة فلا يجوز عليه أن يمسه أو يقرأ شيئاً من تلك الأخبار

(1) المصدر السابق، ج 1، ص 10.

(2) المصدر السابق، ج 1، ص 14.

(3) المصدر السابق، ج 1، ص 16.

(4) ملاحظة مهمة: وقد دعا أستاذي ومشر في الفاضل، الأستاذ الدكتور عبد القهار في محاضرة له في ندوة الجمعة في الجامعة الإسلامية العالمية إلى إسقاط مصدرية الإسرائيليات في التفسير مطلقاً، وألّ نلتفت إليها في تفاسيرنا، لأنه ذكر إذا كان ابن تيمية يقول عن زمانه إن الإسرائيليات أصابها الشيء الكثير من الكذب والافتراء، وهو من هو في علمه وسعة اطلاعه، فما بالنا وحالنا نحن اليوم؟!

(5) انظر: ابن تيمية، أصول التفسير، تحقيق فريال علوان، بيروت، دار الفكر اللبناني، ط 1، 1992، ص 64، وانظر: الدهلوي، شاه ولي الله، الفوز الكبير في أصول التفسير، بيروت، دار قتيبة، د. ط، 1989، ص 11-110.

الإسرائيلية حتى لا يفتتن في عقيدته. وإن كان من الراسخين والعلماء ولا تُخشى عليه الفتنة فلا بأس بالاطلاع عليها حتى يطلع ما عند الخصم وليحسن الرد عليه، والله أعلم.

وأحياناً يطرح أسئلة أثناء تفسيره ثم يجيب عليها، كما فعل ذلك مثلاً في تفسيره لقوله تعالى: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ فقال الشيخ إبراهيم:

«من هم الذين عناهم الله تعالى بهذه الآية الكريمة وخصهم بالإنعام والإكرام؟ فيجيب قائلاً: إن جمهور العلماء على أن المعنيين بالآية هم الأنبياء والرسل والأولياء والشهداء والصالحون من عباد الله»<sup>(1)</sup>.

والشيخ كان من الأفضل أن يجيب عن تساؤله بالآية الواردة في سورة النساء التي فيها قول الله تعالى: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾ (69) ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً ﴿النساء: 69-70﴾. كان عليه أن يسلك طريق تفسير القرآن بالقرآن لكونه أفضل طريق على الإطلاق، وذلك باتفاق علماء السلف<sup>(2)</sup>.

ويستعين بعلم أسباب النزول للآية أو السورة. فمثلاً يقول الشيخ: «يقال إن الفاتحة هي من السور الأوائل التي نزلت، وأما الآيات الأولى التي نزلت فهي الآيات الخمس الأولى من سورة العلق»<sup>(3)</sup>.

الشاهد من كلام الشيخ الحافظ إبراهيم داليو، هو درايته التامة في معرفة الفرق بين أول ما نزل من الآيات وأول ما نزل من السور الكاملة. وقد أصاب الشيخ الحق في ما ذهب إليه في هذه المسألة. وقد ذكر ذلك الشيخ مناع القطان أيضاً، نقلاً عن الإمام الزركشي، لهذين القولين اللذين ذكرهما الشيخ الحافظ إبراهيم داليو<sup>(4)</sup>.

(1) انظر: *Ajka e kuptimeve..*، ج 1، ص 19.

(2) حول هذه المسألة راجع أصول التفسير لابن تيمية، ص 60-61.

(3) انظر تفسير: *Ajka e kuptimeve..*، ج 1، ص 19-20.

(4) القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 23، 1998، ص 66-68.

ويرجح بين الآراء ويختار الأحسن منها بحسب اجتهاده. ففي قراءتنا لتفسيره لقوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، قال ما نصه: «البعض من العلماء قال بأن المراد ب: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود، وأن المراد ب: ﴿وَالضَّالِّينَ﴾ هم النصارى. لكن الرجح والصحيح عند الجمهور هو أن المراد من:

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم العصاة والمجرمون من كل قوم، وأما المراد من: ﴿وَالضَّالِّينَ﴾ هم الذين لا يعرفون كيفية الوصول إلى الله الحق وفضّلوا البقاء في ظلمات الحيرة»<sup>(1)</sup>. لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: على أي أساس بنى الشيخ ترجيحه هذا؟ الشيخ لم يذكر مصدراً أو رأياً لذلك الترجيح. اللهم إلا أن نقول إن الشيخ انطلق من منهجه الذي اتبعه من أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فأدخل الشيخ ذلك المعنى تبعاً للمعنى الأصلي الذي من أجله ورد النص والله أعلم.

ودعا إلى الاعتبار بأحوال الأمم السابقة ودراسة التاريخ. يظهر ذلك جلياً في خاتمة تفسيره لسورة الفاتحة، إذ إنه ذكر الدروس المستفادة من السورة، وأن علينا أن نعتبر بأحوال الأمم السابقة وما جرى لهم عبر التاريخ<sup>(2)</sup>.

الرغبة الزائدة في التوضيح والبيان جعلت الشيخ يعيد بعضاً من المعاني الأساسية التي ذكرها في ما سبق من كلامه قائلاً: (Ajka e tefsirit) أي: خلاصة - صفة - زبدة التفسير. وأحياناً يضع عنواناً آخر إذا احتاج الأمر إلى بيان وتوضيح قائلاً: (Shkoqitje) أي: توضيح أو إيضاح لما سبق. وتجده أحياناً يضع عنواناً آخر قائلاً: (Spjegime) أي: شروح أو الشرح<sup>(3)</sup>. وتارة يأتي بعنوان آخر قائلاً: (Thalbi i Kur'anit) أي: صُلب المعنى، أو المعنى المراد<sup>(4)</sup>. وإذا انتهى من تفسير السورة يقول: (Fund)، أي نهاية السورة<sup>(5)</sup>.

(1) المصدر السابق، ج 1، ص 20-21.

(2) المصدر السابق، ج 1، ص 23.

(3) راجع المصدر السابق لكي تلاحظ منهجه، ج 1، ص 42، 84، 89.

(4) المصدر السابق، ج 1، ص 53-57.

(5) المصدر السابق، ج 2، ص 699.

ويذكر أحياناً آثاراً عن كبار الصحابة، مثل الآثار الواردة من ترجمان القرآن عبد الله بن عباس وابن مسعود -رضي الله عنهما- (1).

ويذكر النكت أو اللطائف البلاغية، كما أنه يتوسع أحياناً في بيان وذكر أسرار معاني الحروف المقطعة في بدايات السور، ويتعرض أحياناً إلى علم الصرف وعلم العروض (2). وأحياناً يحدد المعنى المراد من الآية عند كثرة المعاني وتعدددها. حقيقة هذه نقطة مهمة جداً. ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿هدى للمتقين﴾، وفي حديثه عن معنى المتقين ذكر أن هناك ثلاثة معانٍ وردت، أو أن هناك ثلاث درجات للتقوى، الأولى: أن يتقي المرء الشرك بالله تعالى، لأن المشرك بالله يستحق العذاب الدائم، الثانية: أن يتقي المرء الأعمال والأخلاق السيئة والأفعال المحرمة، الثالثة: تطهير القلب من كل شيء ما عدا الله سبحانه، والتجرد الكامل لله والتوجه المطلق إليه سبحانه. وهذه الدرجة هي درجة الأولياء والمقربين وهي من أعمالهم. والمراد من الآية هو المعنى الأول والثاني (3).

ولم يتعرض لذكر القراءات القرآنية في تفسيره، وليست هناك إشارة إلى ذلك في ما قرأت من تفسيره (4).

وكان واضحاً في ما يقوله ومفهوماً في تفسيره وفي كل ما يكتب أو يترجم، حتى يفهمه القراء، وكثيراً ما كان يزيل اللبس والإشكال في بعض الاصطلاحات الشرعية، مثل: الفرق بين التأويل والتفسير (5)، والمحكم والمتشابه... إلخ. وإذا طرأ تغيير في طريقة التفسير أو الشرح في أثناء التفسير أو الترجمة، فإنه يبيّن ذلك للقراء حتى يكونوا على علم وبينه (6). كما أنه يستدرك نفسه إذا لاحظ منه خطأ مطبعياً أو موضوعياً أو علمياً فإنك تجده يقول معقّباً: (Korizhim)،

(1) المصدر السابق، ج 1، ص 25.

(2) المصدر السابق، ج 1، ص 29.

(3) راجع تفسير: *Aj ka e kuptimeve..* بتصرف، ج 1، ص 31-32.

(4) انظر تفسير: *Aj ka e kuptimeve..*، ج 2، ص 986-989.

(5) المصدر السابق، ج 1، ص 458.

(6) المصدر السابق، ج 1، ص 449-450.

أي تصحيحاً لما مر سابقاً، ويشير إلى رقم الجزء أو الصفحة أو السطر، وما الذي يجب أن يُصحَّح أو يُصَوَّب<sup>(1)</sup>. أقول: وهذه هي الأمانة العلمية التزيهة والموضوعية التي يجب أن يتحلى بها كل باحث.

ولا يرجح بين الآراء، فأحياناً يذكر عدة تفسيرات للآية الواحدة دون أن يرجح واحداً منها كما فعل في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ (البقرة: 23)، فقد ذكر فيه خمسة معانٍ أو آراء دون أن يرجح واحداً منها، وكان من الأفضل له أن يختار الأصح والأنسب للقارئ الألباني دون أن يتركه متحيراً<sup>(2)</sup>.

وأحياناً يسرد أقوال المفسرين ويعقب قائلاً على شكل التعليق ذاكراً ما قرأ من الدراسات والبحوث لعلماء أمريكا أو أوروبا ودراساتهم عن الإسلام<sup>(3)</sup>. وتارة يأتي بترجمتين مختلفتين في الأسلوب والتعبير، بهدف توضيح المعنى للقارئ إذا صعب الفهم من الترجمة الأولى، فيأتي بالترجمة الأخرى بجانب الترجمة الأولى تسهيلاً للقارئ<sup>(4)</sup>.

ويأخذ بظاهر النص ولم يكن يميل إلى المجاز<sup>(5)</sup>، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿قل أؤنبئكم بشر من ذلك مثوية عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت﴾ (المائدة: 60)، فقد نقل كلام بعض المفسرين الذين قالوا إنهم مُسخوا قردة وخنازير حقاً لا مجازاً. وفي تحقيقنا وتأصيلنا لهذه المسألة رأينا أن جمهور المفسرين من السلف ذهبوا إلى ما ذهب إليه الشيخ الحافظ إبراهيم داليو من أن الله سبحانه وتعالى مسخ بعضاً من شبان بني إسرائيل قردة، وبعضاً من شيوخهم خنازير، حقيقة وليس مجازاً بسبب ظلمهم وقتلهم لأنبيائهم، وأن صورهم تشوهت وتغيرت إلى صور القردة والخنازير، وليس

(1) المصدر السابق، ج 1، ص 336.

(2) انظر تفسير: *A jka e kuptimeve te Kur'ani Qerimit*، ج 1، ص 68-69.

(3) المصدر السابق، ج 1، ص 560، 580.

(4) المصدر السابق، ج 1، ص 544-545، 558.

(5) المصدر السابق، ج 1، ص 986-989.

أنهم مُسخوا في أخلاقهم، أو أن أخلاقهم وتصرفاتهم صارت مثل تصرفات القردة والخنازير. نعم تصرفات وأخلاق اليهود تاريخياً كانت وما زالت إلى يومنا هذا أشد وأخبث من تصرفات تلك الحيوانات الأبرياء. فهذا ثابت لا ننكره عليهم، ولكن هذا لا يمنع قدرة الله -عزَّ وجلَّ- أن يشوِّه صورهم إلى صور تلك الحيوانات في مرحلة تاريخية قد مضت، وما ذلك على الله بعزيز، وهو على كل شيء قدير. قدير أن يخلق الإنسان بلا أب ولا أم وهو آدم عليه السلام، وقدير أن يخلق الإنسان من أم بلا أب، وهو عيسى عليه السلام، وهو قادر على أن يغير وجوه بعض الناس إلى أشكال أخرى ويحفظ وجوه الآخرين، فتبارك الله رب العالمين، والله أعلم<sup>(1)</sup>.

الشيخ لم يسند ولم يخرج شيئاً من الأخبار أو الآثار الواردة، وكان عليه أن يسندها وأن يخرجها ويبيِّن مصدرها، لأن الإسناد من الدين، ولولا الإسناد في الدين لقال من شاء ما شاء، وهذا لا يجوز.

وأحياناً كان يتوسع في بيانه لبعض قضايا الدين المهمة. فتجد في تفسيره لقوله تعالى: ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك..﴾ قال ما ملخصه أن على المسلم أن يؤمن بالكتب السابقة مجملاً، أي إن التوراة أنزلت على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود، وهذا كاف، أما الإيمان بها مفصلاً فغير واجب. أما بالنسبة للقرآن الكريم فإن على المسلم أن يؤمن به إجمالاً وتفصيلاً، لأن في القرآن مبادئ إسلامية يجب الإيمان بها إجمالاً وتفصيلاً. أما معرفة معاني الآيات بالتفصيل فهذا فرض كفاية وليس فرض عين<sup>(2)</sup>.

(1) للمزيد حول هذه المسألة راجع هذه التفاسير: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج6، ص293؛ البغوي، أبو السعود الحسن بن مسعود الفراء، معالم التنزيل، تحقيق: خالد العك - مروان سوار، بيروت، دار المعرفة، ط2، 1987، ج1، ص37؛ السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين، الدر المنثور، بيروت، دار الفكر، 1993، ج3، ص109-110؛ الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، بيروت، المكتب الإسلامي، ط3، 1404هـ، ج2، ص387-388؛ الواحدي، علي بن أحمد أبو الحسن، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان، بيروت، الدار الشامية، ط1، 1415هـ، ج1، ص326؛ أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ط، د. ت، ج3، ص55.

(2) المصدر السابق، ج1، ص40.

في بعض المسائل والأحكام المهمة مثل بيان تفاصيل الوضوء والصلاة والصوم والحج وغيرها من الأحكام المهمة التي يحتاج إليها المسلم في عمل يومه، فإنه يفصل القول فيه نظراً لأهمية ذلك الحكم. كان حنفي المذهب في القضايا الفقهية والعقدية، ولم يخرج عن المذهب الحنفي في الأمور الفقهية والعقدية قيد شعرة.

وأحياناً كان يذكر أقوال الأئمة من كبار التابعين وغيرهم في بيانه للأحكام المستنبطة من الآية، كما فعل في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَا يَأْخُذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ (المائدة: 89)، فقد ذكر في تفسيره للآية ثمانية آراء مختلفة من كبار الأئمة والتابعين والمفسرين<sup>(1)</sup>.

والشيء الملاحظ عند الشيخ الحافظ إبراهيم أنه في القضايا الفقهية اكتفى بما في جعبته من العلم الفقهي حول تلك المسائل، دون أن ينقل كثيراً عن علماء المذهب في الفقه، ولعل ذلك لتمكنه منه ورسوخ قدمه فيه والله أعلم. بينما تجده في تفسيره لكلام الله تعالى ينقل من الآخرين الذين هم أعلم منه<sup>(2)</sup>، وذلك تخوفاً منه واحتياطاً في تفسيره لكلام الله عز وجل.

وكان يركز على الدروس والعبر المستفادة من الآيات<sup>(3)</sup>.

وله منهج مقارن في عرض الأقوال. فكثيراً ما كان يضع أمام القارئ عدة آراء لعدة مفسرين ويترك القارئ يختار بنفسه المعنى الذي يريده هو من بين تلك الأقوال<sup>(4)</sup>.

وكان يرد بشدة على أهل الكتاب من اليهود والنصارى، لا سيما اليهود القائلين بعدم وقوع النسخ، ويبيّن أن ذلك لا يستلزم القول بالبداء أو وصف الله بالجهل، كما يزعم اليهود، وإنما ذلك راجع لحكمة الله تعالى، وأنه هو العليم والخبير بأحوال البشر في عهد موسى وعيسى وعصر محمد ﷺ<sup>(5)</sup>.

(1) المصدر السابق، ج 1، ص 337.

(2) المصدر السابق، ج 2، ص 986-989.

(3) المصدر السابق، ج 1، ص 142.

(4) المصدر السابق، ج 1، ص 148-149.

(5) المصدر السابق، ج 1، ص 169.

وقد نقل الشيخ الحافظ إبراهيم نصوصاً من التوراة والإنجيل ليرد على اليهود والنصارى والفرق البروتستانتية في افتراءاتهم، ليثبت وقوع النسخ في الشرائع السابقة، وأن النسخ في القرآن ليس أمراً مستحدثاً أو غير مألوف كما زعم اليهود، وقد أعجبني للغاية رد الشيخ عليهم. ولمعرفة تفاصيل الرد راجع المسألة هناك<sup>(1)</sup>.

وكون البداء عقيدة يهودية لا شك فيه، وتحدثت التوراة بها في سفر التكوين: «ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً»، معنى ذلك أن الله كان يخلق دون أن يعلم ما يخلقه، حسن هو أو غير حسن، ثم بدا له أن كل ما عمله حسن جداً!<sup>(2)</sup>.

وإذا فرغ من تفسير الآيات ذات الموضوع الواحد، كان يبين ذلك قائلاً: هذه نهاية الآيات التي تحدثت عن بني إسرائيل، والآن لقاءنا مع طائفة أخرى من الآيات التي نزلت في كذا وكذا<sup>(3)</sup>، هذه الطريقة في التفسير تشبه إلى حد كبير طريقة التفسير التي سلكها الأستاذ سيد قطب في ظلاله.

في نقله عن تفسير الرازي أو البيضاوي كان دقيقاً في ما ينقل، إذ لم يكن كحاطب الليل الذي ينقل ما هب ودب دون وعي ونظر. كان يحرص على اختيار المعاني ذات العلاقة بالموضوع، ويتجنب نقل المسائل الفرعية التي ليست لها علاقة مباشرة بالنص، وهذه نقطة إيجابية عند الشيخ الحافظ إبراهيم داليو يشكر عليه<sup>(4)</sup>.

---

(1) المصدر السابق، ج 1، ص 170-171، وللوقوف على مزيد من هذه القضية انظر: الموافقات في الشريعة الإسلامية للإمام أبي إسحق الشاطبي ج 3، ص 95-111، ومباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان، ص 231-244.

(2) انظر: الشحات، زغلول، الاتجاهات الفكرية في التفسير، ص 292 بتصرف، وانظر أيضاً ما كتبه أبو جعفر النحاس في كتابه: الناسخ والمنسوخ، فقد رأيت فيه كلاماً جميلاً ومفيداً بين الفرق بين النسخ والبداء، وأن النسخ جائز وواقع في الشرائع، وأنه ليس بداء كما زعم اليهود. انظر التفاصيل في كتابه: الناسخ والمنسوخ، تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد، الكويت، مكتبة الفلاح، ط 1، 1408هـ، ج 1، ص 40-46، 62-63.

(3) انظر تفسير: *Aj ka e kuptimeve..* ج 1، ص 191.

(4) المصدر السابق، ج 1، ص 190.

وأحياناً يسلك طريقة التفسير الموضوعي، فيستشهد كثيراً بالآيات القرآنية الواردة في موضوع واحد، لكن ذلك قليل ونادر<sup>(1)</sup>.

أما قضية التفسير العلمي، فكما قلنا، إن الشيخ كان يتمتع بعقلية فذة وفكر منير ومنفتح، وإنه حقاً كان آية في عصره، وإنه فاق أصدقاءه وأقرانه، وذلك بسبب كثرة العلوم والثقافات التي أوتيها، وبسبب اطلاعه على المكتشفات والبحوث العلمية. فمثلاً في تفسيره لقوله تعالى: ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً﴾ (البقرة: 22)، قال ما ملخصه أن العلم أثبت كروية الأرض التي نعيش عليها، وأن ذلك ثابت بالأدلة والبراهين العلمية، وأن الأرض كانت قديماً كتلة غازية نارية متلائة مثل النجمة في السماء، ثم مرت على هذه الكتلة النارية مرحلة زمنية طويلة، ومرت من خلال التطورات الكثيرة حتى انتهت إلى هذه الحالة المتوسطة، لا صلابة ولا لينية، حتى أصبحت صالحة للعيش عليها<sup>(2)</sup>. أما عن موقفنا من التفسير العلمي وشروطه وضوابطه فقد سبق أن تحدثنا عنه في الباب الثالث<sup>(3)</sup>.

هذا هو منهجه في تفسيره الذي تبين لي أثناء قراءتي الكثيرة والدقيقة له. ولا شك أنه منهج رصين وعلمي وموضوعي ودقيق، بعيد عن الهوى والعاطفة، مما يدل على المستوى العلمي العالي، الذي كان يتحلى ويتمتع به الشيخ الحافظ إبراهيم داليو.

(1) المصدر السابق، ج 1، ص 85-90.

(2) انظر تفسير: *Aj ka e kuptimeve..*، ج 1، ص 66-82.

(3) للوقوف على مزيد لهذا الموضوع في التفسير انظر: العك، خالد عبد الرحمن، أصول التفسير وقواعده، بيروت، دار الفنائس، لبنان، ط 2، 1986، ص 217-224، وانظر أيضاً: الرومي، فهد بن عبد الرحمن، أصول التفسير ومنهجه، الرياض، مكتبة التوبة، 1413هـ، ص 94، وانظر أيضاً: القرضاوي، يوسف، كيف نتعامل مع القرآن العظيم، دار الشروق، القاهرة، 1999، ص 324-369، وانظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط 11، 1985، ج 1، ص 180-182، وانظر: الشاطبي، أبو إسحق، الموافقات في الشريعة الإسلامية، ج 2، ص 69، وانظر: الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 2، 2000، ص 364-381، وانظر: الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، تحقيق: أبي حفص سيد بن إبراهيم بن صادق، دار الحديث، القاهرة، ط 1، د.ت، ج 1، ص 289، وانظر: السيوطي، أبو عبد الرحمن، الإتيقان في علوم القرآن، بيروت، دار الفكر، د.ط، 1979، ج 4، ص 27-31.

## المبحث الخامس: البعد السياسي في تفسير الشيخ الحافظ إبراهيم داليو

كما قلنا سابقاً، فإن الشيخ الحافظ إبراهيم داليو كان شخصية ذات أبعاد ثقافية متعددة، دينية واجتماعية واقتصادية<sup>(1)</sup> وسياسية، بل حتى الجانب العسكري الدفاعي والأمني وُجد لدى الشيخ. فتجده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً﴾ (البقرة: 247)، يقول ما خلاصته كيف أن الله أرسل طالوت ملكاً على بني إسرائيل، وذلك لما للملك أو الرئيس من أهمية كبيرة في إقامة الدولة حتى تستقيم مصالح العباد وأمر معاشهم، وأن هذا الملك أو الرئيس عليه أن يكون متديناً، شجاعاً، حكيماً، وعالمًا بالسياسة الداخلية والخارجية. أمثال هؤلاء الملوك يجب على الناس طاعتهم ما داموا لا يخالفون دستور الدولة، وإلا فإن على الناس أن يعزلوهم ويختاروا غيرهم. ثم إن على الجنود السمع والطاعة والانقياد لأوامر القائد في ميدان القتال ولا يجوز لهم مخالفة أوامره، وإن على المؤمنين أن يشاركوا في الجهاد في سبيل الله ضد العدو<sup>(2)</sup>.

والبعد السياسي والأمني يظهر أيضاً في ما ذهب إليه الشيخ من توظيفه للقواعد الأصولية الفقهية المعروفة في فهم النص وتوظيفه للأهداف السياسية، مثل (إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب). ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ (النساء: 58)، وجه دعوة إلى رؤساء البلاد وحكامها وملوكها، حثهم فيها على العمل بهذه الآية الكريمة، وبيّن أنهم إذا عملوا بها فإن ذلك كافٍ لتثبيت دعائم الدولة وقوامها ودفعها إلى الأمام. وإذا هم أهملوا العمل بمقتضى تلك الآية،

---

(1) وأيضاً، فإن البعد الاقتصادي في فكر الشيخ الحافظ إبراهيم واضح في حديثه عن الحكمة من تحريم الربا، فقد ذكر أن فيه أضراراً اقتصادية وزراعية وصناعية، وأن التعامل بالربا فيه تعطيل الاستفادة من تلك الجوانب المهمة التي تدفع بعجلة الأمة إلى الأمام والتقدم والازدهار. انظر تفسيره، ج1، ص428.

(2) راجع تفسير الشيخ الحافظ إبراهيم:

فالدمار والخسارة يحلان بهم. والشيخ ذكر أنه مهما يكن لهذه الآية من سبب نزلت من أجله، إلا أنها مطلقة وعامة، وأن الأمانات تشمل الأمانة الدينية والأمانة الدنيوية<sup>(1)</sup>.

فأنت ترى ما في هذا الكلام من الدقة والتحديد للقضايا السياسية والدولية والأمنية. فمثل هذه الأمور والمفاهيم إذا استعملت ووظفت في تبسيط المعنى المراد من الآية وحسن استخدامها فإن ذلك يعتبر أمراً مستحسنًا، بل وواجبًا إذا كان المجتمع المسلم يعاني من هذه الأمراض الاجتماعية وعاش المفسر ذلك والله أعلم.

## المبحث السادس: مصادر فكر الشيخ الحافظ إبراهيم داليو من خلال تفسيره

أما المصادر التي اعتمدها عليها الشيخ في تفسيره فهي كثيرة ومتنوعة، وتشهد على سعة علمه وطول باعه فيها. فهو جمع بين المصادر التقليدية الأصلية والحديثة، وبين المصادر الدينية والعلمية. فمن مصادره كتب التفسير المختلفة، للعلماء القدامى والمحدثين. فمن التفاسير القديمة التي نقل منها تفسير الطبري<sup>(2)</sup>، وتفسير النيسابوري<sup>(3)</sup>، وتفسير ابن عباس -رضي الله عنه<sup>(4)</sup>، وآثار غيره من الصحابة الكبار مثل عمر وعلي وابن مسعود وابن عمر وزيد بن ثابت<sup>(5)</sup> -رضي الله عنهم-، ومن المفسرين الذين يحكي عنهم عمومًا<sup>(6)</sup>، ومن أحد المفسرين الأتراك

---

(1) المصدر السابق، ج2، ص806-807 بتصرف، ولمعرفة المزيد من القواعد الفقهية حول السياسة الشرعية وحقوق العباد راجع: اليعمري، القاضي برهان الدين إبراهيم بن علي المعروف بابن فرحون، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ط، د. ت، كذلك راجع: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، بيروت، دار المعرفة، د. ط، د. ت، ص30-72.

(2) انظر تفسير الشيخ الحافظ إبراهيم: *Ajka e Kuptimeve te Kur'ani Qerimit*، ج1، ص559، 566، 608، 666، 684. وج2، ص739، 894، 926... إلخ.

(3) انظر المصدر السابق، ج2، ص407، 982... إلخ.

(4) يروي عنه بصيغة التمريض قائلاً: يُروى عن ابن عباس، أو يروي عنه. انظر تفسيره، ج1، ص434.

(5) انظر المصدر السابق، ج1، ص340.

(6) المصدر السابق، ج1، ص272.

المعاصرين للشيخ، واسمه محمد وهبي من مدينة قونيا<sup>(1)</sup> (Konya) التركية، واسم تفسيره «خلاصة البيان». أما تفسير الفخر الرازي والبيضاوي والخازن فتلك أعمدة الشيخ الحافظ إبراهيم، فإنك لن تقرأ صفحة من تفسيره إلا تجد ذكراً لهؤلاء الثلاثة، إما مجتمعين وإما فرادى أو مثني. بل إنني أكاد أجزم بعد هذه الدراسة لتفسيره ومنهجه أن تفسير الشيخ الحافظ إبراهيم داليو هو اختصار لتلك التفاسير الثلاثة المذكورة آنفاً، وذلك لكثرة رجوع المؤلف إليها ونقله منها في معرفة معنى كل آية، والله أعلم. ومن مصادره؛ تفسير الشيخ بابا نعمة الله بن محمد النهجواني الأفندي، واسم تفسيره هو: «الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحات للكلم القرآنية والحكم الفرقانية»، والحقيقة أنني لم أجد ترجمة حول هذا المفسر، غير أن الشيخ الحافظ إبراهيم داليو أكثر من ذكره ونقله منه<sup>(2)</sup>. وقد أشار الباحث الدكتور إسماعيل بارذي إلى اسم هذا المفسر واسم تفسيره في دراسته عن الشيخ الحافظ إبراهيم<sup>(3)</sup>. كما أن الشيخ نقل من تفسير الشيخ العلامة أبي السعود كثيراً<sup>(4)</sup>، وتفسير الخازن والنسفي وتفسير مجاهد<sup>(5)</sup>.

ومن المصادر الثانوية التي نقل الشيخ منها الكتاب المقدس، بعهديه القديم والجديد، إذ رأته ينقل منهما نصوصاً<sup>(6)</sup>، بل حتى إنه ينقل من الزبور<sup>(7)</sup>. والشيخ ينقل أيضاً من كتب التاريخ المختلفة الإسلامية وغيرها، وكتب السير والمغازي، وتقارير وبحوث الأطباء، وكتب الفقه وأصوله، وكتب أسباب النزول وعلوم القرآن، وكتب الوعظ والإرشاد، وكتب قصص الأنبياء، وكتبه الشخصية الخاصة، وكتب اللغة والقواعد والبلاغة، وكتب العلم المختلفة في علم الفلك والفيزياء والكيمياء والجغرافيا، وكتب الأخلاق وتهذيب النفس مثل كتاب إحياء

(1) ذكر ذلك الباحث الدكتور إسماعيل بارذي في كتابه:

Bardhi. Ismail, *Hafiz Ibrahim Dalliu dhe ekzegjeza e tij Kur'anore*, 162.

(2) انظر تفسير الشيخ الحافظ إبراهيم: *Ajka e kuptimeve te Kur'ani Qerimit*، ج2، ص734.

(3) انظر: Bardhi, Ismail, *Hafiz Ibrahim Dalliu..* 162.

(4) المصدر السابق، ج2، ص736.

(5) راجع تفسيره، ج1، ص128، 133، 688، 689، 901.

(6) انظر تفسيره، ج1، ص170-171.

(7) راجع المصدر السابق، ج1، ص262.

علوم الدين للإمام الغزالي، وكتب الثقافة العامة، وكتب الأديان الأخرى، وبحوث ودراسات  
الأمريكان والأوروبيين وغيرها، مما يشهد على عمق ثقافة المؤلف وطول باعه في العلوم  
المختلفة<sup>(1)</sup>.

## المبحث السابع: بيان طريقة نقل الشيخ الحافظ إبراهيم داليو من كتب التفسير

وبعد أن فرغت من بيان منهجه وطريقته في التأليف، انطلقاً من الأمانة العلمية التي يجب  
أن يتحلّى بها كل مسلم عموماً، ولا سيما الباحثين والدعاة على وجه الخصوص، فإنني قمت  
بالرجوع إلى تلك المصادر الأصلية التي نقل منها حتى أرى مدى صدق الشيخ وأمانته وطريقة  
نقله من تلك المصادر المشار إليها في تفسيره وكيفية استدلاله بأرائهم، وفي ما يلي ذكر بعض  
المفسرين الكبار، ومقارنة كلام الشيخ الحافظ إبراهيم داليو المنقول والمترجم مع الأصل:  
أولاً: أبدأ بتفسير الفخر الرازي باعتباره أحد أعمدة التفسير لدى الشيخ الحافظ إبراهيم. فقد  
رأيته أنه عندما ينقل منه فإنه لا ينقل نص كلامه حرفياً، ولا يذكر الأقوال مسندة كما ذكرها  
الإمام الرازي. الشيخ الحافظ إبراهيم اكتفى بذكر المعنى العام والمجمل وخلاصة كلام الإمام  
الرازي<sup>(2)</sup>، وكان من الأفضل والأولى للشيخ الحافظ أن يقول: قال الإمام الفخر الرازي ما  
خلاصة كلامه، وذلك حتى يعلم القارئ أنه فعلاً لم ينقل كلام الرازي حرفياً، أو أنه ذكر  
المعنى فقط. وهناك مواضيع أخرى أشرت إليها في كلا التفسيرين للمقارنة والتأكد<sup>(3)</sup>.

---

(1) للتأكد من وجود تلك المصادر راجع تفسير الشيخ في هذه الصفحات والأجزاء: ج 1، ص 97، ص 114-115،  
ص 132، ص 170-171، ص 247، ص 259، ص 262، ص 408، ص 560، وغيرها من المواضع الأخرى.  
(2) قارن إن شئت بين كلام الفخر الرازي في تفسيره ج 2، (المجلد الثاني)، ص 10 المسألة الثامنة، والكلام عن نوع  
الشجرة التي أكل منها آدم وحواء، وقارن تفسير الشيخ الحافظ إبراهيم، ج 1، ص 95.  
(3) قارن أيضاً كلام الإمام الفخر الرازي ج 2، (المجلد الثالث)، ص 75-76، في قوله تعالى: ﴿وَأني فضلتكم على  
العالمين﴾ (البقرة: 47) وكلام الشيخ الحافظ إبراهيم ج 1، ص 117.

ثانياً: إن الشيخ الحافظ إبراهيم عندما نقل من الإمام الفخر الرازي لم يقل بأن من شأن الإمام الفخر الرازي أن يذكر عدة معانٍ وعدة مباحث وكثيراً من المسائل الفرعية المستنبطة، وأنا أختار من تلك المعاني معنى واحداً فقط، فمن أراد التوسع فعليه أن يراجع تفسيره. الشيخ الحافظ لم يقل هكذا، فالقارئ عندما يقرأ كلام الشيخ الحافظ يظن أن الرازي أيضاً ذكر ذلك المعنى فقط لا غير، وهذا غير صحيح<sup>(1)</sup>.

ثالثاً: أما بالنسبة لنقله من تفسير النسفي، فإنه نقل منه الفكرة فقط، وقد رجعت إلى تفسير النسفي للمقارنة والتحقيق فوجدته مطابقاً تماماً كما قال الشيخ الحافظ، لكنه لم يشر إلى موضع النقل<sup>(2)</sup>. وهذه من المآخذ المنهجية الكبيرة على الشيخ، إذ إنه لم يشر إلى موضع الصفحة أو الجزء قط من المجلدات أو التفاسير التي نقل منها، ولا شك أن هذا خطأ منهجي كبير، ما كان ينبغي على أمثال الشيخ الحافظ إبراهيم أن يتغافل عنه.

والشيخ في ما يخص هؤلاء المفسرين، تارة يصرح قائلاً: «يقول الفخر الرازي في تفسير هذه الآية»<sup>(3)</sup>، وتارة أخرى يحكي عنهم وعلى لسانهم: «كما يقول كل من القاضي البيضاوي والخازن وصاحب المدارك - الإمام النسفي»<sup>(4)</sup>. وأحياناً الشيخ يطلق كلامه ولا يسمي أحداً من المفسرين: «المفسرون يقولون إن هذه الحادثة وقعت»<sup>(5)</sup>.

رابعاً: ما قيل عن المفسرين السابقين الرازي والنسفي يقال عن طريقة نقله من تفسير الإمام الطبري وتفسير الخازن مع اختلاف يسير لما في الأصل، فإنه ينقل خلاصة كلامه والفكرة عنه تماماً، والفكرة المنقولة هي فكرة واضحة وليس هناك ما يخلُّ بالمعنى<sup>(6)</sup>.

(1) قارن إن شئت بين كلام الفخر الرازي ج2، (المجلد الثالث)، ص178 في قوله تعالى: (فهي كالحجارة أو أشد قسوة) (البقرة: 74)، وكلام الشيخ الحافظ إبراهيم ج1، ص139.

(2) قارن كلام الإمام النسفي في تفسيره، ج1، ص52-53، مع تفسير الشيخ الحافظ إبراهيم، ج1، ص132.

(3) انظر تفسير: *Aj ka e kuptimeve te Kur'ani Qerimit*، ج1، ص159.

(4) المصدر السابق، ج1، ص132.

(5) المصدر السابق، ج1، ص133.

(6) راجع تفسير الإمام الطبري، ج3، ص67، وتفسير الشيخ الحافظ إبراهيم داليو، ج2، ص926، وتفسير الخازن ج1، ص124 للمقارنة.

خامساً: أما عن نقله عن قاضي القضاة الإمام البيضاوي، فإنه تارة ينقل نصّ كلامه حرفياً دون زيادة ولا نقصان<sup>(1)</sup>، وتارة ينقل الفكرة مع نقل جزئي لكلامه<sup>(2)</sup>.

وأحسب أن هذا القدر من المقارنة والرجوع إلى المصادر للتحقق والتأكد فيه كفاية، كما أني اكتفيت بالمقارنة بأهم التفاسير المشهورة، سواء من التفاسير بالمأثور أو بالرأي الجائز المحمود.

فكما رأينا أن الحافظ إبراهيم داليو استقى تفسيره من جملة من المصادر التفسيرية وقدمه للقراء الألبان في الدرجة الأولى وإلى غيرهم في الدرجة الثانية، وأن هذا التفسير كان له صدى مبارك وكبير في الأوساط الألبانية في كافة أراضيها وتلقته الأمة الألبانية المسلمة بقبول حسن. ومن جملة الأدلة على حسن قبول هذا التفسير أن المشيخة الإسلامية تولته بالطباعة والمراجعة والنشر سنة 1929<sup>(3)</sup>.

أما تصنيف أنواع المصادر التفسيرية التي استعملها الشيخ فهي:

1. مصادر من قبيل التفسير بالمأثور مثل تفسير الإمام الطبري، وتفسير مجاهد وهذا قليل ونادر، وتفسير ابن عباس أكثر. الشيخ الحافظ إبراهيم داليو ذكر أيضاً ابن عباس ومجاهد ولا أدري إن كان نقل من تفسيرهما مباشرة، أم أنه نقل كلامهما من التفاسير الأخرى؟ فهذا لم يتبين لي أثناء البحث.

2. مصادر من قبيل التفاسير بالرأي الجائز، وهذا كثير جداً، مثل تفسير الإمام الفخر الرازي، وتفسير البيضاوي، وتفسير الخازن، وتفسير النسفي، وتفسير أبي السعود، وتفسير النيسابوري، وغيرها.

3. مصادر ثانوية من تفاسير أقرانه وزملائه، والذين عاصرهم، مثل تفسير: خلاصة البيان للشيخ محمد وهيبي، والله أعلم.

(1) قارن بين تفسير الإمام البيضاوي، ج2، ص303، وتفسير الشيخ الحافظ، ج1، ص9.

(2) راجع تفسير الإمام البيضاوي، تفسيره لقوله تعالى: ﴿والذين كفروا وكذبوا بآيتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾ المائة:

10، ج2، ص303، وتفسير الشيخ الحافظ، ج2، ص993.

(3) انظر: Ismail Bardhi Hafiz Ibrahim Dalliu dhe ekzegjeza e tij.. 161.

هذا فيما يخص تفسير الشيخ الحافظ إبراهيم ومنهجه وطريقته في التفسير ومصادره وبعض آرائه. وكم كنا نتمنى لو وُفق الشيخ إلى إكمال تفسيره! لكن شاء الله أن يكتب ذلك القدر الموجود، إذ إن المنية حالت دون تحقيق ذلك المشروع العظيم. ولعل الله تعالى يهبى أحداً من عباده المخلصين من العلماء والباحثين الألبان ليوصل ذلك المشروع العظيم، أسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن أكون منهم وما ذلك على الله بعزيز.

## الفصل الثاني

### مناقشة بعض القضايا العقدية الكبرى في تفسير الشيخ

#### الحافظ إبراهيم داليو وبيان موقفه منها ومن التأويل<sup>(1)</sup>

### المبحث الأول: المفسرون وإشكالية التأويل

#### مدخل تاريخي حول هذه القضية

قبل أن نناقش هذه القضية العقدية الحساسة، وقبل أن نبين موقف الشيخ الحافظ إبراهيم داليو من تلك القضايا، وذلك من خلال عرضنا لبعض الأمثلة التطبيقية التي وردت في تفسيره، والتي أولها تماشياً مع مذهبه الماتريدي، أقول إنه من الضروري أن نستعين بكلام الله عز وجل وبسنة نبيه محمد ﷺ، وبكلام بعض المحققين الكبار من أهل العلم، لمعرفة وجه الصواب في المسألة، والموقف الذي يجب أن نتخذه تجاهها، وحتى يكون ميزاناً لنا نزن به تلك الآراء والمذاهب العقدية التي ناقشها الشيخ الحافظ إبراهيم داليو في تفسيره. وكبرى تلك القضايا العقدية هي قضية التأويل لتلك النصوص القرآنية والنبوية التي تحدثت عن بعض صفات الله تعالى التي تشبه في ظاهرها شيئاً من صفات المخلوقين.

وقضية التأويل قلَّ من نجا منها من المفسرين والعلماء قديماً وحديثاً، كما أشارت إلى ذلك بعض الدراسات والبحوث في الآونة الأخيرة. وكادت أن تكون قضية اللجوء إلى التأويل في آيات الصفات ظاهرة عامة، أو ربما أنه في نظر هؤلاء أضحت ضرورية من الضروريات

---

(1) وقد قام الباحث محمد بن عبد الرحمن المغراوي بدراسة مفصلة في كتابه بعنوان: المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، الرياض، دار طيبة، 1985، باستقصاء آراء وبيان مواقف أشهر المفسرين القدامى والمتأخرين من الصفات، ابتداء من الطبري وانتهاء بالشيخ محمد علي الصابوني. هذه دراسة مهمة جداً، فقد تبين للباحث أن كثيراً من المفسرين لم يسلموا من التأويل الجائر أو غير جائز، فالتأويل كاد أن يكون ظاهرة علمية عند المفسرين القدامى والمحدثين. وقد كان من الأفضل أن يسعهم ما وسع الأولين من السلف الصالح رضوان الله عليهم.

التفسيرية. وليس الأمر كما زعموا، والله أعلم، وذلك للأدلة التي دلَّ عليها الشرع والعقل، كما سنرى ذلك إن شاء الله تعالى.

ولا نريد هنا أن نتطرق إلى بيان معنى التأويل لغة أو شرعاً، كما لا نريد أن نخوض أيضاً في بيان مسألة استعماله في لغة العرب، هل استعملوه أم لا؟ بقدر ما نريد أن ندخل إلى صميم المسألة مباشرة، لأن طبيعة البحث لا تسمح لنا أن نتوسع في هذه المسألة أكثر من هذا القدر.

لقد وُجد في الساحة الإسلامية علماء أجلاء، محققون ومدققون، حاولوا قصارى جهدهم أن يبينوا لنا حقيقة المسألة وإشكالياتها وعمقها ومدى خطورتها. وبما أن أمر الصفات من القضايا العقديّة والغيبية الكبرى والخطيرة، مما لا سبيل فيها للحواس البشرية، وبما أن الحديث في الصفات فرع عن الكلام في الذات، أو حول الذات الإلهية المقدسة العلية جل جلالها، ونظراً لسلامة عقيدتنا وإيماننا من الشوائب والنواقض، فالأفضل والأسلم والأحكم والأصوب في هذه القضية أن نتقيد ونضبط بكلام رسوله الكريم الذي أخبرنا عن الله عز وجل، ويسيرة أصحابه الكرام الذين شاهدوا التنزيل وعاصروا الرسالة. فالمعول عليه في هذه القضية كلام رسوله ﷺ وكلام أصحابه الكرام.

وقد حقق العلماء قديماً وحديثاً هذه المسألة، فبعضهم أصاب الحق في ما كتب وفصّل وبعضهم لم يكن الصواب حليفه. نرجو من الله العليّ القدير أن يجزي المجتهدين المصيبين منهم مرتين، والذين لم يصيبوا مرة واحدة، لأن الكل اجتهدوا في البحث عن الحقيقة.

كما أننا نود أن نشير هنا إلى قضية أخرى ومهمة للغاية، وهي أننا لا نوافق بعض الباحثين القدامى والمحدثين الذين أطلقوا، وما زالوا يطلقون، عبارات لاذعة وألفاظاً جارحة وقاسية على غيرهم من إخوانهم العلماء والمحققين الكبار من أهل السنة والجماعة، الذين خالفوهم في بعض المسائل العقديّة. فمثلاً أتباع أبي الحسن الأشعري أو الأشاعرة، وأتباع أبي منصور الماتريدي أو الماتريدية، في نظر بعض هؤلاء يعتبرون من أهل البدع وخارجين عن جماعة أهل

السنة والجماعة، وهذا ليس بصحيح. فنحن نؤمن ونعتقد بأنهم من أهل السنة والجماعة، ولا يجوز بحال من الأحوال إخراجهم منهم، كما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين قديماً وحديثاً<sup>(1)</sup>. فمنهجنا في هذه القضية هو خلاف ما عليه كثيرون، وهو عدم التشنيع والقسوة في القول على الآخرين من علماء أهل السنة والجماعة الذين لم يذهبوا إلى ما ذهب إليه علماء السلف في هذه المسألة. وإنما سنلتزم بالأدب والانضباط والموضوعية في بيان موضع الخطأ أو الزلل، وبيان الوجه الصحيح الذي نراه في المسألة.

وأفضل من وقفت عليهم، وخير ما رأيت ممن كتب وفصّل في هذه المسألة، والذي يرتاح له قلب المؤمن وضميره وعقله، وأحسب أن اجتهاد أصحابهم كان مصيباً في ما ذهبوا إليه، هم: الإمام المعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت، والإمام أبو منصور الماتريدي، وشيخ الإسلام أحمد بن تيمية.

أحببت أن أسطر كلامهم في هذا الصدد ليكونوا عمدة ومرجعية لنا، وأن يكون كلامهم كالحجر الأساس نبني عليه في ما بعد كلام الشيخ الحافظ إبراهيم داليو وغيره. والكلام الذي سأذكره بعد قليل هو الذي أدين به لله عز وجل في هذه القضية الغيبية المهمة، وهو الذي أذهب وأميل إليه، ولا أوافق علماء الألبان أو غيرهم ممن ذهبوا إلى خلاف هذا، مع شدة احترامي وتقديري لجهودهم العلمية، والله أعلم.

### المطلب الأول: رأي الإمام أبي حنيفة في الصفات

ومما يؤيد ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية حول مذهب السلف في هذه المسألة ما ورد أيضاً عن الإمام أبي حنيفة أنه قال: «لا يوصف الله تعالى بصفات المخلوقين، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته، بلا كيف، وهو قول أهل السنة والجماعة. وهو يغضب ويرضى، ولا يقال

---

(1) المغراوي، محمد بن عبد الرحمن، المفسرون بين الإثبات في آيات الصفات، ج1، ص45-46، فقد ذهب هذا الباحث الفاضل إلى ذلك المذهب، عندما أخرج الماتريدي والأشاعرة من دائرة أهل السنة والجماعة. عفا الله عنا وعنّه، إن هذا لشيء عجاب!!

غضبه عقوبته، ورضاه ثوابه، ونصفه كما وصف نفسه: أحد صمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. حي قيوم قادر سميع بصير عالم، يد الله فوق أيديهم ليست كأيدي خلقه وليست جارحة، وهو خالق الأيدي، ووجهه ليس كوجوه خلقه وهو خالق كل الوجوه، ونفسه ليست كنفس خلقه، وهو خالق كل النفوس، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير»<sup>(1)</sup>.

وقال أيضاً: «وصفاته كلها بخلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا ويقدر لا كقدرتنا ويرى لا كرؤيتنا ويتكلم لا ككلامنا ويسمع لا كسمعنا، ونحن نتكلم بالآلات والحروف والله يتكلم بلا آلة ولا حروف، والحروف مخلوقة وكلام الله غير مخلوق. وهو شيء لا كالأشياء.. وله يد ووجه ونفس كما ذكره الله تعالى في القرآن. فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف، ولا يقال إن يده قدرته أو نعمته لأن فيه إبطال الصفة وهو قول أهل القدر والاعتزال، ولكن يده صفته بلا كيف»<sup>(2)</sup>.

فكلام ورأي الإمام أبي حنيفة في هذه المسألة واضح وضوح الشمس لا يحتاج إلى توضيح، والله أعلم.

### المطلب الثاني: رأي الإمام أبي منصور الماتريدي في الصفات

الإمام أبو منصور الماتريدي بعد أن ذكر الآراء المختلفة الواردة في تحديد معنى العرش والاستواء، يقرر رأيه صراحة رافضاً للتأويل ملتزماً مذهب السلف الصالح، وفي هذا الموقف الجلي الصريح من الإمام أبي منصور الماتريدي وغيره من الأئمة الحنفية رد ونسف وإبطال لقول الذين اتهموهم بأنهم المؤولة، وأنهم لا يصلحون ولا يستحقون أن ندرجهم في قائمة أهل

(1) أبو حنيفة، النعمان بن ثابت بن زوطي الخزاز الكوفي، الشرح الميسر على الفقهاء الأيسر والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة - القسم الثاني: رواية أبي مطيع البلخي عن أبي حنيفة، تحقيق: د. محمد بن عبد الرحمن الخميس، عجمان، مكتبة الفرقان، ط1، 1999، ص159.

(2) المرجع السابق، القسم الأول: رواية حماد بن أبي حنيفة عن أبيه، ص24-27.

السنة والجماعة!! كما ذهب إليه بعض الباحثين المحدثين المتحمسين لمذهب السلف الصالح كما رأينا آنفاً.

قال الإمام أبو منصور الماتريدي: «وأما الأصل عندنا في ذلك أن الله تعالى قال: ﴿ليس كمثله شيء﴾، فنفى عن نفسه شبه خلقه. وقد بينا أنه في فعله وصفته متعالٍ عن الأشباه، فيجب القول بـ: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ (طه: 5)، على ما جاء به التنزيل وثبت في العقل، ثم لا نقطع تأويله على شيء، لاحتماله غيره مما ذكرنا، واحتماله أيضاً ما لم يبلغنا، مما يعلم أنه غير محتمل شبه الخلق. ونؤمن بما أراد الله به. وكذلك في كل أمر ثبت التنزيل فيه، نحو الرؤية وغير ذلك، يجب نفي الشبه عنه والإيمان بما أراده، من غير تحقيق على شيء دون شيء، والله الموفق»(1).

وقد ذكر أحد الباحثين اتفاقاً وإجماعاً لأئمة الحنفية في عدم الخوض في مسائل الصفات وعدم التعرض إلى تأويلها، ذكر ذلك الشيخ قاضي زادة عندما قال: «اتفق أئمة الحنفية كفخر الإسلام البزدوي، وشمس الأئمة السرخسي على إثبات اليد والوجه والعرش، وهي حق لله تعالى لكنها معلومة بأصلها، مجهولة بوصفها، ولا يجوز إبطال الأصل بالعجز عن درك الوصف»(2).

فقد ثبت وتبين لنا في ما تقدم من خلال كلام العلماء الكبار من السلف الصالح، ومن السادة الحنفية، أنهم لم يؤولوا شيئاً من تلك الصفات الإلهية، مع إثباتها كما جاءت من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تجسيم، والله أعلم.

(1) الماتريدي، أبو منصور، التوحيد، ص 74.

(2) الغالي، بلقاسم، أبو منصور الماتريدي - حياته وآراؤه العقديّة، ص 179، نقلاً عن: الشيخ زادة، نظم الفرائد وجمع الفوائد، فريدة 14، ص 22-23.

## المطلب الثالث: رأي شيخ الإسلام ابن تيمية في مسألة الصفات

أما رأي شيخ الإسلام ابن تيمية فقد جاء موافقاً لما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة والإمام أبو منصور الماتريدي، فقد جاء في مجموع الفتاوى ما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. سُئِلَ شيخ الإسلام أحمد بن تيمية قدس الله روحه ما قولكم في مذهب السلف في الاعتقاد ومذهب غيرهم من المتأخرين، ما الصواب منهما، وما تتحلونه أنتم من المذهبين؟ فأجاب الحمد لله، هذه المسائل بسطها يحتمل مجلدات، لكن نشير إلى المهم منها والله الموفق. قال الله تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾ (النساء: 115)، وقد شهد الله لأصحاب نبيه ومن تبعهم بإحسان بالإيمان فعلم قطعاً أنهم المراد بالآية الكريمة فقال تعالى:

﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾ (التوبة: 100)، وقال تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً﴾ (الفتح: 18)، فحيث تقرر أن من اتبع غير سبيلهم ولاه الله ما تولى وأصله جهنم، فمن سبيلهم في الاعتقاد:

الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه، وسمى بها نفسه في كتابه وتنزيله، أو على لسان رسوله من غير زيادة عليها ولا نقص منها، ولا تجاوز لها ولا تفسير لها، ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها ولا تشبيه لها بصفات المخلوقين ولا سمات المحدثين، بل أمرٌ وها كما جاءت وردوا علمها إلى قائلها ومعناها إلى المتكلم بها<sup>(1)</sup>.

استدلَّ شيخ الإسلام على ما ذهب إليه من صحة مذهب السلف في عدم تأويل الصفات، بأنه لم يُرو عنهم أنهم أولوا شيئاً من ذلك، ولم يُرو عنهم أنهم بحثوا في هذا الأمر، وإنما الذي

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 4، ص 1-2.

ورد عنهم هو السكوت وعدم الخوض، والإنكار على الذين يخوضون في بحث تلك المسائل.  
فقال شيخ الإسلام:

«والدليل على أن مذهبهم ما ذكرناه، أنهم نقلوا إلينا القرآن العظيم وأخبار رسول الله نقل مصدق لها مؤمن بها، قابل لها غير مرتاب فيها ولا شاك في صدق قائلها، ولم يفسروا ما يتعلق بالصفات منها ولا تألوه ولا شبّهوه بصفات المخلوقين، إذ لو فعلوا شيئاً من ذلك لنقل عنهم ولم يجز أن يُكتم بالكلية، إذ لا يجوز التواطؤ على كتمان ما يُحتاج إلى نقله ومعرفة، لجريان ذلك في القبح مجرى التواطؤ على نقل الكذب وفعل ما لا يحل، بل بلغ من مبالغتهم في السكوت عن هذا، أنهم كانوا إذا رأوا من يسأل عن المتشابه بالغوا في كفه تارة بالقول العنيف، وتارة بالضرب، وتارة بالإعراض الدال على شدة الكراهة لمسألته.

ولما سئل مالك بن أنس فقيل له يا أبا عبد الله: الرحمن على العرش استوى كيف استوى؟ فأطرق مالك وعلاه الرخصاء يعني العرق، وانتظر القوم ما يجيء منه فيه، فرفع رأسه إلى السائل وقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، وأحسبك رجل سوء، وأمر به فأخرج»<sup>(1)</sup>.

ثم إن شيخ الإسلام لفت أنظارنا إلى قضية أخرى مهمة غابت عن كثير من العلماء، وهي أن قول الإمام مالك في بيان موقفه من صفة الاستواء، أي أن الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، أن هذا القول يجب أن يكون شافياً وكافياً في جميع الصفات الأخرى الواردة مثل: اليد والوجه والنزول والمجيء وغيرها، وهذا استدلال سليم ومعقول، لأن كل هذه الصفات تتعلق بذات الله جل جلاله. قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«ومن أوّل الاستواء بالاستيلاء فقد أجاب بغير ما أجاب به مالك وسلك غير سبيله، وهذا الجواب من مالك في الاستواء شافٍ كافٍ في جميع الصفات، مثل النزول والمجيء واليد والوجه وغيره، فيقال في مثل النزول: النزول معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة. وهكذا يقال في سائر الصفات؛ إذ هي بمثابة الاستواء الوارد به الكتاب

(1) المصدر السابق، ج 4، ص 1-3.

والسنة. وثبت عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة أنه قال: اتفق الفقهاء كلهم من الشرق والغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في صفة الرب عز وجل، من غير تفسيرٍ ولا وصفٍ ولا تشبيه. فمن فسّر شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي وفارق الجماعة، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا، فمن قال بقول جهم<sup>(1)</sup> فقد فارق الجماعة<sup>(2)</sup>. انتهى..

وثبت عن الربيع بن سليمان أنه قال: «سألت الشافعي عن صفات الله تعالى فقال: حرام على العقول أن تمثل الله تعالى، وعلى الأوهام أن تحده، وعلى الظنون أن تقطع، وعلى النفوس أن تفكر، وعلى الضمائر أن تعمق، وعلى الخواطر أن تحيط، وعلى العقول أن تعقل، إلا ما وصف به نفسه أو على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام».

ثم إن شيخ الإسلام ابن تيمية أورد لنا دليلاً وحجة عقلية أخرى، فلم يترك مجالاً للرد عليه. ومفاده أن الكلام عن الصفات هو فرع عن الكلام حول الذات المقدسة، وأن إثباتنا وإيماننا بهذه الذات المقدسة إثبات وإيمان على أنه موجود فحسب، وليس إيماناً على كلفه. نحن آمننا به سبحانه على أنه سبحانه حي قادر رازق مريد وسميع وبصير... إلخ، دون أن نعرف كيفية وماهية تلك الذات المقدسة أو تلك الصفات. لننظر إلى كلام شيخ الإسلام كيف عبر عن ذلك:

«فمذهب السلف رضوان الله عليهم إثبات الصفات وإجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية عنها، لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، وإثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات الصفات. وعلى هذا مضى السلف كلهم، ولو ذهبنا نذكر ما اطلعنا عليه من كلام السلف في ذلك لخرجنا عن المقصود في هذا الجواب، فمن كان قصده الحق وإظهار

---

(1) أي الذي قال إن معنى استوى يعني استولى، والجهم بن صفوان أخذ قوله هذا من الجعد بن درهم وتبنى آراءه في نفي صفات الله عز وجل والقول بخلق القرآن وغير ذلك من البدع. انظر: المغراوي، محمد بن عبد الرحمن، المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، ج 1، ص 76-77.

(2) المصدر السابق والصفحات نفسها.

الصواب اكتفى بما قدمناه، ومن كان قصده الجدل والقييل والقال والمكابرة لم يزد التويل إلا خروجاً عن سواء السبيل، والله الموفق»<sup>(1)</sup>.

## المبحث الثاني: التأويل الجائر وغير الجائر

رغم أننا لم نذهب إلى مذهب المؤولة في الصفات، إلا أن ذلك لا يستلزم أن ننفي التأويل جملة وتفصيلاً، أو أنه لا يمكن أن يكون هناك معنى سائح وجائر لذلك. وقد ذكر ابن القيم تلميذ شيخ الإسلام كلاماً جميلاً في كتابه «الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة»، فبين أن هناك نوعين من التأويل: التأويل الذي بمعنى التفسير، فهذا سائح ومقبول ونقول به، وهناك نوع آخر من التأويل الذي هو التحريف، فهذا الذي لا نقبله ونرفضه، وهذا النوع الثاني من التأويل الذي بمعنى التحريف هو من فكرة اليهود وجهودهم وتحريفهم للتوراة، وهم شيوخ وسلف هذا النوع من التأويل عبر التاريخ. وبعض الفرق الإسلامية مثل المعتزلة والجهمية والقدرية وغيرهم ذهبوا إلى ذلك النوع من التأويل المحرف، فقال:

«والمقصود أن التأويل يتجاوزه أصلان، التفسير والتحريف، فتأويل التفسير هو الحق وتأويل التحريف هو الباطل. فتأويل التحريف من جنس الإلحاد، فإنه هو الميل بالنصوص عمّا هي عليه، إما بالظعن فيها وإما بإخراجها عن حقائقها مع الإقرار بلفظها، وكذلك الإلحاد في أسماء الله، تارة يكون بجحد معانيها وحقائقها، وتارة يكون بإنكار المسمى بها، وتارة يكون بالتشريك بينه وبين غيره فيها. فالتأويل الباطل هو إلحاد وتحريف وإن سماه أصحابه تحقيقاً وعرفاناً وتأويلاً. فمن تأويل التحريف والإلحاد تأويل الجهمية قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (النساء: 164).. ومن تحريف اللفظ، تحريف إعراب قوله: (وَكَلَّمَ اللَّهُ) من الرفع إلى النصب، وقال وكلم الله أي موسى كلم الله ولم يكلمه الله، وهذا من جنس تحريف اليهود بل أقبح منه. واليهود في هذا الموضوع أولى بالحق منهم. ولما حرفها بعض الجهمية هذا التحريف قال له بعض أهل التوحيد فكيف تصنع بقوله: ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه﴾

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج4، ص1-6.

ربه ﴿(الأعراف: 143)﴾، فَبُهِتَ المحرّف. ومن تأويل التحريف، تأويل القدرية المجوسية نصوص القدر بما أخرجها عن حقائقها ومعانيها، وتأويل الجهمية نصوص الصفات بما أخرجها عن حقائقها، وأوجب تعطيل الرب جل جلاله عن صفات كماله، كما عطّته القدرية عن كمال قدرته ومشيئته. فنحن لا ننكر التأويل بل حقيقة العلم هي التأويل، والراسخون في العلم هم أهل التأويل، ولكن أي التأويلين؟ فنحن أسعد بتأويل التفسير من غيرنا، وغيرنا أشقى بتأويل التحريف منا، والله الموفق للصواب<sup>(1)</sup>.

ثم إن ابن القيم ذكر أضرار هذا التأويل الباطل وأسبابه، وأن هذا النوع من التأويل جلب على الإسلام أضراراً بالغة، فقد هدموا الدين ومحوا معالمه بسبب تلك الادعاءات والانحرافات والحجج الواهية، وسمى تلك الحجج «الطواغيت».. فقال:

«قولهم إن كلام الله وكلام رسوله أدلة لفظية لا تفيد علماً ولا يحصل منها يقين، وقولهم إن آيات الصفات وأحاديث الصفات مجازات لا حقيقة لها، وقولهم إن أخبار رسول الله الصحيحة التي رواها العدول وتلقتها الأمة بالقبول لا تفيد العلم، وغايتها أن تفيد الظن، وقولهم إذا تعارض العقل ونصوص الوحي أخذنا بالعقل ولم نلتفت إلى الوحي. فهذه الطواغيت الأربع هي التي فعلت بالإسلام ما فعلت، وهي التي محت رسومه وأزالت معالمه وهدمت قواعده، وأسقطت حرمة النصوص من القلوب، ونهجت طريق الطعن فيها لكل زنديق وملحد، فلا يحتج عليه المحتج بحجة من كتاب الله أو سنة رسوله، إلا لجأ إلى طاغوت من هذه الطواغيت، واعتصم به واتخذة جنةً يصد به عن سبيل الله، والله تعالى بحوله وقوته ومنه وفضله قد كسر هذه الطواغيت طاغوتا طاغوتا على ألسنة خلفاء رسوله وورثة أنبيائه، فلم يزل أنصار الله ورسوله يصيحون بأهلها من أقطار الأرض ويرجمونهم بشهب الوحي وأدلة المعقول، ونحن نفرّد الكلام عليها طاغوتا طاغوتا»<sup>(2)</sup>.

(1) ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعتلة، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، الرياض، دار العالمية، ط3، 1998، ج1، ص217-219.

(2) ابن قيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله: الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعتلة، ج2، ص632-

نكتفي بهذا القدر في بيان موقف بعض العلماء الكبار في هذه المسألة. إن هذا الموقف والمذهب هو الذي نرتضيه ونميل إليه ونراه صواباً إن شاء الله تعالى. نعم نقول بالتأويل الذي هو بمعنى التفسير والشرح، ولا نقول بالتأويل الذي هو معنى التحريف والتغيير والتبديل، والله أعلم.

أحببت أن تكون هذه المقدمة ميزاناً يوزن به كلام الشيخ الحافظ إبراهيم داليو وغيره، ومن ثم فلا نحتاج أن نرد أو نعقب عليه في كل المسائل التي ستأتينا. فهذه المقدمة هي المعوّل عليه في هذا الفصل.

أما عن موقف الشيخ الحافظ إبراهيم داليو من التأويل، فقد وجدته أنه تارة يذهب إلى ذلك التأويل الذي بمعنى التحريف والتغيير، وتارة أخرى يذهب إلى التأويل الذي بمعنى التفسير والبيان. فقد أوّل بعض الآيات التي يُشعر ظاهرها بشيء من صفات المخلوقين مع تنزيهه لله تبارك وتعالى عن مشابهة الخلق والمخلوقين، وأنه كان يبحث عن معنى لائق يتماشى مع النص القرآني ومع جلال الله تبارك وتعالى. وفي ما يلي بعض أمثلة تطبيقية يظهر فيها تأويل الشيخ الحافظ إبراهيم داليو.

### المطلب الأول: تأويل صفة الحياء وصفة اليد وصفة الوجه

أولاً: تأويل صفة «الحياء».

فالتأويل هنا بمعنى التفسير والبيان، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا﴾ (البقرة: 26)، ذكر ما خلاصته أن الله تعالى لا يمتنع ولا يتحرج ولا يستنكف عن ضرب المثل<sup>(1)</sup>، وهذا هو المعنى الذي يجب أن نفهمه من الآية، وليس المراد من الآية عقلاً تلك الصفات البشرية كما بينا في تفسيرنا لـ: (الرحمن الرحيم)، أي لا يُفهم من الآية

(1) هذا الذي قال به الشيخ الحافظ إبراهيم داليو في كلامه عن صفة الحياء قاله أيضاً العلامة ابن كثير في تفسيره: «أي أنه تعالى لا يستنكف، وقيل لا يخشى أن يضرب مثلاً ما، أي مثل كان، بأي شيء كان صغيراً أو كبيراً»، ج 1، ص 64.

ذلك الحياء المتبادر إلى أذهاننا، الذي نعرفه جميعاً من تغيير لون الوجه واحمراره أو اصفراره، والذي هو من صفات البشر<sup>(1)</sup>.

فكما هو واضح من كلام الشيخ الحافظ إبراهيم داليو أن هدفه من تأويل هذه الآية بالذات كان تنزيه الخالق سبحانه وتعالى، وهذا النوع من التأويل في هذه الحالة بالذات هو سائغ وجائز إن شاء الله تعالى، وليس فيه تعطيل ولا تشبيه، وإنما فيه تنزيه عن صفات الحوادث، والله أعلم. ثانياً: تأويل صفة «اليد» بالقدرة.

فقد وجدته أوّل صفة (اليد) بقدرة الله تبارك وتعالى في العطاء والرزق، وذلك في قول الله تعالى: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾ (المائدة: 64)، واستدل على ما ذهب إليه في تأويله للآية بتتمة الآية ذاتها، قائلاً: «تتمة الآية نفسها: ﴿بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ (المائدة: 64)، أي أكاذيب وافتراءات اليهود لا أصل لها من الصحة، لأن قدرة الله تعالى على الإنفاق كبيرة، يرزقهم ويطعمهم كيف يشاء سبحانه»<sup>(2)</sup>.

لكن هذا الاستدلال من الشيخ الحافظ إبراهيم داليو وإن كان وارداً ومحتماً، لكنه لا يثبت ولا يستقيم مع الآيات الأخرى الصريحة الواردة في إثبات اليدين لله تعالى، مثل قوله تعالى: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ أستكبرت أم كنت من العالين﴾ (ص: 75)، وقوله تعالى: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ (الفتح: 10)، وقوله تعالى: ﴿بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ (المائدة: 64)، وغيرها من الآيات، فكيف يستقيم المعنى من هذه الآية الأخيرة مثلاً؟ هل يعقل أن نقول: بل قدراته مبسوطتان؟! ثم ما المانع في اللغة العربية أن يستعمل القرآن الكريم لفظة: قدرة الله فوق قدرتهم؟ يبدو لي ليس هناك مانع شرعي ولا لغوي من استعمال تلك اللفظة. فلماذا إذن نؤول لفظ «اليد» بالقدرة؟

(1) المصدر السابق، ج1، ص77.

(2) انظر تفسير: *Ajka e kuptimeve*، ج2، ص1075-1076، وانظر: تفسير: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي للمقارنة، فإنك ستجد خلاصة كلام الشيخ الحافظ إبراهيم داليو تماماً كما ذكره البيضاوي، وتفسير البيضاوي كما يقول بعض الباحثين هو خلاصة لتفسير الرازي والزمخشري. انظر: المغراوي، محمد بن عبد الرحمن، المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، ج2، ص95-105.

ثالثاً: تأويل صفة «الوجه»، بالجهة، وبذات الله، وبرضا الله.

كما أن الشيخ أوّل صفة «الوجه» الواردة في الآيات الكثيرة مثل: ﴿والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ (البقرة: 115)، وغيرها من الآيات بعدة تأويلات، إذ يقول: «أينما تولوا فهناك وجه الله، أي جهة العبادة ورضا الله تعالى، أنه تعالى واسع وأنه عليم ورحيم وغفور.، لأن اتجاه المصلي وتوجهه نحو ذات الله محال وغير ممكن، وأنه تعالى منزّه عن أن يكون له جهة، فالمقصود بوجه الله؛ أي ذات الله، هو حضور المصلي بوعي وعلم تامّين أمام ذات الله، أو ربما يكون المقصود هو رضا الله سبحانه وتعالى»<sup>(1)</sup>.

رابعاً: تأويل صفة «القرب»، بالعلم.

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ (البقرة: 186)، أوّل ذلك بالعلم؛ أي علمه تعالى قريب من عباده. ثم إنه احتج بكلام الإمام البيضاوي الذي قال بذلك القول ونفى أن يكون المراد ذات الله قريب منهم، لأنه تعالى طالما ليس له مكان أو لا يحتاج إلى مكان، فقربه تعالى منا محال وغير ممكن<sup>(2)</sup>.

### المبحث الثالث: توظيف النص القرآني وفق المذهب على وجوب الاستدلال العقلي للاهتداء إلى الإيمان بالله تعالى

ليس المراد من هذا المطلب أن نجعل (عهد الله) صفة لله تعالى، فهذا لا يدخل في باب الصفات لله عز وجل. وإنما المراد بيان منهجه واتجاهه التأويلي وتوظيفه للنص القرآني لتأييد عقيدته ومذهبه من خلال تفسيره للآيات.

(1) المصدر السابق، ج 1، ص 183-184.

(2) انظر تفسير: *Ajka e kuptimeve te Kur'ani Qerimit*، ج 1، ص 272، وحول تاريخ التأويل، والتأويل الفاسد والمسائل الأخرى المتعلقة بالتأويل.. انظر: سالم، إبراهيم بن حسن، قضية التأويل في القرآن الكريم بين الغلاة والمعتدلين، بيروت، دار قتيبة، ط 1، 1993.

ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾ (البقرة: 27)، قال ما ملخصه: «إن المراد هنا بـ (عهد الله) العهد الذي كان بين الله وبينهم، وهو العقل<sup>(1)</sup> الذي وهبهم إياه لمعرفة سببانه، وللإستدلال به على وجوده والتصديق لرسالة نبيه محمد ﷺ لأن الله عندما خلق نور الفكر والمعرفة في عقول الناس، كان ذلك بمثابة انعقاد العهد معهم على أنهم سيؤمنون به وسيصدقون بوحدانيته ورسالة نبيه ﷺ، ولأن العقل أيضاً كاف لفهم وتصديق دلائل وحدة الله تعالى ودلائل النبوة»<sup>(2)</sup>.

ثم إن الشيخ كرر ما يشبه هذا الكلام في موضع آخر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فإما يأتينكم مني هدى﴾ (البقرة: 38)، قال ما ملخصه:

«إن ورود الآية على صيغة الجزم والقطع على إرسال الرسل، فكأنه تعالى قال: إن جاءكم رسول فهذا حسن وجميل، وإلا فليس واجباً عليّ (أي على الله تعالى) أن أرسل إليكم رسولاً، ولكن إن جاءكم رسول فهذا تفضل وإحسان منه تعالى إلى عباده، وإن لم يأتكم الرسل فلديكم عقلكم يكفيكم للإستدلال به للإيمان بالله تعالى وتصديق وحدانيته، وذلك من خلال استدلالكم ونظركم في آيات الكون»<sup>(3)</sup>.

وفي تحقيقنا لهذه المسألة رأينا عند أئمة الماتريديّة هذه الحقيقة التي أشار إليها الشيخ الحافظ إبراهيم داليو. وسأضع بين يديك في ما يلي كلام الإمام أبي منصور الماتريدي؛ لترى نقاط الشبه والاختلاف بين كلامه وكلام الشيخ الحافظ إبراهيم.

وفي تعليق الإمام أبي منصور الماتريدي على الآية ذاتها في قوله تعالى: ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه..﴾ (البقرة: 27)، ذكر أن معرفة الله تعالى عبارة عن عهد، وأن عهد الله على وجهين، الأول: عهد خلقه، تشهد خلقه كل أحد على وحدانية الله تعالى، مثل قوله تعالى: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون..﴾ (الذاريات: 21)، والثاني عهد رسالة على ألسنة الأنبياء

(1) وقد ذكر الإمام النسفي في تفسيره عدة آراء للعلماء المفسرين في معنى الآية المذكورة، ومن جملة تلك المعاني المعنى الذي ذكره الشيخ الحافظ إبراهيم داليو. انظر: تفسير النسفي، ج 1، ص 34.

(2) المصدر السابق، ج 1، ص 78.

(3) تفسير: Ajka e kuptimeve te kur'ani Qerimit، ج 1، ص 98.

والرسل عليهم السلام، كقوله تعالى: ﴿وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمتم برسلي﴾ (المائدة: 12)، وقوله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾ (آل عمران: 187).

وهكذا يتبين عند الماتريديّة أن معرفة الله تعالى إن كانت استدلالية، فهي تعود إلى فكرة مغروسة في النفس، سابقة على التفكير<sup>(1)</sup>، وأن معرفة الله أو الإيمان بالله تعالى: «فطرة أودعها الله في هذه الكينونة، وشهدت بها على نفسها بحكم وجودها ذاته، وحكم ما تستشعره في أعماقها من هذه الحقيقة»<sup>(2)</sup>.

وفي ما يخص مسألة وجوب معرفة الله تعالى والطرق المؤدية إلى ذلك، فقد شغلت هذه القضية بالعلماء الكلام قديماً وحديثاً. ومن خلال الدراسة والبحث تبين لنا أنه قد ظهرت في الساحة الإسلامية عدة اتجاهات في ما يخص هذا الموضوع، وقد لخصها لنا أحد الباحثين المهتمين بهذه القضية جزاه الله خيراً في رسالته الجامعية<sup>(3)</sup>، فذكر أنه وُجد هناك اتجاهٌ يقول بأن معرفة الله تعالى استدلالية، واتجاه يقول بأن معرفة الله ضرورية، ومنهم من قال إنها تثبت بالإلهام، ومنهم من يرى أنها تثبت بالإمام مثل فرقة الإسماعيلية من الباطنية. وبالإضافة إلى تلك الاتجاهات السابقة، نذكر أيضاً:

أ- الاتجاه العقلي، وأقدم هذه المدارس الكلامية مدرسة المعتزلة الذين قالوا بأن معرفة الله تعالى لا تحصل إلا بالنظر، فيجب أن يكون النظر أول الواجبات على المكلف. ويوضح هذه الحقيقة أحد أئمة المعتزلة، وهو القاضي عبد الجبار عندما سئل عن أول واجب على الإنسان، قال: «النظر المؤدي إلى معرفة الله تعالى». إلى أن أفرط أحد أئمتهم قائلاً: من لا يعرف الله بالدليل فهو كافر، لأن ضد المعرفة النكرة، والنكرة كفر!! فلا شك أنه تطرف وانحراف عن المنهج السوي.

(1) المرجع السابق، ص 98-99.

(2) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج 3، 668.

(3) لم يشر الباحث أرسالة ماجستير كانت أم رسالة دكتوراة؟

ب- الاتجاه التقليدي في معرفة الله تعالى وهو اتجاه السلف الصالح، وقد أطلق عليهم صاحب هذه الرسالة - مثل بعض الباحثين الآخرين - مصطلح «الحشوية»، للأسف الشديد، بسبب أنهم اعتبروا أن معرفة الله تعالى، الذي هو غيب، لا تُدرَك بالعقل، وأن المعول في هذا الأمر ما دلت عليه الآثار والأحاديث.

ج- الاتجاه التوفيقي بين النقل والعقل، مثل ما ذهب إليه جمهور الأشاعرة من أن معرفة الله تعالى تثبت بالشرع عن طريق الاستدلال والنظر، لأن الذي أوجب النظر والتفكير هو الشرع المتمثل في نصوص الكتاب والسنة والإجماع، وأن القرآن الكريم أيضاً رفع من شأن العقل وجعله وسيلة لمعرفة الحق من الباطل. ويظهر هذا الاتجاه في كلام أحد أئمة الأشاعرة، وهو الإمام أبو حامد الغزالي، الذي رفع من مستوى العقل وأشار إلى أهميته، وقال إن العقل والوحي متعاضان، فالشرع عقل من الخارج، والعقل شرع من داخل. وأن العقل لن يهتدي إلا بالشرع، والشرع لم يتبين إلا بالعقل، والعقل كالأس، والشرع كالبناء، ولن يغني أس ما لم يكن بناء، ولن يثبت بناء ما لم يكن أس<sup>(1)</sup>.

د- الاتجاه الفطري أو الاستدلالي عند الإمام أبي منصور الماتريدي، الثابت في النفوس والفطر، الذي ذكرناه سابقاً، وتوضيح ذلك الاتجاه الفطري يتمثل في هذه النقاط:

- وجوب النظر، إذ إن الإنسان يمكن أن يتوصل إلى معرفة الله بالعقل، لأن الله تعالى أمرنا في آيات كثيرة بالتدبر والتفكير والاعتاظ، مثل قوله تعالى: ﴿قل انظروا ماذا في السماوات والأرض﴾ (يونس: 101)، وقوله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي

---

(1) انظر: الغالي، بلقاسم، أبو منصور الماتريدي - حياته وآراؤه العقائدية، تونس، دار التركي للنشر، 1989، ص 90-94، وانظر: خوجة، خير الدين، تكامل الوحي والعقل والحواس في إسلامية المعرفة، بحث غير منشور، بإشراف الأستاذ د. إبراهيم رجب، الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا، 1998. وقد حاول بعض الفلاسفة المسلمين القدامى من أمثال الكندي وابن رشد أن يوفقوا بين الشريعة أو النصوص القرآنية، الفلسفة ومبادئها، وإثبات عدم وجود التعارض بينها. للمزيد انظر: كتاب فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، للقاضي أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد، تحقيق: د. جورج فضلو الحوراني، ليدن، مطبعة برييل، 1954، وكتاب: المادية والمثالية في فلسفة بن رشد، لمحمد عمارة، القاهرة، دار المعارف، ط2.

أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴿ (فصلت: 53)، ولكن مع قول الإمام أبي منصور الماتريدي بوجوب النظر والاستدلال العقلي، ورفعته من كرامة العقل، فإنه يرى ضرورة الرسول أو الرسالة، لأن العقل وحده قاصر عن إدراك الحقيقة، بسبب الشهوات والملذات والنزاعات والخلافات البشرية، كل هذه الأسباب تعتبر حججاً للوصول إلى الحق، وأن هذا الطريق؛ أي طريق النظر والاستدلال ليس يسير المنال لبعض الأسباب التي ذكرها في كتابه «التوحيد» قائلاً:

«ثم الأصل في ذلك مما يوجب ضرورة العقل الحاجة إلى الرسل لوجوه، أحدها: وجود التنازع الظاهر بين الخلق على ادعاء كل منهم أنه أحق بالحق وأولى بالإصابة، واتفاق أن ليس فيهم من يفزع إليه ليحكم بينهم ويريهم بما به يتألف قلوبهم وتجتمع كلمتهم. ومعلوم أن التنازع هو أصل كل فساد ومقدمة كل فناء، وذلك كله قبيح في العقول. ومعلوم أن لا أحد أعلم بذلك ممن خلقها وأنشأها، وفي ذلك لزوم القول برسول نعلم أنه من عنده جاء. فهذا مع ما يعلم من أن الأشغال وازدحامها على العقول يلبسها، فكذلك الهموم وأنواع ما يُجبل عليه البشر، وكذلك أنواع الألم وأسباب لا تحصى مما يشغل العقول ويمنعها عن الإحاطة بالحق في كل لطيف وجليل. وكذلك غلبة الشهوات وكثرة الأمانى واللذات، فلذلك لا بد من رسول الله ليبيّن لهم ويدلهم عند الاشتباه على الحق ولا قوة إلا بالله، وقد بيّننا بحمد الله حاجة العقول للرسل والقول بهم وعجز العقول عن الإحاطة بالكل»<sup>(1)</sup>.

أما عن دليل الماتريديّة الذين ذهبوا إليه من وجوب النظر والاستدلال، فقد استدل أحد أئمتهم الكبار<sup>(2)</sup>، على ضرورة وجوب الاستدلال العقلي بقوله تعالى في قصة أصحاب الكهف الذين قالوا: ﴿ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً﴾ (الكهف: 14)، وقوله تعالى في قصة استدلال إبراهيم عليه السلام بالكواكب والشمس والقمر والنجوم حتى وصل

(1) الماتريدي، أبو منصور، التوحيد، تحقيق: د. فتح الله خليف، الإسكندرية، دار الجامعات المصرية، 1970، ص 182-183، بتصرف.

(2) المرجع السابق، ص 96، نقلاً عن أبي المعين النسفي، بحر الكلام، ص 6.

إلى الإله الحق، فقال تعالى: ﴿فلما جنَّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين﴾ (الأنعام: 76).

ففي هذه النقطة بالذات اشترك كلام أبي الحسن الماتريدي مع المعتزلة في تعظيم دور العقل وتقديمه في الاستدلال، إلا أن الفرق بين المعتزلة والماتريدية، هو أن أهل السنة من الماتريدية والأشاعرة اعتبروا ضرورة الأحكام الشرعية كوسيلة لا تكون إلا من عند الله عز وجل للتوصل إليه، بينما عند المعتزلة فالوسيلة هي العقل وليس الشرع الحنيف النازل من عند الله عز وجل<sup>(1)</sup>، ولأن المعتزلة: «أكدوا القول بأن الحسن والقبیح من الأشياء ذاتيان، فالأفعال تحسن وتقبیح لذاتها، بمعنى أن الحسن صفة ذاتية للفعل الحسن كما أن القبح صفة ذاتية لازمة للفعل القبيح، وأن العقل يدرك الحُسن والقبح قبل ورود الشرع بذلك»<sup>(2)</sup>.

ويقول الإمام الشاطبي في الموافقات في حديثه عن الأمر الشرعي: «وأما على مذهب المعتزلة فكذلك أيضاً أنهم إنما يعتبرون المصالح والمفاسد بحسب ما أدهم إليه العقل في زعمهم، وهو الوجه الذي يتم به صلاح العالم على الجملة والتفصيل في المصالح، أو ينخرم به في المفاسد. وقد جعلوا الشرع كاشفاً لمقتضى ما ادعاه العقل عندهم، لا زيادة ولا نقصان»<sup>(3)</sup>. وقد أكد الإمام الزمخشري أيضاً في تفسيره هذه الحقيقة وهو يدافع عن اعتزاله ويريد أن يتخلص من ظاهر هذين النصين وهما: ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ (النساء: 165)، وقوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ (الإسراء: 15)، فيسأل الزمخشري هذا السؤال: «كيف يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وهم محجوبون بما نصّه الله من الأدلة التي النظر فيها موصل إلى المعرفة، والرسل في أنفسهم لم يتوصلوا إلى المعرفة إلا بالنظر في تلك الأدلة، وما عُرف أنهم رسل الله إلا بالنظر فيها؟ قلت: الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على النظر، كما ترى علماء أهل العدل والتوحيد، مع تبليغ

(1) المرجع السابق، ص 97.

(2) فتاح، عرفان عبد الحميد، دراسات في الفكر العربي الإسلامي - أبحاث في علم الكلام والتصوف والاستشراق والحركات الهدامة، ص 213.

(3) الموافقات في الشريعة الإسلامية للشاطبي، ج 2، ص 357.

ما حملوه من تفصيل أمور الدين وبيان أحوال التكليف وتعليم الشرائع، فكان إرسالهم إزاحة للعلة وتمميماً لإلزام الحجة لثلاثاً يقولوا: لولا أرسلت إلينا رسولاً فيوقظنا من سنة الغفلة وبنهنا لما وجب الانتباه له»<sup>(1)</sup>.

الشاهد من هذا الذي ذكرته من مبادئ وأصول المعتزلة، هو أن الشيخ الحافظ إبراهيم داليو ذكر أيضاً أن دور العقل كافٍ للتوصل إلى معرفة وحدة الله تبارك وتعالى ووجوده من خلال الاستدلال بالآيات الكونية الدالة على وجوده تعالى، وهذا الفكر الاعتزالي موجود وثابت في كلامه<sup>(2)</sup>. بينما الشاهد في ما ذهب إليه الزمخشري هو أن دور الرسل هو إيقاظ العقول من الغفلة للتنبه إلى ما يجب الانتباه له فقط لا غير. هذا هو دور الرسل في منظور الإمام الزمخشري!

وهذا لا يصح، للآيات القرآنية الكثيرة الصريحة الدالة على أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قبل الوحي الإلهي لم يكن يدري ما الكتاب ولا الإيمان الصحيح، وأن الناس لم يكونوا يعرفون القيم ولا الأخلاق الإنسانية النبيلة، وهذا يظهر بوضوح في قوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم (52) صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور﴾ (الشورى: 53)، وقوله تعالى: ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون﴾ (الأنعام: 116)، وقوله تعالى: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم (58) يتوارى من

(1) تفسير الكشاف للزمخشري، ج1، ص389.

(2) للمزيد من التفاصيل والوقوف على الجزئيات للعقيدة الماتريدية راجع كتاب أحد أئمة الماتريدية الكبار بعنوان: البداية في أصول الدين، تأليف: نور الدين أحمد بن محمود بن أبي بكر الصابوني (المتوفى سنة 580هـ)، عارضه بأصوله وعلق حواشيه وفهرسه، الأستاذ الدكتور: بكر طوبال أوغلي، أنقرة، نشرات رئاسة الشؤون الدينية، ط5، 1995، ص16-31.

Essabuni, Nureddin, *Maturidiyye Akaidi*, Arastirma ve notlar ilavesiyle tercume eden, Prof. Dr. Bekir Topaloglu, Marmara Universitesi Ilahiyat Fakultesi-Kelam Ilmi Ogretim Uyesi, Diyanet Isleri Baskanligi Yayinlari, Ankara, 5. Baski, 1995, 71-74.

القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب، ألا ساء ما يحكمون ﴿﴾ (النحل: 58-59)، والآيات في هذا الموضوع كثيرة لا يتسع المجال لسرد الجميع.

وكذلك شأن العقل إن ترك وحده فإنه سرعان ما يضل بين الأفكار والاتجاهات المنحرفة والهدامة، فتكون النهاية هي الضلال والانحراف والهلاك. فحتى لا يضل العقل وحتى لا يتوه في ظلمات الحيرة والضلال، تعهد الله -عزَّ وجلَّ- عبر التاريخ فترة تلو الأخرى بأن يرسل إليه رسلاً من عنده سبحانه، لهداية الناس وإرشادهم، ثم العقل إن شاء آمن وإن شاء كفر، وإلا فإن الحجة قد قامت عليه. ولو عرضت شهوات وملذات الدنيا بكافة أنواعها على حكم العقل، لا شك أنه سيستحسنها ولم يكن ليستقيح واحدة منها، مثل الزنا والسرقه وأكل أموال الناس بالباطل والقتل وغيرها. إذن فالعقل وحده ليس ميزاناً صحيحاً ومعصوماً يُعوَّل عليه في معرفة الحق والباطل، أو الحسن أو القبح، وإن تعارض العقل مع النقل، فإن النقل مقدم على العقل، وليس العكس، كما بيَّن ذلك أهل النظر والتحقيق. إن إنارة العقل دون الاعتماد على الوحي الرباني تكون مكسوفة ومطموسة، وما حال الفلاسفة والعقلانيين التائهين الضالين عبر التاريخ إلى يومنا هذا عنا ببعيد، والله أعلم.

وقد ذكر الشيخ محمد نسيب الرفاعي كلاماً جميلاً في حاشيته، عندما اختصر تفسير ابن كثير، واستنتج من الآية معنى وجيهاً. ففي تعليقه على قوله تعالى: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسلاً) قال: الحمد لله الذي قال: ﴿﴾ وما كنا معذبين حتى نبعث رسلاً ﴿﴾، ولم يقل: (حتى نبعث نبياً رسلاً)، لأنه يمكن أن يكون الرسول غير النبي، وإليك البيان.. وكذلك إذا وصلهم كتاب يشرح لهم فهو رسول لهم، أو سمعوا المذيع عن الإسلام والعقيدة الإسلامية، فكل ذلك تقوم به الحجة، إذن.. فأنت رسول، والكتاب رسول، وصوت المذيع رسول، بمعنى مبلغ الرسالة، والله أعلم. أما الإمام ابن كثير فقد فسر تلك الآية قائلاً: إن الله لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسول إليه. وهذا إخبار عن عدله تعالى (1).

(1) الرفاعي، محمد نسيب، تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، الرياض، مكتبة المعارف، د. ط، 1989، ج3، ص16.

## المبحث الرابع: موقفه من رؤية الله تعالى يوم القيامة ومرتكب الكبيرة وزيادة الإيمان

أولاً: رؤية الله تعالى

هذه قضية أخرى تطرق إليها الشيخ الحافظ إبراهيم داليو في تفسيره، واختلف حولها أهل السنة الميثبون إياها والمعتزلة النافون إياها. ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ (الأنعام: 103) تطرق إلى هذه المسألة الخلافية بين أهل السنة والمعتزلة (أي مسألة رؤية الله تعالى يوم القيامة)، ذلك أنه ناقش أدلة الفريقين باختصار، ودحض تلك الشبه التي أوردتها المعتزلة بعدم إمكانية الرؤية، ورجح مذهب أهل السنة الذي يرى ذلك ممكناً<sup>(1)</sup>.

فمذهب أهل السنة والجماعة من السلف الصالح، وكما ذهب إليه أحد كبار الماتريديّة، العلامة نور الدين أحمد بن محمود بن أبي بكر الصابوني الماتريدي، أنه:

«إن رؤية الله تعالى بالأبصار جائزة عقلاً وواجبة سمعاً للمؤمنين في دار الآخرة. خلافاً للمعتزلة والنجارية والخوارج والزيدية من الروافض. وحجة أهل الحق سؤال موسى عليه السلام الرؤية من الله تعالى، كما أخبر بقوله تعالى: ﴿رب أرني إليك﴾ (الأعراف: 143)، وكذا قوله عزّ اسمه: ﴿وجوه يومئذ ناضرة (22) إلى ربها ناظرة﴾ (القيامة: 22 - 23)، وكذا قوله تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ (الكهف: 110)، وكذا قوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ (يونس: 26)، ذكر عامة أهل التفسير مرفوعاً إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن المراد من الزيادة رؤية الله تعالى. والأحاديث في هذا الباب كثيرة، أشهرها قوله ﷺ: (إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، لا تضامون في رؤيته). ونقل حديث الرؤية واحد

---

(1) تفسير: *Ajka e Kuptimeve te Kur'ani Qerimit*، ج 2، 1259-1260، راجع مسألة مرتكب الكبيرة عند المعتزلة والخوارج التي ذكرها الشيخ الحافظ إبراهيم في تفسيره، وكيف أنه رد عليهم رداً علمياً وافياً وشافياً بالآية نفسها التي هم استدلوها على دعواهم، وهي قوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾، ج 2، 794-795، 1044-1045.

وعشرون عدداً من كبار الصحابة وعلمائهم -رضي الله عنهم-، فيكون مشهوراً بحيث لا يسع إنكاره»<sup>(1)</sup>.

وهذا هو الراجح والصحيح في المسألة عقلاً وشرعاً، «والله تعالى يُرى في الآخرة لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية. ولأن العقل إذا حُلِّي ونفسه لم يحكم بامتناعهما»<sup>(2)</sup>، إذ لا يعقل أن يُحرَم المؤمنون من لذة الرؤية للباري -عزَّ وجلَّ- أيضاً يوم القيامة. فنحن محرومون من رؤيته في الدنيا، ولأن موسى عليه السلام طلب ذلك من الله -عزَّ وجلَّ- فلم يستجب الله لرغبته، وقد قبلنا هذا القضاء الإلهي وصبرنا عليه، على أمل أننا سنراه وسنلقاه سبحانه وتعالى في الحياة الأخرى الأبدية، وإلا فما الفرق بيننا وبين الكافرين الذين قال الله فيهم: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ (المطففين: 15).

أما شرعاً فهناك من الأدلة الوافية والكافية والشافية من الأحاديث والآيات التي ذكرناها آنفاً، ما يثبت رؤية الله تعالى يوم القيامة للمؤمنين إن شاء الله تعالى، والله أعلم<sup>(3)</sup>.

### ثانياً: مرتكب الكبيرة

مناصرة الشيخ ودفاعه لعقيدة أهل السنة والجماعة تتجلى بوضوح في كثير من المسائل العقدية الأخرى، مما لا يتسع بنا المقام أن نتطرق إلى جميعه، فحسبنا من ذلك الإشارة إلى بعضه.

فمثلاً في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ (البقرة: 5)، يقول ما ملخصه أن المذنبين من المسلمين يخرجون من النار بعد أن ينالوا نصيبهم من العذاب في نار جهنم، وهذا بالطبع خلاف ما عليه معتقد المعتزلة<sup>(4)</sup>، لأن صاحب الكبيرة عندهم في منزلة بين المنزلتين،

(1) الصابوني، نور الدين أحمد بن محمود بن أبي بكر، البداية في أصول الدين، ص 38-41.

(2) الأقبصاري، حسن كافي (البوسنوي): روضات الجنات في أصول الاعتقاد، تحقيق: أ.د. فكرت كارتشش، وأ.د. إبراهيم محمد زين، ماليزيا، الجامعة الإسلامية العالمية، 2002، ص 38.

(3) لمعرفة المزيد انظر: الطحاوي، أبو جعفر، شرح العقيدة الطحاوية، بيروت، المكتب الإسلامي، ط 4، 1391، ص 203.

(4) تفسير: *Ajka e Kuptimeve te Kur'ani Qerimit*، ج 1، ص 42.

يخرج من الإيمان ولا يدخل إلى الكفر، أي لا هو مؤمن ولا هو كافر، وإن مات من غير توبة يُخَلَّد في النار<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً: زيادة الإيمان ونقصانه

كما ناقش الشيخ الحافظ إبراهيم داليو أيضاً بعض مسائل العقيدة وعلم الكلام لدى الأشاعرة<sup>(2)</sup>، والماتريديّة<sup>(3)</sup>، والمحدثين والمعتزلة والخوارج، مثل مسألة زيادة الإيمان، ومسألة الكسب الحرام، وهل يعد ذلك رزقاً أم لا؟ وغيرها من المسائل.

تظهر هذه الحقيقة وهذه المناصرة لأهل السنة في تفسير الشيخ الحافظ إبراهيم عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ (البقرة: 3). فلما تطرق إلى مسألة الإيمان وتعريفه ومكوناته ومتطلباته لدى هؤلاء الفرق، ذكر مسألة: هل الإيمان أو التصديق بالقلب كافٍ للنجاة من العذاب والحصول على السعادة الأبدية؟ فذكر الشيخ أن ذلك من مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري وأنه كافٍ للنجاة<sup>(4)</sup>. ومذهب الإمام أبي حنيفة أن ذلك غير كافٍ، ولا بد من

---

(1) الصابوني، نور الدين أحمد بن محمود بن أبي بكر، البداية في أصول الدين، ص 80، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص 365-367، وص 416-417.

(2) حول مؤسس المذهب السني الأشعري الإمام أبي الحسن الأشعري انظر بحثاً لكتاب هذه السطور، خير الدين خوجة، غير منشور بعنوان: دراسة في كتابين للإمام أبي الحسن الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، ورسالة له: استحسان الخوض في علم الكلام، بإشراف الأستاذ الدكتور عرفان عبد الحميد فتاح، الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا، 1998.

(3) حول بعض المسائل العقيدية المهمة عن الإمامين الجليلين أبي الحسن الأشعري والإمام أبي منصور الماتريدي والمسائل التي اختلفا فيها في أمور العقيدة، انظر: الغاوي، وهبي سليمان، مسائل في علم التوحيد، ط 1، 1991، د. م، ص 19-32، 43-73.

(4) هذا الذي ذكره الشيخ الحافظ إبراهيم داليو قد يكون رأياً لدى أتباع وتلاميذ أبي الحسن الأشعري من المتأخرين مثل الإمام الباقلاني وغيره. فقد ذكر الإمام الباقلاني في كتابه: «باب القول في معنى الإيمان: فإن قال قائل خبرونا ما الإيمان عندكم؟ قلنا الإيمان هو التصديق بالله تعالى، وهو العلم والتصديق يوجد بالقلب. فإن قال وما الدليل على ما قلتم؟ قيل له إجماع أهل اللغة قاطبة على أن الإيمان في اللغة قبل نزول القرآن وبعثة النبي، التصديق، لا يعرفون في لغتهم إيماناً غير ذلك. ويدل على ذلك قوله تعالى: (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) (يوسف: 17)، أي ما أنت بمصدق لنا، ومنه قولهم فلان يؤمن بالشفاعة وفلان لا يؤمن بعذاب القبر أي لا يصدق بذلك»، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، أبو بكر محمد بن الطيب بن جعفر بن القاسم الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد بن حيدر، بيروت، مؤسسة الثقافة، ط 1، 1987، ص 389.

الإقرار باللسان بعد التصديق بالقلب إذا لم يكن هناك مانع من البكم أو الخوف من الأعداء<sup>(1)</sup>. ثم يعقب الشيخ الحافظ إبراهيم قائلاً: وهذا هو الراجح في المسألة، بدليل أن الله سبحانه أنكر ونعى على الذين يعرفون الحق ولا يقرون ذلك بألسنتهم، والشيخ لم يشر إلى الآية القرآنية التي استقى منها ذلك المعنى، ويبدو لنا أنه ربما قصد قوله تعالى: ﴿يعرفون نعمته الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون﴾ (النحل: 83)، والله أعلم بالصواب<sup>(2)</sup>.

أما أبو الحسن الأشعري، مؤسس العقيدة الأشعرية نفسه فلم يذكر ذلك في بيانه لعقيدة أهل السنة والجماعة في كتابه: الإبانة عن أصول الديانة، مطبعة دار الأنصار، د. ت، ص 20-23، لكن أثناء البحث والتحقيق وجدنا بعض أهل العلم من كبار الماتريديّة كالعلامة نور الدين أحمد بن محمود بن أبي بكر الصابوني، أشار في كتابه قائلاً: «وقال المحققون من أصحابنا رضوان الله عليهم إن الإيمان هو التصديق بالقلب، والإقرار شرط لإجراء الأحكام في الدنيا. نص على ذلك أبو حنيفة - رضي الله عنه - في كتاب «العالم والمتعلم»، وهو اختيار الشيخ الإمام أبي منصور الماتريدي والحسين بن الفضل البجلي رحمهما الله، وأصح الروايتين عن الأشعري»، البداية في أصول الدين، ص 87-88. والشاهد من هذا الذي ذكره الشيخ الحافظ إبراهيم في كلامه، هو أن المتأخرين من الأشاعرة اعتبروا الإيمان، الذي هو محض التصديق، كافياً، لكونه مؤمناً لنجاته من العذاب يوم القيامة. فهذا القول هو إحدى الروايتين، ويروى عن أبي الحسن الأشعري رأي آخر، وهو أصح الرأيين، أنه غير كافٍ، بل لا بد مع التصديق بالإقرار باللسان أيضاً لإجراء الأحكام عليه في الدنيا. ونحن نميل إلى هذا القول الثاني ونراه أصح القولين، أنه لا بد مع التصديق بالإقرار باللسان أيضاً، وذلك حتى تزول الشبه والافتراءات والظنون تجاه ذلك الذي آمن بقلبه وسكت، ولم يخبرنا بلسانه لكي نطلع على ما في قلبه من صدق أو كذب، وإلا فمن الميسور اليوم أن يدعي كثير من الناس الإيمان، على أنهم مؤمنون بقلوبهم، فهذا الادعاء يحتاج إلى البينة، والبينة هنا هو الإقرار باللسان، والله أعلم.

(1) لأن إجراء الأحكام الدنيوية عليه مثل: الغسل والدفن والصلاة عليه وتقسيم التركة وغيرها من الأحكام متوقفة عليه، أي على إقرار الشهادتين أو الإيمان باللسان، وإلا فهو يكون مؤمناً عند الله في الآخرة، وكافراً عندنا في الدنيا، ولأن الإقرار، كما قال العلامة البوسنوي في القرن السابع عشر الميلادي، الشيخ حسن كافي الألفحاصري، في كتابه: روضات الجنات في أصول الاعتقاد، هو: «علامة وشرط لإجراء الأحكام الإسلامية عليه»، ص 30.

(2) راجع: .: *Ajka e kuptimeve.*، ج 1، ص 33-36، 38.

## المبحث الخامس: موقفه من معرفة المحكم والمتشابه

### المطلب الأول: الهدف من هذه المسألة

والشيخ الحافظ إبراهيم داليو لم يشذ عن منهج أهل السنة والجماعة في ما يخص معرفة المحكم والمتشابه من الآيات، ونحن لن نتطرق في هذه المسألة إلى بيان وذكر أقوال العلماء في بيانهم ما المراد من المحكم والمتشابه أو ما هو المحكم والمتشابه، فقد ذكر العلماء لذلك عدة آراء، يراجع ذلك في مظانها. وإنما نريد هنا أن نتطرق إلى أصل وجذور هذه المسألة التي تضاربت حولها الأقوال والاجتهادات، وهي هل من الممكن للراسخين في العلم معرفة المعنى الحق والمراد من الآيات المتشابهات، أم لا يمكن ذلك؟ وما سبب اختلافهم؟ إن محور الاختلاف لدى العلماء المهتمين بهذا الشأن قديماً وحديثاً، هو اختلافهم في جواز الوقف على قوله تعالى: (وما يعلم تأويله إلا الله)، أو عدم الوقف عندها والوصل بما بعدها في قوله تعالى: (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) (آل عمران: 7).

ففي تفسيره للآية المذكورة نقل الشيخ الحافظ إبراهيم كلام الإمام الفخر الرازي الذي ذكر مذهب السلف الذين يرون الوقف على الآية (وما يعلم تأويله إلا الله)، والابتداء بـ: (والراسخون في العلم يقولون آمنا به)، فالإمام الفخر الرازي بين أن مذهب الخلف يرون الوقف على: (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم)<sup>(1)</sup>. والشيخ الحافظ إبراهيم داليو لم

---

(1) المصدر السابق، ج 1، ص 33-36، 38، وللوقوف على معرفة المزيد حول هذه المسألة انظر: الموافقات في الشريعة الإسلامية للإمام الشاطبي، حيث أثبت -رحمه الله- في كلامه عن المحكم والمتشابه، أن المتشابه قليل قياساً على المحكم.. ج 3، ص 79-92، وانظر أيضاً: القرضاوي، يوسف، كيف تتعامل مع القرآن العظيم، ص 270-283. أقول: والذي نميل إليه في هذه المسألة ونراه صواباً، وذلك دون الاعتماد على القراءات الشاذة الواردة فيها، هو قول من قال بأن الوقف على: (وما يعلم تأويله إلا الله) هو الأصح والأرجح أثناء التلاوة، وأن المعنى الحقيقي المراد من المتشابه لا يعلمه أحد إلا الله تعالى، فهذه الحقيقة تتناسب مع استحباب الوقف عندها. وهذا لا يتعارض مع إمكانية واستثناء بعض العلماء الراسخين في العلم من معرفة تأويل متشابه القرآن مما علمهم الله وأفاض عليهم من علمه وفضله سبحانه وتعالى. وهذا باتفاق وإجماع أهل العلم قاطبة. وثانياً، أن الضابط في قضايا القراءة أو الرواية، والوقف والابتداء في التلاوة هو النقل والرواية والاتباع عن القراء الكبار والحفاظ الثقات، الذين نقلوا إلينا هذا الكتاب المعجز بإتقان دون زيادة أو نقصان كإبراهيم عن كابر بالسند المتصل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. فهذا العبد الضعيف، الباحث كاتب هذه السطور هكذا أقرأه

يفصل أكثر من هذا القدر الذي نقلناه، وكان من الأفضل له أن يتوسع قليلاً في هذا الموضوع، كما توسع في القضايا الأخرى في تفسيره، والله أعلم.

وقد ذكر الإمام الشاطبي في موافقاته، أن هناك قولين للمفسرين في ما يخص الوقف على الآية (والراسخون في العلم)، وأن هذه مسألة اجتهادية، لكن الصواب في ذلك ما كان عليه السلف<sup>(1)</sup>.

هذه هي بعض القضايا العقدية الكبرى التي تناولها الشيخ الحافظ إبراهيم في تفسيره، والتي تطرقنا إليها بشيء من التحليل والتفصيل والنقد وبيان وجه الصواب فيها، والله أعلم<sup>(2)</sup>.

## المبحث السادس: بعض الملاحظات على تفسير الشيخ الحافظ إبراهيم داليو

### المطلب الأول: الملاحظات الإيجابية

- نزاهته وترفعه عن استعمال الكلمات والألفاظ البذيئة أو الشنيعة على الآخرين، ما عدا حملته وأسلوبه الخاص مع بني إسرائيل أو اليهود، فإنه كان قاسياً عليهم في نقد سلوكهم وتصرفاتهم اللإنسانية مع أنبيائهم عبر التاريخ، فجزاه الله خيراً على ذلك.
- امتاز تفسيره من ناحية الأسلوب والبيان واللغة بأنه من النوع السهل الممتنع.

---

وأجازه شيخه وأستاذه المقرئ في المدينة المنورة، القارئ الشيخ محمود عبد الخالق جادو -رحمه الله- عندما عرض عليه القرآن كاملاً عن ظهر قلب، مرتلاً ومجوداً برواية حفص عن عاصم بن أبي النجود -رحمه الله- من طريق الشاطبية. فالعبارة والمعول عليه في القراءة هو التلقي والمشافهة والرواية، وليس للقياس أو الاجتهاد في القراءة مدخل، كما ذكر ذلك علماء القراءات. وأستاذي -رحمه الله- كان مدرساً لمادة القراءات العشر في كلية القرآن الكريم، وكان أحد مؤسسيها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وعضواً دائماً لدى لجنة مجمع الملك فهد بن عبد العزيز لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، رحمه الله رحمة واسعة وأدخله فسيح جناته.

- (1) انظر: الشاطبي، أبو إسحق، الموافقات في الشريعة الإسلامية، ج3، ص91، بتصرف.
- (2) المرجع السابق، ج2، ص7-14، وانظر لمعرفة المزيد: الزركشي، أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار المعرفة، د. ط، 1391، ج1، ص347-348.

- في كثير من الحالات يعطي ترجمتين أو معنيين اثنين للآية، في حالة إن كان المعنى الأول غامضاً، وهذا دليل على قوة بلاغته وفصاحته، وأن جعلته مليئة بالعبارات المختلفة ذات المعاني والدلائل الغنية، فصار كلامه يفهم من كافة الطبقات المثقفة وغير المثقفة. جمع بين أصالة اللغة الألبانية وقواعدها والألفاظ الجديدة التي طرأت عليها.
- هناك تناسق وربط قوي بين معاني الآيات التي يفسرها الشيخ، وهناك وحدة موضوعية، فالشيخ كما قلت لم يشغل بالمسائل الفرعية، وإنما كان همه الأساس بيان المعنى المباشر من القرآن، ولا شك أنه بهذا رفع من قيمة هذا التفسير ومستواه، دَلَّ ذلك على عقلية المفسر المتمسك بالموضوعية والمنهجية.
- لم يتأثر بآراء ومبادئ أصحاب المدرسة الإصلاحية العقلية في التفسير، وقد كان له موقف مغاير ومباين تماماً من هؤلاء.
- لم أجد في ما قرأت من تفسيره أنه دعا إلى فكرة التقريب بين الأديان، اليهودية أو النصرانية، كل الذي وجدت عنده ذمه الشديد لليهود خاصة<sup>(1)</sup> بسبب تحريف الكلم عن مواضعه، وبسبب الفساد في الأرض، قديماً وحديثاً. فهذا جانب مهم وكبير عند الشيخ يشكر عليه، لأنهم حقاً يستحقون ذلك، بل الزيادة وما هو أدهى وأمر.
- لم أطلع في ما قرأت من تفسيره على آراء شاذة انفرد بها أو تبناها من غيره.
- قدرته الفائقة على استنباط الأحكام الشرعية. لقد أعجبنى استنتاجه درساً وعبرة لأهمية وضرورة الشورى، ولقاعدة فقهية أصولية، أنه يُتحمّل الضرر الخاص لدفع الضرر العام من قوله تعالى: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) (البقرة: 30)، إذ لم أسمع ولم أقرأ لأحد غيره هذا الكلام من قبل<sup>(2)</sup>.

(1) راجع تفسير: *Ajka e kuptimeve te Kur'ani Qerimit*، ج 1، ص 150، 191، 202، 203، وانظر:

Al-Faruqi, Ismail Raji, *Islam and Other Faiths*, edited by: Ataullah Siddiqui, The Islamic Foundation and The International Institute of Islamic Thought, Markfield, Leicester, UK, 72-91, 161-194.

(2) المصدر السابق، ج 1، ص 86، 88.

- صحة ودقة فهمه للغة العربية ومعرفة استعمال دلالاتها وألفاظها، فقد أعجبني المعنى الدقيق الذي أعطاه للآية، فلم أجد عليه أدنى ملاحظة في هذا الجانب (من حيث الفهم الصحيح والسليم للآية باللغة العربية)، وهذا في رأيي أكبر عامل دفع به إلى الخوض في تفسير كتاب الله عز وجل، والله أعلم.

### المطلب الثاني: الملاحظات السلبية

- الشيخ أهمل جانباً منهجياً مهماً في تفسيره، ألا وهو عدم توثيق كلامه، وعدم الإشارة إلى رقم الصفحة والجزء الذي نقل منه كلامه، بل حتى أسماء وعناوين بعض الكتب الأخرى غير التفسير لم يشر إليها الشيخ ولم يذكرها البتة. كما أن تفسيره لا يشتمل على رقم الآيات، فالآيات غير مرقمة عنده.
- أهمل جانباً مهماً آخر في تفسيره، هو أنه لم يسند شيئاً من الآثار إلى أصحابها الذين نقل منهم، ولم يُخرِّج شيئاً من تلك الأحاديث النبوية الشريفة أو كلام الصحابة، فترك القارئ في تيه الحيرة، ربما يُصدِّق ذلك أو يكذبه.
- هناك أخطاء مطبعية في تفسيره، كما أن هناك تكراراً لبعض المعاني التي ذكرها.
- الكلام المنقول أياً كان لا يُعرف أين بدايته ولا نهايته، فليست هناك أقواس كبيرة ولا صغيرة، فالقارئ العادي لا يمكن له أن يميز بين كلام الشيخ الحافظ إبراهيم والكلام المنقول منه أو المقتبس عنه، إلا في موضع واحد وجدته يطبق هذا الذي أقول<sup>(1)</sup>.

### المطلب الثالث: الملاحظات العامة الموضوعية

لاحظت وأنا أقرأ تفسيره في كثير من المواضع وقد أشرت إليها، أن الشيخ مترجم من العربية إلى الألبانية، وناقل لكلام المفسرين المختارين من العربية إلى الألبانية فحسب، وكأن الشيخ لم يكن له دور إلا النقل والترجمة، فهذه القضية فيها شيء من الخلل. ولكنني أقول: إن هذه القضية تحتاج إلى أدلة وقرائن أخرى. وأثناء القراءة تبينت لي بعض تلك القرائن، أي أنه في كثير

(1) راجع تفسيره، ج2، ص1088-1089.

من الأحيان صرح وقال بأنه مترجم.. أو إن هذا رأي المترجم.. أو أبدأ بترجمة هذه السورة.. عندما نترجم السورة..<sup>(1)</sup>، ففي رأيي كان ينبغي له أن يقول: أبدأ بتفسير السورة.. أو أشرع في بيان معاني هذه السورة.. أو هذه هي بعض الخواطر أو إichاءات من هذه السورة.. أو هذا الذي تبين للعبد الفقير من الفهم من كلام علماء التفسير حول هذه الآية.. أو ما شابه ذلك، والله أعلم.

لكني أقر مرة أخرى وأقول إن هذه القرينة غير كافية لإثبات هذه الدعوى، فشخصية المفسر برزت في كثير من المجالات التي سأذكرها بعد حين إن شاء الله تعالى والله أعلم.

### المطلب الرابع: تقييم عام للمفسر وتفسيره

أود أن يكون هذا التعليق على شكل سؤال وجواب حتى نكون أقرب إلى الموضوعية والمنهجية. فأقول: إلى أي مدى توفرت لدى هذا المفسر الشروط اللازمة لتفسير كتاب الله تعالى التي ذكرها العلماء؟

أقول لقد تبين لي في ما قرأت من تفسير هذا العالم الجليل أنه أمسك بناصية اللغة العربية وزمامها، وكان له باع طويل في فهمها وإدراك مدلولات الآيات القرآنية، وهذا من أهم الشروط التي يجب أن تتوفر عند كل من يريد أن يفسر شيئاً من كتاب الله تعالى. ويدل على هذا حسن فهمه للكلمة العربية، إذ إنه كان يعيد كل كلمة إلى أصلها ويحللها نحواً وصرفاً وبلاغة. هذه المعرفة الدقيقة والفهم السليم للعربية إضافة إلى تمكنه من اللغة الألبانية ساعدته على إعطاء ترجمة دقيقة للكلمة التي يشرحها ويفسرها. فهذا الشرط الأساسي كان متوفراً لدى الشيخ، وإن عربيته كانت مرموقة إلى مستوى يُحمد عليه صاحبه.

أما العلوم الأخرى المتعلقة بتفسير القرآن مثل معرفة المكي والمدني، ومعرفة أسباب النزول، ومعرفة العام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمفسر، ومعرفته لأساليب

---

(1) راجع هذه الصفحات من تفسيره لكي ترى هذه الحقيقة.. ج 1، ص 94، 198، 262، 377، 560. وج 2، ص 1156.

العرب وعادات الجاهلية، والآداب الإسلامية العاملة التي يجب توفرها لدى المؤمن العادي فضلاً عن المفسر، وعدم التعصب والموضوعية.. كل هذه الصفات لاحظتها عنده وعاشتها في تفسيره.

أما ما يخص مسائل الاجتهاد الشائكة الفقهية أو الكلامية والغوص في القضايا الأخرى، فهذه الأمور وما شاكلها لم يتطرق المفسر إليها. قلت مسبقاً إن ذلك عائد إلى طبيعة الفكر الألباني الذي لم يعد بحاجة إلى مناقشة هذه القضايا الفلسفية والكلامية، والله أعلم.

أما عن بروز شخصية المؤلف في التفسير، فإنه حقاً كان مترجماً ومفسراً وناقلاً أميناً لآراء المفسرين الكبار السابقين والمحدثين، مع الدقة وحسن الاختيار في ما ينقل منهم ويختار من ترجيحاتهم وأقوالهم في المسائل والقضايا المختلفة. وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال أنه كان عديم الشخصية والموقف، فهو قد رجَّح واختار من بين الآراء الكثيرة رأياً رآه صحيحاً، ولا شك أن هذا ليس بالأمر الهين؛ أن يقف المرء أمام مجموعة من الآراء ثم يختار الرأي الراجح منها، فهذا الاختيار يجب أن يكون أيضاً مبنياً على أساس قوي من العلم والحجة، وليس مبنياً على الهوى أو الحجة الواهية. وهذه هي العادة والطريقة التي سار عليها العلماء منذ القديم. كل من جاء بشيء جديد لا بد أن يكون قد بنى رأيه على اجتهادات وأصول من سبقه من العلماء أو الباحثين. فالشيخ الحافظ إبراهيم نقل وترجم آراء هؤلاء العلماء وبنى عليها بعضاً من اجتهاداته وآرائه.

أما بالنسبة لنوعية التفسير عند الشيخ الحافظ، فيمكن أن يُصنَّف تفسيره في عداد التفاسير بالدراية والرواية، فقد جمع فيه بين التفسير بالرأي والاجتهاد الجائز المبني على العلم الصحيح، وما ورد من الآثار سواء من الأحاديث أو من أقوال الصحابة أو التابعين. وقد رأينا ذلك في تفسير الشيخ الحافظ إبراهيم. إن المشكلة المنهجية في تلك الآثار هي أنها غير موثقة وغير منسوبة إلى قائلها ولا إلى مظانها. والغريب أن الشيخ لم يتعرض إلى ذكر هذه المسألة، أي مسألة طرق التفسير.

أما الإجابة عن السؤال، إن كان لوحظت عليه اتجاهات منحرفة في تفسيره، مثل الاتجاه الصوفي المنحرف، أو الإشاري المنحرف، أو الإلحادي، أو الفلسفي، أو الكلامي، أو غير ذلك؟

فأقول والله الحمد والمنة، إنني لم أجد شيئاً من تلك الاتجاهات المنحرفة والضالة في تفسير الشيخ الحافظ إبراهيم داليو، فلعله قرأ كلام الإمام الغزالي الذي قال: «لقد اخترت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فلم أجدها تروي غليلاً ولا تشفي عليلاً ورأيت أصح الطرق طريق القرآن». كما أنني لم ألاحظ عليه تعصباً مذهبياً أو فكرياً قط. رأيت مرفعاً عن كل تلك الصفات التي تخل بالمروءة والشخصية المسلمة.

إن المذهب العقدي والفقهي الذي تجلّى في تفسيره هو المذهب السني (المتمثل في عقيدة أهل السنة والجماعة)، على منهج وفكر الإمام أبي منصور الماتريدي. أما المذهب الفقهي الذي تجلّى وانتمى إليه والذي ناصره، فهو المذهب الحنفي، لأن هذا هو المذهب الفقهي السائد في منطقة البلقان.

أما ما يميز هذا التفسير عن غيره من التفاسير التي ألفها علماء الألبان، فهو أنه أول التفاسير المنهجية التي أُلّفت في بداية القرن العشرين، فله الشرف الأسمى والمكانة العليا وفضل سبق لدى الأوساط الألبانية والمجتمع الألباني المسلم خاصة. هذا التفسير هو من قبيل السهل الممتنع، يحبه كل من يقرؤه، له أسلوب جذاب، جمع فيه المفسر بين الأصالة والحداثة في معالجة الموضوعات والقضايا الإسلامية. كما أن من مميزاته تجنب الاستطراد والكلام الذي ليس له صلة مباشرة بالنص.

فرحم الله الشيخ المفسر الحافظ إبراهيم داليو رحمة واسعة، وجعلنا من أمثاله، وجمعنا به في جنات النعيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## الخاتمة ونتائج البحث

الحمد لله الذي هدانا ووفقنا لهذا، وما كنا لنوفق ولا لنهتدي لولا أن وفقنا وهدانا الله تعالى. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده وحببيه وصفيه من خلقه ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأتباعه الطاهرين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، رضوان الله عليهم أجمعين. أما بعد؛

فقد توصلنا بحمد الله وتوفيقه إلى نهاية المطاف لهذه الأطروحة الدراسية. وقد تمخضت من هذه الدراسة المتواضعة نتائج مهمة، فضلنا أن نشير إليها على شكل نقاط تيسيراً للقارئ الكريم. ومن أهمها:

إن التاريخ المعاصر للشعب الألباني المسلم تاريخ مشوّه ومزوّر، وإن الأيدي الخفية السوداء من الشيوعيين الروس والبلغار والألبان شاركت في كتابته وصياغة مناهجه ونصوصه. هذه الصياغة الشيوعية ركزت بالدرجة الأولى على محاربة الإسلام والمسلمين وتشويه صورتهم كلياً، وقد كشفت الدراسة خلاف ما ذكروا وكتبوا، وإن فضل الله كان عظيماً على الشعب الألباني الذي اعتنق الإسلام، إذ إن الإسلام أنقذهم وأخرجهم من ظلمات الكفر والشرك والإلحاد والانصهار والضياع، إلى نور الإيمان والبصيرة والرشاد والبقاء.

نقطة أخرى مهمة، هي أن الإسلام قد انتشر سلماً في هذه البلاد وليس عنوة بالسيف كما هو مسطور ومثبت في المصادر التاريخية الألبانية المشوهة، القديمة والمعاصرة، وأن الناس دخلوا في دين الله أفواجاً عن رضا وطواعية وطيب نفس. فبناء عليه فإنه يجب إعادة كتابة تاريخنا وصياغته مرة أخرى من جديد.

كشفت هذه الدراسة عن مدى البغض والمكر الأوروبي الغربي للإسلام والمسلمين في هذه المرحلة الزمنية الحرجة في العصر الحديث، فقد تكالبت تلك القوى الظالمة بكل ما أوتيت من قوة وبشتى السبل على ضرورة إسقاط الخلافة العثمانية الإسلامية. ومع سقوط الدولة العثمانية سقطت وضاعت مصالح كثيرة اقتصادية وسياسية وجغرافية للمسلمين عموماً، والألبان خصوصاً، لأن تاريخهم وكيانهم مرتبطان بشديد الارتباط بالدولة العثمانية

لعدة قرون، ذلك أن الألبان أبلوا بلاء حسناً في الدفاع عن الدولة العثمانية، وذلك بفضل الشجاعة النادرة والقوة الباسلة والأمانة العظيمة والسخاء الكريم وفكر نير حاد ووقاد، هذه كلها وُهبّت لقيادة الشعب الألباني المسلم، وسخرها لمصلحة الدولة العثمانية وخدمتها.

كما كشفت الدراسة عن جملة من العوامل الداخلية والخارجية التي أدت إلى تدهور وسقوط الخلافة العثمانية، وعلى رأس تلك العوامل الداخلية الإصلاحات الإدارية والعسكرية التي أدخلت في الدستور العثماني جراء المخططات الصهيونية اليهودية، والصليبية الأوروبية الكاثوليكية، والروسية الأرثوذكسية، التي عرفت بالتنظيمات، كخطوة أولى لإسقاط الخلافة. وسقوط الإمبراطورية العثمانية كان كارثة بالغة على المسلمين في العالم، ولا سيما في منطقة البلقان.

كما كشفت الدراسة أيضاً عن سبب تمرد الألبان وعصيانهم للدولة العثمانية، وذلك عن طريق إحياء النزعة القومية، كرد فعل لما كان يحدث بالدول المجاورة السلافية، وبسبب فقدان النصير والمعين للألبان، إذ مصالحتهم مهددة من أطماع الدول الغربية والسلافية المجاورة. هذا التمرد أو الثورة الألبانية كانت لها نتائجها البالغة في هزة وزلزلة وتقويض جسم الدولة العثمانية وإسقاطها، ذلك أنهم أعلنوا استقلالهم وانفصالهم عن الدولة العثمانية وعن شيخ الإسلام، وأعلنوا الحرب عليها.

ثم إن الدراسة قد أزالَت النقاب عن أسباب هجرة المسلمين وتهجيرهم من البلقان وتوزيعهم على أماكن ودول نائية. عملية التطهير العرقي من قبل الصرب والروس والبلغار كان بحجة تحقيق أحلام النصارى الأرثوذكس، وحكمهم في تلك البلاد البلقانية، ونزع جذور الإسلام واجتثاثها من تلك الأراضي.

إن اهتمام المسلمين الألبان بأمور دينهم كان كبيراً للغاية. فقد برزت فيهم مظاهر الاهتمام بدينهم، مثل الاهتمام بحفظ القرآن الكريم وتحفيظه لأبنائهم، واهتمامهم ببناء المساجد وتعميرها، وإرسال أولادهم إلى الدول العربية والإسلامية للتعلم. ومع مرور الوقت ارتفع مستواهم الفكري إلى درجة أهلتهُم إلى مناقشة وتناول بعض القضايا الدينية والاجتماعية الكبرى، مثل قضية تحرير المرأة الألبانية المسلمة، والتبني للأبجدية اللاتينية وغيرها. وكما

رأينا من خلال دراستنا، فإن مستوى الجدل وطبيعة النقاش كانا عاليين بين المفكرين الألبان. رأينا من بين هؤلاء المفكرين والمشايخ، المحافظين على المبادئ الدينية ومن وقف مثل الصارم البتار أمام الآراء الهدامة والمخالفة للإسلام: الشيخ الحافظ عصمت دبرا، والحاج وهبي دبرا. وفي المقابل رأينا تياراً آخر مائلاً إلى الحداثة والتجديد، مثل الكاتب والمفكر مهدي فراشري.

وتعرفنا من خلال هذا الحوار والصراع الفكري والديني في المجتمع الألباني على أهمية ودور المجلة الإسلامية الفريدة في ألبانيا (الصوت السامي)، (Zani i Nalte) سنة 1923-1938، فقد كان يتولى نشرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

كشفت الدراسة أيضاً عن مدى الأضرار الدينية التي لحقت بالمسلمين الألبان، بسبب إلغاء بعض المبادئ الدينية الإسلامية في ألبانيا، مثل الإعلان الرسمي عن الإلحاد وعلمنة ألبانيا، وإلغاء الخمار والحجاب الإسلامي، وإغلاق عدد كبير من المساجد، وتغيير قانون الأحوال الشخصية في ما يخص الزواج، واستبدال القوانين الغربية بالقوانين الشرعية الإسلامية.

هذه الدراسة أثبتت لنا جهود شخصيات علمية كبيرة وبارزة من علماء الألبان، ومدى مقاومتهم الشديدة تجاه التحديات الشيوعية والعلمانية في بدايات القرن العشرين. واخترنا من بين هؤلاء الشخصيات المفكر الإسلامي المصلح الحافظ علي كورتشا، فكان خير مثال يُتأسى به في مثل تلك الظروف.

من خلال هذه الدراسة التاريخية للأوضاع الدينية والاجتماعية والسياسية في الأراضي الألبانية، استطعنا أن نتعرف على أهم الاتجاهات الفكرية والدينية التي تمثلت أو ظهرت في كتابات علماء الألبان عن الدراسات القرآنية، لا سيما في التفسير. ونتيجة لتلك الأوضاع الفكرية والاجتماعية الراهنة في أراضيهم وخارجها في العالم العربي والإسلامي، فقد ظهر هناك تيار فكري إصلاحى اجتماعي، وكان رائد هذا التيار المفكر الإسلامي الحافظ علي كورتشا. وأثبتت الدراسة لنا أنه كان متأثراً إلى حد بعيد بآراء رواد المدرسة الإصلاحية العقلية وأفكارهم، من أمثال الأستاذ الإمام محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا، وغيرهما. وقد أثبتنا صحة انتمائه لهذا الاتجاه في دراستنا لموقفه من صحة حادثة السحر التي رواها الإمام

البخاري، لأن هذا الحديث يخالف العقل والشرع بحسب زعمه. وقد بيّنّا بطلان هذا الموقف وفساده.

وكشفت الدراسة النقاب عن وجود اتجاه وتيار آخر في كتابات ودراسات علماء الألبان عن القرآن الكريم، وبالذات في التفسير. هذا الاتجاه كان اتجاهاً فكرياً سنياً ماتريدياً في ما يخص المسائل العقدية. رائد هذا الاتجاه كان الشيخ العلامة الحافظ إبراهيم داليو. ومن خلال تتبعنا لآرائه في بعض المسائل العقدية رأيناه أحياناً ينهج منهج المؤولة في آيات الصفات، وحيناً آخر ينهج منهج السلف من أهل السنة والجماعة في بعض المسائل. وفي بعض المسائل الأخرى كان متأثراً أيضاً بالمعتزلة كما قد ذهب إليه أسلافه من بعض أئمة الماتريديّة، فهو اتبعهم في مسألة الحسن والقبح العقليين. وقد دللنا على ذلك بالأمثلة، ثم بيّنّا وجه الحق في المسألة، بأن الصحيح والصواب في هذه القضية هو مذهب السلف الصالح، بما فيهم الإمام أبو حنيفة والإمام أبو منصور الماتريدي، وشيخ الإسلام ابن تيمية الذين قالوا بإمرار تلك الصفات وإثباتها كما جاءت من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تشبيه، مع تفويض المراد الحقيقي من تلك الآيات إلى البارئ عز وجل.

إننا استطعنا أن نكشف النقاب عن اتجاهين آخرين. أحدهما اتجاه إصلاحى فلسفي شبه إلحادي وبعيد عما عليه علماء أهل السنة والجماعة. وسبب هذا الاتجاه هو أن صاحبه وهو الشيخ حسن تحسين قد تأثر بفلسفة حركة التنوير الأوروبية التي برزت بدورها الأولى في أوروبا في القرن السابع عشر. وفلسفة هذه الحركة أو هذا الاتجاه تكمن في قضية مهمة مفادها فصل العقل عن الوحي وإيجاد دين من صنع العقل ونبذ وطرح الخرافات الدينية، وأن الله تعالى لما خلق الخلق أو الطبيعة فإنه تعالى تركها وأهملها، لتتولى الطبيعة أمر نفسها بنفسها طبق القوانين المطردة فيها، وأنه ليس فيها لله تعالى دخل أو حق التدخل والتسيير والتدبير!! وقد رأينا بعضاً من تلك الآثار شبه الإلحادية بادية عليه في تفسيره وتعليقه لبعض المظاهر الطبيعية وفق فلسفة حركة الأنوار وفلسفة دكيسم Deism. وقد كشفت الدراسة فساد هذا الاتجاه وبطلانه، وبيّنت تهافتها وعدم صلاحيتها، وذلك بالآيات القرآنية الكثيرة والأحاديث النبوية.

وفي المقابل وُجد هناك اتجاه علمي آخر في تفسير وفهم القرآن الكريم في العصر الحديث لقي قبولاً ورواجاً بين الأوساط العلمية. ورأينا أن الناس قد ذهبوا في هذه المسألة مذاهب شتى، ما بين منكر ومؤيد. ثم إننا رأينا أن حامل راية هذا الاتجاه لدى الألبان في العصر الحديث هو الدكتور علي فخري إلياسي. وقد بينا صحة هذا الاتجاه وهذا المسلك في فهم كتاب الله تعالى، لكن بالشروط والضوابط والقيود التي ذكرها أهل العلم، واخترنا القول الوسط في هذه المسألة.

الدراسة سلّطت الضوء على المستوى الفكري العالي للألبان، وعلى قدرتهم العلمية في العصر الحديث، وقوة استنباطهم من الآيات القرآنية، وتناولهم للموضوعات العلمية المختلفة، وأنهم لم يكونوا مجرد نقله و مترجمين من اللغات الأخرى، بل كان لهم مواقف وآراء خاصة سجلها التاريخ، ولم يكونوا ضحايا الترجمات المختلفة. لقد تعاملوا مع النصوص القرآنية مباشرة وعن قرب حتى يتوصلوا إلى الحقيقة المنشودة، فكانوا فرسان تلك الميادين العلمية والتفسيرية والأدبية.

وأثبتت هذه الدراسة حب علماء الألبان للقرآن الكريم وتقديرهم البالغ له وتمسكهم به في أشد المراحل والظروف الزمنية، مثل الشيوعية والإلحاد والعلمنة والسجن والتهجير والتعذيب... إلخ. وشدة اهتمامهم بالدراسة والتحليل والتفسير والحفظ له، وذلك منذ اليوم الأول من انتشار الإسلام في أوساطهم ومجتمعهم إلى يومنا هذا.

ومن النتائج المهمة الأخرى أنه لا بد من مضاعفة الجهود والعمل المكثف الجماعي المؤسسي لإعادة بنية التصور الإسلامي الأصيل إلى أذهان وعقول الألبان، لأن الدراسة كشفت عن البغض والكره العميق لهذا الدين الإسلامي لدى بعض المفكرين الألبان، قديماً وحديثاً، ولعل ذلك من آثار التشويه الشيوعي الإلحادي والعلماني كي يُنقروا الناس منه.

كما أوصي الباحثين بالقيام لمزيد من الدراسة والبحث عن هؤلاء الأعلام الألبان، فإن فيهم لآلئ ودرراً أخرى كثيرة غير هؤلاء الذين درستهم في هذه الدراسة، ينتظرون الباحثين المنصفين كي ينفصوا الغبار عن مؤلفاتهم وجهودهم العلمية والوطنية.

هذه هي بعض النتائج العلمية المتوصل إليها في هذه الدراسة، ولا أزعج ولا أدعي أنني أحطت بكل شيء علمياً في ما يخص هذا الجانب. إنما هي محاولة فردية شخصية ضمن إطار فكري وموضوعي محدد، لإبراز وعرض جهود بعض النماذج المختارة من علماء الألبان في العصر الحديث، وبيان مواقفهم وآراءهم حول بعض القضايا القرآنية، وبيان مدى قدرتهم على التعامل المباشر مع النصوص القرآنية وتوظيفها في الحياة الفكرية العامة. هذه الدراسة تعتبر دراسة حالة خاصة، بهذا الاعتبار الواسع والشامل للجانب التاريخي والسياسي والفكري الديني التفسيري من وجهة نظر إسلامية بحثية، وذلك في ما أعلم إلى الآن. وقد عانيت من المشاق والمتاعب ما الله به عليم، بسبب صعوبة البحث العلمي المتشعب في المصادر والمراجع، وطبيعة البحث من حيث الترجمة، ونقل الفكرة المتشعبة، وصعوبة الحصول على المصادر والمراجع الأصلية لإبشاق النفس، وعناء مالي كبير ومُكَلِّف، في غياب الدعم المالي من قبل المؤسسات العلمية والجامعية لتوفير المراجع الأصلية وشرائها وتهيئتها للدراسة. كان اعتماداً فيها بعد الله - عزَّ وجلَّ - على مصارفي الشخصية الخاصة ودعم بعض أهل الخير حفظهم الله وجعلنا من أمثالهم، لكن بحمد الله تبارك وتعالى استطعت أن أتجاوز هذه العقبات وهذا الطريق الوعر، وأن أصل إلى نهاية المطاف، آملاً من الله العلي القدير أن أكون قد وُفِّقْتُ في تقديم لبنة علمية أخرى للمكتبة الإسلامية العربية عموماً، والقراء الألبان على وجه التحديد. فما أصبت فيه فهو من الله - جلَّ وعلا -، وما أخطأت فيه فهو مني ومن الشيطان، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله أصحابه الكرام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ضحوة يوم الأحد 23/03/2003. غومباك، سلانغور - دار الإحسان - ماليزيا، اليوم الرابع من القصف الوحشي الأمريكي على بغداد.



## الباب الخامس (1)

# الاتجاه الاجتماعي في تفسير القرآن الكريم عند علماء الألبان.. الشيخ المفكر الحاج شريف أحمدي نموذجاً

(دراسة تحليلية نقدية لمنهجه في التفسير)



Kur'ani – Perkthim me Komentim ne Gjuhen Shqipe

الشيخ المفكر شريف أحمدي

---

(1) هذه دراسة جديدة أنجزت بعد رسالة الدكتوراة عام 2004-2006، وأنا بجامعة طيبة بالمدينة المنورة. تمت إضافتها إلى الدراسات السابقة إتماماً للفائدة العلمية في سلسلة التفسير والمفسرين الألبان في العصر الحديث.



# القرآن الكريم

## ترجمة وتفسير معانيه إلى اللغة الألبانية<sup>(1)</sup>

### مقدمة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين بشيراً ونذيراً، وجعله هدىً ورحمةً للذين يتلونه حق تلاوته بكرة وأصيلاً، والصلاة والسلام على الهادي البشير النذير محمد بن عبد الله، الذي نزل عليه القرآن ورثته تراثاً، وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه الكرام الذين حفظوا القرآن ونقلوه لنا جملة وتفصيلاً، ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم وجاهد بالقرآن جهاداً كبيراً، أما بعد:

الحمد لله الذي شرفنا بخدمة القرآن تعلماً وتعليماً، وتبييناً لفضائله ومزاياه، وترجمة لمعانيه وإجلاء لأسراره ودرره، ووقفنا لدراسة جهود السابقين من العلماء الربانيين، الذين قضوا نحبهم في خدمة القرآن تلاوةً وحفظاً وتفسيراً. فله الحمد والمنة.

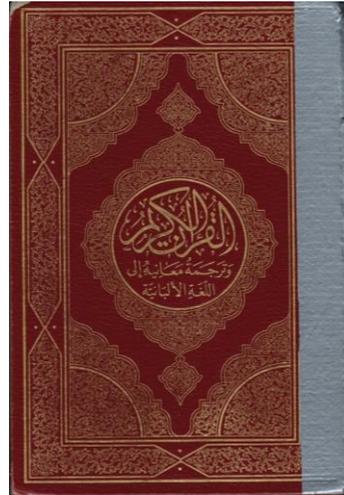
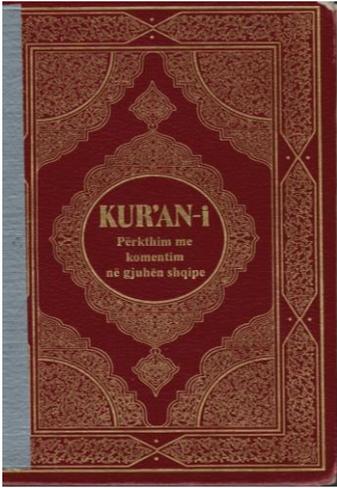
لقد كشف الباحثون والعلماء النقب عن دور علماء الألبان وجهودهم في العصر الحديث في خدمة القرآن الكريم، فكان لزاماً علينا القيام ببيان تلك الجهود المباركة ودراستها، وإدراجها في سلسلة حلقات جهود العلماء السابقين العلمية المشكورة في خدمة القرآن الكريم. لقد شاء الله بحكمته أن أتشرف في رسالتي للدكتوراة، الموسومة بـ: «الاتجاهات الفكرية والدينية في الدراسات القرآنية لدى علماء الألبان في العصر الحديث - القرن التاسع عشر والعشرين»، أن أتناول جهود أكثر علماء الألبان في العصر الحديث، وإبراز جهودهم المفضية في خدمة القرآن الكريم، ودراسة أفكارهم واتجاهاتهم المذهبية والفكرية في التفسير. فقد تناولت فيها بالدراسة والتحليل أربع شخصيات علمية ألبانية بارزة، هم: الشيخ الحافظ إبراهيم داليو،

---

(1) تشرف بالأمر بطباعة هذا المصحف الشريف وترجمة معانيه وتفسيره إلى اللغة الألبانية، خادم الحرمين الشريفين «الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود»، ملك المملكة العربية السعودية عام 1413هـ، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، وتمت طباعته في مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

رائد الاتجاه العقدي الماتريدي في التفسير، والشيخ الحافظ علي كورتشا، رائد الاتجاه الإصلاحي في التفسير، والشيخ حسن تحسين، رائد الاتجاه العلمي الفلسفي في التفسير، رحم الله -عزَّ وجلَّ- هؤلاء الثلاثة السابقين، والدكتور علي فخري إلياسي، رائد الاتجاه العلمي التجريبي في التفسير.

وأما هذه الدراسة التي بين أيديكم، فقد كانت بذرة قمت بزرعها في كوالالمبور بماليزيا، ولم يكتب لها رؤية النور والنضج والاستواء إلا في المدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التسليم. فهي لبنة جديدة في دراساتي السابقة حول جهود علماء الألبان في الدراسات القرآنية في أوروبا. أسأل الله تبارك وتعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العلیا أن يتقبل منا صالح الأعمال، وألا يحرمننا من الدراسات والبحوث الأخرى المتعلقة بالقرآن الكريم، سواء لعلماء الألبان أو لغيرهم، إنه تعالى أكرم مسؤول وخير مأمول، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



## تمهيد: انتشار الإسلام في الأراضي الألبانية في الجزيرة البلقانية

لقد كان للإسلام ولجهود الدولة العثمانية في نشر هذا الدين الحنيف وتعزيزه بين أوساط الألبان في الأراضي الألبانية في أوروبا فضل عظيم في الحفاظ على هويتهم الدينية والعرقية، فوجود الدولة العثمانية أوقف عملية الانصهار القومي والعرقي والديني للألبان التي كانوا يتعرضون لها أمام السلافيين من الصرب واليونانيين والبلغاريين المتعصبين<sup>(1)</sup>. ومعلوم أن الدولة العثمانية لم تمارس عملية الإكراه على إجبار الألبان للدخول في الإسلام، فالألبان كانوا يدخلون في دين الله طواعية وعن طيب نفس منهم، بينما الصرب الأرثوذكس كانوا يمارسون شتى الضغوط والأساليب والممارسات القمعية لإجبار الألبان على اعتناق النصرانية<sup>(2)</sup>.

والغريب أنك تجد اليوم جمهور المثقفين الألبان وباحثهم في العصر الحديث يعتقدون ويدرسون الطلاب في الجامعات الألبانية خلاف ما هو ثابت تاريخياً، إذ يرى هؤلاء أن الإسلام انتشر عنوة وبالسيوف، وأن العثمانيين مارسوا العنف والإكراه، وإلا لم يكن الألبان يُسلموا عن طيب نفس منهم!! ولا شك أن هذه مغالطة تاريخية باطلة، وفكرة صليبية كاثوليكية ألبانية، يريد إحياءها بعض الذين يتعاونون مع بعض الجهات الأوروبية التنصيرية والتبشيرية، بهدف ارتداد الألبان عن الإسلام، والعودة إلى الديانة الكاثوليكية.

## النزعة التجديدية عند الألبان

كانت رياح الفكر الديني الإصلاحية تهب من المشرق العربي متجهة إلى العالم الإسلامي وأيضاً إلى الأراضي الألبانية والبوسنية في جزيرة البلقان في أوروبا. طلبه العلم الألبان كانوا

(1) للتوسع انظر:

P.Alpan Kaci, Nesim, *Shqiptaret ne perandorine Osmane*, Albin,Tirane, 1997, 35,41,125; Frasheri Sami, *Shqiperia c'ka qene, c'eshte, e c'do behete*, 36.

(2) المصدر السابق، ص 471-472

انظر: الأرنأوط، محمد موفكو، الإسلام في يوغسلافيا من بلغراد إلى سرايفو. عمان، دار البشير، 1993، د. ط، وانظر أيضاً:

يتجهون إلى المشرق العربي وإلى بعض البلاد الآسيوية كالهند وتركيا، لتعلم العلوم الدينية المختلفة؛ لكون تلك البلاد مراكز عالمية للعلم والثقافة في ذلك الوقت<sup>(1)</sup>. ومع مرور الزمن، تشكلت علاقات أخوية دينية بين هؤلاء الطلاب الألبان وأساتذتهم، وتزامنت هذه العلاقة مع الفترة التي نادى فيها بعض العلماء والمفكرين الإسلاميين المتأثرين بالمناهج والأفكار الغربية<sup>(2)</sup> بإجراء إصلاحات تعليمية حول المناهج الدراسية الأزهرية وإعادة النظر في بعض القضايا الدينية، وعلى رأسها قضية تحرير المرأة المسلمة وحالتها الاجتماعية<sup>(3)</sup>.

إن نظرة عابرة وفاحصة لحركة فلسفة الفكر الديني الإسلامي في الأراضي الألبانية في أوروبا، وإلى طبيعة الجدل والنقاش الحادين اللذين كانا يدوران بين علماء الألبان المنادين بالإصلاح والمحافظين منهم، تجعلنا نجزم بأنهم كانوا مهتمين أيضاً بهذه القضايا الدينية التي شغلت الساحة الفكرية في العالم العربي والإسلامي.

ومن القضايا العصرية الأخرى التي ناقشها العلماء الألبان في بدايات القرن العشرين في أوروبا، حيث الشيوعية والإلحاد في أوجهما، قضية الاجتهاد ومجالاته وضوابطه<sup>(4)</sup>، ومسألة

---

Karcic, Fikret, **Drustveno-pravni aspekt Islamskog reformizma - Pokret za reformu serijatskog prava i njegov odjek u Jugoslaviji u prvoj polovini XX vijeka**, Sarajevo, 1990, 29-67.

(1) انظر:

Dela Roka, Roberto Moroco, **Kombesia dhe feja ne Shqiperi**, 209; Pirraku, Muhamed **Kultura kombetare shqiptare**, 393.

(2) حول جهود وأعمال هؤلاء المفكرين والمشايخ، مؤسسي المدرسة الإصلاحية، كتب الكثير، ونال هؤلاء اهتمام كثير من الباحثين الغربيين والمسلمين. انظر مثلاً دراسة أ.د. الرومي، فهد بن عبد الرحمن، **منهج المدرسة الإصلاحية العقلية في التفسير، الرياض، ط1، 1994**، وانظر أيضاً:

Crecelius, Daniel Neil, **The Ulema and the state in modern Egypt**, Princeton, N.J, Princeton University Press, 1967, Ph.D. thesis; Jansen, J.J.G, **The interpretation of the Koran in modern Egypt**.

(3) حول تاريخ التجديد الفكر الديني وإصلاحه وبعض المجتهدين الكبار من السلف والخلف. انظر:

Maududi, Abul A'La, **A short history of the Revivalist Movement in Islam**, transl. by Al-Ash'ari, The Other Press, Petaling Jaya, K.Lumpur, Malaysia, 1999, 24 –77.

(4) راجع: **الموافقات في أصول الشريعة الإسلامية، للإمام الشاطبي، تحقيق: الشيخ إبراهيم رمضان مقابلة عن الطبعة التي شرحها الشيخ عبد الله دراز، بيروت، دار المعرفة، ط4، 1999، ج4، ص463-638.**

وجود الله - عزَّ وجلَّ - والحاجة إلى الدين أو التدين، وقضية التمدن والحضارة الإسلامية ومواجهة التحديات الغربية وحقوق الإنسان في المجتمع، وقضية العلمانية، والتسامح الديني والتعايش السلمي بين أتباع الأديان والعرقيات المختلفة، وقضية الإلحاد والشيوعية والرأسمالية والاشتراكية، وغيرها من القضايا الفكرية الساخنة التي كانت في عهدهم<sup>(1)</sup>.

## رواد الاتجاه الإصلاحى التجديدي عند الألبان

وأبرز الذين ناقشوا هذه المسائل من علماء الألبان ومفكرهم، نذكر على سبيل المثال: المفكر الألباني الشهير مهدي فراشيري (Mehdi Frasherri)<sup>(2)</sup>، والمفكر الشيخ الحافظ عصمت دُبرا (Hafiz Ismet Dibra)<sup>(3)</sup>، والعالم الألباني المجدد الحاج وهبي دُبرا (Haxhi Vehbi Dibra)<sup>(4)</sup>، والأستاذ الشيخ قدرى (Hoxhe Kadriu)<sup>(5)</sup>، والشيخ المفكر الحافظ علي كرايا

---

(1) راجع على سبيل المثال المجلة الإسلامية الشهيرة الأخرى بعنوان: (Kultura Islame)، الثقافة الإسلامية، التي كان يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، والتي أتيت بها من ألبانيا، وقد صورت جملة من الأعداد المختلفة فيها مواضيع مختلفة، راجع مثلاً العدد: 3-4، نوفمبر وديسمبر، 1941، مقال بعنوان: (Islami eshte gjalle)، (الإسلام لا يزال حياً).

(2) انظر: تطور الثقافة الإسلامية عند الألبان في القرن العشرين باللغة الألبانية:

Zekaj, Ramiz, *Zhvillimi i kultures islame te shqiptaret gjate shekullit XX*, 312-314.

(3) انظر للتوسع النقاش الذي جرى بينهما:

Basha, Ali.M, *Islami ne Shqiperi gjate shekujve*, 140-141.

(5) للمزيد انظر:

Xhelili, Qazim, *Vehbi Dibra - personalitet dhe veprimtar i shquar ilevizjes kombetare*, Albin, Tirane, 1998, 4-20; Zekaj, Ramiz *Zhvillimi i kultures Islame te shqiptaret gjate shekullit XX*, 288-291.

(5) للتفاصيل انظر:

Skendi, Eqber, *Hoxhe Kadriu-Kadri Prishtina*, Rilindja, Prishtine, 1992, 8-20, 217-219; Morina, Qemajl, *Hoxhe Kadri Prishtina-Mendimtar Islam*, Kryesia e Bashkesise Islame, Prishtine, 2000, 7-97.

(Hafiz Ali Kraja)<sup>(1)</sup>، والشيخ المفكر الحافظ علي كورتشا (Hafiz Ali Korca)، وغيرهم كثير.

وبناء على هذه المناقشات العلمية الحادة بين المحافظين والإصلاحيين الألبان، فإن التيار الإصلاحي بدأ يتقوى ويؤثر في الرأي العام بشكل ملحوظ وكبير للغاية، مما أدى بالمشيخة الإسلامية العليا، وهي أكبر مؤسسة دينية إسلامية في ألبانيا إلى الإعلان والتصريح في قرارها رقم: 2، بتاريخ 1/3/1937 بإلغاء الحجاب، والسماح بكشف الوجه واليدين، في الحياة الإنسانية العامة. وتشير المصادر التاريخية إلى أن اتجاه التفسير الإصلاحي والاجتماعي السياسي للقرآن كان ظاهرة حاضرة في كتابات وكلام وخطب علماء الألبان في ذلك العصر. بجانب هذا التيار الاجتماعي في التفسير، وُجد أيضاً اتجاه صوفي<sup>(2)</sup> في بعض تفاسير علماء الألبان.

ومن الاتجاهات التفسيرية التي ظهرت في العصر الحديث لدى علماء الألبان، الاتجاه العلمي الفلسفي المتمثل في فكر الشيخ الفيلسوف حسن تحسين أفندي (Hoxha Hasan Tahsin Efendiu)، كما ظهر أيضاً في كتابات ودراسات علماء الألبان في العصر الحديث، الاتجاه العلمي التجريبي في التفسير المتمثل في فكر الدكتور الطبيب الاستشاري علي فخري إلياسي (Prim.Dr.Sci.Med. Ali Fahri Iljazi). والساحة العلمية والفكرية في الأراضي الألبانية كانت مليئة بالأفكار الإصلاحية والتجديدية<sup>(3)</sup>.

(1) للمزيد انظر: Zekaj, Ramiz, *Zhvillimi i kultures islame nder shqiptaret*, 328-329.

(2) المصدر السابق، ص 104-105، وانظر للتوسع في القضايا الصوفية الكبيرة كتاب: نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، د. عرفان عبد الحميد فتاح، ص 175-249، ونحن بإذن الله تبارك وتعالى سنقوم بدراسة هذا الاتجاه والاتجاه الآخر الاستشراقي عما قريب إن شاء الله تعالى.

(3) انظر للتوسع حول هذه الموضوعات:

Morina, *Qemajl, Hoxhe Kadri Prishtina - Mendimtar Islam*, Kryesia e Bashkesise Islame, Prishtine, 2000, 25-35, 37-48, 63-67.

وحول بعض القضايا الفكرية والمذهبية الأخرى والمتشابهة بتلك التي ذكرنا، انظر: بديع الزمان سعيد النورسي في مؤتمر عالمي حول تجديد الفكر الإسلامي، الذي عقد في إسطنبول سنة 1992، ترجمة أرخان محمد علي، ص 55-83، ط 1،

في ظل هذه الظروف والأجواء الاجتماعية الدينية المتوترة، بدأت تظهر ترجمات مجزأة<sup>(1)</sup> لنصوص القرآن الكريم. فوجد في المجتمع الألباني من فسّر ثلث القرآن الكريم تفسيراً علمياً منهجياً، مثل تفسير الشيخ الحافظ إبراهيم دايو (خلاصة أو صفة معاني القرآن الكريم)، كما أنه وجدت هناك تفاسير مطولة لبعض الآيات والسور لبعض العلماء الآخرين، مثل التفسير المطول لسورة الفاتحة من الشيخ المفكر الحاج وهبي دبرا أغولي، والتفسير الوجيز من الشيخ الحافظ علي كورتشا، وترجمة معاني القرآن والتفسير المختصر الذي نحن بصدد دراسته للشيخ الحاج شريف أحمددي، وغير هؤلاء الذين ذكرناهم<sup>(2)</sup>.

هذه مقدمة هامة عن اتجاهات التفسير في أوروبا، وبالذات في الأراضي الألبانية في الجزيرة البلقانية، أحيينا من خلالها أن نمهد لهذه الدراسة التي بين أيديكم حتى تكون حلقاتها متصلة مع بعضها بعضاً، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه.

أ. د. خيرالدين خوجة الكوسوفي

---

Yeni, Bosna, Istanbul, 1997, Nesil Basim- Yayin.

(1) حول جواز ومنع ومشاكل وضوابط الترجمة للقرآن الكريم انظر أبحاث الأساتذة الكرام: د. سعاد بلديريم، ود. عبد القهار العاني، ود. حبيب الرحمن إبرامسا في المؤتمر العالمي حول ترجمة القرآن الكريم المنعقد في كوالالمبور بماليزيا:

**7th International Conference on Translation -The Translation of Religious Texts**, 6-8 December, 1999, Kuala Lumpur, Malaysia, 101-106, 293-315, 319-355.

(2) وتشير بعض المصادر التاريخية الأخرى إلى أن أول ترجمة للقرآن الكريم إلى اللغة الألبانية كانت من اللغة الإنكليزية (ترجمة George Sale) على يد مستشرق مسيحي ألباني اسمه: Ilo Mitko Qafzezi في المهجر في رومانيا، فظهر المجلد الأول عام 1921، ثم بعد ست سنوات ظهر المجلد الثاني عام 1927.

وحول الخلفية التاريخية لترجمات القرآن الكريم إلى اللغة الألبانية، كاملة ومجزأة. انظر دراسة الأستاذ الدكتور فتحى مهديو بعنوان:

Mehdiu, Feti; **Perkthimet e Kur'anit ne gjuhen shqipe**, Logos-A, Shkup, 1999، وبحث الأستاذ المؤرخ

الألباني غازمند شبوزا حول الترجمات الكاملة والمجزأة للقرآن الكريم عند الألبان بعنوان:

Shpuza, Gazmend, **Kur'an ne gjuhen shqipe**, 19.06.2005, Instituti i Historise.

## الفصل الأول

### التعريف بهذا التفسير المختصر

### ويشتمل على عدة مباحث

#### المبحث الأول: التعريف بالشيخ المفسر

مولده، تعلمه، أعماله ووفاته

ولد الشيخ المفكر الحاج شريف أحمدي في قرية غمناسيلا (Gumnaselle) محافظة لِيَّان (Lipjan) في كوسوفا الحالية عام 1920. تخرج في المدرسة الابتدائية في قرية أخرى تسمى بانول (Banulle). أنهى الثانوية الشرعية (علاء الدين) في بريشتنا (Prishtina) عاصمة كوسوفا عام 1944. وفي عام 1965 انضم إلى سلك التدريس في الثانوية الشرعية التي تخرج منها. وفي عام 1970 عُيِّن مديراً لها إلى عام 1984. وفي سنة 1985 عُيِّن مفتياً عاماً في كوسوفا. ظل على منصب الإفتاء إلى أن أُحيل إلى التقاعد سنة 1990، وبمناسبة افتتاح أول كلية للدراسات الإسلامية في عاصمة كوسوفا- برشتنا، انتدب الشيخ شريف أحمدي إليها للتدريس.

اشتهر باهتمامه الكبير بحضور حلقات ومجالس العلم للعلماء، فقد حضر دروس الشيخ أحمد ماردوكي (Ahmet Mardoki) في المدرسة الدينية بيريناز (Pirinaz) في بريشتنا، ولازمه لمدة عشر سنوات، وحصل على الإجازة العالية منه. ومن الثابت واللافت للنظر أن الشيخ لم يتلمذ بين يدي الأساتذة والمدرسين العرب ولم يدرس في الدول العربية قط، ولم يتخرج في الجامعات العربية والإسلامية، ومع ذلك استطاع أن يمكس بزمام اللغة العربية من خلال الحلقات العلمية التي كان يحضرها للمشايخ والعلماء الألبان، فوفقه الله -عزَّ وجلَّ- وفتح عليه في العلوم الدينية والشرعية والعربية، مما أهله إلى القيام بمشروع تفسير القرآن الكريم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

## أعماله

في سنة 1968 ترجم من اللغة البوسنية إلى اللغة الألبانية الكتاب الإسلامي المشهور بعنوان: «علم الحال» (Ilmihali)<sup>(1)</sup>. عُيِّنَ مديراً لتحرير المجلة الإسلامية المشهورة بعنوان التربية الإسلامية (Edukata Islame)، وكانت له مقالات وبحوث متسلسلة في هذه المجلة. ظل مديراً لها إلى عام 1983. ثم ترجم وفسر سورة يس إلى اللغة الألبانية، وفي عام 1987 سلّم إلى المطبعة ترجمة القرآن الكريم مع تفسيره المختصر. طُبِعَ من هذا المصحف المفسر في ليبيا خمسون ألف نسخة، وفي القاهرة ثلاثون ألفاً، وأخيراً في المدينة المنورة مليون نسخة.

## وفاة الشيخ وثناء الآخرين عليه

انتقل الشيخ المفسر الحاج شريف أحمددي إلى الرفيق الأعلى عام 1998، واجتمع العلماء وطلبة العلم الشرعي لتشيع جنازته والصلاة عليه من كافة مدن كوسوفا، وحضر حشد كبير من الناس للصلاة عليه وتشيع جنازته، وصُلِّيَ عليه في المسجد الكبير في العاصمة بريشتنا. حضرت جنازته وفود رفيعة المستوى من مقدونيا وسنجد ومدراء المدارس الحكومية وغيرهم، وكانت لهم كلمات خالدة بهذه المناسبة، فقد أثنوا على الشيخ وذكروا مناقبه وجهوده العلمية التي امتاز بها. لقد امتاز الشيخ المرحوم بمواقفه القومية والدينية ضد النظام الشيوعي الصربي اليوغوسلافي. كما كان له دور كبير في الحفاظ على الهوية الإسلامية الألبانية والهوية القومية الألبانية من الانصهار والذوبان أمام المخططات والمؤامرات الشيوعية الصربية، وذكّر بعض الحاضرين بمواقف الشيخ الشجاعة والباسلة في عدم جواز هجرة المسلمين الألبان إلى تركيا حتى لا تخلو الأرض للصرب الحاقدين والعنصريين<sup>(2)</sup>. فرحم الله الشيخ رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

(1) هذا الكتاب كتاب منهجي ديني إسلامي، فيه المبادئ الإسلامية العامة. بهذا الكتاب بدأ الجيل الجديد من الصبيان

رحلته إلى الإسلام، فهو كتاب مهم ومشهور ومعروف لدى الألبان والبوسنيين والأتراك.

(2) هذه الترجمة لحياة الشيخ نقلتها من آخر كتاب صدر من بعض تلاميذ الشيخ الحاج شريف أحمددي، فقد قام هؤلاء بجمع مقالات وآراء وأعمال أستاذهم ولكنهم لم يوقفوا لجمع كافة الأعمال. والشيخ -رحمه الله- كان يتمنى أن تجمع

## المبحث الثاني: التعريف بهذه الترجمة وهذا التفسير

تقع هذه الترجمة للقرآن الكريم مع تفسيرها المختصر في 767 صفحة من الحجم الوسط (21.0x13.5). استهل هذا التفسير بمقدمة من قبل رابطة العالم الإسلامي باللغة العربية بتعاون مع المجمع لطباعة المصحف الشريف، جاء فيها بعد البسملة قوله تعالى:

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ص: 29)، وقوله تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: 82)، وقول النبي ﷺ «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»<sup>(1)</sup>.

وجاء فيها أيضاً الثناء العطر للجهود الجبارة التي يبذلها خادم الحرمين الشريفين واهتمامه البالغ بطباعة وترجمة المصحف الشريف ونشره إلى كافة أنحاء العالم. لقد أثبتت الرابطة ضرورة ترجمة القرآن الكريم وتفسيره ونشره إلى كافة اللغات العالمية، ومنها اللغة الألبانية. وبما أن الكمال المطلق لله تعالى، فإن تفسير هذا المصحف الشريف وترجمته جاء في حدود الطاقة العلمية لهذا العالم الجليل الشيخ المفكر شريف أحمددي، وبناء عليه فإنه قد يصيب وقد يخطئ، ذلك، لأن الترجمات القرآنية مهما بلغت ذروتها في الدقة والتعبير فإنها لا يمكن أن تصل إلى المقاصد العليا لنص القرآن الكريم.

---

كل أعماله وأن تنشر في هذا الكتاب، ولعل تلامذته المخلصين يدركون تقصيرهم، ويوفون بعهدهم وينفذون وصية شيخهم وأستاذهم، ويستدركون القراء بإصدار كتاب آخر قد جمعوا فيه كل أعمال الشيخ -رحمه الله-، لأن المسلمين الألبان بحاجة ماسة إلى تلك الأعمال والبحوث العلمية والدينية. طُبع هذا الكتاب سنة 1995 بعنوان: تعليقات ووجهات نظر إسلامية (Islame Komete dhe Mendime). وانظر أيضاً المجلة الإسلامية الألبانية: العلم الإسلامي (Dituria Islame)، والمجلة: محاولتنا (Jone Perpjekja)، ص: 199-204.

(1) صحيح الإمام البخاري المسمى: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت - لبنان، الحديث رقم: 5027، ص: 1108.

## المبحث الثالث: معالم منهج المفسر - مقدمات هامة عن القرآن الكريم

لقد ذكر المفسر الشيخ شريف أحمددي في مقدمته موقفه تجاه بعض القضايا القرآنية المهمة. هذه المسائل المهمة وموقف الشيخ منها تعتبر من معالم منهجه واتجاهه في التفسير، فكان لزاماً علينا أن نتطرق إليها ونذكر منهج المفسر من بعض القضايا العلمية المتعلقة بعلوم القرآن، ونكون بذلك قد سلطنا مزيداً من الضوء على فكر الشيخ ومنهجه. لقد استُهلّت هذه المقدمة من قبل الشيخ بعنوان: نظرة عامة حول القرآن الكريم (Veshtrim Rreth Kur'anit)، فمن المسائل التي ناقشها:

### 1. الوحي: المفهوم والمصطلح

بين فيها المفسر أن القرآن الكريم كلام رب العالمين بلا نزاع، أوحى إلى خاتم الأنبياء والرسل بواسطة جبريل<sup>(1)</sup> -عليه السلام-، وهو المكتوب في المصحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبتدأ بسورة الفاتحة والمختتم بسورة الناس. ثم عَقَّبَ بذكر بعض خصائص القرآن الكريم، ومنها: أن القرآن الكريم ليس من صنع وإنتاج عقل البشر، وأنه كلام الله عز وجل، منطوق بلغة عربية، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (الشعراء: 193-194)، وقال عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾، (النمل: 6).

ثم إنه فنَّد مزاعم بعض المستشرقين ومن نهج نهجهم، القائلين إن جبريل عليه السلام بلغ النبي ﷺ معنى القرآن الكريم فقط، وليس الألفاظ، وإن محمداً ﷺ هو الذي عبَّر عن ذلك المعنى بالألفاظ من عنده! فعقب الشيخ قائلاً بأن هذه الشبهات باطلة ولا أساس لها، لكونها تتعارض مع صريح القرآن والسنة النبوية والإجماع، وأنه ما كان لإعجاز القرآن البياني واللغوي

(1) من الملحوظات الدينية على فضيلة المفسر الشيخ الحاج شريف أحمددي -رحمه الله-، هي أنه كلما ذكر اسم نبينا محمد ﷺ واسم جبريل عليه السلام لم يعقب بالصلاة والسلام عليهما. وقد حشنا الرسول -صلى الله عليه وسلم- على الصلاة والسلام عليه كلما ذكر اسمه.

أن يتحقق لو كانت ألفاظه من عند النبي ﷺ أو من عند جبريل عليه السلام، والله يقول في القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (التوبة: 6). فالشيخ أثبت أن القرآن الكريم لفظه ومعناه من الله عز وجل.

ثم تطرق الشيخ إلى موضوع الوحي وتعريفاته وأنواعه وكيفية نزوله، مستدلاً بالآية الكريمة: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأُذُنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (الشورى: 51)، وذكر معاناة الرسول -صلى الله عليه وسلم- أثناء تلقيه الوحي، والطريقة التي كان يأتيه بها الوحي.

ثم تطرق إلى المصدر التشريعي الثاني، السنة النبوية المطهرة. إذ أثبت حجيتها وأطلق عليها: الوحي بالفتح في الروع. فالسنة هي وحي من الله تعالى بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾، (النجم: 3-4).

## 2. موضوعات القرآن الكريم ومحتوياته

ذكر عند حديثه عن محتويات القرآن الكريم وموضوعاته أن القرآن الكريم كتاب دين وتربية دائمة، وكتاب هداية ورحمة للفرد والمجتمع الإنساني كله. هذا الكتاب ينمي روح السلام بين الناس ويحثهم على الارتقاء الحضاري والسمو الروحي، ويمتاز بالشمولية في الأحكام والمبادئ، كما أنه يهدف إلى الإصلاح الاجتماعي. فمن الناحية الدينية اشتمل القرآن الكريم على عقيدة التوحيد والإيمان الصحيح بالله الواحد الأحد جل جلاله، والإيمان بالملائكة، والكتب واليوم الآخر. ومن الناحية العلمية اشتمل على دعوة للبحث والتدبر بالمخلوقات والكائنات التي خلقها الله -عز وجل- في هذا الكون، بغية التوصل إلى أسرارها الناطقة بعظمة الله تعالى والدالة على قدرة الله عز وجل. أما من الناحية التاريخية فقد قصص علينا قصص الأمم السابقة وأخبارهم لغرض الاعتبار والاتعاظ والاهتداء. وأما عن سر كون تلك الكتب والشرائع السابقة مؤقته، فإنها كانت تهدف إلى تهيئة تلك الأمم والشعوب وإعدادها

لمعرفة الله -عزَّ وجلَّ- والإيمان به، ولقبول آخر كتاب مُنَزَّل شامل ودائم<sup>(1)</sup>، صالح لكل زمان ومكان.

### 3. إعجاز القرآن الكريم

أكد الشيخ المفسر كون القرآن الكريم معجزة دائمة وباقية، لأنه كلام الله، والكلام صفة من صفات الله عز وجل، ومن شأن تلك الصفة الديمومة؛ فكل نبي أو رسول كانت له معجزته الخاصة به، والكتاب المنزل عليه كان يمثل منهجه العملي. وأما معجزة نبينا محمد ﷺ (القرآن) فهي في آن واحد منهج ومعجزة، ولكي يتحقق إعجازه فإن نصه يجب أن يُحفظ بدقة وأمانة، فلذلك تكفل الله -عزَّ وجلَّ- بحفظه من التحريف والتغيير والتبديل.

وفي هذا الصدد ناقش الشيخ المفسر مسألتين مهمتين للغاية، هما: مسألة التطبيق العملي للقرآن، ومسألة الحفظ له من التبديل والتحريف. ومن لطائف ما ذكر أنه مع مرور الزمن يضعف دافع التطبيق، بخلاف دافع الحفظ، فإنه يزداد ويقوى. ولو أننا طبقنا القرآن الكريم تمام التطبيق في حياتنا لكان طبيعياً ومنطقياً بأن يُحفظ هذا القرآن، ولكن غفلتنا وابتعادنا عن توجهات القرآن الكريم وتعليماته، تجعلنا لا نسير بخط متوازٍ مع حفظ الله سبحانه وتعالى له. وأكبر برهان على أن الله -عزَّ وجلَّ- حافظ كتابه أنك تجد بعض المسلمين قد عزم أن ينسخ القرآن الكريم وأن يكتبه كاملاً وفي صفحة واحدة وبحروف دقيقة للغاية وبخط جميل. وترى الآخر يتنافس مع الآخر في إصدار أجمل وأحسن طبعة للقرآن الكريم. وفي هذا دليل على أن الله -عزَّ وجلَّ- هو الذي يحفظ كتابه وليس الذين يطبقونه في حياتهم<sup>(2)</sup>.

### 4. مجالات إعجاز القرآن الكريم

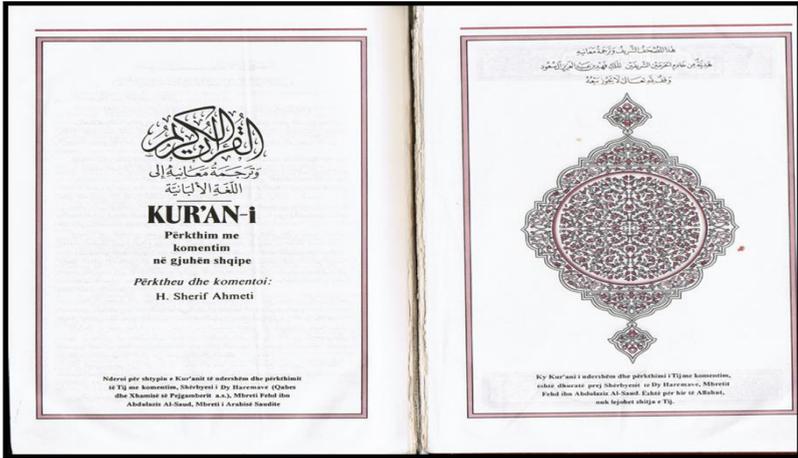
ذكر الشيخ أن هناك مجالات تثبت إعجاز القرآن الكريم، لكنه خشية الإطالة ذكر ثلاثة جوانب فقط: الجانب اللغوي، والجانب العلمي والجانب النفسي.

(1) راجع تفسير الشيخ شريف أحمددي، ص 13-14.

(2) انظر التفسير المختصر للشيخ الحاج شريف أحمددي، ص 14.

## أ. معجزة القرآن اللغوية

ذكر أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب الذين بلغوا في الفصاحة والبلاغة شأواً بعيداً. والقرآن الكريم قد تحداهم في هذا الجانب الذي نبغوا فيه، لكنهم عجزوا عن تقليده والإتيان بمثله، فلما عجزوا عن ذلك ما كان منهم إلا أن يقولوا بأن هذا القرآن ضرب من السحر وأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ساحر! والشيخ رد على هذا الافتراء معللاً بأنه لو كان صحيحاً في ما ذهبوا إليه، للزم من ذلك أن يُسحر هؤلاء، لأن من شأن الساحر أن يسحر المسحور وأن يسلب إرادته وحريته، لكن الحقيقة كانت خلاف ذلك. فهؤلاء العرب الفصحاء المعارضون للرسول ﷺ رغم اتهامهم إياه بالسحر، لم يؤمنوا به في حقيقة الأمر، فهذا دليل قطعي على كذبهم، وعلى أن محمداً ﷺ لم يكن ساحراً ولم يسحرهم، وإلا فكيف يمكن للمسحور أن يعارض إرادة الساحر وألا يتقيد بأوامره(1)؟!



(1) انظر التفسير المختصر للشيخ الحاج شريف أحمد، ص 15.

Në rrugën për të cilën i thërres Kur'an dakëshin pengesa të pakapërcyeshme, veshtrësi të papërballeshme, por mrekullia e tij manifestohet thellë në zemrat dhe shpirtërat e tyre dhe dalëngadalë i përveçson dhe shumë prej tyre i bën ihtarë të denjë të mësimave të tij. Ajo mrekulli e Kur'anit, e cila tërhoq edhe shpirtërat e tyre, i habiti edhe vetë ata, prandaj me vetëdije të humbur e të tronditur, dikush prej tyre e quajti sehih, imajti etj. Eshë idhujari më i anë dhe më autoritativ. Velid bin Mugire u gjuhëna para mrekullisë së tij. Idhujarët e kishin dëgjuar të Muhammedit që 'i'a tërheqë vërdijën dhe të mos publikojë ato mësimet të Kur'anit, të cilat fryenin besimin e tyre, mirëpo, kur e dëgjoi Muhammedin duke lexuar Kur'an, ai u habit dhe kur u kthye te idhujarët, u përshkroi mrekullitë e asaj pjesë të Kur'anit që e kishte dëgjuar dhe me fjalët e veta i vlerësoi cilësitë e fjalëve të tij duke thënë: "Ai (Kur'an) ka një tëmbësirë të papërshkruar, është tërheqës e ngacmues, është aq i këndshëm sa që fund e krye është plot fruta, atë nuk mund ta thotë njeriu!"

Eshë gjë e natyryhme që Kur'anit të jetë i tillë kur dihet se për të thuhet: "Thua: atë e zbriti Ai që i d'fishhtësitë në të tokë!" (Furkan: 6).

**Enrat e Kur'anit**

Kur'anit i fashëm ka shumë enra që të gjithë japin të kuptosh rëndësinë dhe pozitën e larë të tij dhe që në përgjithësi është libri më i famshëm qiejlor dhe Zoti sh.xh. në fjalën e vet e ka quajtur: El Kur'an, El Furkan, El Furkan, Edh Dhikru, El Kitab etj. Po ashtu Allahu e ka cilësuar me attribute të bukura e të shumta. Po thua nuk ka surs që në të të mos përmetet ndonjë atribut i tij i këndshëm si: Nurun, Huden, Rahmetun, Shifau, Mervahatun, Azizan, Mabarekzun, Beshirun, Nedhirun etj.

**Ndarja e Kur'anit**

Kur'anit, sipas urdhërit Hyjnor, është i ndarë në surs që gjithë janë 114. Suret janë të përbëra prej shumë ose pak ajesh. Më e gjata është suraja El Bekaretu me 286 ajete, e më të shkurtat kanë nga tri ajete. "Suresun" - do të thotë vend, poziti e larë. Një grumbull ajesh që kanë fillim dhe mbarim qubet "suresun" për hir të famës dhe të larësisë së saj aшту sikurse qubet, beson pjesë me e larë në një mur. Çe Kur'anit është si një qoplot nacional i ndarë në reparte, e secila njësi e tij është e rrethuar me mur të larë si të ishte ndonjë keshitjellë. Sureja e Kur'anit është si një kopsht i tij i rrethuar me mur që mbron besimin dhe bazat e tij.

"Ajete" - qubet një ose më shumë fjale. Nuk është kusht i domosdoshëm që ajeti të ketë kuptim të pavarur si: ba, mimë, kur përbehet prej shkronjave ose si: Muah-hammetun, kur përbehet prej një fjale. Ajeti zakonisht është një fjalë e thjeshtë ose një fjale e zgjeruar apo edhe periudhë. Fjala ajete përmetet shumë herë në Kur'an që ka për qëllim mrekullitë, argument etj.

Për sa i përket përbërjes së ndarjes së Kur'anit në sure dhe radhitjes së sursve në Muah-haf, ajo nuk ishte rezultati i mendjes së njeriut, por ajo ishte çështje e dikruar prej të madhit Zot.

Ndarja e Kur'anit sipas vendit ka të bëjë me pjesën e tij të shpallura sa ishte Përgjambëri në Meke dhe me pjesën që iu shpallën pasiqë u shpërngul dhe u vendos në Medinë. Suret e shpallura sa ishte në Meke o quajten mekase, ndërsa të tjerat medinase. Djetarët janë unike në bindje se në Meke iu shpallën shtatëdhjetë sure.

është e vërtetë e saktë dhe 'ka nevojë të kërkojë prej Meke fakt. Fakti jam Unë. Nëse disa mendje nuk u mjafton thënia Ime si fakt, por duan 'u besojnë shqishtë dhe mendjve të veta, Unë ata i të të lirë të perqojnë dhe ua bëjë të mundshme 'i shohin faktet e Mja dhe të vërtetë të atë që kam thënë Unë shtë e vërtetë e saktë, por është dashur 'u mjaftojë thënia Ime, pse mjafton Allahu të jetë vërtetes. Në suren "Fussilet"; Ajeti 53 thuhet: "Ne do 'u bëjmë atyre të mundshme 'i shohin argumentet tona në gjithësi dhe në veten e tyre deri që 'u bëhet e qartë se ai (Kur'an) është e vërtetë. A nuk mjafton që Zoti yt të jetë dëshimes për çdo gjë?"

Kur'anit atëherë kur shpallje theksoi të vërteta, ato është dashur të besohen si thënie të Zotit edhe para se 'i kuptojë mendja, sepse shumë çështje të vërteta, të cilat i ka cekur Kur'anit, dija ka arritur 'i kuptojë shumë më vonë, por ato kanë qenë të vërteta edhe para se 'i zbulojë dija. Kur'anit p.sh. ka cekur rolin e erratave në mbarësin e bimëve e ka thënë: "Ne i lëshuam errat frytëzues..." (Hixhër: 22). Ka thënë: shenjë për rrotullimin e tokës në një mënyrë shumë perfide e ka thënë: "... dhe i shëb kodrat e mendon (të duken) se ato janë të palëvizshme, ndërsa ato ecin sikur ecin retë..." (En'Nemlu: 88). Krahasin i ecjes së kodrave me atë të reve, jep me kuptua për rrotullimin e tokës, sepse lëvizja e reve nuk bëhet vetvetiu, por me anën e erratave, pra edhe lëvizja e kodrave me anën e dikuj tjetër, në këtë rast me anën e tokës. Këtë thënie të Kur'anit, mendja ka arritur ta kuptojë vonë.

Për etapat e zhvillimit të fetusit e embriionit Kur'anit ka thënë: "Për Allahun, Ne e krijuam njeriun prej një lëngu të kulluar prej balte, pastaj atë e shndëruam në pikë uji (të) në një vend të sigurt, mandej atë pikë uji e bëmë copë gjaku, atë gjak e bëmë copë mishi të dhembëzuar, e atë copë mishi e shndëruam në eshtra, e eshtrat i veshëm me mish, pastaj atë e bëmë krijesë (jeter i dhënë shpirtin). I larë është Allahu, e mendon (të duken) se ato janë të palëvizshme, ndërsa ato ecin sikur ecin retë..." (Muminun: 12-14). Për këto etapa të zhvillimit, për tri erësitat në të cilat ndodhet fetusi, dija arriti të dijë për të shumë vonë, e ndoshta vetëm në shekullin tonë.

Kur'anit i shëku të gjitha perdet e kobët, të vendit dhe depërtoj e zbuloi edhe ato fshhtësi që fshihen në zemra të mendjes e njeriut. Kësaj shembuj janë të theksuar në Kur'an dhe lexuesi do 'i kuptojë gjatë leximit.

Eshë në shekullin tonë, çli konsiderohet shekulli i arsimit mendtor, fjala e Kur'anit duket se zgjerohet dhe jep kuptim të ri. Sabanë që dija me përfaqjet e veta bën evolucion në zhvillimin e jetës, ajo gjën mbeshtetje në thënie e Kur'anit dhe thënie e tij duket se përbëhen gjatë shekujve për çdo gjeneratë, e këshru dokumentohet se mësimi i tij është i ri për çdo kohë dhe se ai mësimin kur nuk vjetrohët, sepse duke gjeruar terminin e kuptimeve shkollë paralelisht me zhvillimin e jetës, prandaj është mrekulli mendore.

**Mrekullia e Kur'anit nga ana e çështjes shpirtërore**

Zoti sh.xh. këtë libër e shpalli mëshërë dhe dritë për njerëz, por për ato zemra idhujtare, të cilave u kishte hyrë në gjak adhurimi i idhujve, ishte një goditje e fortë në shpirtin e tyre. Arabët që ishin idhujtarë shumë kokëfortë e idhnakë të modhënj e të papërkultur, Kur'anit thërreste ta braktisnin atë me të cilin ishin të mësuar edhe prej në adhurim të një të vetmit Zot, të Allahut fuqipotj, i thërreste të heqin dorë prej atyre zakoneve plot mëkate e krime.

**ب. معجزة القرآن العلمية**

بعد أن ذكر الشيخ المفسر ديمومة إعجاز القرآن الكريم لكونه نزل من لدن إله حي قيوم، ذكر أن سر دوام إعجازه يكمن في كون القرآن الكريم معجزة علمية أيضاً، بخلاف المعجزات الأخرى، والسبب في كونه معجزة علمية يعود إلى اكتشافات بعض الناس لبعض أسرار القرآن الكريم العلمية في الآونة الأخيرة. فالقرآن الكريم في المراحل الأولى من نزوله أشار إشارة عابرة إلى هذه القضايا العلمية الحديثة المكتشفة، لكن الناس في ذلك الوقت كانوا غير قادرين على فهم دقائق القرآن الكريم وأسواره العلمية.

إن القرآن الكريم أشار أيضاً إلى أسرار أخرى واعتبرها حقائق، سواء أدركها العقل البشري ذلك أو لم يدركه، فهو بإشارته إلى تلك الحقائق كأنه يريد أن يقول لنا بلسان حاله: إذا قلت لكم شيئاً أو أخبرتكم عن شيء فلا تبحثوا عن الدليل، فأنا الدليل. وإذا وجد من بينكم من لا يصدق هذا الكلام ويريد أن يعتمد على حواسه الشخصية، فإنني سأمكن لهم ذلك وسأريهم آياتي في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أن الذي قلته هو حق. يقول الله عز وجل:

﴿سُنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، (فصلت: 53).

فالقرآن الكريم مَرَّق حجاب الزمان والمكان، وفيه أبعاد زمنية ومكانية، والقارئ سوف يلاحظ هذه الحقيقة أثناء قراءته للقرآن. إن أسرار معاني القرآن الكريم تتجدد في كل عصر ومع كل جيل، ومع توسعه في نطاق الدلالات والمعاني، فإن القرآن الكريم يسير متوازياً مع عجلة الحياة والعصر الذي نعيش فيه، فحق له أن يكون معجزة علمية أيضاً<sup>(1)</sup>.

#### ت. معجزة القرآن النفسية

يتلخص كلام الشيخ المفسر حول هذا الموضوع في أن الله -عزَّ وجلَّ- قد أنزل هذا القرآن ليكون رحمة ونوراً للناس. فالنفوس التي أشربت في قلبها ودمها عبادة الأصنام، مثل نزول القرآن الكريم في حقها ضربة قاسية. فقد دعاهم القرآن إلى ترك تلك العبادة التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم لكنهم أبوا. هذه الدعوة القرآنية الجديدة شكلت لهم تحدياً كبيراً للغاية، ومع ذلك فقد كانوا ينقادون ويساقون إلى القرآن شيئاً فشيئاً. إن معجزة القرآن الروحية والنفسية أخذت تؤثر في نفوسهم وقلوبهم شيئاً فشيئاً، مما جعلهم معترفين بحقيقته، لكنهم دون وعي منهم قالوا له: سحر!! والشاهد على ذلك قصة أحد صنائيد وفصحاء قريش، الوليد بن المغيرة.

#### 5. من خصائص القرآن

أولاً: جمعه في الصدور

---

(1) انظر تفسير الشيخ شريف أحمددي، ص14-16. وحول معجزة القرآن اللغوية والموضوعية، فإن للشيخ المفسر الحاج شريف أحمددي بحثين قيمين في كتاب له بعنوان: *Komente dhe Mendime Islame*. (آراء واجتهادات إسلامية)، الكتاب من مطبوعات المشيخة الإسلامية في عاصمة كوسوفا - بريشتنا، عام 1996، ط1، فراجع البحثين فإن فيهما فوائد جلييلة، ص: 300-306، و307-317.

أما عن جمع القرآن وحفظه في الصدور والسطور، فذكر الشيخ أن القرآن الكريم نزل على قوم أميين من العرب الذين لا يعرفون الكتابة ولا القراءة، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، (الجمعة: 2). فهم تميزوا عن بقية الشعوب بقوة الذاكرة والحفظ، فقد كانوا يحفظون مئات نصوص الشعر والخطب مع أسماء القائلين وأنسابهم. ولما نزل عليهم القرآن ودخلوا في الإسلام تخلَّوا عن حفظ الأشعار واتجهوا إلى حفظ القرآن، لأنهم قد وجدوا بغيتهم الفكرية وضالَّتْهم اللغوية فيه، ثم انتشروا في الآفاق والأمصار لتعليم الآخرين. وحفظ القرآن عن ظهر قلب من خصائص هذه الأمة المحمدية، وهي هدية مهداة من الله عز وجل، لأنه تعالى يَسِّرْ عليهم حفظه قائلاً:

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾، (القمر: 17).

ثانياً: جمعه في السطور

هذه خاصية ثانية من خصائص الأمة المحمدية؛ فقد كان لدى رسول الله ﷺ كُتَابٌ للوحي يكتبون ما يوحى إليه، وأدوات الكتابة لم تكن متوفرة في ذلك الوقت، ولم يكن عندهم الورق، إلا ما كان يُصنَع عند الفرس والروم، بل حتى عند هؤلاء لم يكن يصنع بكثرة، فكتبوا القرآن على الأحجار الملساء وجلود الإبل وجريد النخيل وغيرها من الأدوات والوسائل المتيسرة في ذلك الوقت<sup>(1)</sup>.

ثم ذكر الشيخ المفسر أنه بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى وأداء الأمانة، وبسبب مقتل القراء في معركة اليمامة في خلافة أبي بكر الصديق، أشار عمر بن الخطاب على سيدنا أبي بكر الصديق بجمع القرآن في الصحف أو في مصحف واحد خشية ضياع القرآن بموت الحفاظ. في بادئ الأمر تردد أبو بكر الصديق ثم وافق عمر بن الخطاب على ذلك.

(1) راجع التفسير المختصر للشيخ شريف أحمددي، ص 19-20.

أما جمع القرآن الكريم فكان في عهد عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، ففي خلافته اتسعت رقعة الإسلام إلى ما وراء جزيرة العرب، حتى فُتحت أرمينيا وأذربيجان، وقد لاحظ الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- اختلافاً في قراءة القرآن من العرب وغيرهم بالأحرف والقراءات الأخرى وبطرق مختلفة، فسارع إلى عثمان بن عفان قائلاً له: أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف في كتابها كما اختلفت اليهود والنصارى. فما كان من عثمان -رضي الله عنه- إلا أن جمع الصحابة وشاورهم، وبعد اتفاقهم أمر أن تُنسخ عدة نسخ وأن توزع على الأمصار. ويتضح من هذا أن الفرق بين جمع أبي بكر الصديق وجمع عثمان بن عفان -رضي الله عنهما-، هو أن أبا بكر أمر بجمعه خشية ضياع القرآن بموت الحُفَظاء، بينما خشى عثمان -رضي الله عنه- الاختلاف في القراءة<sup>(1)</sup>.

## 6. مسألة تفسير القرآن الكريم وترجمته إلى لغة أخرى

وفي آخر مقدماته تناول الشيخ المفسر أهمية تفسير القرآن الكريم، فقال: «إن توضيح وتفسير كلام الله -عزَّ وجلَّ- على النحو الذي يريده الله -عزَّ وجلَّ- من عباده يكون أولاً بأن نفسر كلامه بكلامه، أي تفسير القرآن بالقرآن، ثم تفسير القرآن بالسنة، ثم تفسيره بكلام الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. وأما التفاسير المتأخرة التي لم تستند إلى المصادر الأولى السابقة، فهي تفاسير عقلية بحثة (تفاسير بالرأي الجائر).

إن ترجمة معاني القرآن مسألة ضرورية ومطلوبة، لأنه من خلالها يتعرف الناس إلى مبادئ القرآن الكريم وإرشاداته وآدابه القيمة، مع التأكيد أن الترجمة النصية أو الحرفية للقرآن الكريم إلى لغة أخرى أمر غير جائز لتعذر ذلك، ولاستحالة بقاء الأسلوب البياني والبلاغي الأصلي للقرآن الكريم، لأنه في الترجمة تضيع الأصالة والروح العربية للنص، كما أن فصاحة القرآن وبلاغته تُفقدان من خلالها. والله يغفر ويتجاوز عن الأخطاء غير المقصودة»<sup>(2)</sup>.

(1) المصدر السابق، ص 21-22 بتصرف.

(2) راجع تفسير الشيخ المفسر شريف أحمددي، ص 22.

## 7. قراءة الكتاب المنظور والكتاب المسطور

كان من فضل الله -عزَّ وجلَّ- على الإنسان أن يسَّر له كتابين للقراءة والاستفادة منهما، حتى يهتدي إليه سبحانه. الكتاب الأول هو الكتاب المنظور، أي هذا الكون الفسيح الذي من حولنا، خلقه تعالى ليتدبره الإنسان من خلال البحث والتأمل والدراسة لظواهرها الطبيعية. هذا الكتاب المنظور غير ناطق ولا لسان له، وإنما لسان حاله: المخلوقات والنباتات والمعادن والكائنات المختلفة الحية. فالباحثون والدارسون لهذا الكتاب هم الذين يخشون الله حق الخشية. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (فاطر: 28). وأما الكتاب الثاني الناطق، فهو هذا الكتاب المسطور، أي القرآن الكريم الذي بين أيدينا، فقد أكد الشيخ المفسر على ضرورة القراءة للكتابين والتوفيق بينهما، لأن القرآن الكريم لا يزال معيناً لا ينضب للمعاني الجديدة للأجيال القادمة، وهذه هي معجزة القرآن العلمية والموضوعية.

## 8. التفسير الذي أراد الشيخ تقديمه للقراء

ثم بين الشيخ المفسر منهجه في التفسير باختصار، قاصداً أن يصيغ على التفسير والترجمة صبغة الإيمان والأخلاق وروح الشريعة والمقاصد الإسلامية<sup>(1)</sup>.

(1) انظر تفسير الشيخ الحاج شريف أحمددي، ص 743-750.



## الفصل الثاني

### دراسة وتحليل تفسير الشيخ المفكر شريف أحمددي

#### المبحث الأول: مصاد الشيخ شريف أحمددي في تفسيره وتحقيق القول فيه

لقد ذكر الشيخ شريف أحمددي المصادر التي اعتمد عليها في معرفة موضوعات السور، وتفسير معاني الآيات القرآنية:

كتاب: «صفوة التفاسير»، للأستاذ الشيخ المفسر محمد علي الصابوني.

كتاب: «فتح البيان في مقاصد القرآن»، للشيخ صدّيق حسن خان.

كتاب: «المصحف المفسّر»، للكاتب الموسوعي فريد وجدي.

كتاب: «قاموس قرآني»، للشيخ حسن محمد موسى، وأحياناً كان يرجع إلى التفسير الكبير «مفاتيح الغيب» للإمام الفخر الرازي، و«تفسير القرآن العظيم» للإمام ابن كثير، إضافة إلى بعض المصادر الأخرى التي لم يذكرها الشيخ<sup>(1)</sup>.

هذه هي مصادر الشيخ في تفسيره، وذكرها بنفسه. ويرجع سبب اختيار الشيخ لهذه المصادر التفسيرية والاختصار عليها دون غيرها، إلى أن أصحاب تلك التفاسير هم من المعاصرين الذين ركزوا في تفاسيرهم لكتاب الله تعالى على إبراز المعاني والجوانب والدروس والعبر الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية، ومعالجة المشاكل العصرية الراهنة في ضوء القرآن والسنة، وعلى هذا المنهج سار الشيخ شريف أحمددي في تفسيره، وبناء على ذلك اعتبرناه أحد رواد الاتجاه الاجتماعي عند الألبان، والله أعلم.

---

(1) راجع تفسير الشيخ شريف أحمددي، ص 750.

## المبحث الثاني: منهج الشيخ شريف أحمد في وطريقته في

### تفسيره

من خلال دراستي وقراءتي لهذا التفسير المختصر رأيت أنه سلك في منهجه لتفسير القرآن هذه الطريقة وهذا الأسلوب:

- يذكر المكي والمدني لسور القرآن، وعدد آياتها.
- يذكر الموضوعات التي اشتملت عليها السورة، مع ذكر أسماء السور، كما فعل في تفسيره لسورة الفاتحة<sup>(1)</sup>.
- يذكر المعنى الإجمالي للآيات عامة، دون الوقوف عند كل آية بالتفسير، وإنما يكتفي بالترجمة في أعلى الصفحة فقط<sup>(2)</sup>.
- يذكر أحياناً فضائل السورة، مستدلاً من كتب السنة والصحيحين<sup>(3)</sup>.
- يفرّد لكل سورة مقدمة تناسبها ويعرض فيها باختصار المواضيع التي تطرقت السورة لمعالجتها، إلا أنه أثناء عرضه لتلك الموضوعات لا يذكر موضوعات السورة مرتبة كما عرضتها السورة<sup>(4)</sup>.
- يعلل ويشرح بعض الكلمات القرآنية التي لها أكثر من معنى، ويبين الفرق بينها وبين الكلمات المتشابهة، مثل كلمة: الحمد، المدح، الشكر، فيذكر معنى الكلمة لغة واصطلاحاً، ويحدد المعنى المراد والراجع من الآية<sup>(5)</sup>.
- يذكر معاني الكلمات مفصلة مع ذكر مصادر تلك الكلمات النحوية، كما أنه يذكر أحياناً المعاني المشابهة لها محيلاً إلى الآيات المماثلة الواردة في السور الأخرى، مشيراً إليها بالأرقام فقط دون ذكر الآيات، ويثبت تنوع دلالات الكلمات<sup>(1)</sup>.

(1) المصدر السابق، ص 26.

(2) المصدر السابق، ص 10، 40.

(3) المصدر السابق، ص 26.

(4) راجع تفسيره، ص 29.

(5) راجع تفسيره، ص 27، 31.

- يذكر المسائل النحوية والصرفية المتعلقة بالآية باختصار شديد<sup>(2)</sup>.
- يتعرض أحياناً إلى ذكر المسائل العقدية، ويختار الآراء الراجحة والقريبة إلى رأي أهل السنة والجماعة<sup>(3)</sup>.
- أحياناً يفسر القرآن بالقرآن، مع عدم ذكر تلك الآيات، مكتفياً بالإشارة إلى أرقامها<sup>(4)</sup>، ولم يسر على هذا المنهج دائماً كما بيّن في مقدماته.
- ينقل آراء المفسرين جملة حول موضوع واحد، كما فعل حين ذكر موقف كل من الزمخشري وابن تيمية وابن كثير حول معاني الحروف الهجائية المقطعة في بدايات السور القرآنية<sup>(5)</sup>، ولكنه لا يحيل القارئ إليها، ولا يذكر أرقام الصفحات والأجزاء لتلك المصادر.
- يوضح معاني بعض الاصطلاحات الدينية التي قد تكون غامضة على القراء، مثل كلمة: سجدة، إبليس، الجنة، بني إسرائيل، البدعة<sup>(6)</sup>.
- يذكر الإسرائيليات لكن باختصار شديد، كما فعل حين ذكر قصة فرعون عندما رأى رؤية أن طفلاً من بني إسرائيل سيولد وسيكون هلاكه على يد ذلك المولود، وكما ذكر أسماء أولاد سيدنا نوح واسم زوجته عندما غرقوا<sup>(7)</sup>.
- أثناء تفسيره للآيات، يجري أحياناً مقارنة بين شريعتنا وشريعة من قبلنا، مبيّناً نقاط الاتفاق والاختلاف التي بين الشريعتين، كما في قصة القتل من بني إسرائيل عندما

(1) المصدر السابق، ص 27، 28.

(2) راجع تفسيره، ص 265، 549.

(3) راجع تفسيره، ص 28، 272.

(4) المصدر السابق، ص 28، 210، 236، 262.

(5) المصدر السابق، ص 31، 59.

(6) المصدر السابق، ص 38، 48، 265.

(7) راجع تفسيره، ص 38، 265، 378.

- أمرهم موسى عليه السلام أن يذبحوا بقرة ويضربوا القتيل ببعضها، فذكر أن القاتل يُحرّم من الميراث، وهذا الحكم موجود في شريعتنا وشريعة موسى عليه السلام<sup>(1)</sup>.
- يذكر أسباب النزول، تارة على لسان المفسرين، وتارة على لسانه هو، لكن دون الإحالة أو الإسناد<sup>(2)</sup>.
- يتطرق أحياناً إلى ذكر الناسخ والمنسوخ باختصار<sup>(3)</sup>.
- يستشهد بالأحاديث القدسية والأحاديث النبوية من صحيح الإمام البخاري وصحيح الإمام مسلم وكتب السنة الأخرى<sup>(4)</sup>، لكنه لم يلتزم طريقة واحدة في تخريجه للأحاديث، فتارة يسندها إلى مصادرها وتارة أخرى لا يسندها إلى مصادرها<sup>(5)</sup>.
- يناقش آراء الدهريين والطبيعيين ومواقفهم من البعث والنشور باختصار<sup>(6)</sup>.
- يرد على اليهود المغضوب عليهم والنصارى الضالين، ويبين أنه كان من الواجب عليهم اتباع هذا الدين، وأن هذا الإسلام هو الذي صيغ الله به عباده، وليس الماء والزيت الذي يصيغ بهما اليهود والنصارى أنفسهم للتبرك<sup>(7)</sup>.
- يصحح بعض المفاهيم المغلوطة لدى بعض الناس ويبين وجه الصواب فيها، مثل تناوله لحقيقة الجنة وأوصافها ونعيمها، وأن حقيقتها لا يعلمها أحد إلا الله تعالى، وكتناوله لمفهوم وحقيقة حياة الشهداء، فذكر بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، دون الخوض في كيفية وحقيقة حياتهم، وذكر أنه من الخطأ الاعتقاد بأن أجسامهم لا تبلى

(1) راجع تفسيره، ص 41، 43.

(2) المصدر السابق، ص 45، 79.

(3) المصدر السابق، ص 47.

(4) المصدر السابق، ص 48، 440.

(5) المصدر السابق، ص 54، 79، 106، 128، 130، 132.

(6) المصدر السابق، ص 48.

(7) راجع التفسير المختصر للشيخ شريف أحمددي، ص 51.

ولا تتلاشى، لأن الله تعالى يقول: ﴿أحياء عند ربهم﴾ وليس عندكم أو في مفهومكم أنتم أيها الناس<sup>(1)</sup>.

- يركز في تفسيره على استنباط الدروس والعبر والقواعد الفقهية العامة، مبيناً الأبعاد الاجتماعية والدينية للآية، كما يظهر ذلك في تفسيره لآية القصاص<sup>(2)</sup>، حيث قال: «يظن كثير من الناس أن قطع يد السارق عقوبة في غاية الشدة والقسوة في هذا العصر المتحضر. إن أمثال تلك الآراء والفلسفات المخطئة والضالة، جعلت الفساد الإداري والاقتصادي في نمو وازدياد. والحكومات التي لا تنفذ الحدود تقوم بتعذيب الجاني أو مرتكب الجريمة بالسجن، مما جعل السجون مملأى بالسارقين والغاصبين وقطاع الطرق المفسدين الظالمين. إن قطع يد واحدة يعالج ويشفي مدينة بأكملها»<sup>(3)</sup>.
- لا يذكر الأحكام الفقهية المستنبطة من الآية، وإنما يكتفي بالإحالة إلى مظانها، كأنه يريد أن يقول إن مجال الأحكام الفقهية ليس في علم التفسير، وإنما مجالها الفقه، ويظهر ذلك في آيات الحج والعمرة<sup>(4)</sup>.
- يطبق القواعد الأصولية في تفسيره ويسير على ضوئها في دلالات الآيات<sup>(5)</sup>.
- يذكر الخصائص العامة للإسلام، ويذكر جماله وعظمته في عدم حمله الناس على الإيمان به والانقياد لأوامره وهم مُكْرَهون، مبيناً أن الإسلام كُلُّه لا يتجزأ<sup>(6)</sup>.
- لا يتعرض إلى ذكر القراءات القرآنية في تفسيره البتة<sup>(7)</sup>.

---

(1) المصدر السابق، ص 53، 295.

(2) المصدر السابق، ص 58، 59، 60، 62.

(3) المصدر السابق، ص 148.

(4) المصدر السابق، ص 59، 60، 61، 81.

(5) المصدر السابق، ص 63.

(6) المصدر السابق، ص 63، 64.

(7) ويرجع السبب في عدم اهتمام علماء الألبان بهذا الفن قديماً وحديثاً - والله أعلم - لعدم وجود شخصيات علمية متخصصة في هذا المجال. ولقد شاءت حكمة البارئ - عزَّ وجلَّ - أن يظهر هذا الفن العلمي القرآني إلى الساحة العلمية الألبانية في العصر الحديث من جديد ولأول مرة، وذلك عندما تخرج طالبان ألبان من كوسوفا في كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام 1994 و1995، وهما: 1- العبد الضعيف الفقير إلى عفو

- يركز على بيان أمراض المجتمع مبيناً طريقة القرآن الكريم في معالجتها، ويبيّن اهتمام القرآن ببناء المجتمع السليم، من خلال العلاقة الشرعية بين الزوجين، ودوام هذه العلاقة إذا كان للزوجين دين واحد، أما إذا اختلف دينهما فتكون العلاقة بينهما قصيرة العمر وغير دائمة<sup>(1)</sup>.
- يذكر مقاصد الأحكام الشرعية، مثلما ذكر أن المقصد من الزواج هو الإحصان من الزنا والحفاظ على النوع الإنساني<sup>(2)</sup>.
- يُرَجِّح بين الآراء ويكتفي بذكر الرأي الراجح فقط، مثلما فعل حين ذكر قصة خلق آدم وحواء عليهما السلام، مكتفياً بما ورد في القرآن من أن الناس أصلهم من آدم، وأن حواء خلقت من الأصل نفسه<sup>(3)</sup>.
- لا يرد على الفرق المبتدعة بعينها، ولا يتوسع في ذكر المسائل العقديّة<sup>(4)</sup>.
- أحياناً يقول بالمجاز، كما يظهر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (آل عمران: 12)، إذ يقول ما نصه: «اعتبر مكانهم في جهنم مثل المههد، والمراد إخبار الأعداء المستكبرين بأنهم سيكونون عاجزين وضعفاء مثل الطفل العاجز في مهده، لا يملك شيئاً، ويتصرف فيه غيره»<sup>(5)</sup>.

---

مولاه كاتب هذه السطور والمجاز في القراءة والحاصل على السند المتصل إلى رسول الله ﷺ برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية، 2- الأخ الأستاذ الشيخ الحافظ صفوت خوجة حفظه الله، مدرس مادة تلاوة القرآن الكريم في الكلية الإسلامية في بريشتنا عاصمة كوسوفا، وفي الثانوية الشرعية (علاء الدين) في مدينة بريزرن، والحمد لله أولاً وآخراً.

(1) المصدر السابق، ص 66، 70، 73.

(2) المصدر السابق، ص 66.

(3) راجع تفسير الشيخ شريف أحمددي، ص 109.

(4) المصدر السابق.

(5) المصدر السابق، ص 82.

وفي تفسيره لسورة القدر، علق على قوله تعالى: ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾، فذكر أن فيه مجازاً مرسلًا في علم البلاغة، لأن النزول صفة للأجرام، والقرآن ليس كذلك، لكن لما حُمِّلَ به من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا شُبه ذلك بنزول الجرم من أعلى إلى أسفل<sup>(1)</sup>.

- في نهاية ترجمته وتفسيره للسورة، يعيد خلاصة كلامه في نصف صفحة ويبين الموضوعات التي اشتملت عليها السورة، مشيراً إلى مقاصد القرآن في السورة، ومن تلك المقاصد جذب قلوب العباد إلى معرفة الخالق من خلال نظرتهم إلى الخلق أو المخلوقات، والقرآن يقول بلسان حاله للناس اقرؤوا القرآن المكتوب في السطور، ثم بعد ذلك اقرؤوا وتدبروا هذا الكتاب المنظور، وهو الكون، فستجدون بينهما توافقاً وانسجاماً كبيرين<sup>(2)</sup>.

- يتطرق إلى معالجة القضايا الاجتماعية الراهنة باختصار شديد، مستنبطاً من الآيات العبر والعظات، كما تناول مسألة كشف العورة، سواء للرجال أو النساء، فقد ذكر أن ذلك من تلبس إبليس وأنه لا يعد حضارة ولا تقدماً<sup>(3)</sup>.

- لا يتبنى آراء شاذة، ولا يخرج عن قول جمهور العلماء، ويتقيد بما هو الراجح فقط، وهذه الميزة يُشكر عليها<sup>(4)</sup>.

- أحياناً يوفق بين دلالات الآيات التي ظاهرها التعارض ويجمع بينهما لإزالة اللبس والتعارض<sup>(5)</sup>.

- يهتم جداً بإبراز العبر والعظات من القصص القرآني<sup>(6)</sup>.

- يربط أحياناً سرّ الآيات بالاكشافات الحديثة ليلفت عقل الإنسان إلى عظمة قدرة الله تبارك وتعالى. يظهر ذلك جلياً في تفسيره لقوله تعالى في سورة النحل: ﴿وَالْحَيْلَ

---

(1) المصدر السابق، ص 724.

(2) المصدر السابق، ص 107.

(3) المصدر السابق، ص 189.

(4) المصدر السابق، ص 211.

(5) راجع تفسير الشيخ شريف أحمددي، ص 221، 222.

(6) المصدر السابق، ص 272، 277، 279.

وَالْبَعَالِ وَالْحَمِيرِ لَتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿النحل: 8﴾، فذكر لذلك الجيل المخاطب وقت النزول أن في هذه الآيات إشارة إلى أن الله -عزَّ وجلَّ- قادر على أن يخلق وسائل مواصلات من نوع آخر، غير التي كانوا يستخدمونها من خيل أو بغال أو حمير (1).

- يبرز أسرار الآيات القرآنية في ورودها بعبارات وصيغ مختلفة، مثل قوله تعالى: ﴿يتفكرون﴾، وقوله: ﴿يعقلون﴾، وقوله: ﴿يتذكرون﴾.. «والسر في ذلك أنه بلا تفكير عميق للظواهر الطبيعية لا يحصل التعقل المطلوب» (2).

- لا يفسر الآيات تفسيراً علمياً، وإذا ورد شيء من ذلك فإنه يحيله إلى أهل الاختصاص، مثل القضايا المتعلقة بالجبال والبحار، ويردُّ على الذين يفسرون الآيات القرآنية بحسب أهوائهم وشهواتهم دون أن يستندوا إلى علم صحيح محقق (3).

- يضرب أمثلة عقلية وعلمية لإثبات البعث والنشور من خلال تفسيره للآيات التي تناولت الكائنات من نبات وحيوان وإنسان (4).

- يرد على الذين ينكرون حجية السنة والإجماع والقياس، ويظهر ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الحشر: 7)، فقد استدل بها على حجية السنة، كما استدل بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: 115)، على حجية الإجماع، وبقوله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ (الحشر: 2)، على حجية القياس (5).

(1) المصدر السابق، ص 312.

(2) المصدر السابق، ص 313.

(3) المصدر السابق، ص 618-619.

(4) المصدر السابق، ص 319.

(5) المصدر السابق، ص 322.

- في ما يخص الحروف المقطعة ذكر أنها من المتشابهات، كما ذهب إلى ذلك بعض العلماء مع وجود آراء أخرى حول هذه المسألة<sup>(1)</sup>.

أما طريقته في تفسير آيات الأسماء والصفات، ففيها تفصيل. فهو تارة يثبت وتارة يؤول، وتارة ليس له موقف واضح من التأويل أو الإثبات. ومن خلال استعراضنا لهذه النماذج سيتضح لنا منهجه في هذه المسألة المهمة، والمجال هنا مجال استشهاد لا مجال استقصاء، فأقول وبالله التوفيق:

### أولاً: أمثلة على مواضع الإثبات

في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (المائدة: 64)، نجده أنه في هذا الموضع في ترجمته أثبت صفة اليدين لله تعالى كما ورد في الآية دون تحريف<sup>(2)</sup> أو تبديل أو تغيير.

وفي ترجمته وتفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: 10)، أثبت الشيخ في الترجمة والتفسير باللغة الألبانية صفة: اليد - Dora، فهنا أيضاً، أثبت الشيخ ولم يؤول<sup>(3)</sup>.

في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (الذاريات: 47) قال في ترجمتها: «نحن بقوتنا رفعنا السماء»<sup>(4)</sup>.

(1) المصدر السابق، ص 361.

(2) راجع تفسيره، ص 151، وانظر تفسير الطبري، ج 4، ص 639، فقد ذكر -رحمه الله- عدة آراء وأقوال حول تفسير هذه الآية. فمنهم من أثبت صفة اليد أو اليدين لله تعالى، ومنهم من أوّل صفة اليد بمعنى الملك والنعمة والعطاء. والله أعلم.

(3) انظر المصدر السابق، ص 589، بينما نجد شيخ المفسرين الإمام الطبري -رحمه الله- في ج 11، ص 338 ذكر أن فيها وجهين للتأويل، الأول: أنه أثبت صفة اليد لله تعالى دون تأويل، والوجه الآخر: ذكر أن اليد هنا بمعنى: القدرة.

(4) المصدر السابق، ص: 603-604، وقال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: «﴿بأيدي﴾ أي بقوة، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والثوري وغير واحد»، راجع تفسيره ج 4، ص 303، وقال الطبري: «وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: عن ابن عباس قوله ﴿والسمااء ببنيناها بأيدي﴾ يقول: بقوة.. وعن مجاهد قوله ﴿بأيدي﴾ قال: بقوة.. وحدثنا سعيد عن قتادة ﴿والسمااء ببنيناها بأيدي﴾ أي بقوة. راجع تفسيره: ج 11، ص 472.

وفي تفسيره لآيات رؤية الله -عزَّ وجلَّ- يوم القيامة، ذكر أن: «العلماء اختلفوا في هذه المسألة إلى عدة أقوال، والراجح منها قول من قال بأن المؤمنين سيرون الله تعالى. وأن هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة»<sup>(1)</sup>.

وفي تفسيره وتعليقه على قوله تعالى: ﴿وَلْتَصْنَعْ عَلَيَّ عَيْنِي﴾ (طه: 39)، قال في ترجمته لهذه الآية: «ولتتربى تحت رعايتي»<sup>(2)</sup>.

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾، (القلم: 42)، نجد الشيخ أنه فسر معنى (الساق)، ب: هول وشدة ذلك اليوم<sup>(3)</sup>.

وفي ترجمته وتفسيره لقوله تعالى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾، (طه: 41)، ذكر في الترجمة: «أي اخترتك لحمل رسالتي»<sup>(4)</sup>.

---

وقال الإمام البغوي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿والسمااء بنيناها بأيدٍ﴾ بقوة وقدرة. انظر: ج1، ص379.

(1) المصدر السابق، ص178، 204، 684.

(2) انظر المصدر السابق، ص362. قال الإمام محمد بن علي الشوكاني، في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ولتصنع على عيني﴾: «أي ولتربى وتغذى بمرأى مني»، راجع تفسيره: ج3، ص521؛ وقال ابن كثير: «﴿ولتصنع على عيني﴾ قال أبو عمران الجوني: تربى بعين الله، وقال قتادة: تغذى على عيني، وقال معمر بن المثنى ﴿ولتصنع على عيني﴾ بحيث أرى»، راجع تفسير ابن كثير، ج3، ص199.

(3) المصدر السابق، ص663-665، قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: «﴿يوم يكشف عن ساق﴾ يعني يوم القيامة وما يكون فيه من الأهوال والزلازل والبلاء والامتحان والأمور العظام. وعن عكرمة عن ابن عباس: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ قال: هو يوم القيامة يوم كرب وشدة. رواه ابن جرير... وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ قال: شدة الأمر، وقال ابن عباس: هي أول ساعة تكون في يوم القيامة. وقال ابن جرير عن مجاهد ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ قال: شدة الأمر وجده، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ هو الأمر الشديد الفظيع من الهول يوم القيامة. والله أعلم»، راجع تفسير ابن كثير، ج4، ص525.

(4) المصدر السابق، ص362، وقال ابن كثير: ج3، ص207: «وقوله: ﴿واصطنعتك لنفسي﴾ أي اصطفيتك واجتيتك رسولا لنفسي أي كما أريد وأشاء». وقال البغوي: «قوله عز وجل: ﴿واصطنعتك لنفسي﴾ أي اخترتك واصطفيتك لوحي ورسالتي، يعني لتصرف على إرادتي ومحبتتي»، ج1، ص274.

وفي تفسيره وترجمته لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص: 88)، ذكر الشيخ الحاج شريف أحمددي أن: «كل شيء سيهلك وسيزول إلا الله سبحانه وتعالى، فإنه باق ودائم»<sup>(1)</sup>.

أما منهجه في تفسير الاستواء، فهو تارة أثبت وتارة أول. ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ (الأعراف: 54)، فهنا أثبت الاستواء دون أي تحريف أو تبديل أو تغيير<sup>(2)</sup>. قال في بيان ذلك:

«Qendrimin e Zotit mbi Arshin duhet besuar bindshem e pa kurfare komentimi».

أي: «إن استواء الله على العرش مسألة يجب الإيمان والتصديق بها دون أدنى شك، ودون أي تفسير لمعنى وكيفية الاستواء»<sup>(3)</sup>.

فأنت ترى أن الشيخ في هذه الآية كان واضحاً للغاية في موقفه من مسألة الاستواء. فهو لم يؤول ولم يحرف، بل أمرها كما جاءت<sup>(4)</sup>.

وفي تفسيره لآية الاستواء في سورة يونس ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذُلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (يونس: 3) قال:

«Ai nuk pati as nuk ka nevoje per vend, por pasi krijoi gjithesine qendroi mbi Arshin.

Para krijimit te gjithise nuk pati nevoje per vend, nuk pati nevoje as pas krijimit; po perse atehere tha: qendron mbi Arsh? Kjo eshte pune e Tij, e askujt tjeter!».

(1) المصدر السابق، ص 452، وقال ابن كثير: «وقوله: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ إخبار بأنه الدائم الباقي الحي القيوم الذي تموت الخلائق ولا يموت، كما قال تعالى: ﴿كل من عليها فان (26) ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ فعبر بالوجه عن الذات، وهكذا قوله ههنا: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ أي إلا إياه. وقد ثبت في الصحيح من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أصدق كلمة قالها الشاعر لبيد - ألا كل شيء ما خلا الله باطل». وقال مجاهد والثوري في قوله ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ أي إلا ما أريد به وجهه»، ج3، ص 533.

(2) راجع تفسير الشيخ شريف أحمددي، ص 192.

(3) المصدر السابق، ص 193.

(4) انظر: سالم، إبراهيم بن حسن، قضية التأويل في القرآن الكريم بين الغلاة والمعتدلين، بيروت، دار قتيبة، ط 1، 1993.

أي: «إن الله -عزَّ وجلَّ- لم يكن بحاجة إلى مكان، لا قبل خلق الكون ولا بعد خلقه، لكنه تعالى بعد أن خلق الكون أخبر أنه استوى على العرش. ما السرُّ والحكمة فيها ولم كان ذلك؟ هذه القضية تخصه هو سبحانه وتعالى وليس لأحد أن يعترض على ذلك»<sup>(1)</sup>.

ثانياً: أمثلة على مواضع التأويل والغموض

أما في تفسيره للاستواء في سورة الرعد ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ (الرعد: 2)، فإنه ترجم الاستواء بـ: «Ai mbizoteri Arshin» بمعنى أنه تعالى استولى على العرش. كما أنه أسقط تفسير الاستواء في تفسيره لهذه الآية، ولم يتعرض لها البتة<sup>(2)</sup>.

كما أنه أسقط ترجمة وتفسير معنى الاستواء كلياً في تفسيره لقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ (طه: 5)، فقال في ترجمته للآية ما نصه:

«(E Ai eshte) Meshiruesi qe krijoi token dhe qiejt e larte...»

أي «هو الرحمن الذي خلق الأرض والسموات العلى»، هذا نص كلامه في الترجمة، فأنت ترى أن ذكر الاستواء لم يرد على لسانه قط. وأما في تفسيره لهذه الآية فقد ذكر ما نصه:

«...qe krijoi gjithcka dhe prej frontit te vet udheheq me gjithcka»

أي أن الله الذي خلق كل شيء، ومن العرش يدير الله -عزَّ وجلَّ- الأمور<sup>(3)</sup>.

فأنت ترى ما في هذا الكلام من الغموض وعدم الوضوح في ما يخص مسألة استواء الله تعالى على العرش وموقف المفسر منها، والله أعلم.

وأيضاً في ترجمته لكلمة الاستواء في سورة الفرقان ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا﴾، (الفرقان: 59)، وجدناه

(1) المصدر السابق، ص 245-246.

(2) المصدر السابق، ص 289-290.

(3) انظر تفسير الشيخ شريف أحمد، ص 359 و361.

أنه قد أول الاستواء بـ: «...e pastaj mbizoteri Arshin» أي أنه تعالى استولى على العرش. ولم يتعرض الشيخ شريف أحمددي لتفسير الآية مطلقاً<sup>(1)</sup>.

ونجده أيضاً أنه قد أول معنى الاستواء في سورة السجدة ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (السجدة: 4)، بمثل الذي قلنا سابقاً بمعنى الاستيلاء: «...e pastaj mbizoteri arshin»، وأعاد نفس هذا المعنى في تفسيره، فذكر أنه تعالى استولى على الكون، وقال في بيان ذلك: «qe mbizoteri gjithsine»<sup>(2)</sup>.

ونجده أيضاً قد أول معنى الاستواء في ترجمته في سورة الحديد ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الحديد: 4)، بمثل الذي ذكرنا سابقاً.. «pastaj mbisundoi Arshin»، أي أنه بعد خلق السموات والأرض استولى على العرش. وأما في تفسيره فلم يتعرض لتفسير الاستواء البتة<sup>(3)</sup>.

هذه المسألة العلمية العقدية الشائكة أشغلت بال كثير من العلماء قديماً وحديثاً، وعند التحقيق والتأصيل لهذه المسألة العلمية الغيبية، نجد أن القلب يطمئن ويميل ويرجح رأي مذهب السلف الصالح في عدم تأويل تلك الآيات وتفسيرها بتفسيرات بعيدة كل البعد عن منهج السلف الصالح، وأن الصحيح والواجب هو إمرارها كما جاءت لسلامة مذهبهم وقوة أدلتهم في هذه المسألة، والله أعلم<sup>(4)</sup>.

(1) المصدر السابق، ص 417-418.

(2) المصدر السابق، ص 475-476.

(3) المصدر السابق، ص 625.

(4) ولقد ناقشت هذه المسألة في رسالتي للدكتوراة بإسهاب فليرجع إليها من يريد المزيد، في ص 268-293، وللمزيد حول هذه المسائل العقدية المهمة ومسألة الأسماء والصفات، انظر: أبو حنيفة، النعمان بن الثابت بن زوطي الخزاز الكوفي: الشرح الميسر على الفقهاء الأبطال والأكبر المنسوين لأبي حنيفة - القسم الثاني، رواية أبي مطيع البلخي عن أبي حنيفة، تحقيق: د. محمد بن عبد الرحمن الخميس، عجمان، مكتبة الفرقان، ط 1، 1999، ص 159.

Në rrugën për të cilën i thërriste Kur'ani dukeshin pengesa të pakapërcyeshme, vështrësi të papërbalueshme, por mrekullia e tij manifestohet thellë në zemrat dhe shpirtërat e tyre dhe dalëngadalë i përvetëson dhe shumë prej tyre i bëni ihtarë të denjë të mësimave të tij. Ajo mrekulli e Kur'anit, e cila tërhoq edhe shpirtërat e tyre, i habiti edhe vetë ata, prandaj me vetëdije të humbur e të tronditur, dikush prej tyre e quajti sehir, magji etj. Edhe idhujtarët më i afër dhe më autoritativ, Velid bin Mugire u gjumjësua para mrekullisë së tij. Idhujtarët e kishin dëgjuar te Muhammedi që t'ia tërhoqë vërejtjen dhe të mos publikojë ato mësimet të Kur'anit, të cilat fyenin besimin e tyre, mirëpo, kur e dëgjoi Muhammedin duke lexuar Kur'an, ai u habit dhe kur u kthye te idhujtarët, ua përshkroi mrekullinë e asaj pjesë të Kur'anit që e kishte dëgjuar dhe me fjalët e veta i vlerësoi cilësitë e larta të tij duke thënë: 'Ai (Kur'ani) ka një embsirë të papërshkruar, është tërhoqës e ngacmues, është aq i këndshëm sa që fund e krye është plot fruta, atë nuk mund ta thotë njeriu!'

Është gjë e natyrsme që Kur'ani të jetë i tillë kur dihet se për të thuhet: "Thuaj: atë e zbriti Ai që i di fshihësitë në qiej e në tokë!" (Furkan: 6).

#### Emrat e Kur'anit

Kur'ani i famshëm ka shumë emra që të gjithë japin të kuptosh rëndësinë dhe pozitën e lartë të tij dhe që në përgjithësi është libri më i famshëm qiejlor dhe Zoti xh.sh. në fjalën e vet e ka quajtur: El Kur'anu, El Furkanu, El Tenzilu, Edh Dhikru, El Kitabtu etj.

Po ashtu Allahu e ka cilësuar metribute të bukura e të shumta. Po thuaj nuk ka sure që në të mos përmendet ndonjë atribut i tij i këndshëm si: Nurun, Huden, Rahmetun, Shifauun, Mevidhatun, Azizun, Mubarekun, Beshirun, Nedhirun etj.

#### Ndarja e Kur'anit

Kur'ani, sipas urdhërit Hyjnor, është i ndarë në sure që gjithsej janë 114. Suret janë të përbëra prej shumë ose pak ajetesh. Më e gjata është sureja El Bekaretu me 286 ajete, e më të shkurtrat kanë nga tri ajete.

"Suretun" - do të thotë vend, pozite e lartë. Një grumbull ajetesh që kanë fillim dhe mbarim quhet "suretun" për hir të famës dhe të lartësisë së saj ashtu sikurse quhet, beden pjesa më e lartë në një mur. Ose Kur'ani është si një kopsht nacional i ndarë në reparte, e secila njësi e tij është e rrethuar me mur të lartë si të ishte ndonjë këstjellë. Sureja e Kur'anit është si një kopsht i tij i rrethuar me mur që mbron besimin dhe bazat e tij.

"Ajet" - quhet një ose më shumë fjalë. Nuk është kusht i domosdoshëm që ajeti të ketë kuptim të pavarur si: **ha**, **mimë**, kur përbëhet prej shkronjave ose si: **Mudhammetan**, kur përbëhet prej një fjale. Ajeti zakonisht është një fjale e thjeshtë ose një fjale e zgjeruar apo edhe periudhë. Fjala ajeti përmendet shumë herë në Kur'an që ka për qëllim mrekullin, argument etj.

Për sa i përket çështjes së ndarjes së Kur'anit në sure dhe radhitjes së sureve në Mus-haf, kjo nuk ishte rezultat i mendjes së njeriut, por ajo ishte çështje e diktuar prej të madhit Zot.

Ndarja e Kur'anit sipas vendit ka të bëjë me pjesët e tij të shpallura sa ishte Pejgambëri në Meke dhe me pjesët që u shpallën pasiqe u shpërngul dhe u vendos në Medinë. Suret e shpallura sa ishte në Meke u quajtën **mekase**, ndërsa të tjerat **medinase**. Djetërat janë unike në bindje se në Meke u shpallën shtatëdhjetë sure,

është e vërtetë e saktë dhe s'ka nevojë të kërkojë prej Meje fakt. Fakti jam Unë. Nise disa mendjeve nuk u mjafton thënia Ime si fakt, por duan t'u besojnë shqisave dhe mendjeve të veta. Unë ata i të të lirë të përipiqen dhe ua bëjë të mundshme t'i shohin faktet e Mia dhe të vërtetojnë se atë që kam thënë Unë është e vërtetë e saktë, por është dashur t'u mjaftojë thënia Ime, pse mjafton Allahu të jetë vërtetues. Në suren "Fussilet"; Ajeti 53 thuhet: "Ne do t'u bëjmë atyre të mundshme t'i shohin argumentet tona në gjithësi dhe në veten e tyre deri që t'u bëhet e qartë se ai (Kur'ani) është i vërtetë. A nuk mjafton që Zoti yt të jetë dëshmuar për çdo gjë".

Kur'ani atëherë kur shpallje theksos të vërteta, ato është dashur të besohen si thënie të Zoit edhe para se t'i kuptojë mendja, sepse shumë çështje të vërteta, të cilat i ka cekur Kur'ani, dija ka arritur t'i kuptojë shumë më vonë, pra ato kanë qenë të vërteta edhe para se t'i zbulojë dija. Kur'ani p.sh. ka cekur rolin e erërave në mbarësimin e bimëve e ka thënë: "Ne i lëshuam erërat frytëuese..." (Hixhër: 22). Ka dhënë shenjë për rrotullimin e tokës në një mënyrë shumë perfide e ka thënë: "... dhe i sheh kodrat e mendon (të dukën) se ato janë të palëvizshme, ndërsa ato ecin sikur ecin retë..." (En'Nemlu: 88). Krahasimi i ecjes së kodrave me atë të reve, jep me kuptua për rrotullimin e tokës, sepse lëvizja e reve nuk bëhet vetvetiu, por me anën e erërave, pra edhe lëvizja e kodrave me anën e dikuj tjetër, në këtë rast me anën e tokës. Këtë thënie të Kur'anit, mendja ka arritur ta kuptojë vonë.

Për etapat e zhvillimit të fetusit e embrionit Kur'ani ka thënë: "Per Allahun, Ne e krijuam njeriun prej një lengu të kulluar prej balte, pastaj atë e shndërruam në pikë uji (farë) në një vend të sigurt, mandej atë pikë uji e bëmë copë gjaku, atë gjak e bëmë copë mishi të dhembëzuar, e atë copë mishi e shndërruam në eshtra, e eshtrat i veshëm me mish, pastaj atë e bëmë krijesë tjetër (i dhama shpirtin). I lartë është Allahu, më i miri Krijues!" (Muminunë: 12-14). Për këto etapa të zhvillimit, për tri erërsirat në të cilat ndodhet fetusi, dija arriti të dijë për të shumë vonë, e ndoshta vetëm në shekullin tonë.

Kur'ani i shku të gjitha perdet e kohës, të vendit dhe depërtoi e zbuloi edhe ato fshihësi që fshihen në zemrën apo në mendjen e njeriut. Këta shembuj janë të theksuar në Kur'an dhe lexuesi do t'i kuptojë gjatë leximit.

Edhe në shekullin tonë, i cili konsiderohet shekull i arsimit mendor, fjala e Kur'anit duket se zgjerohet dhe jep kuptim të ri. Sakerë që dija me përpjekjet e veta bën evolucion në zhvillimin e jetës, ajo gjën mbështetje në thënie e Kur'anit dhe thënie e tij duket se përtërihen gjatë shekujve për çdo generatë, e kështu dokumentohet se mësimi i tij është i ri për çdo kohë dhe se ai mësim kurr nuk vjetërohet, sepse duke gjeuar terrenin e kuptimeve shkollon paralelisht me zhvillimin e jetës, prandaj është mrekulli mendore.

#### Mrekullia e Kur'anit nga ana e çështjes shpirtërore

Zoti xh.sh. këtë libër e shpalli mëshirë dhe dritë për njerëz, por për ato zemra idhujtare, të cilave u kishte hyrë në gjak adhurimi i idhujve, ishte një goditje e fortë në shpirtin e tyre. Arabët që ishin idhujtarë shumë kokëfortë e idhnakë të mëdhenj e të papërkultur, Kur'ani thërriste ta braktisnin atë me të cilin ishin të mësuar edhe prej prindërve të vet, i thërriste të largohen prej adhurimit të shumë zotërave dhe të kthehen në adhurim të një të vetmit Zot, të Allahut fuqjplotë, i thërriste të heqin dorë prej atyre zakoneve plot mëkate e krime.

الغالي، بلقاسم، أبو منصور الماتريدي - حياته وآراؤه العقديّة، ص 179، نقلًا عن الشيخ زادة: نظم الفرائد وجمع الفوائد، فريدة، ص 14، ص 22-23؛ الماتريدي، أبو منصور، التوحيد، ص 74؛ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 4، ص 1-2.

## المبحث الثالث: نماذج من تفسيره، فيها البعد المقاصدي والاجتماعي

موقفه من الحكمة في استبدال جلود أهل جهنم:

قال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ (النساء: 56)، ما نصه:

«جلود أهل جهنم ستبدل كلما احترقت ونضجت. وإبدال الجلد وتجديده يجعلنا نفهم أن ذلك يكون في مقدور الله - عزَّ وجلَّ - فقط، وهو الذي يملك أن يعذب الجاني على كل جرم ارتكبه بتبديل جلده. وليس في مقدور الناس فعل ذلك. إنهم يعذبون الجاني الذي ارتكب مائة جريمة بتعذيب أو قتل واحد مرة واحدة فقط. والسر في إحراق الجلد والتركيز عليه هو أن الجلد من أشد المواضع إحساساً بالألم مقارنة ببقية الأعضاء»<sup>(1)</sup>.

موقفه من الحكمة في مشروعية الجهاد:

«كلما ذكر القتال أو الجهاد في القرآن، ذكر معه (في سبيل الله)، للإشعار بأن الهدف من الجهاد ليس احتلال أرض العدو، ولا الغنيمة من الحرب أو غير ذلك، وإنما الهدف منه الحرية التامة لقبول الاعتقاد الصحيح وتنفيذ حدود الله. والناس أحرار، والجهاد في سبيل الله ليس خسارة لأن المقتول في ساحة القتال يكون شهيداً، وأن الذي لم يكن له نصيب الشهادة، فله نصيب الجهاد لنشر العدل. وبناء عليه، فإن أجره سيكون عظيماً»<sup>(2)</sup>.

موقفه من تنفيذ الحدود:

«يظن كثير من الناس أن قطع يد السارق عقوبة في غاية الشدة والقسوة في هذا العصر المتحضر. إن أمثال تلك الآراء والفلسفات المخطئة والضالة، جعلت الفساد الإداري الاقتصادي في نمو وازدياد. والحكومات التي لا تنفذ الحدود تقوم بتعذيب الجاني أو مرتكب

(1) انظر التفسير المختصر للشيخ شريف أحمد، ص 120.

(2) المصدر السابق، ص 60، وانظر أيضاً، ص 123.

الجريمة بالسجن، مما جعل السجون مليئة بالسارقين والغاصبين وقطاع الطرق المفسدين الظالمين. إن قطع يد واحدة يعالج ويشفي مدينة بأكملها»<sup>(1)</sup>.

### موقفه من الزواج ونكاح المتعة:

«وكذلك يحرم الزواج المؤقت لمصلحة مادية، لأنه ليس من مقاصد الزواج إشباع الشهوات فقط، وإنما الزواج له مقصد إنساني سام، هذا الجانب الإنساني يجب أن يكون منبعاً ودافعاً لتربية الأجيال القادمة»<sup>(2)</sup>. «والزواج له مقاصد، منها إنجاب الذرية الصالحة والعفة والحب المتبادل بين الطرفين، وليس فقط إشباع الغرائز، كما أن نكاح المتعة لأجل معلوم حرام»<sup>(3)</sup>.

### موقفه من الربا:

«يحرم التعامل بالربا في الشريعة الإسلامية، لأن واجب الأغنياء مساعدة الفقراء والمحتاجين في تحسين أوضاعهم الاقتصادية، وليس أن يثقلوا عليهم الأعباء والمشقات بمطالبة المزيد منهم»<sup>(4)</sup>. «ويحرم استغلال المال أو الحصول عليه بلا كد وتعب، مثل السرقة، والغش، والربا والغصب»<sup>(5)</sup>.

### موقفه من المعاصي:

«لا يُنظر إلى المعصية من حيث صغرها وكبرها، وإنما العبرة بالنتائج المولدة عنها»<sup>(6)</sup>، «وأن الله لا يحب العصاة المستكبرين، لكونهم لا يحترمون أي مبدأ إنساني أو رباني، مثل عبادة الله، والإحسان إلى الوالدين والأقارب والأيتام، كما أنه تعالى لا يقبل الأعمال التي كان

(1) المصدر السابق، ص 148.

(2) راجع تفسير الشيخ شريف أحمددي، ص 115.

(3) المصدر السابق، ص 115.

(4) راجع تفسير الشيخ شريف أحمددي، ص 78، 98.

(5) المصدر السابق، ص 116.

(6) راجع تفسير الشيخ شريف أحمددي، ص 116.

صاحبها يرائي فيها»<sup>(1)</sup>، «والظالمون مآلهم الهلاك والزوال، إما عاجلاً وإما آجلاً، وكل ظالم سيهلك وسيزال من الوجود، مثل ظالمي مكة وغيرهم»<sup>(2)</sup>.

### موقفه من التفسير العلمي:

موقفه من التفسير العلمي ظهر لي من خلال قراءتي لبحوثه ومقالاته في المصادر الأخرى، في المجلات الإسلامية باللغة الألبانية التي كانت تصدر في المشيخة الإسلامية في كوسوفا<sup>(3)</sup>. خلاصة كلامه في هذه المسألة أنه: «يجب التريث والتأني فيها، لأن العلم كل يوم في شأن، كما أنه لا يجوز أن نحمل القرآن أو أن نكلف العلماء بتصديق الاكتشافات العلمية بالآيات القرآنية. فعلينا التأكد أولاً من أن تلك الاكتشافات هي حقائق وليست فرضيات، وثانياً أن نعلم أن القرآن الكريم ليس كتاب جغرافيا أو كيمياء أو طب، إنما هو كتاب هداية وعقيدة، وإنما فيه إشارات ومفاتيح إلى تلك العلوم العصرية»<sup>(4)</sup>.

(1) المصدر السابق، ص 117.

(2) المصدر السابق، ص 167.

وقد ذكر أهل العلم بعض الضوابط والشروط التي ينبغي مراعاتها عند القيام بهذا النوع من التفسير، نذكر منها ما يلي: 1- ألا تطغى تلك المباحث على المقصود الأول من القرآن وهو الهداية والإعجاز. 2- أنه لا حرج على المفسر أن يستدل بالاكتشافات والحقائق العلمية، بما يغني ويثري المعنى الوارد في النص القرآني وما يتوافق مع روح النص ومقاصد الشريعة الإسلامية. 3- أن يؤتى بذكر تلك الاكتشافات على سبيل الاستئناس وإلقاء مزيد من الضوء على عظمة الآية الكريمة. 4- أن لا نصاب بالهزيمة النفسية حتى كلما ظهر شيء جديد قلنا إن ذلك من إعجاز القرآن حتى يؤمنوا بالقرآن. 5- أن القرآن نزل ليحقق لنا السعادة في الدنيا والآخرة. وقد ناقشت هذه المسألة بإسهاب في رسالتي للدكتوراة، فمن أراد المزيد والتوسع فليرجع إليها في ص 221-236، (مبحث عرض المنهج العلمي في الميزان)، وللمزيد انظر: أبو الخير، محمد عادل، 1988. اجتهادات في التفسير العلمي في القرآن الكريم، القاهرة، مركز الدلتا للطباعة، سبورتنج، ط 1؛ أبو حجر، أحمد عمر، 1991، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، بيروت، دار قتيبة للطباعة والنشر، ط 1.

(4) راجع المجلة: التربية الإسلامية (Edukata Islame) التي تصدرها اللجنة التنفيذية باللغة الألبانية، جماعة من العلماء في بريشتنا-كوسوفا، العدد: 46-47، ص 3-8، سنة الطبع، 1986. وللشيخ المفسر شريف أحمددي عموده الخاص لتفسير القرآن الكريم على شكل حلقات في المجلة المذكورة في هذه الأعداد:

33-34، سنة الطبع: 1982، ص 3-8، 30-32، بعنوان: (مصادر الإيمان والإسلام والعلاقات الإنسانية).

37-38، سنة الطبع: 1983، ص 73-78، الآيات: 26-70 من سورة البقرة.

39، سنة الطبع: 1984، ص 3-8، 37-44، قوله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾.

41-42، سنة الطبع: 1985، ص 60-68، الآيات: 201-286 من سورة البقرة، وص 3-11 سورة الزلزلة.

موقفه من السحر :

قال ما نصه: «السحر ليس له أي جدوى، ويجب عدم الإيمان بتأثيره إلا بإذن الله تعالى، كما أنه ليس له حقيقة مطلقاً. وما هو إلا ضرب من الخداع»<sup>(1)</sup>.

موقفه من النسخ:

قال ما نصه: «جمهور العلماء على أن النسخ وقع في القرآن في الأحكام والآيات، ومن العلماء من يرى أن النسخ لم يقع في القرآن، وإنما وقع النسخ في الشرائع السابقة»<sup>(2)</sup>.

موقفه من البدعة:

قال ما نصه: «كل بدعة في الدين أو العبادة وليس لها أصل في الشرع، فهي ملعونة ومذمومة، وإن كان لها أصل في الشرع فهي مقبولة ومحمودة»<sup>(3)</sup>.

موقفه من تكفير المسلمين:

قال ما نصه: «هناك قبلة واحدة لجميع المسلمين أين ما كانوا، وما داموا مستقبلين قبلة واحدة، فإنه يحرم تحريمًا قطعياً تكفير أحد المستقبلين القبلة»<sup>(4)</sup>.

موقفه من التقليد الأعمى:

قال ما نصه: «تقليد الآباء والأجداد مع العلم بأن تلك العادات والتقاليد ضارة، خطأ فادح وإثم كبير، لأن ذلك من أعمال المشركين. أما العادات والتقاليد النافعة فمطلوب حفظها واحترامها»<sup>(1)</sup>.

---

48-49، سنة الطبع: 1987، ص 13-22، الآيات: 156-200 من سورة آل عمران.

(1) المصدر السابق، ص 46.

(2) المصدر السابق، ص 47، وأفضل ما رأيته من الباحثين المعاصرين من فصل القول في هذه المسألة، هو ما قدمه الأستاذ الدكتور جمال الحسيني أبو فرحة في كتابه: النبي الخاتم.. هل وجد؟ ومن يكون؟، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط 1، 203، ص 91-100.

(3) المصدر السابق، ص 47.

(4) المصدر السابق، ص 53.

## موقفه من أتباع الأنبياء:

قال ما نصه: «حقيقة المحبة لله تعالى لا تُنال إلا بطاعة أنبيائه ورسله واتباعهم، لأن الله اختارهم واصطفاهم»<sup>(2)</sup>.

## موقفه من تعلم المرأة:

أشار الشيخ المفسر في مقال له خاص في مصدر آخر بعنوان: «الإسلام وتعلم المرأة»، إلى أن «الإسلام لا يمنع تعليم المرأة وتثقيفها، بالعكس فإن في تعلمها إحياء لسنة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وسنة أصحابه الكرام، لأنه بالثقف والتعلم يُحارَب الجهل وتمُحَى الأمية لكونهما ألد أعداء الإسلام. الإسلام طلب من المسلمين أن يحتلوا جميع ميادين العلوم، الدينية والكونية دون استثناء، واعتبر في ذلك الرجال والنساء على حد سواء، ولأجل ذلك علّم الله نبيه محمداً أن يسأل مزيداً من العلم، فقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: 114)، وأنه لا فصل بين الدين والدنيا كما فعل النصارى في عصور الانحطاط المظلمة في أوروبا. فكل علم يخدم الدين أو الدنيا، دنيوياً كان أو أخروياً ويدفع بالأمة إلى الحرية والتقدم وإلى الخروج من قبضة المستعمر، فهو مطلوب من منظور القرآن، والعلم لا جنسية له ولا عنصرية، كما أنه ليس لفئة أو طائفة معينة من الناس دون الآخرين، فهو ملك للجميع، للرجال والنساء على حد سواء»<sup>(3)</sup>.

---

(1) المصدر السابق، ص 56.

(2) المصدر السابق، ص 86.

(3) للمزيد راجع كتاب الشيخ المفسر: آراء واجتهادات إسلامية (Komente dhe Mendime Islame)، ص 351-



## المبحث الرابع: بعض الملحوظات المنهجية على تفسيره، الاقتراحات، الشكر والخاتمة

إن الموضوعية والأمانة العلمية تقتضيان أن نبين أيضاً بعض المآخذ والملحوظات التي استطعنا أن نقف عليها أثناء دراستنا وقراءتنا لهذا التفسير المختصر القيم، فأقول وبالله التوفيق:

### أولاً: الملحوظات المنهجية

إن القارئ لا يمكنه التركيز ولا إيجاد التطابق بين المعاني المترجمة للآيات والتفسير الإجمالي أو المختصر للآيات في أسفل الصفحة. هناك فصل وانقطاع بين معاني الآيات المترجمة والمعاني التفسيرية لها في الصفحات. فتجد في أعلى الصفحة الآيات المترجمة، بينما لا تجد في أسفل الصفحة ذاتها معاني أو تفسيراً لتلك الآيات. بعد مضي صفحة ونصف صفحة تجد التفسير لتلك الآيات السابقة. وهذا العمل يبدو لي أنه خلل فني ومطبعي، ولا يلام المفسر على ذلك، والله أعلم.

هناك سقوط لمعاني بعض الآيات وقلب لمعناها في الترجمة تماماً. راجع على سبيل المثال تفسير هذه الآية وترجمتها: ﴿وَلَا تُتَّخَذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ (النساء: 25)، إذ تجده أسقط معنى الآية وأثبت مكانها معنى خلاف ذلك المعنى، إذ قال في معنى الخدن: «زانيات في السر والعلن»<sup>(1)</sup>؟! بينما تجده في سورة المائدة، أثبت في ترجمته معنى الخدن: الذي هو الصاحب أو الصاحبة، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُتَّخَذِ أَخْدَانٌ﴾ (المائدة: 5)<sup>(2)</sup>.

والشيخ كان يُشعر القارئ بأنه قد رجع إلى مصادر أخرى غير تلك التي ذكرها في مقدمته. لكن عند التحقيق تبين لنا أن تلك المصادر الأخرى، كانت في حقيقة الأمر مصادر ومراجع لهؤلاء المفسرين الذين نقل منهم، وهو لم يرجع إليها ولم ينقل منها، فكان من الأولى في حقه تمشياً مع الأمانة والمنهجية العلمية أن يكتفي بذكر تلك المصادر التي نقل منها مباشرة ورجع إليها هو شخصياً، والله أعلم.

(1) انظر تفسيره، ص 114.

(2) انظر تفسيره، ص 140.

ومن هذه المصادر التي لم يذكرها في مقدمته ويظن القارئ بأنه قد رجع إليها، وهو في حقيقة الأمر لم يرجع إليها، نذكر: تفسير الزمخشري، وتفسير القرطبي، وتفسير أبي السعود، وتفسير البحر المحيط، وتفسير الطبري، وتفسير سيد قطب<sup>(1)</sup>، والأحاديث النبوية الصحيحة، وكتب السنة الستة، ومسند الإمام أحمد<sup>(2)</sup>، وكتب علوم القرآن والناسخ والمنسوخ، وكتب قصص الأنبياء والتاريخ، وكتب السيرة النبوية، وكتب أصول الفقه<sup>(3)</sup>، والكتب العلمية العصرية المختلفة، وآثار الصحابة وكلامهم - رضي الله عنهم<sup>(4)</sup>، وآثار الأئمة الكبار مثل الإمام الشافعي<sup>(5)</sup>، وغيرهم، والله أعلم.

---

(1) راجع تفسيره في هذه الصفحات: 153، 172، 222، 257، 385، 408، 419، 558، 570، 584.

(2) راجع تفسيره، ص 440.

(3) راجع تفسيره، ص 115.

(4) راجع تفسيره، ص 184، 212.

(5) راجع تفسيره، ص 559.

### تفسير المصحف الشريف

كُتِبَ هَذَا الْمَصْحَفُ وَضُبُّهُ عَلَى مَا يوافق رواية حفص بن سليمان  
ابن المغيرة الأَسَدِيِّ الكُوفِيِّ لقراءة عاصم بن أبي النُّجُود الكُوفِيِّ  
التابعي عن أبي عبد الرحمن عبدالله بن حبيب السُّلَمِيِّ عن عُمَانَ بن  
عَفَّان وَعَلِيِّ بن أبي طالب وزيد بن ثابت وَأَبِي بن كَعْب عن النبي  
صلى الله عليه وسلم .

وأخذَ هجاءهُ مما رواه علماء الرسم عن المصاحف التي بعث  
بها الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى البصرة والكوفة  
والشام ومكة ، والمصحف الذي جعله لأهل المدينة ، والمصحف  
الذي احتض به نفسه ، وعن المصاحف المنسوخة منها . وقد روعي  
في ذلك ما نقله الشيخان أبو عمرو الداني وأبو داود سليمان بن نجاح  
مع ترجيح الثاني عند الاختلاف .

هذا وكل حرف من حروف هذا المصحف موافق لنسخه في  
المصاحف العثمانية الستة السابق ذكرها .

وأخذت طريقة ضبطه مما قرره علماء الضبط على حسب ماورد  
في كتاب «الطراز على ضبط الخراز» للإمام التَّنَسِيُّ مع الأخذ  
بعلامات الخليل بن أحمد وأتباعه من المشاركة ، بدلا من علامات  
الأندلسيين والمغاربة .

Për fjalë më pak të njohura ndër lexues, të cilat i kam shkënuar si në original, kam dhënë shpjegime aty ku është përdorë ajo, andaj, nuk e pashë të udhës e as të nevojshme që për fjalët e tilla të jap një indeks të veçantë.

Literaturë për domethënien e vetë tekstit të Kur'anit, për koment dhe për përmbajtjen e çdo sureje kam shfrytëzuar:

- "Safvetu et tefasirë" nga Muhamed Ali Sabunij, ✓
- "Fet-hul bejanë fi mekasidil Kur'an" nga Muhamed Hasan Hanë, ✓ ?
- "Mus-hafi Mufesse" nga Ferid Vuxhdiu, ✓
- "Kamusun Kur'anijun" nga Hasan Muhamed Musa, ✓

Ndonjëherë kam shfrytëzuar edhe komentin e Fahu Rraziu, të Ibni Kethirit etj.  
Për të metat dhe ëëshimet, kërkoj faljen e Allahut xh.sh., e shpresoj se edhe lexuesit do më bashkohen në këtë lutje!

Prishtinë, 28 prill 1987

الدراسته  
تقدیمها فی  
المؤتمرا العالمی  
22.10.2002 Kuala Lumpur  
11000  
Hoxha  
20.04.2006  
المدينة المنورة  
Hoxha  
03.02.2013  
الدوحة - قطر  
Hoxha  
آفر فرجهت  
لهذه الدراسة  
بمنا سببه نشرها  
باللغة الإنكليزية  
والحمد لله رب العالمين  
ذو قعدة 1434

## الخاتمة والتوصيات وعرّفان بالجميل

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على أشرف المخلوقات سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين وأزواجه الطاهرات، وسلم تسليمًا كثيرًا. الحمد لله الذي وفقنا لدراسة هذا التفسير المختصر وعرض منهج صاحبه وبيانه. ولقد امتاز هذا التفسير بالأسلوب المشوق الجذاب والعبارات السلسة والسهلة. وكان صاحبه واضحًا في تفسيره وفي عرض دروسه المستفادة وبيان معاني الآيات وإبراز مقاصد القرآن، وقد ساعده على ذلك خبرته في التدريس باللغة الألبانية فترة من الزمن غير قصيرة وتمكّنه من ناصية اللغتين الألبانية والعربية. لقد كان بليغًا فصيحًا غير متكلف، كل من يقرأ تفسيره يندفع إليه ولا يستطيع المفارقة لحلاوة أسلوبه وطلاوة تعبيره.

كان قمة في الأخلاق والأدب في تعامله مع الآراء المخالفة، بعيداً عن التطرف والتعصب والهوى، متبعًا للحق والدليل الصحيح<sup>(1)</sup>.

ولقد أفدت كثيرًا من خلال معاشتي لهذا التفسير، وتعرفت على فكر الشيخ المفسر عن قرب، فقد كان ملتزمًا بمذهب أهل السنة والجماعة عمومًا، ولم يشذ عنهم إلا في بعض المسائل العقدية مثل موقفه من السحر ومسألة تأويل «استواء الله على العرش» في بعض المواضيع الأخرى. ولا شك أن هذا التقصير من صفات البشر وأن الكمال المطلق لله عز وجل. وللشيخ المفسر مقالات تفسيرية أخرى في بعض المجالات المتسلسلة باللغة الألبانية، والتي كانت تصدر من قبل المشيخة الإسلامية في دولة كوسوفا المسلمة<sup>(2)</sup>.

---

(1) راجع تفسيره من أوله إلى آخره، فستقف على هذه الحقيقة.

(2) انظر المجلة السنوية بعنوان: **Takvim-Kalendar**، من مطبوعات المشيخة الإسلامية في بريشتنا - كوسوفا، سنة الطبع 1984، ص: 36-47، ص: 103-111، وانظر أيضًا المجلة المذكورة، سنة 1986، ص: 55-67، وانظر أيضًا المجلة المذكورة، سنة 1987، ص: 50-60. وللمزيد من آراء واجتهادات الشيخ المفسر - رحمه الله - راجع كتابه المرجع بعنوان: **H.Sherif Ahmeti-Komente dhe Mendime Islame** (اجتهادات وآراء إسلامية)، ط 1، 1995، بريشتنا - كوسوفا، ص 351-354، ص 340-344، ص 82-90.

نسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن يتغمده برحمته وأن يسكنه فسيح جنته وأن يجزيه عما قدم للإسلام والمسلمين خير الجزاء إنه تعالى ولي ذلك والقادر عليه. ولا يسعني في هذا المجال بعد شكر الله عز وجل وتوفيقه إياي لإتمام هذا البحث، إلا أن أنوه بأنه لم يكن لهذا البحث أن يظهر على هذه الصورة لولا الاقتراحات والملحوظات اللغوية والموضوعية القيمة لأصحاب الفضيلة العلماء والأساتذة الزملاء وأخص بالذكر: الأستاذ الدكتور حكمت بشير ياسين أستاذ التفسير في الجامعة الإسلامية بكلية القرآن الكريم بالمدينة المنورة سابقاً، والأستاذ الدكتور محمد باجمعان أستاذ الحديث والعقيدة المساعد بكلية التربية بجامعة طيبة بالمدينة المنورة، والأستاذ الدكتور محمد عبد القادر هنادي أستاذ اللغة العربية بكلية التربية بجامعة طيبة، والأستاذ الدكتور جمال الحسيني أبو فرحة أستاذ العقائد والأديان المساعد بكلية المجتمع جامعة طيبة، والأستاذ الدكتور أيمن سيد الصياد الأستاذ المساعد للغة العربية وآدابها بكلية المجتمع بجامعة طيبة، فأنا لهم جميعاً شاكر ومقدر على كل ما بذلوه من جهد طيب ومشكور.

وأما عن توصياتي واقتراحي في هذا الصدد:

أولاً: فإنني أناشد الجهات العلمية العليا والمعنية بهذا الشأن في الدول العربية والإسلامية بأن تخصص فريقاً علمياً ألبانياً متمكناً من العلوم الدينية والشرعية واللغتين العربية والألبانية وعلومهما، حتى يراجعوا هذا التفسير المختصر ويستدرکوا على الشيخ المفسر في تصحيح عدد من المسائل التي ذكرناها آنفاً، ومن ثم يعيدوا طباعته من جديد، مراعين عقيدة أهل السنة والجماعة في مسألة الأسماء والصفات وغيرها من القضايا الأخرى.

ثانياً: أدعو إخواني العلماء والباحثين من الألبان رجال الفكر والمعرفة، أصحاب الفكر السليم، فرسان أهل السنة والجماعة، الراغبين وجه الله -عزَّ وجلَّ- ورضوانه، القاصدين نشر رسالة القرآن إلى الناس أجمعين، الواعين والمدركين لواقع حال الألبان الديني والاجتماعي والسياسي في الأراضي الألبانية وخارج أراضيتها، أدعوهم إلى مشروع علمي خالد، إلى كتابة تفسير آخر باللغة الألبانية أكثر شمولية وعمقاً من هذا الذي بين أيدينا. وهذا لا يتم إلا

بلا جتهاد والعمل الجماعي لأن الجماعة لا تجتمع على الضلالة، والله أعلم، وصلى الله على  
سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وسلم،  
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه الفقير إلى عفو مولاه خادم القرآن والسنة

الدكتور خير الدين خوجة (الكوسوفي)

الدوحة - قطر 2012

## قائمة المصادر المراجع

### أ- القائمة العربية

1. ابن إبراهيم، علاء الدين علي بن محمد البغدادي الشهير بالخازن، المتوفى 720هـ، باب التأويل في معاني التنزيل، وهامشه تفسير البغوي لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي المتوفى سنة 516، د. م، 1997، د. ط، دار الفكر.
2. ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني، جامع الرسائل، تحقيق: محمد رشاد رفيق سالم، مصر، د. ط، د. ت.
3. ابن تيمية، مجموع الفتاوي، جمع ترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، طبع بأمر صاحب السمو الملكي ولي العهد المعظم فهد بن عبد العزيز آل سعود، المملكة العربية السعودية، 1398هـ، ط 1.
4. ابن تيمية، أحمد تقي الدين، أصول التفسير، تحقيق: فريال علوان، بيروت، دار الفكر اللبناني، 1992، ط 1.
5. ابن تيمية، أحمد تقي الدين، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والراعية، بيروت، مكتبة ابن تيمية، د. ط، د. ت.
6. ابن تيمية، أحمد، درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، تحقيق: محمد رشاد سالم، الرياض، دار الكنوز الأدبية، 1391هـ.
7. ابن تيمية، أحمد، دقائق التفسير، تحقيق: محمد حامد الفقي، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، 1369هـ، ط 2.
8. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، بيروت، المكتب الإسلامي، 1401هـ، ط 3.
9. ابن رشد، القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد، كتاب فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، تحقيق: جورج فضلوا الحراني، ليدن، مطبعة بريل، 1959.

10. ابن شهاب، الزهري، تنزيل القرآن، تحقيق: صلاح الدين المنجد، بيروت، دار الكتاب الحديث، 1980، ط2.
11. ابن قيم الجوزية (ابن القيم)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، بيروت، دار الجيل، 1973.
12. ابن قيم الجوزية، الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، الرياض، دار العالمية، 1998، ط3.
13. ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي، الروح، تحقيق: د. السيد الجميلي، بيروت، دار الكتاب العربي، لبنان، 1994، ط1.
14. ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، د. م. د. ط، مطبعة التجارية، مصطفى محمد، 1356هـ.
15. أبو حجر، أحمد عمر، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، بيروت، دار قتيبة للطباعة والنشر، 1991، ط1.
16. أبو حنيفة، النعمان بن الثابت بن زوطي الخزاز الكوفي، الشرح الميسر على الفقهاء الأبطال والأكبر المنسويين لأبي حنيفة - القسم الثاني، رواية أبي مطيع البلخي عن أبي حنيفة، تحقيق: د. محمد بن عبد الرحمن الخميس، عجمان، مكتبة الفرقان، 1999، ط1.
17. أبو حيان، الأندلسي، البحر المحيط، القاهرة، دار الكتاب، 1980، ط2.
18. أبو الخير، محمد عادل، اجتهادات في التفسير العلمي في القرآن الكريم، القاهرة، مركز الدلتا للطباعة، سبورتنج، 1988، ط1.
19. أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ط، د. ت.
20. أبو سليمان، عبد الحميد، أزمة العقل المسلم، دار العالمية للكتاب الإسلامي، 1992، ط2.

21. أبو سنة، منى، وهبة، مراد، ابن رشد والتنوير، دار قرطاس للنشر، د. م، 1997، ط1.
22. الأرنؤوط، محمد موفاكو، الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية، الكويت، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1983، ط1.
23. الأرنؤوط، محمد موفاكو، دراسات عن الإسلام في البلقان، بيروت، د. م، 1983.
24. الأرنؤوط، محمد موفاكو، ملامح عربية إسلامية في الأدب الألباني، د. م، د. ت، د. ط.
25. الأرنؤوط، محمد موفاكو، الإسلام في يوغسلافيا من بلغراد إلى سرايفو، عمان، دار البشير، 1993، د. ط.
26. الأرنؤوط، محمد موفاكو، مختارات من الشعر الألباني المعاصر، دمشق، د. م، 1981، ط1.
27. اسمائتش، عبد الله، الصراع في يوغسلافيا ومستقبل المسلمين، معهد الدراسات السياسية، ترجمة: صائب علاوي، إسلام آباد، 1992، ط1.
28. الأشعري، أبو الحسن، الإبانة عن أصول الديانة، مطبعة دار الأنصار، د. م، د. ط، د. ت.
29. الأصور، خالد، البوسنة حقائق وأرقام.. كتاب شهري يصدر عن رابطة العالم الإسلامي، ع166. 1416هـ.
30. الأفضصاري، حسن كافي البوسنوي، روضات الجنات في أصول الاعتقاد، تحقيق: فكرت كارتشش وإبراهيم محمد زين، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، 2002.
31. أوغلي، عثمان، مذكرات الأميرة عائشة.. والدي السلطان عبد الحميد الثاني، نقلها إلى العربية: د. صالح سعداوي صالح، د. م، دار البشير، 1991، ط1.
32. الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب بن جعفر بن القاسم، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل. تحقيق: عماد الدين أحمد بن أحمد حيدر، بيروت، مؤسسة الثقافة، 1987، ط1.

33. البخاري، صحيح الإمام.. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت - لبنان.
34. البخاري، محمد ابن إسماعيل أبو عبد الله، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، بيروت، 1987، ط3.
35. بديع الزمان سعيد النورسي في مؤتمر عالمي حول تجديد الفكر الإسلامي عقد في إسطنبول سنة 1992، ترجمة: أرخان محمد علي، ط1، 1997، Yeni Bosna, Istanbul  
Nesil Basim-Yayin.
36. البغوي، الحسين بن مسعود الفراء، معالم التنزيل، تحقيق: خالد العك - مروان سوار، بيروت، دار المعرفة، 1987، ط2.
37. البنا، حسن، مجموعة رسائل الإمام الشهيد، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1992.
38. البوطي، سعيد رمضان، نقض أوهام المادية الجدلية (الديالكتيكية)، بيروت، دار الفكر المعاصر، ودمشق، دار الفكر، 1986، ط2.
39. البوطي، سعيد رمضان، ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، دمشق، دار الفكر، 1970، ط1.
40. البيضاوي، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشافعي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة، 1996.
41. تليمة، عصام، القرضاوي فقيهاً، بورسعيد، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2000، ط1.
42. جريشة، علي، الاتجاهات الفكرية المعاصرة، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، 1992، ط3.

43. جعرابة، عبد الحميد بن محمد ندا، المدخل إلى التفسير، القاهرة، مكتبة وهبة، 1996، ط1.
44. الجندي، أنور، تصحيح أكبر خطأ في التاريخ الإسلامي.. السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، القاهرة، دار الكتب السلفية، 1407هـ، ط1.
45. حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد المسمى تحفة المرید على جوهرة التوحيد، تحقيق: علي جمعة محمد الشافعي، جامعة الأزهر، دار السلام، 2002، ط1.
46. خليل، عماد الدين، مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1983، ط1.
47. خليل، عماد الدين، مدخل إلى إسلامية المعرفة مع مقترح لإسلامية التاريخ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1990، ط1.
48. خليل، عماد الدين، حول عوامل تدهور الحضارة الإسلامية، مجلة التجديد، فكرية نصف سنوية محكمة تصدرها الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، أغسطس، ع8، 2000.
49. خليل، عماد الدين، تكامل الوحي والعقل والحواس في إسلامية المعرفة.. بإشراف الأستاذ د. إبراهيم رجب، الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا، 1998، بحث غير منشور.
50. خوجة، خير الدين، دراسة في كتابين لأبي الحسن الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة واستحسان الخوض في علم الكلام، بإشراف الأستاذ الدكتور عرفان عبد الحميد فتاح، الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا، 1998، بحث غير منشور.
51. الدهلوي، شاه ولي الله، الفوز الكبير في أصول التفسير، بيروت، دار قتيبة، 1989، د. ط.

52. الذهبي، محمد حسين، الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم.. دوافعها ودفعها، مكتبة وهبة، القاهرة، 1986، ط3.
53. الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، القاهرة، مكتبة وهبة، ط9.
54. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي البكري (544-604)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، (544-604)، القاهرة، دار الغد العربي، 1412هـ، ط1.
55. الرفاعي، محمد نسيب، تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، الرياض، مكتبة المعارف، 1989، د. ط.
56. الرومي، فهد بن عبد الرحمن، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، 1986، ط1.
57. الرومي، فهد بن عبد الرحمن، منهج المدرسة الإصلاحية العقلية في التفسير، الرياض، 1994، ط1.
58. الرومي، فهد بن عبد الرحمن، أصول التفسير ومناهجه، الرياض، مكتبة التوبة، 1413هـ.
59. الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار قتيبة، د. م، ط1، تحقيق: د. بديع السيد اللحام.
60. الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار المعرفة، 1391.
61. زغلول، الشحات السيد، الاتجاهات الفكرية في التفسير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977، ط2.
62. الزندانى، عبد المجيد عزيز، من أوجه الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في عالم البحار، المجلس العالمي للمساجد - هيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة، 1999، ط1.

63. سالم، إبراهيم بن حسن، قضية التأويل في القرآن الكريم بين الغلاة والمعتدلين، بيروت، دار قتيبة، 1993، ط1.
64. السيوطي، أبو عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن. بيروت، دار الفكر، 1979، د. ط.
65. السيوطي، عبد الرحمن، التحبير في علم التفسير. تحقيق: د. فتحي عبد القادر فريد، القاهرة، دار المنار، 1986.
66. الشاطبي، أبو إسحق، الموافقات في أصول الشريعة الإسلامية، تحقيق: الشيخ إبراهيم رمضان، مقابلة عن الطبعة التي شرحها الشيخ عبد الله دراز، بيروت، دار المعرفة، 1999، ط4.
67. الشرفاوي، عفت محمد، الفكر الديني في مواجهة العصر.. دراسة تحليلية لاتجاهات التفسير في العصر، بيروت، دار العودة، 1979، ط2.
68. الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، دار البشائر، 1989، ط2، بيروت، لبنان.
69. الشيباني، أحمد بن محمد بن حنبل، أصول السنة، السعودية، دار المنار، 1411هـ، ط1.
70. الصابوني، نور الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت: 580هـ)، البداية في أصول الدين، تحقيق: بكر طوبال أوغلي، أنقرة، نشرات الرئاسة الشؤون الدينية، 1995.
71. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، هذبه وقربه وخدمه: صلاح عبد الفتاح الخالدي، خرّج أحاديثه: إبراهيم محمد العلي، دمشق، دار القلم، 1997، ط1.
72. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، صريح السنة، تحقيق: بدر يوسف المعتوق، الكويت، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، 1405هـ، ط1.
73. الطحاوي، أبو جعفر، شرح العقيدة الطحاوية، بيروت، المكتب الإسلامي، 1391هـ، ط4.

74. عبد الرحمن الفرماوي، الصرب خنازير أوروبا - يحاولون زيادة الوجود الإسلامي في البلقان، دار الاعتصام، د. ط، د. ت.
75. العراقي، محمد عاطف، النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد، مصر، دار المعارف، ط1، د. ت.
76. عطوي، فوزي، الفارابي فيلسوف المدينة الفاضلة، تقديم: صبحي الصالح، د. م، د. ط، د. ت، دار الكاتب العربي.
77. العك، خالد عبد الرحمن، أصول التفسير وقواعده، بيروت، دار النفائس، لبنان، 1986، ط2.
78. العلواني، طه جابر، أدب الاختلاف في الإسلام، من مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، كوالالمبور - ماليزيا، 1992، ط2.
79. عمارة، محمد، المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد، القاهرة، دار المعارف، 1991، ط2.
80. عمارة، محمد، الإسلام بين التنوير والتزوير، القاهرة، دار الشروق، 1995، ط1.
81. الغاوجي، وهبي سليمان، مسائل في علم التوحيد، ط1، د. م.
82. الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، تحقيق: أبي حفص سيد بن إبراهيم بن صادق، القاهرة، دار الحديث، ط1، د. ت.
83. غنيم، كارم السيد، الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة التطبيقية، القاهرة، دار الفكر العربي، 1995، ط1.
84. فتاح، عرفان عبد الحميد، الفلسفة الإسلامية - دراسة ونقد، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1984، ط2.
85. فتاح، عرفان عبد الحميد، المدخل إلى معاني الفلسفة، عمان، دار عمار، 1989، ط1.
86. فتاح، عرفان عبد الحميد، دراسات في الفكر العربي الإسلامي - أبحاث في علم الكلام والتصوف والاستشراق والحركات الهدامة، بيروت، دار عمار، 1991، ط1.

87. الفتاح، عرفان عبد الحميد، نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، بيروت، دار الجيل، 1993، ط 1.
88. القرضاوي، يوسف، المدخل لدراسة السنة النبوية، القاهرة، مكتبة وهبة، 1992، ط 3.
89. القرضاوي، يوسف، شمول الإسلام في ضوء شرح مفصل للأصول العشرين للإمام الشهيد حسن البنا، القاهرة، مكتبة وهبة، 1995، ط 2.
90. القرضاوي، يوسف، كيف نتعامل مع القرآن العظيم، القاهرة، دار الشروق، 1999، ط 1.
91. القرضاوي، يوسف، المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة - ضوابط ومحاذير في الفهم والتفسير، القاهرة، مكتبة وهبة، د. ط.
92. القرضاوي، يوسف، مدخل لمعرفة الإسلام، القاهرة، مكتبة وهبة، ط 3.
93. القرطبي، أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، بيروت، دار الفكر، 1970.
94. القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1998، ط 23.
95. قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، 1985، ط 11.
96. الماتريدي، أبو منصور، التوحيد، تحقيق: فتح الله خليف، الإسكندرية، دار الجامعات المصرية، د. ط، د. ت.
97. المحتسب، عبد المجيد عبد السلام، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، عمان، مكتبة النهضة الإسلامية، 1982، ط 3.
98. محمد، إبراهيم شريف، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، القاهرة، دار التراث، 1982، ط 1.
99. مصطفى، محمد الحديدي الطير، اتجاهات التفسير في العصر الحديث.
100. المغراوي، محمد بن عبد الرحمن، المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، الرياض، دار طيبة، 1985.

101. النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي، الناسخ والمنسوخ، تحقيق: محمد عبد السلام محمد، الكويت، مكتبة الفلاح، 1408هـ، ط 1.
102. النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، القاهرة، دار الكتاب المصري، د. ت، د. ط.
103. النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ط. د. ت.
104. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان، بيروت، دار القلم، 1415هـ، ط 1.
105. اليعمرى، القاضي برهان الدين إبراهيم بن علي المعروف بابن فرحون، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ط، د. ت.

#### ب- القائمة الألبانية

1. Dalliu, Ibrahim. 1942. Besimet e Muslimaneve, Tirane: Shtypi Tirana.
2. Korca, Ali. 1910. Treqint e Tri fjalet te Imam Aliut, Shtypshkronja. Korce: Korca.
3. Dalliu, Ibrahim. 1919. Mevludi a jete e paster e Pejgamberit, 3rd Edit. Shkoder: Shtypshkronja Nikaj.
4. Korca, Ali. 1931. Historia e Shenjte edhe te kater Halifete. Tirane: Gutenberg.
5. Korca, Ali.. 1934 .E lemja dhe jeta e te madhit Muhamed alejhi selam, Tirane: Shtypshkronja Shkodra.
6. Dalliu, Ibrahim. 1935. DhuntieRamazani. Tirane: Shtypshkronja Tirana.

7. Dalliu, Ibrahim. 1935. Mesime teorike dhe praktike te moralit Islam, Tirane: Shtypshkronja Tirana.
8. Dalliu, Ibrahim. 1936. Udha Muhamedane<sup>†</sup> Tirane: Tirana.
9. Dalliu, Ibrahim 1943. Nji broshure mbi degat e imanit. Tirane: Shtypi Tirana.
10. Dalliu, Ibrahim 1944. 2nd Edit. Shtate Endrat e Shqiperise. Shtypshkronja e Shtetit.
11. Rizaj, Skender. 1982. Kosova Gjate Shekujve XV-XVI-XVII, Administrimi, ekonomia, shoqeria dhe levizja popullore. Prishtine: Rilindja.
12. Ismaili, Vehbi. 1992. C'ashte Islamizma, Michigan, USA: Shtypi Qendra Islamike Amerikane.
13. ----- . 1994. Turqit dhe Shqiptaret. Tirane: Hasan Tahsni.
14. Dalliu, Ibrahim 1995. (2nd Edit.) Patriotizma ne Tirane. Tirane: Imazh.
15. Hoxha, Ibrahim. 1998. Hoxhe Hasan-Tahsin efendiu - Te tjeret per te, AIITC. Tirane.
16. ----- . 1998. Levizja gjithpopullore shqiptare per faljen e gjaqeve 1990-1992, Kronike. Prishtine: Instituti i Albanologjik i Prishtines
17. Dalliu, Ibrahim 2000. (2nd Edit.) (Vepra Letrare-Dokrra hini, Grenxat e kuqe te Tiranes, Nje ander e ime, Petrit Kusi. Edit. Tirane: Botimet Enciklopedike.
18. Ibrahim, Nexhat. 2000. Islami ne Ballkan para shek. XV. Prizren: Zeri Islam.
19. Frasheri, Sami. 2003. (2nd Edit.) Himmetul Hummam fi neshril Islam – Prpjekja e heronjeve ne perhapjen e Islamit. (Trans). Ismail Ahmeti. Shkup: Logos-A

20. Korca Ali. Kur'ani i Madhnueshem e thebi i Tij, Shtypshkronja, Ora e Shkodres, Shkoder, 1924.
21. Korca, Ali. Myslimanija (n.p.d).
22. Hoxha, Ibrahim. Viset Kombetare Shqiptare ne Shtetin Grek. Tirane.
23. Ahmedi, Ismail. 1999. Hafiz Ali Korca – jeta dhe vepra, Shkup: Logos-A.
24. Ahmedi, Muhidin.(n.d.). Rreth perhapjes se Islamit nder shqiptaret, 2nd Edit, Arnold, Thomas.W, Perhapja e Islamit ne Shqiperi. Prizren: Penda.
25. Ahmeti, Sherif; 1995, Komente dhe Mendime Islame, Lidhja, Prishtine.
26. Ahmeti, Sherif,1993, Kur'ani-Perkthim me Komentim, Medine, Arabia Saudite
27. Ahmeti, Abib. 1996. Theranda - Prizreni Nder Shekuj, Prizren: Orient.
28. Ahmeti, Bajrush. 1997. Perandoria Osmane dhe perhapja e Islamit ne trojet shqiptare dhe ne viset fqinje, Prishtine.
29. Ajdini, Azem. Masakra e Tivarit Serbo-Malazeze, 1998. Tirane: Edlor.
30. Baba Selim Rexhep Kalicani. 2000. Dede Ahmedi i gjalle mes nesh, Fushe Kruje.
31. Bajrami, Hakif. 2000. Kosova - Njezet Shekuj te Identitetit te saj-Argumente Historike, Prishtine: Era.
32. Bardhi, Ismail. 1997. Hafiz Ibrahim Dalliu dhe egzgjzra e tij Kur'anore. Shkup: Logos-A.
33. Basha, Ali. 2000, Islami ne Shqiperi gjate shekujve, Tirane.
34. Behrami, Emin. 1997. Qasje studimore rreth kater perkthimeve te Kur'ani Kerimit ne gjuhen shqipe. Prishtine: Grafika Reznici.

35. Cana, Zekeria. 1996. Gjenocidi i Malit te Zi mbi Popullaten Shqiptare 1912-1913, Dokumente. Instituti Albanologjik i Prishtines: Prishtine.
36. Castellan, Georges. 1991. Historia e Ballkanit, shek XIV-XX, Tirane: Cabej - Libra per nje shoqeri te hapur,
37. Ceta, Anton. & Neziri, Zymer & Dreshaj, Myrvete. & Feti, Sadri. & Halimi, Mehmet. 2001. Pajtimi i gjaqeve, 1990-1991. Prishtine: Era.
38. Dalliu, Hafiz Ibrahim. 1929. Ajka e kuptimeve te Kur'ani Qerimit, Shkoder: Shtypshkronja - Ora e Shkodres.
39. Dela Roka, Roberto Moroco.1994. Kombesia dhe feja ne Shqiperi 1920-1944, (Transl.)Luan Omari, Tirane: Elena Gjika.
40. Dibra, Haxhi Vehbi. 1993. C'urdheron Kur'ani-Kuptim i fatihas me shpjegime, Albanian Islamic Center, Harper Woods, Michigan, U.S.A.
41. Dizdari, Islam.1999. (Comp). Zani i Nalte – Permbledhje Kumtesash, Veprimtari Shmencore me rastin e 75 - vjetorit te botimit te revistes Zani i Nalte. Shkoder: Rozafat.
42. Feja, Kultura, dhe Tradita Islame nder Shqiptaret, 1995. Edit. Kryesia e Bashkesise Islame te Kosoves, Simpozium nderkombetar, Prishtine.
43. Feraj, Hysamedin. 1997. Skice e Mendimit Politik Shqiptar. Shkup: Logos-A.
44. Fischer, Bernd J. Mbreti Zog dhe perpjekja per stabilitet ne Shqiperi. 1984. 2nd. Edit. (Trans.). Hajderi, Krenar. Tirane: Cabej.
45. Frasheri Naim. 1996. Vepra Letrare 5. Tirane: Qerbelaja.
46. Frasheri, Sami. 1999. Shqiperia C'ka qene, C'eshte, e C'do behete. Prishtine: Dijs

47. Frasheri, Mehdi. 2000. 2nd Edi. Historia e Lashte e Shqiperise dhe Shqipetareve, Tirane: Phoenix.
48. Gjenocidi Serb ne Kosove. 1999. Instituti Shqiptar i Mendimit dhe Qyteterimit Islam, Sesion shkencor: Tirane.
49. Guta, Mulla Vesel Xheladin. 2000. Perendia me frymezoi. Shkup: Focus.
50. Hadri, Ali. 1967. Historia e popullit shqiptar per shkollat e mesme. Prishtine: Enti i teksteve dhe i mjeteve mesimore.
51. Haki Sharofi dhe Veprat e Tij. 2000. Kumtesa - shkrime origjinale dhe perkthime, Botime te A.I.I.T.C. Tirane.
52. Historia e Popullit Shqiptar. 1967. 3rd Edit. Universiteti Shteteror i Tiranes. Tirane: Instituti i Gjuhesise dhe i Historise.
53. Historia e popullit shqiptar. 2000. grup autoresh per vitin e katert te shkolles se mesme. SH.B.L.SH.
54. Historia e Shqiperise. 1959. Tirane: Universiteti Shteteror i Tiranes.
55. Historia e Shqiperise. 1984. Akademia e R.P.S. te Shqiperise. Tirane: Instituti i Gjuhesise.
56. Hoxha, Hajredin. 2000. The Bektashi Order of Dervishes - History and Doctrines. Kuala Lumpur: International Islamic University, 2013, El Furkam, Shkup, Maqedoni.
57. Hoxha, I. Daut. 1995. Hafez Ali Korca-Veprimtaria e tij ne lemin atdhetarise dhe arsim-kultures shqiptare e Arabo-Osmane - Persiane. Tirane.
58. Hysa, Mahmud. Alamiada shqiptare. 2000. Shkup: Logos-A.

59. Ibrahim, Nexhat. 2000. Islami ne trojet Iliro -Shqiptare gjate shekujve, M.D.I., Prishtine.
60. Iljazi, Ali. 2000. Kur'ani dhe shkenca bashkohore, Gjakove.
61. Kaleshi, Hasan. 1992. 2nd Edit. Kontributi i Shqiptareve ne Diturite Islame. (Comp). Miftar Ajdini dhe Nexhat Ibrahim, International Student Federation. Riyad.
62. Khan, Muhammad Zakaria. 1990. Kur'ani i Shenjte, arabisht-shqip. Perkthim e komentim Islamabad: Islam International Publications Ltd.
63. Kola, Harrila. 2000. Gjenocidi Serb ndaj Shqiptareve ne viset e tyre etnike ne Jugosllavi 1941-1967. Tirane: Elton.
64. Kondi, Sejdi. 1998. Ylli i Camerise Hasan Tahsini-vjersha dhe poezi kushtuar jetes dhe vepres se tij. Tirane.
65. Korca Hafiz Ali. 1925. Bolshevizma a Ckaterim i njerezimit. Tirane: Shtypshkronja - Mbrothesia, Kristo P. Luarasi,.
66. Krasniqi, Mark. 1997. Aspekte mitologjike-besime e bestytni.Prishtine: Rilindja.
67. Kutub, Sejid. 1999. Jasini - Perkthim dhe komentim.. (Trans.)Muhamed Mustafa. Shkup: Logos-A.
68. Mahmud, Mustafa. 1997. Kur'ani-perpjekje per te kuptuarit bashkohor. Mitrovice.
69. Malcolm, Noel. 2001. Kosova nje histori e shkurter. (Trans.)Dr.Abdullah Karjagdiu. Prishtine: Koha.
70. Mehdiu, Feti; 1996. Perkthimet e Kur'anit ne gjuhen shqipe, Logos-A, Shkup.

71. Mehdiu, Feti & Pirelku. 1996. Hasan Kaleshi - Vepra I. Studime Publicistike, Shkup: Logos-A.
72. Miftari, Faik. 2001. Pakes Drite per Kosoven. Prizren: NGL-BAF.
73. Morina, 2000, Qemajl; Hoxhe Kadri Prishtina-Mendimtar Islam, Kryesia e Bashkesise Islame, Prishtine.
74. Morina, Qemal. 2000. Hoxhe Kadri Prishtina- Mendimtar Islam, Kryesia e Bashkesise Islame, Prishtine.
75. Mufaku, Muhamed. 1990. Shqiptaret ne Boten Arabe. Prishtine: Rilindja.
76. Musa, Ymer. 1996. Ilustrimi artistik ne Kur'an, Shkup: Logos-A.
77. Osmani, Shefik. 1997. Panteoni iranian dhe iranologet shqiptare. Tirane: Saadi Shirazi.
78. Osmani, Tomor. 1999. Udha e shkronjave shqipe - Histori e alfabetit. Shkoder: Idromeno.
79. P.Alpan & Kaci, Nesim. 1997. Shqiptaret ne Perandorine Osmane. Tirane: Albin.
80. Perzgjedhje ne komentimin e Kur'ani Kerimit, 1998. Komuniteti Musliman i Shqiperise, Komiteti i Botes Islame. Trans. Haxhi Selim Stafa. Tirane.
81. Pirraku, Muhamed. 1989. Kultura Kombetare Shqiptare deri ne Lidhjen e Prizrenit. Prishtine: Instituti Albanologjik i Prishtines.
82. Polisi, Mehdi. 1994. Sami Frasheri – Vepra 9 Personalitete Shqiptare ne Kamus al-A'lam. Shkup: Logos-A.
83. Prifti, Kristaq. (n.d.p.)Popullsia Myslimane Shqiptare ne Ballkan ne fund te shek. XIX dhe ne fillim te shek.xx.

84. Qafzezi, Ilo Mitko; Kur'ani (Kendimi), Perkthyer prej I.M.Q.,Me dy piktura-shtypet nde kater fashikulla, kjo eshte e I-ra, Edicja e I-re, Shtypur nde Rumani-1921.
85. Ramiq, Jusuf. 1992. Shkaqet e shpalljes se Kur'ani Kerimit. (Trans. Bahri Aliu. Riyad: Al-Dar Al –Alamiya.
86. Rexhepagiq, Jashar. 1999. Dervishet, rendet dhe teqet ne Kosove ne Sanxhak dhe ne rajonet perreth. Peje: Dugagjini.
87. Rizaj, Skender; 1982 Kosova gjate shekujve XV-XVI-XVII, administarta, ekonomia, shoqeria dhe levizja popullore,Rilindja, Prishtine.
88. Rizaj, Skender. 1983. 2nd Edit. Historia e Pergjithshme, Koha ere 1453-1789, Prishtine: Universiteti i Kosoves ne Prishtine.
89. Sadiku, Riza. 1996. Hasan Kaleshi-jeta dhe vepra, Prishtine: Grafoprint.
90. Salihu, Hajdar. 1987. Poezia e bejtexhinjeve. Prishtine: Rilindja.
91. Sedaj, Engjell. (n.d.p.)Bibla dhe perkthimet e saj ne gjuhen shqipe. Prishtine. Shtufi.
92. Shehu,Bedrush. 1990. Qeshtje Shqiptare ne vitet 30 te shek.XIX. Prishtine: Instituti Albanologjik.
93. Shpjegimi i kuptimeve te Kur'anit te Larte ne gjuhen shqipe, 2000. (Comp). Dr. Muhamed Taki-ud-Din El-Hilali dhe Dr. Muhamed Muhsin Khan. (Transl.) Group of Students. Riad: Darusselam.
94. Shpuza, Gazmend. Kuvendime per historine kombetare,2000,Dituria, Tirane.
95. Shpuza, Gazmend. 2000. Kuvendime per historine kombetare. Tirane: Dituria.

96. Silajxhic, Haris. 1997. Shqiperia dhe SHBA ne Arkivat e Washingtonit. Prishtine.
97. Skendi, Eqber; 1992, Hoxhe Kadriu-Kadri Prishtina, Rilindja, Prishtine.
98. Skendi, Eqber. 1992. Hoxhe Kadriu - Kadri Prishtina, Prishtine: Rilindja.
99. Skendi, Stavro. 1967. Zgjimi Kombetar Shqiptar, Tirane: Phoenix.
100. Tahiri, Bedri. 2001. Agu i Lirise - Kronike Luftë Prishtine: Zeri i Kosoves.
101. Tahiri, Bedri. 2001.3rd Edit. Adem Jashari Legjende e Legjendave. Prishtine: Rilindja.
102. Thengjilli, Petrika. 2001. Historia e Shqiperise. Prishtine: (n.p.h).
103. Vishko, Ali. 1997. Harabati teqe e Tetoves dhe veprimtaria ne te ne periudhen kalimtare. Tetove: Design.
104. Xhelili, Qazim;1998, Vehbi Dibra - personalitet dhe veprimtar i shquar ilevizjes kombetare, Albin, Tirane.
105. Xhelili, Qazim. 1998. Vehbi Dibra-Personalitet dhe veprimtar i shquar i levizjes kombetare. Tirane: Albin.
106. Yveysi, Mexhid. Per Fe e Atdhe. Gjakove. (n.p.d.).
107. Zavalan,Tajar. 1957. Histori e Shqipnise, Londer. (n.p.p.).
108. Zefi, Don Shan. 2000. Islamizimi i Shqiptareve gjate shekujve. Prizren: Drita.
109. Zekaj, Ramiz. 1997. Zhvillimi i Kultures Shqiptare te Shqiptartë gjate shek. XX. Tirane: Instituti Shqiptar i mendimit dhe qyteterimit ilamik.

1. Al-Faruqi, Ismail Raji. (n.p.d.). Islam and Other Faiths, edit. by: Ataullah Siddiqui. The Islamic Foundation and The International Institute of Islamic Thought, Markfield, Leicester, UK.
2. Biberaj, Elez. 1990. Albania a socialist Maverick. USA. (n.p.h.).
3. Cigar, Norman. 2003. The role of Serbian orientalists in justification of genocide against Muslims of the Balkans. Logos-A, Shkup.
4. Crecelius, Daniel Neil. 1967. The Ulema and the state in modern Egypt, Princeton. (Ph.D. thesis). N. J, Princeton: University Press.
5. Fikret, Karcic. 1999. The Bosniaks and The Challenges of Modernity - Late Ottoman and Hapsburg Time. Sarajevo: El-Kalem.
6. ----- . 1997. Islamic Studies - Islam in The Balkans. Pakistan: Islamic research Institute, International Islamic University Islamabad.
7. Gay, Peter. 1966. The Enlightenment - An introduction. New York: Random House.
8. International Symposium. 1992. The Reconstruction of Islamic Thought in the twentieth century and Bediuzaman Said Nursi. 27-29 September. Istanbul: Sozler Publications.
9. J. J. G.Jansen. 1980. The Qoran Interpretation in Modern Egypt. Leiden: E.J.Brill.
10. J.Costa, Nicollas. 1995. Albania – a European enigma. New York: Columbia University Press.

11. Jacques, Edwin.E. 1995. The Albanians - an ethnic history from prehistoric times to the present. Mc. Farland & Company North Carolina and Lindon: Inc. Publishers Jefferson.
12. Justin McCarthy. 1999. Death and Exile - The Ethnic Cleansing of Ottoman Muslims 1821-1922. 3rd Edit. USA.
13. Kingsley, John Birge. 1934. The Bektashi Sufi order of dervishes. New York: AMS Press.
14. Maksudoglu, Mehmet. 1993. Ottoman History Based Mainly on Ottoman Sources. Malaysia: International Islamic University.
15. Maududi, Abul A'la. 1999. A short history of the Revivalist Movement in Islam, (Trans.). Al-Ash'ari. K.Lumpur: The Other Press Petaling Jaya.
16. Malcolm, Noel. 1994. Bosnia - A short History. New York University Press.
17. Malcolm, Noel. 1998. Kosovo - A Short History. New York University: Harper Collins Publishers.
18. McCurry, Don. M.1978. The Gospel and Islam - A Compendium. West Huntington Drive. U.S.A: A Ministry of World Vision International.
19. Michael, A. Sells. 1996. The Bridge Betrayed - Religion and Genocide in Bosnia. Berkely: University of California Press.
20. Norris, H.T. 1993. Islam in The Balkans-Religion and Society Between Europe and the Arab World. London: Hurst & Company.
21. Poullton, Hough. & Farouki, Suha Taji. 1997. Muslim Identity and the Balkan State. London: Hurst & Company.

22. Swire, John. 1971. Albania - the rise of a Kingdom. Arno Press. New York: The New York Times.
23. The Truth on Kosova. 1993. The Academy of Sciences of the Republic of Albania. Institute of History. Tirana: Encyclopedia publishing house.
24. Thomas, Robert. 1999. Serbia Under Milosevic - Politics in 1990s, London: Hurst & Company.
25. Trix, Frances. 1993. Spiritual discourse - learning with an Islamic master. Philadelphia: University of Pennsylvania Press.
26. Wilkes, John. 2000. The peoples of Europe - The Illyrians. UK: Blackwell Publishers Ltd.
27. William Simpson & Martin Jones. 2000. Europe 1783-1914. London & New York: Routledge Taylor and Francis Group.
28. 7th International Conference on Translation - The Translation of Religious Texts, 6-8 December 1999. Kuala Lumpur.

#### د - القائمة التركية

1. Inan, Ahmet. 1999. Kur'anin Hakimiyet Kavraminin Karsilastirilmesi - Yeni bir Islam - Siyaset Teorisine Giriş Ankara: Se-Ba Ofset Ltd. Sti.
2. Kansu, Huseyin. 1998. Kosova İkinci Bosna Olmasin. Istanbul: Yildizlar matbaasi.
3. Okic, Tayyib. 1995. Tefsir ve Hadis usulunun bazi meseleleri. Istanbul: Nun Yayincilik.

4. Oztuna, T. Yilmaz. 1967. Turkiye Tarihi XIX-XX Asirlar. Turkiye: Hayat Yayinlari Dogan Kardes Matbaacilik.
5. Topaloglu, Bekir. 1995. Nureddin Es – Sabuni, Maturidiyye Akaidi. Ankara: Diyanet Isleri Baskanligi.
6. Virmica, Raif. 1996. Prizren Camileri. Kosova-Prizren: Turk Demokratik Yayinlari.

#### هـ – القائمة البوسنية

1. Karcic, Fikret. 1986. Serijatski sudovi u Jugoslaviji 1918-1941. Islamski teoloski fakultet biblioteka posebnih izdanja, Sarajevo.
2. Karcic, Fikret. 1990. Drustveno-pravni aspekt Islamskog reformizma - Pokret za reformu serijatskog prava i njegov odjek u Jugoslaviji u prvoj polovini XX vijeka, Sarajevo: (n.p.h.).
3. Karic, Enes. 1998. Semantika Kur'ana. Sarajevo: Bemust.
4. Salayxhiq, Haris. 1991. Albania Kroz Arhive Vasingtona. Trans. Xhelal Fejza. Tirane: Dituria.

#### ز – قائمة المعاجم والموسوعات الفلسفية واللغوية والدينية بالعربية

1. البعلبكي، منير وروحي، المورد الوسيط، مزدوج، قاموس عربي-إنكليزي-إنكليزي-عربي، بيروت، ط5، دار العلم للملايين، 2000.
2. دائرة المعارف الإسلامية – أصدرها بالإنكليزية والفرنسية والألمانية أئمة المستشرقين في العالم، ويشرف على تحريرها تحت رعاية الاتحاد الدولي للمجامع العلمية.

- النسخة العربية من إعداد وتحريـر: إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي، د. عبد الحميد يونس، الشعب، القاهرة، د. ط، د. ت.
3. سهيل، صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 2000.
4. الموسوعة الفلسفية - وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفيت، بإشراف: روزنتال ويودين، ترجمة: سمير كرم، مراجعة: د. صادق جلال العظم وجورج طرايشي، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط6، 1987.
5. وهبة، مراد، المعجم الفلسفي، د. م، دار الثقافة الجديدة، ط3، 1979.
6. مصطفى، إبراهيم، الزيات، أحمد حسن، عبد القادر، حامد، النجار، محمد علي، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث. إسطنبول، مؤسسة دار الدعوة، ط4، 1989.

#### ح - قائمة المعاجم والموسوعات الفلسفية والدينية الإنكليزية

1. Audi, Robert. 1995. The Cambridge Dictionary of Philosophy. Cambridge University Press.
2. Bealey, Frank. 1999. The Blackwell dictionary of political science. UK: Oxford.
3. Bogdanor, Vernon. 1987. The Blackwell Encyclopedia of political institutions. UK: Oxford.
4. Edwards, Paul. 1967. The Encyclopedia of Philosophy. London: Collier Macmillan Publishers.
5. Krieger, Joel. 1993. The Oxford companion to politics of the world. U.K: Oxford University Press.

6. Merriam -Websters's. 1999. Encyclopedia of World Religions. Massachusetts: WendyDoniger: Springfield.
7. Oxford Advanced Learners Dictionary of Current English. 1995. 5<sup>th</sup> edi. U.K: Oxford University Press.
8. Wuthnow, Robert. 1998. The Encyclopedia of Politics and Religion. London: Routledge.

#### ط – الموسوعة الدينية التركية

1. Turkiye Diyanet Vakfi Islam Ansiklopedisi. 1997. Baglarbashi-Kisikli caddesi<sup>†</sup> 7 Uskudar. Istanbul.

#### ي – قائمة الدوريات والمجلات الإسلامية والعلمية الألبانية

1. Civilizimi Islam. 2001. Nr.17. Janar. Tirane.
2. Dituria Islame. 1996. Nr. 83. Prishtine.
3. Dituria Islame. 1986. Nr. 1. Prishtine.
4. Dituria Islame. 2001. Nr. 133. Prishtine.
5. Dituria Islame. 2001. Nr. 134-135. Prishtine
6. Dituria Islame. 2002. Nr. 142, 144, 145. Prishtine
7. Edukata Islame. 1982. Nr. 46-47. Prishtine.
8. Edukata Islame. 1982. Nr. 33-34. Prishtine.
9. Edukata Islame. 1983. Nr. 37-38. Prishtine.
10. Frymezimi. 2000. Nr. 1. Gjakove.
11. Frymezimi. 2000. Nr. 2. Gjakove.

12. Frymezimi. 2000. Nr. 3. Gjakove.
13. Frymezimi. 2000. Nr. 4. Gjakove.
14. Frymezimi. 2000. Nr. 5. Gjakove.
15. Frymezimi. 2000. Nr. 6. Gjakove.
16. Frymezimi. 2000. Nr. 7. Gjakove.
17. Frymezimi. 2000. Nr. 8. Gjakove.
18. Frymezimi. 2000. Nr. 9. Gjakove.
19. Frymezimi. 2000. Nr. 10. Gjakove.
20. Gjurmime albanologjike-Seria e shkencave filologjike 16-1986- 1987.  
Prishtine.
21. Gjurmime albanologjike-Seria e shkencave filologjike IX-1979<sup>\*</sup> Prishtine. 1980.
22. Hena e Re - El Hilal. 1998. Shkurt. Shkup.
23. Hena e Re - El-Hilal. 1992 Shkurt. Shkup.
24. Jehona. 2000. Nr.5. Tirane.
25. Kultura Islame. 1941. Nr. 3-4. Tirane.
26. Kultura Islame. 1944. Nr. 7-8. Mars-Prill. Tirane.
27. Perla. 1996. Nr.4. Edlor. Tirane.
28. Perparimi. 1991. Nr. 2. viti XLV. Prishtine.
29. Universi. 2001. Nr. 1. Pegi. Tirane.
30. Zani i Nalte. 1924. Nr. 6. Mars. Tirane.
31. Zani i Nalte. 1924. Nr. 8. Maj. Tirane
32. Zani i Nalte. 1924. Nr. 9. Qershor. Tirane
33. Zani i Nalte. 1924. Nr. 7. Prill. Tirane.
34. Zani i Nalte. 1926. Nr. 6. Tirane.

35. Zani i Nalte. 1927. Nr. 1. Nentor. Tirane.
36. Zani i Nalte. 1927. Nr. 6. Tirane.
37. Zani i Nalte. 1927. Nr. 8. Mars. Tirane.
38. Zani i Nalte. 1929. Nr. 2. Fruer. Tirane.
39. Zani i Nalte. 1929. Nr. 3. Mars. Tirane.
40. Zani i Nalte. 1929. Nr. 3. Mars. Tirane
41. Zani i Nalte. 1937. Nr.12. Tirane.

#### ك - قائمة البحوث في الدوريات الإنكليزية

1. Mufaku, Muhamed. 1994. Two Hijras and Two Fatwas. Journal of Islamic Studies. Vol. 5. No.2.
2. Lopasic, Alexander. 1994. Islam in the Balkans - Islamization of the Balkans with special reference to Bosnia. Journal Of Islamic Studies. Vol. 5. No.2. Oxford University Press.
3. Abdal Rahijm, Muddathir. (n.p.d.). Muslim Minorities in Western Societies - The Medieval Scene. Journal of the International Institute of Islamic Thought and Civilization ISTAC. Vol. 6. No.1.

#### ل - قائمة البحوث في الدوريات الألبانية

1. Ahmedil Ismail. 2000. Largpamesia denoncuese per koncepcionin Bolshevik Hafiz Ali Korca Jehona Nr.5. Tirane.
2. <http://www.msanews.mynet.net> - Bardhi Ismail. Brief survey of the Religious Situation and games within the Albanian ethnicum.
3. <http://www.toena.al.com> – History of Albania.

4. Kasollja, A, Faik. Hafiz Ibrahim Dalliu Jeta dhe vepra  
<http://www.yahoogeocities.com>
5. Tafaj, Sinan Delisula, Rezarta. Jeta e Hafiz Ibrahim Dalliu, Tiranasi qe  
perktheu Kuranin, <http://www.horizonti.com>
6. [www.albania.com](http://www.albania.com)
7. [www.bashkesiaislame.net](http://www.bashkesiaislame.net)
8. [www.dituriaislame.com](http://www.dituriaislame.com)
9. [www.furkan.com.mk](http://www.furkan.com.mk)
10. [www.kosova.com](http://www.kosova.com)
11. [www.kosovapress.com](http://www.kosovapress.com)
12. [www.shqiperia.com](http://www.shqiperia.com)

ف - قائمة بالمكتبات العلمية الشخصية المختلفة على أقراص CD وصدرت من جمعية

التراث الإسلامي في عمان - الأردن:

1. مكتبة التفسير وعلوم القرآن.
2. مكتبة الألفية للسنة النبوية.
3. مكتبة العقائد والملل.
4. مكتبة شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم.
5. مكتبة الفقه وأصوله.
6. مكتبة جامع الفقه الإسلامي.
7. مكتبة النحو والصرف.
8. مكتبة الأدب العربي.
9. مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية.



## أ. د. خيرالدين خوجة الكوسوفي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن والثقافة الإسلامية، والمستشار الأكاديمي في مركز تدريب قوات الدفاع الجوي الأميري القطري - وزارة الدفاع القطرية.  
والأستاذ سابقاً في كلٍّ من: كلية المجتمع بقطر، وكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، وكلية أصول الدين بجامعة السلطان الشريف علي الإسلامية بسلطنة بروناي، وكلية المجتمع بجامعة طيبة بالمدينة المنورة، وكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.